

كَلَامُ الدِّينِ وَمَقَامُ النِّعْمَةِ

تَأَلَّفَ
إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ
الْشَيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْقَسْبِي
الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ الصَّدُوقِ

الجزء الثاني

حَقَّقَهُ وَصَحَّحَ أَسَانِيدَهُ
سَيِّدُ أَهْلِ الْحِجَةِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْحَاوِزِيُّ

كَلَامُ الدِّينِ وَقِيَامُ النِّعَمَةِ

تَأَلَّفَ
إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ

الْشَيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بَنِي أَبِي الْقَيْسِ
الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ الصِّدِّيقِ

— ❦ — الْجُزْءُ الثَّالِثُ — ❦ —

حَقَّقَهُ وَصَحَّحَ أَسَانِيدَهُ

سَيِّدُ خَلْقِ الْحِجَةِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ

مَرْكَزُ أَهْلِ الذِّكْرِ

لِنَشْرِ ثَوَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سرشناسه	:	ابن بابويه، محمد بن علي، ۳۱۱ - ۲۸۱ ق.
عنوان	:	كمال الدين و تمام النعمة الجزء الثالث
تكرار نام پديد آور	:	تأليف محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق؛ حققه و صحح احمد الماحوزي
مشخصات نشر	:	تهران: نشر صادق، ۱۴۳۹ هـ = ۲۰۱۸ م = ۱۳۹۷ ش
مشخصات ظاهري	:	۴۹۶ ص
بهاء	:	۱۰۰۰۰۰۰ ريال
وضعيت فهرست نویسی	:	فيا
يادداشت	:	کتابنامه
يادداشت	:	عربی
موضوع	:	مهدویت - احاديث
موضوع	:	احاديث شيعه - قرن ۴ ق
موضوع	:	محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ ق. - احاديث
شناسه افزوده	:	ماحوزي، احمد، - محقق و محقق
رده کنگره	:	۱۳۹۷، ۲۳ الف م ۹ / ۵ / ۱۴۱ Bp
رده ديويي	:	۲۹۷/۲۱۲
شماره مدرک	:	۴۸۷۶۴۳۸

—*— كمال الدين و تمام النعمة (الجزء الثالث) *—

تأليف: الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق

تحقيق و تصحيح الأسانيد: سماحة الشيخ احمد الماحوزي

الطبعة: الاولى - ۱۳۹۷ هـ.ش - ۲۰۱۸ م

المطبعة: الصادق

عدد النسخ: ۱۰۰۰ نسخة

عدد الصفحات: ۴۹۶ صفحة

ردمك: ۹۷۸-۶۰۰-۵۲۱۵-۷۲-۴

الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة و النشر

مراكز التوزيع:

ایران - تهران - شارع ناصر خسرو - زقاق حاج نايب - سوق المجیدی

۰۲۱ ۳۳۹۳۴۶۴۴

ایران - قم - شارع معلم - مجمع ناشران رقم B۴۰

۰۹۱۲۴۱۰۲۰۹۶ / ۰۲۵ ۳۷۸۴۲۵۷۴ - ۷۵

ملاحظة هامة

نعبر في كثير من الموارد عن الموثق بالصحيح
لأسباب ذكرناها في الملحق رقم: ١، فراجع



٤٧ - باب ما جاء في التعمير

(٥٣٨) ١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : عَاشَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفِي سَنَةٍ وَخَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ ، مِنْهَا ثَمَانِ مِائَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَأَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَهُوَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ ، وَسَبْعُمِائَةَ عَامٍ بَعْدَ مَا نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ وَنَضَبَ الْمَاءَ ^(١) ، فَمَضَرَ الْأَمْصَارَ ، وَأَسْكَنَ وَلَدَهُ الْبِلْدَانَ .

ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُ وَهُوَ فِي الشَّمْسِ فَقَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، فَرَدَّ الْجَوَابَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ؟ فَقَالَ : جِئْتُ لِأَقْبِضَ رُوحَكَ ، فَقَالَ لَهُ : تَدْعُنِي أَخْرُجُ مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، فَتَحَوَّلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ : يَا مَلَكَ الْمَوْتِ ! كَأَنَّ مَا مَرَّبَنِي مِنَ الدُّنْيَا مِثْلُ تَحَوُّلِي مِنَ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ ، فَأَمِضْ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ ، قَالَ : فَقَبِضَ رُوحَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) .

(١) أي غار.

(٢) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٥٣٩) ٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِلَوِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْوَمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جَنَاحٍ ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ رَاشِدٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : كَانَتْ أَعْمَارُ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ ، ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ .

(٥٤٠) ٣ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ

إِدْرِيسَ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ ، جَمِيعاً قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ التَّمِيمِيُّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : عَاشَ أَبُو الْبَشَرِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِسْعِمِائَةَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفِي سَنَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً وَخَمْساً وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ يُونُسُ بْنُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً

وَسِتًّا وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً وَثَلَاثًا
وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَعَاشَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةً سَنَةً ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً
مُلْكُهُ ، وَعَاشَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعِمِائَةً وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً .

(٥٤١) ٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَشَّارٍ الْقَزْوِينِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْفَرَجِ الْمُظَفَّرُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ جَعْفَرٍ الْكُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَرْمَكِيُّ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ صَالِحِ الْبَزَّازِ ، قَالَ : سَمِعْتُ
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : إِنَّ ابْنِي هُوَ الْقَائِمُ مِنْ
بَعْدِي ، وَهُوَ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ سُنَنُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالتَّعْمِيرِ
وَالْغَيْبَةِ حَتَّى تَقْسُو الْقُلُوبُ لِطُولِ الْأَمَدِ ، فَلَا يَثْبُتَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ إِلَّا
مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ .

(٥٤٢) ٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ
النَّخَعِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ حَمْرَةَ بْنِ
حُمْرَانَ ، عَنْ أَبِيهِ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ :

سَمِعْتُ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : فِي الْقَائِمِ
سُنَّةٌ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ طُولُ الْعُمُرِ (١) .

(٥٤٣) ٦ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامِ
ابْنِ سَالِمٍ ، عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ - فِي
حَدِيثٍ يَذْكُرُ فِيهِ قِصَّةَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَنَّهُ خَرَجَ يَقْرَأُ الزُّبُورَ ،
وَكَانَ إِذَا قَرَأَ الزُّبُورَ لَا يَبْقَى جَبَلٌ وَلَا حَجَرٌ وَلَا طَائِرٌ إِلَّا جَاوَبَتْهُ ،
فَانْتَهَى إِلَى جَبَلٍ فَإِذَا عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ نَبِيٌّ عَابِدٌ يَقَالُ لَهُ : حَزْقِيلُ ،
فَلَمَّا سَمِعَ دَوِيَّ الْجِبَالِ وَأَصْوَاتَ السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ عَلِمَ أَنَّهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا حَزْقِيلُ ! تَأْذَنُ لِي فَأُصْعَدَ
إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَبَكَى دَاوُدُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا
حَزْقِيلُ ! لَا تُعَبِّرْ دَاوُدَ وَسَلِّني الْعَافِيَةَ .

قَالَ : فَأَخَذَ حَزْقِيلُ بِيَدِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ

(١) وسنده حسن كالصحيح ، موسى بن عمران النخعي وهو روائي الزيادة الجامعة
الكبيرة - كنز المعرفة في كمالات المعصومين عليهم السلام - التي تلقاها بالقبول الأجلاء
والأعظم من مدرسة قم المقدسة وهم أول من رواها ، ومنه تعرف عظم راويها بقبولهم
منه هذه الزيارة وعناية الإمام له بجعله راوي هذه الزيارة ، والحسين بن يزيد هو النوفلي
المعروف الجليل .

دَاوُدُ : يَا حَزَقِيلُ ! هَلْ هَمَمْتَ بِخَطِيئَةٍ قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ دَخَلَكَ الْعُجْبُ بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا فَأُحْبِبْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا ؟ قَالَ : بَلَى ، رُبَّمَا عَرَضَ ذَلِكَ بِقَلْبِي ، قَالَ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَذْخُلُ إِلَى هَذَا الشُّعْبِ فَأَعْتَبِرُ بِمَا فِيهِ .

قَالَ : فَدَخَلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الشُّعْبَ فَإِذَا سَرِيرٌ مِنْ حَدِيدٍ عَلَيْهِ جُمُجُمَةٌ بَالِيَةٌ ، وَعِظَامٌ فَانِيَةٌ ، وَإِذَا لَوْحٌ مِنْ حَدِيدٍ فِيهِ كِتَابَةٌ ، فَقَرَأَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا فِيهَا : أَنَا أَرَوَى بَنُ سَلَمٍ ، مَلَكَتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَبَنَيْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَافْتَضَضْتُ أَلْفَ بَكْرٍ ، فَكَانَ آخِرَ عُمْرِي أَنْ صَارَ التُّرَابُ فِرَاشِي ، وَالْحِجَارَةُ وَسَادَتِي ، وَالْدِّيدَانُ وَالْحَيَّاتُ جِيرَانِي ، فَمَنْ رَأَى نِي فَلَا يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا (١) .

٤٨ - باب حديث الدجال

وما يتصل به من أمر القائم عليه السلام

(٥٤٤) ١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْجَلُودِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا

(١) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

الْحُسَيْنُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
يُونُسُ بْنُ أَرْقَمَ ، عَنْ أَبِي سَيَّارِ الشَّيْبَانِيِّ ^(١) ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ
مُزَاهِمٍ ، عَنْ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ ، قَالَ : حَظَبْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ
أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : سَلُونِي - أَيُّهَا النَّاسُ - قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي
ثَلَاثًا ، فَقَامَ إِلَيْهِ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَتَى
يَخْرُجُ الدَّجَالُ ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اقْعُدْ فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ
كَلامَكَ ، وَعَلِمَ مَا أَرَدْتَ ، وَاللَّهِ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ،
وَلَكِنْ لِدَلكَ عَلامَاتٌ وَهَيَّاتُ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَحَذْوِ النَّعْلِ
بِالنَّعْلِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَتْبَأْتُكَ بِهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اخْفِظْ ، فَإِنَّ عَلامَةَ ذَلِكَ إِذَا أَمَاتَ النَّاسُ
الصَّلَاةَ ، وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ ، وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ ، وَأَكَلُوا الرِّبَا ،
وَأَخَذُوا الرِّشَا ، وَشَيَّدُوا الْبُنْيَانَ ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا ، وَاسْتَعْمَلُوا
السُّفَهَاءَ ، وَشَاوَرُوا النِّسَاءَ ، وَقَطَعُوا الْأَرْحَامَ ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ ،

(١) كذا ، والصحيح : أبو سنان الشيباني وهو سعيد بن سنان ، أو أبو سنان ضرار بن مرة
الشيباني الأكبر ، وكلاهما من ثقات العامة .

وَأَسْتَحْفُوا بِالْدِّمَاءِ ، وَكَانَ الْحِلْمُ ضَعْفًا ، وَالظُّلْمُ فُخْرًا ، وَكَانَتْ
الْأَمْرَاءُ فَجَرَةً ، وَالْوُزَرَاءُ ظَلَمَةً ، وَالْعُرَفَاءُ خَوْنَةً ^(١) ، وَالْقُرَاءُ
فَسَقَةً ، وَظَهَرَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ ^(٢) ، وَاسْتُعْلِنَ الْفُجُورُ وَقَوْلُ
الْبُهْتَانِ ، وَالْإِثْمُ وَالطُّغْيَانُ ، وَحُلِّيَتِ الْمَصَاحِفُ ، وَزُحِرَتِ
الْمَسَاجِدُ ، وَطُوِّلَتِ الْمَنَارَاتُ ، وَأُكْرِمَتِ الْأَشْرَارُ ، وَازْدَحَمَتِ
الصُّفُوفُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ ، وَنُقِصَتِ الْعُهُودُ ، وَاقْتَرَبَ
الْمَوْعُودُ ، وَشَارَكَ النِّسَاءُ أَزْوَاجَهُنَّ فِي التِّجَارَةِ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا ،
وَعَلَّتْ أَصْوَاتُ الْفُسَّاقِ وَاسْتَمِعَ مِنْهُمْ ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ،
وَاتَّقِيَ الْفَاجِرُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ ، وَאוْتُمِنَ الْخَائِنُ ،
وَاتَّخَذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَارِيفُ ^(٣) ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا ،
وَرَكِبَ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوجَ ، وَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ وَالرِّجَالُ
بِالنِّسَاءِ ، وَشَهِدَ الشَّاهِدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ ، وَشَهِدَ الْآخِرُ قَضَاءَ
لِذِمَامِ بَغَيْرِ حَقِّ عَرَفَهُ ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَآثَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَى

(١) المراد بالعرفاء هنا جمع عريف ، وهو العالم بالشيء ، والذي يعرف أصحابه ،
والقيّم بأمر القوم والنقيب .

(٢) في بعض النسخ: « شهادات الزور » .

(٣) جمع قنبة: الإماء المغنيات .

الْآخِرَةِ ، وَلَبِسُوا جُلُودَ الضَّانِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَتَتْهُمِ مِنَ الْجِيفِ ، وَأَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ الْوَحَا الْوَحَا (١) ، ثُمَّ الْعَجَلَ الْعَجَلَ ، خَيْرُ الْمَسَاكِينِ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ الْمُقَدِّسِ ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّى أَحَدُهُمْ (٢) أَنَّهُ مِنْ سُكَّانِهِ .

فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَصْبَغُ بْنُ نُبَاتَةَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ الدَّجَالُ ؟ فَقَالَ : أَلَا إِنَّ الدَّجَالَ صَائِدُ بْنُ الصَّيْدِ (٣) ، فَالْشَّقِيُّ مَنْ صَدَّقَهُ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ كَذَّبَهُ ، يَخْرُجُ مِنْ بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا : أَصْفَهَانُ ، مِنْ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالْيَهُودِيَّةِ (٤) ، عَيْنُهُ الْيُمْنَى مَمْسُوحَةٌ ، وَالْعَيْنُ الْأُخْرَى فِي جَبْهَتِهِ تُضِيءُ كَأَنَّهَا كَوْكَبُ الصُّبْحِ ، فِيهَا عِلْقَةٌ كَأَنَّهَا مَمْزُوجَةٌ بِالْدَّمِ ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ ، يَقْرَأُ كُلُّ كَاتِبٍ وَأُمِّيٍّ ، يَخُوضُ الْبَحَارَ ، وَتَسِيرُ مَعَهُ الشَّمْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ جَبَلٌ مِنْ دُخَانٍ ، وَخَلْفَهُ جَبَلٌ أَبْيَضٌ يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ طَعَامٌ ، يَخْرُجُ حِينَ يَخْرُجُ فِي قَحْطٍ شَدِيدٍ ، تَحْتَهُ حِمَارٌ أَفْمَرٌ ، خُطْوَةُ حِمَارِهِ مِثْلُ ، تُطَوُّى لَهُ

(١) الوحَا الوحَا يعني السرعة السرعة ، البدار البدار .

(٢) في بعض النسخ : « يود أحدهم » .

(٣) في بعض النسخ : « صائد بن الصيد » ، وفي سنن الترمذي : « ابن صياد » .

(٤) في مسند أحمد بن حنبل : ٢٢٤/٣ بسنده عن أنس عنه صلى الله عليه وآله : « يخرج من يهودية أصبهان » ويهودية أصبهان اسم محلة في أصفهان سكانها يهود .

الْأَرْضُ مِنْهَا مَنْهَلًا ، لَا يَمُرُّ بِمَاءٍ إِلَّا غَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، يُنَادِي
بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَسْمَعُ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالشَّيَاطِينِ
يَقُولُ : إِلَيَّ أُولِيَائِي (١) ، أَنَا الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى ، وَقَدَّرَ فَهَدَى ، أَنَا
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ، وَكَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ إِنَّهُ أَعْوَرُ ، يَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي
فِي الْأَسْوَاقِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَلَا يَطْعَمُ ، وَلَا
يَمْشِي ، وَلَا يَزُولُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ غُلُوءًا كَبِيرًا .

أَلَا وَإِنَّ أَكْثَرَ أَتْبَاعِهِ يَوْمَئِذٍ أَوْلَادُ الزُّنَا ، وَأَصْحَابُ الطَّيَالِسَةِ
الْخُضْرِ ، يَقْتُلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّامِ عَلَى عَقَبَةٍ تُعْرَفُ بِعَقَبَةِ أَفِيْقٍ ،
لِثَلَاثِ سَاعَاتٍ مَضَتْ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، عَلَى يَدٍ مَنْ يُصَلِّي الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْفَهُ ، أَلَا إِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
قُلْنَا : وَمَا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : خُرُوجُ دَابَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ
مِنْ عِنْدِ الصَّفَا مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، وَعَصَا مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، يَضَعُ الْخَاتَمَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ مُؤْمِنٍ فَيَنْطَبِعُ فِيهِ : هَذَا مُؤْمِنٌ
حَقًّا ، وَيَضَعُهُ عَلَى وَجْهِ كُلِّ كَافِرٍ فَيَنْكَتِبُ : هَذَا كَافِرٌ حَقًّا ، حَتَّى إِنَّ
الْمُؤْمِنَ لَيُنَادِي : الْوَيْلُ لَكَ يَا كَافِرُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيُنَادِي : طُوبَى لَكَ يَا

(١) أي اسرعوا ، أو إلي مرجعكم أُولِيَائِي ، والأول أنسب .

مُؤْمِنٌ ، وَدِدْتُ أَنِّي الْيَوْمَ كُنْتُ مِثْلَكَ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً .

ثُمَّ تَرَفَّعَ الدَّابَّةُ رَأْسَهَا فَيَرَاهَا مَنْ بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تُرَفَّعُ التَّوْبَةُ فَلَا تَوْبَةَ تُقْبَلُ ، وَلَا عَمَلٌ يُرْفَعُ ، وَلَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْراً .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَسْأَلُونِي عَمَّا يَكُونُ بَعْدَ هَذَا فَإِنَّهُ عَهْدُ عَهْدِهِ إِلَيَّ حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ لَا أُخْبِرَ بِهِ غَيْرَ عِثْرَتِي .

قَالَ النَّزَّالُ بْنُ سَبْرَةَ : فَقُلْتُ لِصَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ : يَا صَعْصَعَةُ ، مَا عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا ؟ فَقَالَ صَعْصَعَةُ : يَا ابْنَ سَبْرَةَ ، إِنَّ الَّذِي يُصَلِّيُ خَلْفَهُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْعِثَرَةِ ، التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ الشَّمْسُ الطَّالِعَةُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، يَظْهَرُ عِنْدَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، فَيُطَهَّرُ الْأَرْضُ ، وَيَضَعُ مِيزَانَ الْعَدْلِ ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا ، فَأُخْبِرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ حَبِيبَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يُخْبَرَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ عِثْرَتِهِ

الْأُئِمَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ (١) .

وحدَّثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عثمان بن الفضل العقيلي
الفقيه ، قال : حدَّثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن المظفر وعبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن الرازي وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن
موسى بن كعب الصيداني وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن صبيح
الجوهري ، قالوا : حدَّثنا أبو يعلى بن أحمد بن المثنى الموصلي ،
عن عبد الأعلى بن حماد النرسي ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن
عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ... بهذا الحديث مثله
سواء (٢) .

(٥٤٥) ٢ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ الْفَضْلِ
الْعُقَيْلِيُّ الْفَقِيهُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ مَشَايِخِهِ ، عَنْ أَبِي يَعْلَى
الْمَوْصِلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ حَمَّادٍ النَّرْسِيِّ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ
نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى

(١) وسنده كالحسن ، الجلودي أبو أحمد المتوفى سنة ٣٠٢ من أجلاء وثقات
الأصحاب ، والحسين بن معاذ هو ابن حرب الأخفش ذكره الخطيب في تاريخه ولم
يقدح فيه توفى سنة ٢٧٧ ، وذكره الذهبي في ميزانه لحديث رواه في فضل فاطمة عليها
السلام وفيه : « يا معشر الخلائق طأطئوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة على أبيها وعليها
الصلاة والسلام » ، وقيس بن حفص هو الدارمي من ثقات العامة مات سنة ٢٢٧ ، وبونس
ابن أرقم ذكره ابن حبان في الثقات وقال : « وكان يتشيع » .
(٢) ورجاله ثقات - على مباني العامة - سوى شيخ المصنف قدس سره أبو بكر الفقيه
فلم أجد من ذكره .

ذَاتَ يَوْمٍ بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ ، ثُمَّ قَامَ مَعَ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى بَابَ دَارٍ
بِالْمَدِينَةِ فَطَرَقَ الْبَابَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : مَا تُرِيدُ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ،
اسْتَأْذِنِي لِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! وَمَا تَصْنَعُ بِعَبْدِ
اللَّهِ ، فَوَ اللَّهُ إِنَّهُ لَمَجْهُودٌ فِي عَقْلِهِ ، يُحَدِّثُ فِي ثَوْبِهِ ، وَإِنَّهُ
لَيَرَاوِدُنِي عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، فَقَالَ : اسْتَأْذِنِي عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَعْلَى
ذِمَّتِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : ادْخُلْ فَدَخَلَ ، فَإِذَا هُوَ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ
يُهَيِّئُ فِيهَا (١) فَقَالَتْ أُمُّهُ : اسْكُتْ وَاجْلِسْ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ أَتَاكَ ،
فَسَكَتَ وَجَلَسَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا لَهَا لَعَنَهَا اللَّهُ لَوْ
تَرَ كُتْنِي لَأَخْبَرْتُكُمْ أَهْوَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا
تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَأَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ ، فَقَالَ :
اشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : بَلْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا جَعَلَكَ اللَّهُ بِذَلِكَ أَحَقَّ مِنِّي ، فَلَمَّا
كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي صَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ ، ثُمَّ نَهَضَ
فَنَهَضُوا مَعَهُ حَتَّى طَرَقَ الْبَابَ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : ادْخُلْ فَدَخَلَ ، فَإِذَا هُوَ

(١) الهينة: الصوت الخفي ، والكلام الذي لا يفهم ، وفي بعض النسخ: « بهمهم فيها ».

فِي نَحْلَةٍ يُعَرِّدُ فِيهَا (١) ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : اسْكُتْ وَأَنْزِلْ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ أَتَاكَ فَسَكَتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا لَهَا لَعَنَهَا اللَّهُ لَوْ تَرَ كُتْنِي لَأُخْبِرْتُكُمْ أَهْوَهُ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَصْحَابِهِ الْفَجَرَ ، ثُمَّ نَهَضَ وَنَهَضَ الْقَوْمُ مَعَهُ حَتَّى أَتَى ذَلِكَ الْمَكَانَ ، فَإِذَا هُوَ فِي غَمٍّ لَهُ يَنْعِقُ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : اسْكُتْ وَاجْلِسْ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ أَتَاكَ فَسَكَتَ وَجَلَسَ ، وَقَدْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ آيَاتٌ مِنْ سُورَةِ الدُّخَانِ فَقَرَأَهَا بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي صَلَاةِ الْعَدَاةِ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : بَلْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا جَعَلَكَ اللَّهُ بِذَلِكَ أَحَقَّ مِنِّي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا فَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : الدُّخَانُ (٢) ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : احْسَأْ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَلَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ ، وَلَنْ تَنَالَ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَكَ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الدَّجَالَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْرَهُ

(١) الغر - بالتحريك -: التطريب في الصوت والغناء .

(٢) يعني الدخان ، وخبأت أي سترت .

إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا ، فَمَهْمَا تَشَابَهَ عَلَيْكُم مِّنْ أَمْرِهِ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، إِنَّهُ يَخْرُجُ عَلَى حِمَارٍ عَرُضَ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ مِيلٌ ، يَخْرُجُ وَمَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ ، وَجَبَلٌ مِّنْ تُخْبِزِ ، وَنَهْرٌ مِّنْ مَّاءٍ ، أَكْثَرُ أَتْبَاعِهِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَعْرَابُ ، يَدْخُلُ آفَاقَ الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَّا مَكَّةَ وَلَا بَيْتَهَا ^(١) ، وَالْمَدِينَةَ وَلَا بَيْتَهَا ^(٢) .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : إنَّ أهل العناد والجحود يصدّقون بمثل هذا الخبر ويروونه في الدجال وغييته وطول بقائه المدة الطويلة ، وخروجه في آخر الزمان ، ولا يصدّقون بأمر القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وأنه يغيب مدة طويلة ثم يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً مع نصّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعده عليه باسمه وغييته ونسبه ، وإخبارهم بطول غيبته إرادة لإطفاء نور الله عزّ وجلّ ، وإبطالاً لأمر وليّ الله ، وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وأكثر ما يحتجّون به في دفعهم لأمر الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لم نرو هذه الأخبار التي تروونها في شأنه ولا

(١) لابتا المدينة : حرّته ، واللاية : الحرّة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها .

(٢) الخرائج والجرائج : ٣/ ١١٣٩ ، قال : أخبرنا جماعة من أصحاب الحديث بأصبهان وجماعة منهم من همدان وخراسان سماعاً وإجازة عن مشايخهم الثقة بأسانيد مختلفة عن أبي يعلى عن عبد الأعلى

نعرفها .

وهكذا يقول من يجحد نبوة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ
الملحدين والبراهمة واليهود والنصارى والمجوس أنه ما صحَّ
عندنا شيء مما تروونه من معجزاته ودلائله ولا نعرفها فنعتقد
ببطلان أمره لهذه الجهة ، ومتى لزمنا ما يقولون لزمهم ما تقوله هذه
الطوائف ، وهم أكثر عدداً منهم .

ويقولون أيضاً : ليس في موجب عقولنا أن يعمر أحد في زماننا
هذا عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان ، فقد تجاوز عمر صاحبكم على
زعمكم عمر أهل الزمان .

فنقول لهم : أتصدّقون على أن الدجال في الغيبة يجوز أن
يعمر عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان ، وكذلك إبليس اللعين ، ولا
تصدّقون بمثل ذلك لقائم آل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ مع النصوص
الواردة فيه بالغيبة ، وطول العمر ، والظهور بعد ذلك للقيام بأمر
الله عزّ وجلّ ، وما روي في ذلك من الأخبار التي قد ذكرتها في هذا
الكتاب ، ومع ما صحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ قَالَ : كُلُّ مَا كَانَ
فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ،
وَالْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ (١) .

وقد كان فيمن مضى من أنبياء الله عزّ وجلّ وحججه عَلَيْهِمُ

السَّلامُ معْمَرُونَ ، أَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ فَإِنَّهُ عَاشَ أَلْفِي سَنَةٍ وَخَمْسَمِائَةَ سَنَةٍ ، وَنَطَقَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ، وَقَدْ رَوَى فِي الْخَبَرِ الَّذِي قَدْ أَسْنَدَتْهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ فِي الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلامُ سَنَةٌ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهِيَ طُولُ الْعُمُرِ ، فَكَيْفَ يَدْفَعُ أَمْرَهُ وَلَا يَدْفَعُ مَا يَشْبَهُهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي مَوْجِبِ الْعُقُولِ ، بَلْ لَزِمَ الْإِقْرَارُ بِهَا ؛ لِأَنَّهَا رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟

وهكذا يلزم الإقرار بالقائم عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ ، وَفِي مَوْجِبِ أَيِّ عَقْلٍ مِنَ الْعُقُولِ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَلْبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ؟ هَلْ وَقَعَ التَّصْدِيقُ بِذَلِكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ ؟ فَلِمَ لَا يَقَعُ التَّصْدِيقُ بِأَمْرِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلامُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ ؟ وَكَيْفَ يَصَدِّقُونَ مَا يَرِدُ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ وَهْبِ بْنِ الْمُنْبَهْ وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ فِي الْمَحَالَّاتِ الَّتِي لَا يَصَحُّ شَيْءٌ مِنْهَا فِي قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَا فِي مَوْجِبِ الْعُقُولِ ، وَلَا يَصَدِّقُونَ بِمَا يَرِدُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأُئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فِي الْقَائِمِ وَغَيْبِهِ وَظُهُورِهِ بَعْدَ شَكِّ أَكْثَرِ النَّاسِ فِي أَمْرِهِ ، وَارْتِدَادِهِمْ عَنِ الْقَوْلِ بِهِ كَمَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَثَارُ الصَّحِيحَةُ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ؟ هَلْ هَذَا إِلَّا مَكَابِرَةٌ فِي دَفْعِ الْحَقِّ وَجُحُودِهِ ؟ !

وكيف لا يقولون إنه لما كان في الزمان غير محتمل للتعمير وجب أن تجري سنة الأولين بالتعمير في أشهر الأجناس تصديقاً

لقول صاحب الشريعة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ولا جنس أشهر من جنس القائم صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ مذكور في الشرق والغرب على ألسنة المقرّين به ، وألسنة المنكرين له ، ومتى بطل وقوع الغيبة بالقائم الثاني عشر من الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع الروايات الصحيحة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ أخبر بوقوعها به عَلَيْهِ السَّلَامُ بطلت نبوّته لَأَنَّهُ يكون قد أخبر بوقوع الغيبة بمن لم يقع به ؟ ومتى صحّ كذبه في شيء لم يكن نبياً ؟ وكيف يصدق عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما أخبر به في أمر عمار بن ياسر رضي الله عنه أَنَّهُ تقتله الفئة الباغية ، وفي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ تخضب لحيته من دم رأسه ، وفي الحسن ابن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مقتول بالسّم ، وفي الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مقتول بالسيف ، ولا يصدق فيما أخبر به من أمر القائم ، ووقوع الغيبة به ، والتعيين عليه (١) باسمه ونسبه ؟ بلى هو عَلَيْهِ السَّلَامُ صادق في جميع أقواله ، مصيب في جميع أحواله ، ولا يصحّ إيمان عبد حتّى لا يجد في نفسه حرجاً ممّا قضى ويسلّم له في جميع الأمور تسليماً ، ولا يخالطه شك ولا ارتياب ، وهذا هو الإسلام ، والإسلام هو الاستسلام والانقياد ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

ومن أعجب العجائب أَنَّ مُخَالَفِينَ يَزُؤُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

(١) في بعض النسخ : « والنص عليه » .

عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِأَرْضِ كَرْبَلَاءَ ، فَرَأَى عِدَّةً مِنَ الظُّبَاءِ هُنَاكَ
 مُجْتَمِعَةً ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ تَبْكِي ، وَأَنَّهُ جَلَسَ وَجَلَسَ
 الْحَوَارِيُّونَ ، فَبَكَى وَبَكَى الْحَوَارِيُّونَ ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ لِمَ جَلَسَ ،
 وَلِمَ بَكَى ، فَقَالُوا : يَا رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَتَعْلَمُونَ
 أَيُّ أَرْضٍ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : هَذِهِ أَرْضٌ يُقْتَلُ فِيهَا فَرْخُ الرَّسُولِ
 أَحْمَدُ ، وَفَرْخُ الْحُرَّةِ الطَّاهِرَةِ ^(١) الْبُتُولِ شَبِيهَةً أُمِّي ، وَيُلْحَدُ فِيهَا ،
 هِيَ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ لِأَنَّهَا طِينَةُ الْفَرْخِ الْمُسْتَشْهَدِ ، وَهَكَذَا تَكُونُ
 طِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْلَادُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهَذِهِ الظُّبَاءُ تُكَلِّمُنِي وَتَقُولُ : إِنَّهَا
 تَرَعَى فِي هَذِهِ الْأَرْضِ شَوْقًا إِلَى تَرْبَةِ الْفَرْخِ الْمُسْتَشْهَدِ الْمُبَارَكِ ،
 وَزَعَمَتْ أَنَّهَا آمِنَةٌ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى بَعْرِ تِلْكَ
 الظُّبَاءِ فَشَمَّهَا فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَبْقِهَا أَبَدًا حَتَّى يَشَمَّهَا أَبُوهُ فَيَكُونَ لَهُ عَزَاءٌ
 وَسَلْوَةٌ ، وَإِنَّهَا بَقِيَتْ إِلَى أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى شَمَّهَا
 وَبَكَى ، وَأَخْبَرَ بِقِصَّتِهَا لَمَّا مَرَّ بِكَرْبَلَاءَ .

فيصدّقون بأنّ بعر تلك الطّباء يبقى زيادة على خمسمائة سنة
 لم تغيّره الأمطار والرياح ومرور الأيام والليالي والسنين عليه ،
 ولا يصدّقون بأنّ القائم من آل محمّد عليه السّلام يبقى حتّى يخرج

(١) في بعض النسخ : « الخيرة الطاهرة » .

بالسيف ، فيبِير أعداء الله عزّ وجلّ ، ويظهر دين الله ، مع الأخبار الواردة عن النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم بالنصّ عليه باسمه ونسبه ، وغيبته المدّة الطويلة ، وجري سنن الأولين فيه بالتعمير ، هل هذا إلاّ عناد وجحود للحقّ ؟ نعوذ بالله من الخذلان .

٤٩ - باب حديث الظباء بأرض نينوى في سياق هذا الحديث على جهته ولفظه

(٥٤٦) ١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْقَطَّانِ - وَكَانَ شَيْخاً لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ بِبَلَدِ الرَّيِّ يُعْرِفُ بِأَبِي عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ - قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْقَطَّانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ بُهْلُولٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ، عَنْ الْحُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُرَجَتِهِ إِلَى صِفِّينَ ، فَلَمَّا نَزَلَ بَيْنَوَيْ - وَهُوَ شَطُّ الْفُرَاتِ - قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، أَتَعْرِفُ هَذَا الْمَوْضِعَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : مَا أَعْرِفُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : لَوْ عَرَفْتُهُ كَمَعْرِفَتِي لَمْ تَكُنْ تَجُوزُهُ حَتَّى تَبْكِيَ كَبْكَايَ .

قَالَ فَبَكَى طَوِيلًا حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ (١) ، وَسَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى صَدْرِهِ وَبَكَينَا مَعَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَوْهَ أَوْهَ مَا لِي وَلِإِلَ أَبِي سُفْيَانَ ، مَا لِي وَلِإِلَ حَزْبِ حَزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاءِ الْكُفْرِ ، صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَدْ لَقِيَ أَبُوكَ مِثْلَ الَّذِي تَلْقَى مِنْهُمْ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَضُوءَ الصَّلَاةِ ، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ ، إِلَّا أَنَّهُ نَعَسَ عِنْدَ انْقِضَاءِ صَلَاتِهِ سَاعَةً ثُمَّ انْتَبَهَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ فَقُلْتُ : هَا أَنَا ذَا ، فَقَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنفَاءً عِنْدَ رَفْدَتِي ؟ فَقُلْتُ : نَامَتْ عَيْنَاكَ وَرَأَيْتَ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي بِرِجَالٍ بَيْضٍ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ ، مَعَهُمْ أَعْلَامٌ بَيْضٌ ، قَدْ تَقَلَّدُوا سُيُوفَهُمْ وَهِيَ بَيْضٌ تَلْمَعُ ، وَقَدْ خَطُّوا حَوْلَ هَذِهِ الْأَرْضِ خَطَّةً ، ثُمَّ رَأَيْتُ هَذِهِ النَّخِيلَ قَدْ ضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا إِلَى الْأَرْضِ ، فَرَأَيْتُهَا تَضْطَرِبُ بِدَمٍ عَبِيطٍ ، وَكَأَنِّي بِالْحُسَيْنِ نَجْلِي (٢) وَفَرْخِي وَمُضْغَتِي وَمُحْيٍ قَدْ غَرِقَ فِيهِ ، يَسْتَغِيثُ فَلَا يُعَاثُ ، وَكَأَنَّ الرِّجَالَ الْبَيْضَ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادُونَهُ وَيَقُولُونَ : صَبْرًا أَلْ

(١) أخضلت لحيته ، أي ابتلت بالدموع .

(٢) في بعض النسخ : « سخلى » .

الرَّسُولِ ، فَإِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ النَّاسِ ، وَهَذِهِ الْجَنَّةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْكَ مُشْتَاقَّةٌ ، ثُمَّ يَعْزُونَنِي وَيَقُولُونَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أَبْشِرْ فَقَدْ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ هَكَذَا ، وَالَّذِي نَفْسُ عَلَيَّ بِيَدِهِ ، لَقَدْ حَدَّثَنِي الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنِّي سَأَرَاهَا فِي خُرُوجِي إِلَى أَهْلِ الْبَغْيِ عَلَيْنَا ، وَهَذِهِ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ ، يُدْفَنُ فِيهَا الْحُسَيْنُ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِي وَوُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَإِنَّهَا لَفِي السَّمَاوَاتِ مَعْرُوفَةٌ ، تَذَكَّرُ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ كَمَا تَذَكَّرُ بُقْعَةُ الْحَرَمَيْنِ ، وَبُقْعَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

ثُمَّ قَالَ لِي : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، اطْلُبْ لِي حَوْلَهَا بَعَرَ الطُّبَّاءِ ، فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذِبْتُ قَطُّ ، وَهِيَ مُضْفَرَّةٌ لَوْنُهَا لَوْنُ الزَّرْعَرَانِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَطَلَبْتُهَا فَوَجَدْتُهَا مُجْتَمِعَةً ، فَنَادَيْتُهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَصَبْتُهَا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْتَهَا لِي ، فَقَالَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ قَامَ يُهْزِلُ إِلَيْهَا ، فَحَمَلَهَا وَشَمَّهَا وَقَالَ : هِيَ هِيَ بَعِينُهَا ، تَعْلَمُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا هَذِهِ الْأَبْعَارُ ؟ هَذِهِ قَدْ شَمَّهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِهَا وَمَعَهُ

الْحَوَارِيُّونَ ، فَرَأَى هَذِهِ الطُّبَّاءَ مُجْتَمِعَةً ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ الطُّبَّاءُ وَهِيَ تَبْكِي ، فَجَلَسَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَلَسَ الْحَوَارِيُّونَ فَبَكَى وَبَكَى الْحَوَارِيُّونَ ، وَهُمْ لَا يَذْرُونَ لِمَ جَلَسَ وَلِمَ بَكَى ، فَقَالُوا : يَا رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَتَعْلَمُونَ أَيُّ أَرْضٍ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : هَذِهِ أَرْضٌ يُقْتَلُ فِيهَا فَرْخُ الرَّسُولِ أَحْمَدَ ، وَفَرْخُ الْحُرَّةِ الطَّاهِرَةِ ^(١) الْبَتُولِ شَبِيهَةَ أُمِّي ، وَيُلْحَدُ فِيهَا ، وَهِيَ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَهِيَ طِينَةُ الْفَرْخِ الْمُسْتَشْهِدِ ، وَهَكَذَا تَكُونُ طِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَهَذِهِ الطُّبَّاءُ تُكَلِّمُنِي وَتَقُولُ : إِنَّهَا تَزْعَى فِي هَذِهِ الْأَرْضِ شَوْقًا إِلَى تَرْبَةِ الْفَرْخِ الْمُبَارَكِ ، وَزَعَمَتْ أَنَّهَا آمِنَةٌ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ صَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى هَذِهِ الصَّيْرَانِ ^(٢) فَسَمَّاهَا فَقَالَ : هَذِهِ بَعْرُ الطُّبَّاءِ عَلَى هَذِهِ الطَّيِّبِ لِمَكَانٍ حَشِيشِهَا ، اللَّهُمَّ أَبْقِهَا أَبَدًا حَتَّى يَسْمَمَهَا أَبْوُهُ فَتَكُونَ لَهُ عَزَاءً وَسَلْوَةً .

قَالَ : فَبَقِيَتْ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا وَقَدْ اصْفَرَّتْ لِطُولِ زَمَنِهَا ،

(١) في بعض النسخ : «الخبرة الطاهرة» .

(٢) جمع الصوار - ككتاب :- وهو القطيع من البعر أو المسك ، وقال في القاموس : الصور : النخل الصغار . والصيران : المجتمع ، والمراد بالصيران هنا المجتمعة من أبعاد الطُّبَّاء .

هَذِهِ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ ، وَقَالَ : بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا رَبَّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، لَا تُبَارِكْ فِي قَتْلَتِهِ ، وَالْحَامِلِ عَلَيْهِ ، وَالْمُعِينِ عَلَيْهِ ، وَالْخَاذِلِ لَهُ ، ثُمَّ بَكَى بُكَاءً طَوِيلًا وَبَكَيْنًا مَعَهُ ، حَتَّى سَقَطَ لِوَجْهِهِ وَغُشِيَ عَلَيْهِ طَوِيلًا ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَخَذَ الْبُعْرَ فَصَرَّهَا فِي رِذَائِهِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرَّهَا كَذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسِ ! إِذَا رَأَيْتَهَا تَنْفَجِرُ دَمًا عَبِيطًا فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ وَدُفِنَ بِهَا .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَوَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْفِظُهَا أَكْثَرَ مِنْ حِفْظِي لِبَعْضِ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ ، وَأَنَا لَا أَحُلُّهَا مِنْ طَرَفِ كُمِّي ، فَبَيْنَا أَنَا فِي الْبَيْتِ نَائِمٌ إِذِ انْتَبَهْتُ فَإِذَا هِيَ تَسِيلُ دَمًا عَبِيطًا ، وَكَانَ كُمِّي قَدْ امْتَلَأَتْ دَمًا عَبِيطًا ، فَجَلَسْتُ وَأَنَا أَبْكِي وَقُلْتُ : قُتِلَ وَاللَّهِ الْحُسَيْنُ ، وَاللَّهُ مَا كَذَّبَنِي عَلَيَّ قَطُّ فِي حَدِيثٍ حَدَّثَنِي ، وَلَا أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ قَطُّ أَنَّهُ يَكُونُ إِلَّا كَانَ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يُخْبِرُهُ بِأَشْيَاءَ لَا يُخْبِرُ بِهَا غَيْرُهُ ، فَفَرَعْتُ وَخَرَجْتُ ، وَذَلِكَ كَانَ عِنْدَ الْفَجْرِ ، فَرَأَيْتُ وَاللَّهِ الْمَدِينَةَ كَأَنَّهَا ضَبَابٌ ^(١) لَا يَسْتَبِينُ فِيهَا أَثَرُ عَيْنٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَرَأَيْتُ كَأَنَّهَا كَاسِفَةٌ ، وَرَأَيْتُ كَأَنَّ حَيْطَانَ

(١) اليوم صار ذا ضباب - بالفتح - أي ندى كالغيم ، أو سحاب رفیق كالدهان .

الْمَدِينَةِ عَلَيْهَا دَمٌ عَيْيْتُ ، فَجَلَسْتُ وَأَنَا بَاكِ وَقُلْتُ : قُتِلَ وَاللَّهِ
الْحُسَيْنُ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقُولُ :

اضْبِرُوا آلَ الرَّسُولِ قَتَلَ الْفَرْخُ النُّحُولَ (١)

نَزَلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ بِبُكَاءٍ وَعَوِيلٍ

ثُمَّ بَكَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَبَكَيْتُ ، وَاثْبُتُ عِنْدِي تِلْكَ السَّاعَةَ ،
وَكَانَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ لِعَشْرِ مَضَيْنَ مِنْهُ ، فَوَجَدْتُهُ يَوْمَ
وَرَدَ عَلَيْنَا خَبْرُهُ وَتَارِيخُهُ كَذَلِكَ ، فَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مَا سَمِعْتَ وَنَحْنُ فِي
الْمَعْرَكَةِ ، لَا نَذَرِي مَا هُوَ ، فَكُنَّا نَرَى أَنَّهُ الْخَضِرُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَعَلَى الْحُسَيْنِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ وَالْمُشِيعَ عَلَيْهِ (٢) .

٥٠- باب في سياق حديث حبابة الوالبيّة

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ حَبَابَةَ الْوَالِبِيَّةِ لَقِيَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) النحول: الهزال، وفي بعض النسخ: «المحول»، ولعل المراد العطشان لأنَّ المحل: انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلاء.

(٢) ورواة السند إلى علي بن عاصم ممن أكثر الصدوق الرواية عنهم، وهو قدس سره لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه، وعلي بن عاصم حسن الحديث عند العامة، وسائر رواة ثقات عندهم.

وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَنَّهَا بَقِيَتْ إِلَى أَيَّامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فلم ينكر من أمرها طول العمر فكيف ينكر القائم عليه السلام ؟

(٥٤٧) ١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَاقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي
 عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمِ
 الْعِجْلِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَعْرُوفِ بِبُزْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
 خُذَاهِيٍّ (١) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ ، عَنْ
 عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عُمَرَ الْخَثْعَمِيِّ ، عَنْ حَبَابَةَ الْوَالِبِيَّةِ ، قَالَتْ : رَأَيْتُ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شُرْطَةِ الْخَمِيسِ وَمَعَهُ دِرَّةٌ يَضْرِبُ بِهَا
 بَيَاعَ الْجَرِيِّ وَالْمَازِمَاهِي وَالزَّمَارِ وَالطَّافِي وَيَقُولُ لَهُمْ : يَا بَيَاعِي
 مُسُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَجُنْدَ بَنِي مَرْوَانَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَاتُ بْنُ
 الْأَخْنَفِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَمَا جُنْدَ بَنِي مَرْوَانَ ؟ قَالَتْ :

(١) في الكافي : « عن أحمد بن محمد بن يحيى المعروف بكرد ، عن محمد بن خذاهي ، عن عبد الله بن أيوب ، عن عبد الله بن هاشم ، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي » .

فَقَالَ لَهُ : « أَقْوَامٌ خَلَقُوا اللَّحَى ، وَفَتَلُوا الشَّوَارِبَ » ، فَلَمْ أَرِ نَاطِقًا أَحْسَنَ نُطْقًا مِنْهُ .

ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَقْفُو أَثَرَهُ حَتَّى قَعَدَ فِي رَحْبَةِ الْمَسْجِدِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَا دَلَالَةُ الْإِمَامَةِ رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ لِي : ائْتِنِي بِتِلْكَ الْحَصَاةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَصَاةٍ - فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَطَبَعَ لِي فِيهَا بِخَاتَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا حَبَابَةُ ! إِذَا ادَّعَى مُدَّعٍ الْإِمَامَةَ فَقَدَّرَ أَنْ يَطْبَعَ كَمَا رَأَيْتَ فَأَعْلَمِي أَنَّهُ إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ ، وَالْإِمَامُ لَا يَعُزُّبُ عَنْهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ .

قَالَتْ : ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى قُبِضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ ، فَقَالَ لِي : يَا حَبَابَةُ الْوَالِيبَةُ ! فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ ، فَقَالَ : هَاتِي مَا مَعَكَ ؟ قُلْتُ : فَأَعْطَيْتُهُ الْحَصَاةَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا كَمَا طَبَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَتْ ثُمَّ أَتَيْتُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَرَّبَ وَرَحَّبَ بِي ، ثُمَّ قَالَ لِي : إِنَّ فِي الدَّلَالَةِ دَلِيلًا عَلَى مَا تُرِيدِينَ ، أَفَتُرِيدِينَ دَلَالَةَ الْإِمَامَةِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا

سَيِّدِي ! فَقَالَ : هَاتِي مَا مَعَكَ ، فَنَاولَتْهُ الْحَصَاةَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا .

قَالَتْ : ثُمَّ أَتَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ بَلَغَ بِي الْكِبَرُ إِلَى أَنْ أُغِيثْتُ (١) ، وَأَنَا أَعُدُّ يَوْمَئِذٍ مِائَةً وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَرَأَيْتُهُ رَاكِعًا وَسَاجِدًا مَشْغُولًا بِالْعِبَادَةِ ، فَيُسِّتُ مِنَ الدَّلَالَةِ ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِالسَّبَابَةِ فَعَادَ إِلَيَّ شَبَابِي .

قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ! كَمْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا ؟ وَكَمْ بَقِيَ ؟ قَالَ : أَمَّا مَا مَضَى فَنَعَمْ ، وَأَمَّا مَا بَقِيَ فَلَا .

قَالَتْ : ثُمَّ قَالَ لِي : هَاتِي مَا مَعَكَ ، فَأَعْطَيْتُهُ الْحَصَاةَ فَطَبَعَ لِي فِيهَا .

ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطَبَعَ لِي فِيهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطَبَعَ لِي فِيهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطَبَعَ لِي فِيهَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطَبَعَ لِي فِيهَا ، ثُمَّ عَاشْتُ حَبَابَةَ الْوَالِبِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هِشَامٍ .

(٥٤٨) ٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِصَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

(١) فِي الْكَافِي : « إِلَى أَنْ أُرْعِشْتُ » .

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَّ حَبَابَةَ الْوَالِيَّةِ دَعَا لَهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا شَبَابَهَا ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِإِصْبَعِهِ فَحَاضَتْ لَوْقَتِهَا ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ مِائَةٌ سَنَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : فإذا جاز أن يردّ الله على حبابة الواليّة شبابها وقد بلغت مائة سنة وثلاث عشرة سنة ، وتبقى حتى تلقى الرضا عليه السّلام ، وبعده تسعة أشهر ، بدعاء عليّ بن الحسين عليه السّلام ، فكيف لا يجوز أن يكون نفس الإمام المنتظر عليه السّلام أن يدفع الله عزّ وجلّ عنه الهرم ، ويحفظ عليه شبابه ، ويبقيه حتّى يخرج فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً مع الأخبار الصحيحة بذلك عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ومخالفونا روي أنّ أبا الدنيا المعروف بمعمر المغربي ، واسمه عليّ بن عثمان بن خطاب بن مرّة بن مؤيد لما قبض النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان له قريباً من ثلاثمائة سنة ، وأنّه خدم بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، وأنّ الملوك أشخصوه إليهم وسألوه عن علّة طول عمره ، واستخبروه عمّا

شاهد ، فأخبر أنه شرب من ماء الحيوان ، فلذلك طال عمره ، وأنه بقي إلى أيام المقتدر ، وأنه لم يصحّ لهم موته إلى وقتنا هذا ، ولا ينكرون أمره ، فكيف ينكرون أمر القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ لطول عمره ؟

٥١ - باب سياق حديث معمر المغربي

أبي الدنيا علي بن عثمان بن الخطاب بن مرة بن مؤيد

(٥٤٩) ١ - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

ابْنِ نَصْرِ السَّجَزِيِّ (١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ

الرَّقِّيُّ (٢) وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْأَشْكِئِيِّ (٣) - خَتَنُ أَبِي

بَكْرٍ - قَالَا : لَقِينَا بِمَكَّةَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ مَعَ جَمَاعَةٍ

مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ كَانَ حَضَرَ الْمَوْسِمَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ - وَهِيَ

سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ - فَرَأَيْنَا رَجُلًا أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ كَأَنَّهُ شَنْ

بَالٍ ، وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ هُمْ أَوْلَادُهُ وَأَوْلَادُ أَوْلَادِهِ ، وَمَشَايِخُ مِنْ أَهْلِ

بَلَدِهِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِقَرْبِ بَاهِرَتِ الْعُلْيَا ،

(١) في بعض النسخ : « الشجري » .

(٢) وفي بعض النسخ البرقي ، وفي بعضها : « المزني » ، وفي بعضها : « المركي » ، وفي بعضها : « المركني » .

(٣) في بعض النسخ : « علي بن الحسين بن حثكا اللاتكي » ، واحتمل كونه على بن الحسن اللاتني المعنون في تقريب التهذيب .

وَشَهِدُوا هَؤُلَاءِ الْمَشَايخُ أَنَّا سَمِعْنَا آبَاءَنَا حَكَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ
 أَنَّا عَهِدْنَا (١) هَذَا الشَّيْخَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي الدُّنْيَا مُعَمَّرٍ ، وَاسْمُهُ عَلِيُّ
 ابْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَطَّابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ مُؤَيَّدٍ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ هَمْدَانِيٌّ ، وَأَنَّ
 أَصْلَهُ مِنْ صَنْعَاءَ الْيَمَنِ (٢) ، فَقُلْنَا لَهُ : أَنْتَ رَأَيْتَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ (٣) فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ - وَقَدْ كَانَ وَقَعَ حَاجِبَاهُ
 عَلَيْهِمَا - فَفَتَحَهُمَا كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ ، فَقَالَ : رَأَيْتُهُ بِعَيْنَيَّ هَاتَيْنِ ،
 وَكُنْتُ خَادِمًا لَهُ ، وَكُنْتُ مَعَهُ فِي وَقْعَةٍ صَفِينٍ ، وَهَذِهِ الشَّجَّةُ مِنْ
 دَابَّةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَرَانَا أَثَرَهَا عَلَى حَاجِبِهِ الْيَمَنِ - وَشَهِدَ
 الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ مِنَ الْمَشَايخِ وَمِنْ حَفَدَتِهِ وَأَسْبَاطِهِ بِطُولِ
 الْعُمُرِ ، وَأَنَّهُمْ مُنْذُ وُلِدُوا عَهِدُوهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ، وَكَذَا سَمِعْنَا مِنْ
 آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا ، ثُمَّ إِنَّا فَاتَحْنَاهُ وَسَاءَلْنَاهُ عَنْ قِصَّتِهِ وَحَالِهِ ، وَسَبَبِ
 طُولِ عُمُرِهِ ، فَوَجَدْنَاهُ ثَابِتَ الْعَقْلِ يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ ، وَيُجِيبُ عَنْهُ
 بِلُبٍّ وَعَقْلٍ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَالِدٌ قَدْ نَظَرَ فِي كُتُبِ الْأَوَائِلِ وَقَرَأَهَا ،
 وَقَدْ كَانَ وَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ نَهْرِ الْحَيَوَانِ ، وَأَنَّهَا تَجْرِي فِي الظُّلُمَاتِ ،

(١) في بعض النسخ : « أَنَّهُمْ سَمِعُوا آبَاءَهُمْ وَأَجْدَادَهُمْ أَنَّهُمْ عَهِدُوا » .

(٢) في بعض النسخ : « صَعِيدَ الْيَمَنِ » .

(٣) أي أشار ، وفي معنى القول توسّع .

وَأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا طَالَ عُمُرُهُ ، فَحَمَلَهُ الْحِرْصُ عَلَى دُخُولِ
الظُّلُمَاتِ ، فَتَحَمَّلَ وَتَزَوَّدَ حَسَبَ مَا قَدَّرَ أَنَّهُ يَكْتَفِي بِهِ فِي مَسِيرِهِ ،
وَأَخْرَجَنِي مَعَهُ وَأَخْرَجَ مَعَنَا خَادِمَيْنِ بَادِلَيْنِ ، وَعِدَّةَ جِمَالٍ لَبُونٍ
عَلَيْهَا رَوَايَا وَزَادَ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، فَسَارَ بِنَا إِلَى أَنْ
وَأَفِينَا طَرَفَ الظُّلُمَاتِ ، ثُمَّ دَخَلْنَا الظُّلُمَاتِ فِسْرْنَا فِيهَا نَحْوَ سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَلَيَالِيهَا ، وَكُنَّا نُمَيِّزُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَنَّ النَّهَارَ كَانَ يَكُونُ أَضْوَأَ
قَلِيلاً ، وَأَقْلَ ظُلْمَةً مِنَ اللَّيْلِ ، فَزَرْنَا بَيْنَ جِبَالٍ وَأَوْدِيَةٍ رَكَوَاتٍ ،
وَقَدْ كَانَ وَالِدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطُوفُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ فِي طَلَبِ
النَّهْرِ ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي قَرَأَهَا أَنَّ مَجْرَى نَهْرِ الْحَيَوَانِ فِي
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَأَقْمَنَّا فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ أَيَّاماً حَتَّى فَنِيَ الْمَاءُ الَّذِي كَانَ
مَعَنَا وَاسْتَقَيْنَاهُ جِمَالَنَا ، وَلَوْ لَا أَنَّ جِمَالَنَا كَانَتْ لَبُوناً لَهَلَكْنَا وَتَلَفْنَا
عَطْشاً ، وَكَانَ وَالِدِي يَطُوفُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ فِي طَلَبِ النَّهْرِ ،
وَيَأْمُرُنَا أَنْ نُوقِدَ نَاراً لِيَهْتَدِيَ بِضَوْئِهَا إِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَيْنَا ، فَمَكَّنَا
فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ وَوَالِدِي يَطْلُبُ النَّهَرَ فَلَا يَجِدُهُ .

وَبَعْدَ الْإِيَّاسِ عَزَمَ عَلَى الْانْصِرَافِ حَذِراً عَلَى التَّلَفِ لِفَنَاءِ الزَّادِ
وَالْمَاءِ ، وَالْخَدَمِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَنَا ضَجَرُوا ، فَأَوْجَسُوا التَّلَفَ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ^(١) ، وَالْحُوءَ عَلَى الْيَدِ بِالْخُرُوجِ مِنَ الظُّلُمَاتِ ، فَقُمْتُ
يَوْمًا مِنَ الرَّحْلِ لِحَاجَتِي ، فَتَبَاعَدْتُ مِنَ الرَّحْلِ قَدَرِ رَمِيَةِ سَهْمٍ
فَعَثَرْتُ بِنَهْرٍ مَاءٍ أَبْيَضِ اللَّوْنِ ، عَذِبٍ لَذِيذٍ ، لَا بِالصَّغِيرِ مِنَ الْأَنْهَارِ
وَلَا بِالْكَبِيرِ ، وَيَجْرِي جَرَيَانًا لَيِّنًا ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَغَرَفْتُ مِنْهُ بِيَدِي
غُرْفَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، فَوَجَدْتُهُ عَذْبًا بَارِدًا لَذِيذًا ، فَبَادَرْتُ مُسْرِعًا إِلَى
الرَّحْلِ وَبَشَرْتُ الْخَدَمَ بِأَنِّي قَدْ وَجَدْتُ الْمَاءَ ، فَحَمَلُوا مَا كَانَ مَعَنَا
مِنَ الْقَرَبِ وَالْأَدَوَاتِ لِنَمْلَأَهَا ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ الْيَدِ فِي طَلَبِ ذَلِكَ
النَّهْرِ ، وَكَانَ سُرُورِي بِوُجُودِ الْمَاءِ لَمَّا كُنَّا عَدِمْنَا الْمَاءَ وَفَنِي مَا كَانَ
مَعَنَا ، وَكَانَ الْيَدِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ غَائِبًا عَنِ الرَّحْلِ ، مَشْغُولًا
بِالطَّلَبِ ، فَجَهَدْنَا وَطُفْنَا سَاعَةً هَوِيَّةً^(٢) عَلَى أَنْ نَجِدَ النَّهَرَ فَلَمْ نَهْتَدِ
إِلَيْهِ ، حَتَّى أَنْ الْخَدَمَ كَذَّبُونِي وَقَالُوا لِي : لَمْ تَصُدُقْ .

فَلَمَّا انْصَرَفْتُ إِلَى الرَّحْلِ ، وَانْصَرَفَ الْيَدِ ، أَخْبَرْتُهُ
بِالْقِصَّةِ ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ ! الَّذِي أَخْرَجَنِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ،
وَتَحْمِلِ الْخَطَرَ كَانَ لِذَلِكَ النَّهْرِ ، وَلَمْ أُرْزَقْ أَنَا وَأَنْتَ رُزْقَتُهُ ،

(١) في بعض النسخ: « في أنفسهم » ، وفي بعضها: « وخشوا على أنفسهم » .

(٢) أي زماناً طويلاً .

وَسَوْفَ يَطُولُ عُمُرُكَ حَتَّى تَمَلَ الْحَيَاةَ ، وَرَحَلْنَا مُنْصَرِفِينَ ، وَعُدْنَا إِلَى أَوْطَانِنَا وَبَلَدِنَا ، وَعَاشَ وَالِدِي بَعْدَ ذَلِكَ سُتَيَاتٍ ثُمَّ تُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ سِنِّي قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِنَا وَفَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوفاةُ الْخَلِيفَتَيْنِ بَعْدَهُ ، خَرَجْتُ حَاجًّا فَلَحِقْتُ آخِرَ أَيَّامِ عُثْمَانَ ، فَمَالَ قَلْبِي مِنْ بَيْنِ جَمَاعَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ أَخْدُمُهُ ، وَشَهِدْتُ مَعَهُ وَقَائِعَ ، وَفِي وَقْعَةٍ صِفِّينَ أَصَابَتْني هَذِهِ الشَّجَّةُ مِنْ دَابَّتِهِ ، فَمَا زِلْتُ مُقِيمًا مَعَهُ إِلَى أَنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَالَحَّ عَلِيٌّ أَوْلَادُهُ وَحَرَمُهُ أَنْ أُقِيمَ عِنْدَهُمْ فَلَمْ أُقِمَ ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى بَلَدِي ، وَخَرَجْتُ أَيَّامَ بَنِي مَرْوَانَ حَاجًّا ، وَانْصَرَفْتُ مَعَ أَهْلِ بَلَدِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، مَا خَرَجْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مَا كَانَ إِلَى الْمُلُوكِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ يَبْلُغُهُمْ خَبْرِي ، وَطُولُ عُمُرِي ، فَيَسْخَصُونِي إِلَى حَضْرَتِهِمْ لِيَرُونِي وَيَسْأَلُونِي عَنْ سَبَبِ طُولِ عُمُرِي وَعَمَّا شَاهَدْتُ ، وَكُنْتُ أَتَمَنَّى وَأَشْتَهِي أَنْ أَحُجَّ حِجَّةً أُخْرَى ، فَحَمَلَنِي هَؤُلَاءِ حَفَدَتِي وَأَسْبَاطِي الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ حَوْلِي ،

وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُحَدِّثَنَا بِمَا سَمِعَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِرْصٌ وَلَا هِمَّةٌ فِي الْعِلْمِ فِي وَقْتِ صُحْبَتِهِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالصَّحَابَةُ أَيْضًا كَانُوا مُتَوَافِرِينَ ، فَمِنْ فَرَطٍ مَيَلِي إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَحَبَّتِي لَهُ لَمْ أَشْتَغَلْ بِشَيْءٍ سِوَى خِدْمَتِهِ وَصُحْبَتِهِ ، وَالَّذِي كُنْتُ أَتَذَكَّرُهُ مِمَّا كُنْتُ سَمِعْتُهُ مِنْهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنِّي عَالَمٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ ، وَقَدْ انْقَرَضُوا وَتَفَانُوا ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَفَدَتِي قَدْ دَوَّنُوهُ ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا النُّسخَةَ ، فَأَخَذَ يُمْلِي عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ (١) .

(٥٥٠) ٢- حَدَّثَنَا (٢) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَطَّابٍ بِنِ
مُرَّةَ بْنِ مُؤَيَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ - الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الدُّنْيَا - مُعَمِّرُ الْمَغْرِبِيِّ رَضِيَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « مِنْ خَطِّهِ » .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ هُوَ الصُّوفِيُّ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ الصَّدُوقُ رَوَايَاتٍ عَدِيدَةً وَهُوَ لَا يَعُدُّ الرِّوَايَةَ عَمَّنْ لَا يَرْضِيهِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِهِ وَرَوَى عَنْهُ الْكِبَارُ مِنَ الْعَامَّةِ كَالْحَاكِمِ وَأَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ الْحَاكِمُ : « وَلَمْ يَزَلْ كَالرِّيحَانَةِ عِنْدَ مَشَايِخِ التَّصَوُّفِ فِي بِلْدَانِ وَسَائِرِ الْبِلْدَانِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٢ » ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الْقَلَانَسِيُّ ، ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ وَوُثِّقَ تَوَفُّهُ سَنَةَ ٣٣٣ ، وَيُظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْإِطْمِئْنَانُ بِصَدَقِ هَذَا الْمَعَمَّرِ لِشَهَادَةِ أَسْبَابِهِ وَأَحْفَادِهِ وَأَهْلِ بِلْدَتِهِ بِطَوْلِ عَمَرِهِ .

(٢) مَعْلُوقٌ عَلَى السَّنَدِ الْأَوَّلِ ، وَكَذَا مَا يَأْتِي .

اللَّهُ عَنْهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْيَمَنِ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْيَمَنِ فَقَدْ أَبْغَضَنِي (١) .

(٥٥١) ٣- وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرُ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ أَعَانَ مَلْهُوفاً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ سَعَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ (٢) الْمُؤْمِنِ ، لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا رِضَاءٌ ، وَلَهُ فِيهَا صَلاَحٌ ، فَكَأَنَّمَا خَدَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ يَقَعْ فِي مَعْصِيَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ .

(٥٥٢) ٤- وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرُ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : أَصَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهُوَ فِي مَنْزِلِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ . قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا عَلِيُّ ! هَاتِ الْمَائِدَةَ ،

(١) والأحاديث كثيرة في مدح أهل اليمن .

(٢) في بعض النسخ : « أخيه المسلم » .

فَقَدَّمْتُ الْمَائِدَةَ وَعَلَيْهَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ مَشْوِيٌّ .

(٥٥٣) ٥- وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرُ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : جُرِحْتُ فِي وَقْعَةِ خَيْبَرَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ جِرَاحَةً ، فَجِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْجِرَاحَةِ بَكَى ، وَأَخَذَ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ فَجَعَلَهَا عَلَى الْجِرَاحَاتِ فَاسْتَرَحْتُ مِنْ سَاعَتِي .

(٥٥٤) ٦- وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرُ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَيِ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ .

(٥٥٥) ٧- وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرُ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : كُنْتُ أَرْعَى الْغَنَمَ فَإِذَا أَنَا بِذَيْبٍ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ لِي : وَأَنْتَ مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا ؟ قُلْتُ : أَرْعَى الْغَنَمَ ، قَالَ لِي : مُرَّ - أَوْ قَالَ : ذَا الطَّرِيقِ - قَالَ : فَسُقْتُ الْغَنَمَ ، فَلَمَّا

تَوَسَّطَ الذُّئْبُ الْغَنَمَ إِذَا أَنَا بِالذُّئْبِ قَدْ شَدَّ عَلَى شَاةٍ فَقَتَلَهَا ، قَالَ : فَجِئْتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِقَفَاهُ فَذَبَحْتُهُ وَجَعَلْتُهُ عَلَى يَدَي ، وَجَعَلْتُ أَسْوَقُ الْغَنَمَ ، فَمَا سِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِذَا أَنَا بِثَلَاثَةِ أَمْلاكٍ جَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَمَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوا : هَذَا مُحَمَّدٌ بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ ، فَاحْتَمَلُونِي وَأَضْجَعُونِي وَشَقُّوا جَوْفِي بِسِكِّينٍ كَانَ مَعَهُمْ ، وَأَخْرَجُوا قَلْبِي مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَغَسَلُوا جَوْفِي بِمَاءٍ بَارِدٍ كَانَ مَعَهُمْ فِي قَارُورَةٍ ، حَتَّى نَقِيَ مِنَ الدَّمِ ، ثُمَّ رَدُّوا قَلْبِي إِلَى مَوْضِعِهِ ، وَأَمَرُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى جَوْفِي فَالْتَحَمَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَا أَحْسَسْتُ بِسِكِّينٍ وَلَا وَجَعٍ .

قَالَ : وَخَرَجْتُ أَعْدُو إِلَى أُمِّي - يَعْنِي حَلِيمَةَ ذَايَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقَالَتْ لِي : أَيْنَ الْغَنَمُ ؟ فَخَبَرْتُهَا بِالْخَبَرِ ، فَقَالَتْ : سَوْفَ يَكُونُ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ .

(٥٥٦) ٨ - وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، قَالَ : ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ الرَّقِّيُّ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَشْكَيُّ : أَنَّ السُّلْطَانَ بِمَكَّةَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أَبِي الدُّنْيَا تَعَرَّضَ لَهُ ، وَقَالَ : لَا بُدَّ أَنْ أُخْرِجَكَ مَعِيَ إِلَى بَغْدَادَ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرِ ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَعْتَبَ عَلَيَّ إِنْ لَمْ أُخْرِجْكَ ،
فَسَأَلَهُ الْحَاجُّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ الْمِصْرِ وَالشَّامِ أَنْ يُعْفِيَهُ وَلَا
يَشْخَصَهُ فَإِنَّهُ شَيْخٌ ضَعِيفٌ ، وَلَا يُؤْمَنُ مَا يَحْدُثُ عَلَيْهِ ، فَأَعْفَاهُ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَلَوْ أَنِّي حَضَرْتُ الْمَوْسِمَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ
لَشَاهَدْتُهُ ، وَخَبَرُهُ كَانَ مُسْتَفِيزاً شائعاً فِي الْأَمْصَارِ ، وَكَتَبَ عَنْهُ
هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْمِصْرِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ وَالْبَغْدَادِيُّونَ وَمِنْ سَائِرِ
الْأَمْصَارِ مِمَّنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ ، وَبَلَغَهُ خَبَرُ هَذَا الشَّيْخِ ، وَأَحَبَّ أَنْ
يَلْقَاهُ وَيَكْتُبَ عَنْهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ ، نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِهَا (١) .

(٥٥٧) ٩- وَأَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ
الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا أَجَازَهُ لِي مِمَّا صَحَّ عِنْدِي مِنْ
حَدِيثِهِ ، وَصَحَّ عِنْدِي هَذَا الْحَدِيثُ بِرِوَايَةِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْحُسَيْنِ (٢) بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى
ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « وَيَكْتُبُ عَنْهُ نَفَعَهُمُ اللَّهُ وَإِيَّانَا بِهِ » .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « الْحَسَنِ » .

السَّلامُ ، أَنَّهُ قَالَ : حَجَّجْتُ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَفِيهَا حَجَّ نَصْرُ الْقُشُورِيِّ صَاحِبُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ^(١) ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ الْمُكَنَّى بِأَبِي الْهَيْجَاءِ ، فَدَخَلْتُ مَدِينَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَأَصَبْتُ قَافِلَةَ الْمَصْرِيِّينَ وَفِيهَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَازَرَائِيُّ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَازْدَحَمُوا ، وَجَعَلُوا يَتَمَسَّحُونَ بِهِ ، وَكَادُوا يَأْتُونَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَأَمَرَ عَمِّي أَبُو الْقَاسِمِ طَاهِرُ بْنُ يَحْيَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِثْيَانَهُ وَغِلْمَانَهُ فَقَالَ : أَفْرِجُوا عَنْهُ النَّاسَ فَفَعَلُوا ، وَأَخَذُوهُ فَأَدْخَلُوهُ إِلَى دَارِ ابْنِ أَبِي سَهْلٍ الطَّفَّيِّ ، وَكَانَ عَمِّي نَازِلَهَا ، فَأَدْخَلَ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا ، وَكَانَ مَعَهُ خَمْسَةُ نَفَرٍ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ أَوْلَادُ أَوْلَادِهِ ، فِيهِمْ شَيْخٌ لَهُ نَيْفٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ ابْنِي ، وَآخَرُ لَهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَقَالَ : هَذَا ابْنُ ابْنِي ، وَاثْنَانِ لَهُمَا سِتُونَ سَنَةً أَوْ خَمْسُونَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا ، وَآخَرُ لَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَقَالَ : هَذَا ابْنُ ابْنِ ابْنِي ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِيهِمْ أَصْغَرُ مِنْهُ ، وَكَانَ إِذَا رَأَيْتُهُ قُلْتُ هَذَا

(١) « حاجب المقتدر بالله » .

ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، أَسْوَدُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ ، شَابُّ نَحِيفِ الْجِسْمِ ، آدَمُ ، رُبْعٌ مِنَ الرِّجَالِ ، خَفِيفُ الْعَارِضِينَ ، هُوَ إِلَى الْقَصْرِ أَقْرَبُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ : فَحَدَّثَنَا هَذَا الرَّجُلُ وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ مُؤَيَّدٍ بِجَمِيعِ مَا كَتَبْنَاهُ عَنْهُ ، وَسَمِعْنَا مِنْ لَفْظِهِ ، وَمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ بَيَاضٍ عَنَفَقَتِهِ ^(١) بَعْدَ اسْوَدَادِهَا ، وَرُجُوعِ سَوَادِهَا بَعْدَ بَيَاضِهَا عِنْدَ شَبَعِهِ مِنَ الطَّعَامِ .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَلَوْلَا أَنَّهُ حَدَّثَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَالْحَاجِّ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ ، مَا حَدَّثْتُ عَنْهُ بِمَا سَمِعْتُ وَسَمَاعِي مِنْهُ بِالْمَدِينَةِ وَبِمَكَّةَ فِي دَارِ السَّهْمِيِّينَ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْمُكَبَّرِيَّةِ ، وَهِيَ دَارُ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ فِي مِضْرَبِ الْقُشُورِيِّ ، وَمِضْرَبِ الْمَازَرَائِيِّ عِنْدَ بَابِ الصَّفَا ، وَأَرَادَ الْقُشُورِيُّ أَنْ يَحْمِلَهُ وَوُلِدَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ ، فَجَاءَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَقَالُوا : أَيَّدَ اللَّهُ الْأُسْتَاذَ ، إِنَّا رَوَيْنَا فِي الْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةَ عَنْ

(١) العنقفة: الشعر الذي في الشفة السفلى ، وقيل: الشعر الذي بينها وبين الذقن .

السَّلَفِ أَنَّ الْمُعَمَّرَ الْمَغْرِبِيَّ إِذْ دَخَلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ فَنِيَتْ وَخَرِبَتْ
وَزَالَ الْمُلْكُ ، فَلَا تَحْمِلُهُ وَرُدُّهُ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَسَأَلْنَا مَشَايخَ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ فَقَالُوا : لَمْ نَزَلْ نَسْمَعْ بِهِ مِنْ آبَائِنَا وَمَشَايخِنَا يَذْكُرُونَ
اسْمَ هَذَا الرَّجُلِ ^(١) وَاسْمَ الْبَلَدَةِ الَّتِي هُوَ مُقِيمٌ فِيهَا طَنْجَةَ ، وَذَكَرُوا
أَنَّهُمْ كَانَ يُحَدِّثُهُمْ بِأَحَادِيثَ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَحَدَّثَنَا هَذَا الشَّيْخُ
- أَغْنِي عَلِيَّ بْنَ عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيَّ - بِبَدءِ خُرُوجِهِ مِنْ بَلَدَةِ
حَضْرَمَوْتَ ، وَذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ خَرَجَ هُوَ وَعَمُّهُ مُحَمَّدٌ وَخَرَجَا بِهِ مَعَهُمَا
يُرِيدُونَ الْحَجَّ ، وَزِيَارَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَرَجُوا مِنْ
بِلَادِهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَسَارُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَخْطَأُوا الطَّرِيقَ وَتَاهُوا فِي
الْمَحَجَّةِ ، فَأَقَامُوا تَائِهِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ عَلَى غَيْرِ مَحَجَّةٍ ،
فَبَيَّنَّا لَهُمْ كَذَلِكَ إِذَا وَقَعُوا عَلَى جِبَالٍ رَمْلٍ يُقَالُ لَهَا : رَمْلٌ عَالِجٌ مُتَّصِلٌ
بِرَمْلٍ إِرَمٍ ذَاتِ الْعِمَادِ .

قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَثَرٍ قَدِيمٍ طَوِيلٍ ، فَجَعَلْنَا
نَسِيرُ عَلَى أَثَرِهَا ، فَأَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ وَإِذَا بِرَجُلَيْنِ قَاعِدَيْنِ عَلَى بئرٍ

(١) بلدة بساحل بحر المغرب (ق) .

- أَوْ عَلَى عَيْنٍ - قَالَ : فَلَمَّا نَظَرَا إِلَيْنَا قَامَ أَحَدُهُمَا فَأَخَذَ دَلْوًا فَأَذْلَاهُ ،
فَاسْتَقَى فِيهِ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ - أَوِ الْبُئْرِ - وَاسْتَقْبَلَنَا وَجَاءَ إِلَى أَبِي فَنَاوَلَهُ
الدَّلْوُ ، فَقَالَ أَبِي : قَدْ أَمْسَيْنَا نُنِيخُ ^(١) عَلَى هَذَا الْمَاءِ وَنُفْطِرُ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ ، فَصَارَ إِلَى عَمِّي وَقَالَ لَهُ : اشْرَبْ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ كِمَارَدَ عَلَيْهِ أَبِي ،
فَنَاوَلَنِي وَقَالَ لِي : اشْرَبْ فَشَرِبْتُ ، فَقَالَ لِي : هَيْنَا لَكَ إِنَّكَ سَتَلْقَى
عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبِرْهُ - أَيُّهَا الْغُلَامُ - بِخَبْرِنَا وَقُلْ لَهُ :
الْخَضِرُ وَالْيَاسُ يُقَرِّئَانِكَ السَّلَامَ ، وَسَتُعَمَّرُ حَتَّى تَلْقَى الْمَهْدِيَّ
وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَإِذَا لَقَيْتَهُمَا فَأَقْرِئَهُمَا مِنَّا السَّلَامَ ،
ثُمَّ قَالَا : مَا يَكُونَانِ هَذَانِ مِنْكَ ؟ فَقُلْتُ : أَبِي وَعَمِّي ، فَقَالَا : أَمَّا
عَمُّكَ فَلَا يَبْلُغُ مَكَّةَ ، وَأَمَّا أَنْتَ وَأَبُوكَ فَسَتَبْلُغَانِ ، وَيَمُوتُ أَبُوكَ ،
وَتُعَمَّرُ أَنْتَ ، وَلَسْتُمْ تَلْحَقُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ
قَرَّبَ أَجَلَهُ ، ثُمَّ مَرًّا ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَيْنَ مَرًّا فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي
الْأَرْضِ ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا لَا بَيْتَ وَلَا عَيْنَ وَلَا مَاءَ ، فَسِرْنَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ
ذَلِكَ إِلَى أَنْ رَجَعْنَا إِلَى نَجْرَانَ ، فَاعْتَلَّ عَمِّي وَمَاتَ بِهَا ، وَأَتَمَمْتُ أَنَا
وَأَبِي حَجَّنا ، وَوَصَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَاعْتَلَّ أَبِي وَمَاتَ ، وَأَوْصَى بِي

(١) أناخ الجمل : أبركه .

إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخَذَنِي وَ كُنْتُ مَعَهُ أَيَّامَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، وَأَيَّامَ خِلَافَتِهِ ، حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا حُوصِرَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ فِي دَارِهِ دَعَانِي فَدَفَعَ إِلَيَّ
كِتَابًا وَنَجِيًّا ، وَأَمَرَنِي بِالْخُرُوجِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، وَكَانَ غَائِبًا يَبْتَغِ فِي ضِيَاعِهِ وَأَمْوَالِهِ ، فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ
وَسِرْتُ حَتَّى إِذْ كُنْتُ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : جِدَارُ أَبِي عَبَّاسٍ ، فَسَمِعْتُ
قُرْآنًا فَإِذَا أَنَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسِيرُ مُقْبِلًا مِنْ يَثْبَعٍ وَهُوَ
يَقُولُ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ،
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ : يَا أَبَا الدُّنْيَا ، مَا وَرَاءَكَ ؟ قُلْتُ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، فَأَخَذَهُ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُولاَ فَكُنْ أَنْتَ آكِلي (١)

وَالْأَفْأَذِرْكَنِي وَلَمَّا أَمَزَّقُ

فَإِذَا قَرَأَهُ قَالَ : سِرَّ سِرَّ (٢) ، فَدَخَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَاعَةً قَتَلَ
عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ ، فَمَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى حَدِيقَةِ بَنِي النَّجَّارِ ، وَعَلِمَ

(١) رواه القاموس في مادة (مزق) وفيه: « خير أكل ».

(٢) وفي نسخة: « برسر »، ورجل برسر، أي ببر ويسر.

النَّاسِ بِمَكَانِهِ ، فَجَاءُوا إِلَيْهِ رَ كُضاً وَقَدْ كَانُوا عَازِمِينَ عَلَى أَنْ يُبَايَعُوا
 طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ ارْضَوْا إِلَيْهِ ارْضَا ضَ الْغَنِمِ
 يَشُدُّ عَلَيْهَا السَّبْعُ ، فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ ، ثُمَّ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ بَايَعَ الْمُهَاجِرُونَ
 وَالْأَنْصَارُ ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ أَخْدُمُهُ ، فَحَضَرْتُ مَعَهُ الْجَمَلَ وَصِفِينَ ،
 فَكُنْتُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِهِ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ فَأَكْبَبْتُ
 أَخْذُهُ وَأَذْفَعُهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ لِحَامِ دَابَّتِهِ حَدِيداً مُزَجَّجاً ^(١) ، فَرَفَعَ
 الْفَرَسَ رَأْسَهُ فَشَجَّنِي هَذِهِ الشَّجَّةَ الَّتِي فِي صُدْغِي ، فَدَعَانِي أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَقَلَّ فِيهَا ، وَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ ^(٢) فَتَرَكَهَ
 عَلَيْهَا ، فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ لَهَا أَلْماً وَلَا وَجَعاً .

ثُمَّ أَقَمْتُ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَصَحِبْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ حَتَّى ضُرِبَ بِسَابِطِ الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ بَقِيتُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ
 أَخْدُمُهُ ، وَأَخْدُمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى مَاتَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ مَسْمُوماً ، سَمَّتُهُ جَعْدَةُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ لَعْنَهَا
 اللَّهُ دَسّاً مِنْ مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 حَتَّى حَضَرْتُ كَرْبَلَاءَ وَقَتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَخَرَجْتُ هَارِباً مِنْ بَنِي

(١) المزجج: المرفّع الممدود، وفي بعض النسخ: «مدمجاً» أي مستحكماً.

(٢) الحفنة: هي ملء الكف.

أُمِّيَّة ، وَأَنَا مُقِيمٌ بِالْمَغْرِبِ أَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمِنْ عَجِيبِ مَا رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ - عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ - وَهُوَ فِي دَارِ عَمِّي طَاهِرِ بْنِ يَحْيَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ بِهَذِهِ الْأَعَاجِيبِ ، وَبَدَأَ خُرُوجِهِ ، فَظَنَرْتُ عَنْفَقَتَهُ قَدْ اخْمَرَتْ ثُمَّ ابْيَضَّتْ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي لِحْيَتِهِ وَلَا فِي رَأْسِهِ وَلَا فِي عَنْفَقَتِهِ بَيَاضٌ .

قَالَ : فَظَنَرْتُ إِلَى نَظَرِي إِلَى لِحْيَتِهِ وَإِلَى عَنْفَقَتِهِ وَقَالَ : أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ هَذَا يُصِيبُنِي إِذَا جُعْتُ ، وَإِذَا شَبِعْتُ رَجَعْتُ إِلَى سَوَادِهَا ، فَدَعَا عَمِّي بِطَعَامٍ ، فَأَخْرَجَ مِنْ دَارِهِ ثَلَاثَ مَوَائِدَ فَوُضِعَتْ وَاحِدَةٌ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ - وَكُنْتُ أَنَا أَحَدَ مَنْ جَلَسَ عَلَيْهَا - فَجَلَسْتُ مَعَهُ وَوُضِعَتِ الْمَائِدَتَانِ فِي وَسْطِ الدَّارِ ، وَقَالَ عَمِّي لِلْجَمَاعَةِ : بِحَقِّي عَلَيْكُمْ إِلَّا أَكَلْتُمْ وَتَحَرَّمْتُمْ بِطَعَامِنَا ، فَأَكَلَ كُلُّ قَوْمٍ وَامْتَنَعَ قَوْمٌ ، وَجَلَسَ عَمِّي عَنْ يَمِينِ الشَّيْخِ يَأْكُلُ وَيُلْقِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَكَلَ أَكْلَ شَابٍّ وَعَمِّي يَخْلُفُ عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى عَنْفَقَتِهِ تَسْوَدُّ حَتَّى عَادَتْ إِلَى سَوَادِهَا وَشَبِعَ (١) .

(١) وقد صحح المصنف قدس سره هذا الرواية في بداية السند فراجع .

(٥٥٨) ١٠- فَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْيَمَنِ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي (١) .

٥٢- باب حديث عبيد بن شرية (٢) الجرهمي

(٥٥٩) ١ وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ السَّجَزِيُّ ، قَالَ : وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ لِأَخِي أَبِي الْحَسَنِ بِخَطِّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَمِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ وَسَمِعَ الْأَخْبَارَ : أَنَّ عُبَيْدَ بْنَ شَرِيَةَ - شَرِيدَ - الْجُرْهُمِيِّ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَأَذْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ، وَعُمِّرَ بَعْدَ مَا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فِي أَيَّامِ تَغْلِيهِ وَمُلْكِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَخْبِرْنِي - يَا عُبَيْدُ - عَمَّا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ ، وَمَنْ أَذْرَكَ ؟ وَكَيْفَ رَأَيْتَ الدَّهْرَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الدَّهْرُ فَرَأَيْتُ لَيْلًا يُشْبِهُ لَيْلًا ، وَنَهَارًا يُشْبِهُ نَهَارًا ،

(١) وقد مر هذا الحديث في هذا الباب تحت الرقم « ٢ » .

(٢) في بعض النسخ : « عبيد بن شريد » ، وهو تصحيف .

وَمَوْلُوداً يُولَدُ ، وَمَيِّتاً يَمُوتُ ، وَلَمْ أَذْرِكْ أَهْلَ زَمَانٍ إِلَّا وَهُمْ يَذْمُونَ زَمَانَهُمْ ، وَأَذَرَ كُتَّ مَنْ قَدْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ فَحَدَّثَنِي عَمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ قَدْ عَاشَ أَلْفِي سَنَةٍ ، وَأَمَّا مَا سَمِعْتُ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ التَّبَاعَةِ ^(١) مِمَّنْ قَدْ دَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُوسَرَحٌ ، كَانَ أُعْطِيَ الْمَلِكُ فِي عُثُقْوَانِ شَبَابِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ السَّيْرِ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، سَخِيّاً فِيهِمْ مُطَاعاً ، فَمَلَكَهُمْ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَانَ كَثِيراً يُخْرَجُ فِي خَاصَّتِهِ إِلَى الصَّيْدِ وَالنَّزْهَةِ ، فَخَرَجَ يَوْماً فِي بَعْضِ مُتَنَزَّهِهِ فَاتَى عَلَى حَيَّتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ كَأَنَّهَا سَبِيكَةٌ فِضَّةٌ ، وَالْأُخْرَى سَوْدَاءُ كَأَنَّهَا حُمَمَةٌ ^(٢) ، وَهُمَا تَقْتَتِلَانِ ، وَقَدْ غَلَبَتْ السَّوْدَاءُ عَلَى الْبَيْضَاءِ ، فَكَادَتْ تَأْتِي عَلَى نَفْسِهَا ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِالسَّوْدَاءِ فَقَتَلَتْ ، وَأَمَرَ بِالْبَيْضَاءِ فَاحْتُمِلَتْ حَتَّى انْتَهَى بِهَا إِلَى عَيْنٍ مِنْ مَاءٍ نَقِيٍّ عَلَيْهَا شَجَرَةٌ ، فَأَمَرَ فَصَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهَا ، وَسُقِيَتْ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْهَا نَفْسُهَا فَأَفَاقَتْ ، فَخَلَّى سَبِيلَهَا ، فَاِنْسَابَتِ الْحَيَّةُ فَمَضَتْ لِسَبِيلِهَا ، وَمَكَثَ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ فِي مُتَصِيدِهِ وَنَزْهَتِهِ .

(١) ملوك التبابعة : هم بنو حمير ، كانوا باليمن ، وإثما سموا تبابعة لأنه يتبع بعضهم بعضاً ، كلما هلك واحد منهم قام بعده واحد آخر ، ولم يكونوا يسمون الملك منهم بتبع حتى يملك اليمن .

(٢) الحمم : الرماد والفحم ، وكل ما احترق من النار ، الواحدة : حممة .

فَلَمَّا أَمْسَى رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ حَاجِبٌ وَلَا أَحَدٌ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ رَأَى شَابًّا أَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابِ وَبِهِ مِنَ الشَّبَابِ وَالْجَمَالِ شَيْءٌ لَا يُوصَفُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَذَعَرَ مِنْهُ الْمَلِكُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ إِلَيَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيَّ فِيهِ حَاجِبٌ وَلَا غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : لَا تَرُعْ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - إِنِّي لَسْتُ بِإِنْسِي ، وَلَكِنِّي فَتَى مِنَ الْجِنِّ ، أَتَيْتُكَ لِأَجَازِيكَ بِبَلَاتِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ عِنْدِي .

قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا بَلَائِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : أَنَا الْحَيَّةُ الَّتِي أَخَيَّتَنِي فِي يَوْمِكَ هَذَا ، وَالْأَسْوَدُ الَّذِي قَتَلْتُهُ وَخَلَصْتَنِي مِنْهُ كَانَ غُلَامًا لَنَا تَمَرَّدَ عَلَيْنَا ، وَقَدْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي عِدَّةً ، كَانَ إِذَا خَلَا بِوَاحِدٍ مِمَّنَّا قَتَلَهُ ، فَقَتَلْتُ عَدُوِّي وَأَخَيَّتَنِي ، فَجِئْتُكَ لِأُكَافِيكَ بِبَلَاتِكَ عِنْدِي ، وَنَحْنُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - الْجِنُّ لَا الْجِنُّ .

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْجِنِّ ؟ ثُمَّ انْقَطَعَ الْحَدِيثُ مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي كَتَبْتَهُ فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَمَامُهُ (١) .

(١) وقد عقد ابن حجر العسقلاني ترجمة عن عبيد بن شربة في الإصابة في معرفة

٥٣ - باب حديث الربيع بن الضبع الفزاري

(٥٦٠) ١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُكْتَبُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ الْعُمَانِيُّ بِجَمِيعِ أَخْبَارِهِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ صَنَفُهَا ، وَوَجَدْنَا فِي أَخْبَارِهِ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا وَفَدَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ قَدِمَ فِيمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ بْنُ ضُبُعٍ الْفَزَارِيُّ ، وَكَانَ أَحَدَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَمَعَهُ ابْنُ ابْنِهِ وَهَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ شَيْخًا فَإِنِّي قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَقَدْ عَصَبَهُمَا ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْأَذِنُ - وَكَانُوا يَأْذُنُونَ النَّاسَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ - قَالَ لَهُ : ادْخُلْ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَدَخَلَ يَدْبُ عَلَى الْعَصَا يُقِيمُ بِهَا صُلْبَهُ وَكَشَحْنِيهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَقَّ لَهُ وَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْجَلِسُ الشَّيْخُ وَجَدُّهُ عَلَى الْبَابِ ؟ قَالَ : فَأَنْتَ إِذَنْ مِنْ وَلَدِ الرَّبِيعِ بْنِ ضُبُعٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا وَهَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لِلْأَذِنِ : ارْجِعْ فَأَدْخِلِ الرَّبِيعَ ، فَخَرَجَ الْأَذِنُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ حَتَّى نَادَى : أَيُّنَ الرَّبِيعِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا ، فَقَامَ يَهْزُولُ فِي مَشْيَتِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ سَلَّمَ ، فَقَالَ عَبْدُ

الْمَلِكِ لِحُجَسَائِهِ : وَيَلِكُمْ إِنَّهُ لَأَشْبُ الرَّجُلَيْنِ ، يَا رَبِيعُ ، أَخْبِرْنِي عَمَّا
أَدْرَكَتَ مِنَ الْعُمُرِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَ مِنَ الْخُطُوبِ الْمَاضِيَةِ ؟
قَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

هَـأَنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ
أَدْرَكَ عُمْرِي ^(١) وَمَوْلِدِي حَجْرًا

أَنَا امْرُؤُ الْقَيْسِ ^(٢) قَدْ سَمِعْتَ بِهِ

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : قَدْ رُؤِيتُ هَذَا مِنْ شِعْرِكَ وَأَنَا صَبِيٌّ ، قَالَ :
وَأَنَا أَقُولُ :

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا

فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْفَتَاءُ ^(٣)

(١) في رواية: « أدرك عقلي ».

(٢) على سبيل التشبيه في الشعر ، وفي « المعمرون »: « أبا امرئ القيس ».

(٣) في رواية: « فقد أودى المسرة والفتاء » ، وفي البحار: « فقد ذهب اللذاذة والغناء » ، ويروى: « فقد ذهب التخيل والفتاء » ، والفتاء مصدر الفتى ، وكان قبل البيت بيتان هما:

إذا كان الشتاء فأدفتوني فان الشيخ يهدمه الشتاء
فأما حين يذهب كل قر فسر بال خفيف أورداء

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَقَدْ رُويَتْ هَذَا أَيْضاً وَأَنَا غُلَامٌ .

يَا رَبِيعُ ، لَقَدْ طَلَبَكَ جَدُّ غَيْرِ عَاثِرٍ ^(١) فَفَصِّلْ لِي عُمُرَكَ ؟
فَقَالَ : عِشْتُ مِائَتَيْ سَنَةٍ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَمِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسِتِّينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ .

قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الْفِتْيَةِ فِي قُرَيْشِ الْمُتَوَاطِي الْأَسْمَاءِ ؟ قَالَ :
سَلْ عَنْ أَيِّهِمْ شِئْتَ ؟ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ؟ قَالَ :
فَهُمْ وَعِلْمٌ ، وَعَطَاءٌ وَحِلْمٌ ، وَمُقَرِّي ضَخْمٌ .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ؟ قَالَ : حِلْمٌ وَعِلْمٌ ،
وَطَوَلٌ وَكَظَمٌ ، وَبُعْدٌ مِنَ الظُّلَمِ .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ؟ قَالَ : رِيحَانَةٌ طَيِّبٌ
رِيحُهَا ، لَيْتَنُ مَسُّهَا ، قَلِيلٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ضَرَرُهَا .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؟ قَالَ : جَبَلٌ وَغَرٌّ يَنْحَدِرُ
مِنْهُ الصَّخْرُ .

قَالَ : لِلَّهِ دُرُّكَ ، مَا أَخْبَرَكَ بِهِمْ ، قَالَ : قَرَّبَ جَوَارِي ، وَكَثُرَ

(١) الجد - بالفتح :- الحظُّ والبخت والغناء ، أي طلبك بخت عظيم لم يعثر حتَّى وصل
إليك ، أو لم يعثر بك ، بل نعتك في كلِّ الأحوال .

اسْتِخْبَارِي .

٥٤ - باب حديث شق الكاهن

(٥٦١) ١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُكْتَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
 ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ الْعُمَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى
 أَبُو بَشِيرٍ الْعَقِيلِيُّ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ ، عَنْ ابْنِ
 الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ شُيُوخًا مِنْ بَجِيلَةَ ، مَا رَأَيْتُ عَلَى
 سَرَوْهِمْ (١) ، وَلَا حُسْنِ هَيْئَتِهِمْ ، يُحْبِرُونَ أَنَّهُ عَاشَ شَقُّ الْكَاهِنِ
 ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ فَقَالُوا : أَوْصِنَا
 فَقَدْ أَنْ يَفُوتَنَا بِكَ الدَّهْرُ ، فَقَالَ : تَوَاصَلُوا وَلَا تَقَاطِعُوا ، وَتَقَابَلُوا
 وَلَا تَدَابَرُوا ، وَبَلُّوا الْأَرْحَامَ (٢) ، وَاحْفَظُوا الذَّمَّامَ ، وَسَوِّدُوا
 الْحَلِيمَ ، وَأَجِلُّوا الْكَرِيمَ ، وَوَقِّرُوا ذَا الشَّيْبَةِ ، وَأَذِلُّوا اللَّئِيمَ ،
 وَتَجَبَّبُوا الْهَزْلَ فِي مَوَاضِعِ الْجِدِّ ، وَلَا تُكَدِّرُوا الْإِنْعَامَ بِالْمَنْ ،
 وَاعْفُوا إِذَا قَدَرْتُمْ ، وَهَادِنُوا إِذَا عَجَزْتُمْ ، وَأَحْسِنُوا إِذَا

(١) السرو - بفتح السين المهملة وسكون الراء والواو آخرًا -: المروءة في شرف .

(٢) في النهاية فيه : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » ، أي ندوها بصلتها وهم يطلقون
 اليبس على القطيعة .

كُوَيْدْتُمْ^(١) ، وَاسْمَعُوا مِنْ مَشَايِخِكُمْ ، وَاسْتَبِقُوا دَوَاعِيَ الصَّلَاحِ عِنْدَ إِحْسَنِ الْعَدَاوَةِ ، فَإِنَّ بُلُوغَ الْغَايَةِ فِي النِّكَايَةِ جُرْحٌ بَطِيءٌ الْإِنْدِمَالِ .

وَإِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ ، لَا تَفَحَّصُوا عَنْ مَسَاوِيكُمْ^(٢) ، وَلَا تُودِعُوا عَقَائِلَكُمْ غَيْرَ مَسَاوِيكُمْ^(٣) ، فَإِنَّهَا وَضْمَةٌ فَادِحَةٌ ، وَقَضَاءَةٌ فَاضِحَةٌ^(٤) ، الرِّفْقُ الرِّفْقُ لَا الْخُرْقُ ، فَإِنَّ الْخُرْقَ مَنْدَمَةٌ فِي الْعَوَاقِبِ ، مَكْسَبَةٌ لِلْعَوَاتِبِ ، الصَّبْرُ أَنْفَذُ عِتَابٍ^(٥) ، وَالْقَنَاعَةُ خَيْرُ مَالٍ ، وَالنَّاسُ أَتْبَاعُ الطَّمَعِ ، وَقَرَائِنُ الْهَلَعِ ، وَمَطَايَا الْجَزَعِ ، وَرُوحُ الذُّلِّ التَّخَاذُلُ ، وَلَا تَزَالُونَ نَاطِرِينَ بَعُيُونَ نَائِمَةً مَا اتَّصَلَ الرَّجَاءُ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَالْخَوْفُ بِمَحَالِّكُمْ .

ثُمَّ قَالَ : يَا لَهَا نَصِيحَةٌ زَلَّتْ عَنْ عَذْبَةٍ فَصِيحَةٌ إِذَا كَانَ وِعَاؤُهَا وَكِيعاً^(٦) ، وَمَعْدِنُهَا مَنِيعاً ، ثُمَّ مَاتَ .

(١) من الكيد .

(٢) يعني مساوي بني نوعكم .

(٣) العقيلة : الكريمة ، أي لا تزوجوا بناتكم إلا ممن يساويكم في الشرف .

(٤) الوضمة : العار والعيب ، والفادح : الثقيل ، وقضأة فاضحة أي عيب وفساد ، وتقضئوا منه أن يزوجه أي استخسوا حسبه .

(٥) في بعض النسخ : « أنفذ عتاد » .

(٦) وعاء وكيع ، أي شديد متين .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : إنَّ مخالفينا يروون مثل هذه الأحاديث ويصدّقونها ، ويروون حديث شدّاد بن عاد بن إرم وأنّه عمّر تسعمائة سنة ، ويروون صفة الجنّة ، وأنّها مغيبة عن الناس فلا تُرى ، وأنّها في الأرض ، ولا يصدّقون بقائم آل محمّد عَلَيْهِ السَّلَام ، ويكذبون بالأخبار التي رويت فيه جحوداً للحقّ وعناداً لأهله .

٥٥ - باب حديث شدّاد بن عاد بن إرم

وصفة إِرَم ذات العِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

(٥٦٢) ١- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّنْجَانِيُّ - فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ -

قَالَ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ أَبُو الْمُثَنَّى الْعَنْبَرِيُّ ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، قَالَ : إِنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قِلَابَةَ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ قَدْ شَرَدَتْ ، فَبَيْنَا هُوَ فِي صَحَارِي عَدَنَ فِي تِلْكَ الْفَلَوَاتِ إِذْ هُوَ وَقَعَ عَلَى مَدِينَةٍ عَلَيْهَا حِصْنٌ ، حَوْلَ ذَلِكَ الْحِصْنِ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَعْلَامٌ طَوَالٌ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ظَنَّ أَنَّ فِيهَا مَنْ

(١) كذا ، وفي قصص الأنبياء للراوندي : معاذ بن المثنى العنبري وهو الصحيح ، وهو من ثقات العامة .

يَسْأَلُهُ عَنْ إِبِلِهِ ، فَلَمْ يَرَ دَاخِلًا وَلَا خَارِجًا ، فَنَزَلَ عَنْ نَاقَتِهِ وَعَقَلَهَا ،
وَسَلَّ سَيْفَهُ وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْحِصْنِ ، فَإِذَا هُوَ بِبَابَيْنِ عَظِيمَيْنِ لَمْ يَرَ
فِي الدُّنْيَا بِنَاءً أَكْثَرَ مِنْهُمَا وَلَا أَطْوَلَ ، وَإِذَا خَشَبَتُهَا مِنْ أَطْيَبِ عُودٍ ،
وَعَلَيْهَا نُجُومٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَصْفَرٍ وَيَاقُوتٍ أَحْمَرَ ، صَوُّوْهَا قَدْ مَلَأَ
الْمَكَانَ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَعْجَبَهُ ، فَفَتَحَ أَحَدَ الْبَابَيْنِ وَدَخَلَ ، فَإِذَا هُوَ
بِمَدِينَةٍ لَمْ يَرَ الرِّاءُونَ مِثْلَهَا قَطُّ ، وَإِذَا هُوَ بِقُصُورٍ ، كُلُّ قَصْرِ مِنْهَا
مُعَلَّقٌ تَحْتَهُ أَعْمَدَةٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ ، وَفَوْقَ كُلِّ قَصْرِ مِنْهَا
غُرْفٌ ، وَفَوْقَ الْغُرْفِ غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَاللُّؤْلُؤِ
وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ، وَعَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ تِلْكَ الْقُصُورِ
مَصَارِيْعٌ مِثْلُ مَصَارِيْعِ بَابِ الْمَدِينَةِ مِنْ عُودٍ طَيِّبٍ قَدْ نُصِدَتْ عَلَيْهِ
الْيَوَاقِيْتُ ، وَقَدْ فُرِشَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ بِاللُّؤْلُؤِ وَبَنَادِقِ الْمِسْكِ
وَالزَّعْفَرَانِ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَعْجَبَهُ ، وَلَمْ يَرَ هُنَاكَ أَحَدًا فَأَفْزَعَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ
نَظَرَ إِلَى الْأَرِقَّةِ فَإِذَا فِي كُلِّ زُقَاقٍ مِنْهَا أَشْجَارٌ قَدْ أَثْمَرَتْ ، تَحْتَهَا أَنْهَارٌ
تَجْرِي ، فَقَالَ : هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ فِي

الدُّنْيَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ ، فَحَمَلَ مِنْ لُؤْلُئِهَا وَمِنْ
بَنَادِقِ الْمِسْكِ وَالزَّعْفَرَانِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْلَعَ مِنْ زَبَرِجِدِهَا وَمِنْ
يَاقُوتِهَا لِأَنَّهُ كَانَ مُثْبَتًا فِي أَبْوَابِهَا وَجُذُرَانِهَا ، وَكَانَ اللَّوْلُؤُ وَبَنَادِقُ
الْمِسْكِ وَالزَّعْفَرَانِ مَثُورًا بِمَنْزِلَةِ الرَّمْلِ فِي تِلْكَ الْقُصُورِ وَالْعُزْرِ
كُلِّهَا ، فَأَخَذَ مِنْهَا مَا أَرَادَ وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى نَاقَتَهُ وَرَكِبَهَا ، ثُمَّ سَارَ يَقْفُو
أَثَرَ نَاقَتِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَأَظْهَرَ مَا كَانَ مَعَهُ ، وَأَعْلَمَ النَّاسَ
أَمْرَهُ ، وَبَاعَ بَعْضَ ذَلِكَ اللَّوْلُؤِ وَكَانَ قَدْ اصْفَرَّ وَتَغَيَّرَ مِنْ طُولِ مَا مَرَّ
عَلَيْهِ مِنَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ .

فَشَاعَ خَبْرُهُ وَبَلَغَ مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى
صَاحِبِ صَنْعَاءَ وَكَتَبَ بِإِسْحَاقِ ، فَشَخَّصَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى
مُعَاوِيَةَ ، فَخَلَّاهُ وَسَأَلَهُ عَمَّا عَايَنَ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ أَمْرَ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَى
فِيهَا ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِ مَا حَمَلَهُ مِنْهَا مِنَ اللَّوْلُؤِ وَبَنَادِقِ الْمِسْكِ
وَالزَّعْفَرَانِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أُعْطِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِثْلَ هَذِهِ
الْمَدِينَةِ ، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَى كَعْبِ الْأَخْبَارِ فَدَعَاَهُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا
إِسْحَاقَ ! هَلْ بَلَغَكَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مَدِينَةً مَبْنِيَّةً بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،
وَعُمْدُهَا مِنَ الزَّبَرَجِدِ وَالْيَاقُوتِ ، وَحَصَى قُصُورِهَا وَغُرْفُهَا

اللُّؤْلُؤُ ، وَأَنْهَارُهَا فِي الْأَزِقَّةِ تَجْرِي تَحْتَ الْأَشْجَارِ ؟

قَالَ كَعْبٌ : أَمَّا هَذِهِ الْمَدِينَةُ فَصَاحِبُهَا شَدَّادُ بْنُ عَادٍ الَّذِي بَنَاهَا ، وَأَمَّا الْمَدِينَةُ فَهِيَ إِرَمُ ذَاتِ الْعِمَادِ ، وَهِيَ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ .

قَالَ مُعَاوِيَةُ : حَدَّثَنَا بِحَدِيثِهَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ عَادًا الْأُولَى - وَلَيْسَ بِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ لَهُ ابْنَانِ ، سُمِّيَ أَحَدُهُمَا شَدِيدًا وَالْآخَرُ شَدَادًا ، فَهَلَكَ عَادٌ وَبَقِيََا وَمَلَكََا وَتَجَبَّرَا ، وَأَطَاعَهُمَا النَّاسُ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ ، فَمَاتَ شَدِيدٌ وَبَقِيَ شَدَادٌ ، فَمَلَكَ وَحَدَهُ وَلَمْ يُنَازِعْهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ مُوَلَعًا بِقِرَاءَةِ الْكُتُبِ ، وَكَانَ كُلَّمَا سَمِعَ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْبُنْيَانِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ وَاللُّؤْلُؤِ رَغِبَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا عُتُورًا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَجَعَلَ عَلَى صَنْعَتِهَا مِائَةَ رَجُلٍ ، تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَلْفٌ مِنَ الْأَعْوَانِ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا إِلَى أَطْيَبِ فَلَاحَةٍ فِي الْأَرْضِ وَأَوْسَعِهَا فَاغْمَلُوا إِلَيَّ فِيهَا مَدِينَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَيَاقُوتٍ وَزَبَرْجَدٍ وَلُؤْلُؤٍ ، وَاصْنَعُوا تَحْتَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَعْمَدَةً مِنْ زَبَرْجَدٍ ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ قُصُورًا ، وَعَلَى الْقُصُورِ غُرَفًا ،

وَفَوْقَ الْغُرَفِ غُرَفًا ، وَاغْرِسُوا تَحْتَ الْقُصُورِ فِي أَرْقَئِهَا أَصْنَافَ
الشَّمَارِ كُلِّهَا ، وَأَجْزُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ حَتَّى يَكُونَ تَحْتَ أَشْجَارِهَا ، فَإِنِّي
قَرَأْتُ فِي الْكِتَابِ صِفَةَ الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ مِثْلَهَا فِي الدُّنْيَا .

قَالُوا لَهُ : كَيْفَ نَقْدِرُ عَلَى مَا وَصَفْتَ لَنَا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ حَتَّى يُمَكِّنَنَا أَنْ نَبْنِيَ مَدِينَةً كَمَا وَصَفْتَ ؟ قَالَ شَدَادٌ : أَلَا
تَعْلَمُونَ أَنَّ مُلْكَ الدُّنْيَا بِيَدِي ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَانْطَلِقُوا إِلَى كُلِّ
مَعْدِنٍ مِنْ مَعَادِنِ الْجَوَاهِرِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَوَكَّلُوا بِهَا حَتَّى تَجْمَعُوا
مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَخُذُوا مَا تَجِدُونَهُ فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ ، فَكْتَبُوا إِلَى كُلِّ مَلِكٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، فَجَعَلُوا
يَجْمَعُونَ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ عَشْرَ سِنِينَ ، فَبَنَوْا لَهُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ فِي مُدَّةٍ
ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَعُمُرُ شَدَادٍ تِسْعِمِائَةِ سَنَةٍ .

فَلَمَّا أَتَوْهُ وَأَخْبَرُوهُ بِفَرَاغِهِمْ مِنْهَا قَالَ : انْطَلِقُوا فَاجْعَلُوا عَلَيْهَا
حِصْنًا ، وَاجْعَلُوا حَوْلَ الْحِصْنِ أَلْفَ قَصْرِ ، عِنْدَ كُلِّ قَصْرِ أَلْفَ
عَلَمٍ ، يَكُونُ فِي كُلِّ قَصْرِ مِنْ تِلْكَ الْقُصُورِ وَزِيرٌ مِنْ وُزَرَائِي ،
فَرَجَعُوا وَعَمِلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُ ، ثُمَّ أَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِالْفَرَاغِ مِنْهَا كَمَا
أَمَرَهُمْ بِهِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالتَّجْهِيزِ إِلَى إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، فَأَقَامُوا فِي

جَهَّازِهِمْ إِلَيْهَا عَشْرَ سِنِينَ ، ثُمَّ سَارَ الْمَلِكُ يُرِيدُ إِرْمَ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ كَانَ مَعَهُ صَنِحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَتَهُمْ جَمِيعاً ، وَمَا دَخَلَ إِرْمَ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ ، فَهَذِهِ صِفَةُ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَإِنِّي لِأَجِدُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ رَجُلًا يَدْخُلُهَا وَيَرَى مَا فِيهَا ، ثُمَّ يَخْرُجُ وَيُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا يَرَى فَلَا يُصَدِّقُ ، وَسَيَدْخُلُهَا أَهْلُ الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ (١) .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : إذا جاز أن يكون في الأرض جنة مغيبة عن أعين الناس لا يهتدي إلى مكانها أحد من الناس ، ولا يعلمون بها ، ويعتقدون صحة كونها من طريق الأخبار ، فكيف لا يقبلون من طريق الأخبار كون القائم عليه السلام الآن في غيبته ؟ وإذا جاز أن يعمر شداد بن عاد تسعمائة سنة فكيف لا يجوز أن يعمر القائم عليه السلام مثلها ، أو أكثر منها ؟

والخبر في شداد بن عاد عن أبي وائل ، والأخبار في القائم عليه السلام عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم ، فهل ذلك إلا مكابرة في جحود الحق ؟ !

وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ الْمُعَمَّرِينَ أَنَّهُ حُكِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعِيدٍ

(١) وسند القصة صحيح على مذاق العامة ، رجاله ثقات عندهم .

الرَّحَالِ ، قَالَ : إِنَّا وَجَدْنَا حَجَرًا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مَكْتُوبًا فِيهِ : أَنَا شَدَّادُ
 بَنِي عَادٍ ، وَأَنَا الَّذِي شَيَّدْتُ الْعِمَادَ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ،
 وَجَنَّدْتُ الْأَجْنَادَ ، وَشَدَدْتُ بِسَاعِدِي الْوَادَ ، فَبَنَيْتُهُنَّ إِذْ لَا شَيْبَ
 وَلَا مَوْتَ ، وَإِذِ الْحِجَارَةُ فِي اللَّيْلِ مِثْلُ الطِّينِ ، وَكَزَزْتُ كَنْزًا فِي
 الْبَحْرِ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ مَنْزِلًا ، لَمْ يُخْرِجْهُ أَحَدٌ حَتَّى تُخْرِجَهُ أُمَّةُ
 مُحَمَّدٍ (١) .

وعاش أوس بن ربيعة بن كعب بن أمية الأسلمي مائتين وأربع
 عشرة سنة ، وقال في ذلك :

لقد عمرت حتى ملّ أهلي
 ثوائي عندهم وسئمت عمري (٢)
 وحقّ لمن أتى مائتا عام
 عليه وأربع من بعد عشر
 يملّ من الثواء وصبح يوم (٣)
 يغاديه وليل بعد يسري
 فأبلى جدتي وتركت شلوا
 وباح بما أجن ضمير صدري

(١) تفسير ابن أبي حاتم : ٣٤٢٥/١٠ ، بسنده عن أنس بن عياض عن ثور بن زيد .

(٢) « ثوائي » أي إقامتي ، وفي رواية : « فيهم » مكان « عندهم » .

(٣) في نسخة : « وصبح ليل » .

وعاش أبو زيد - واسمه البدر بن حرملة الطائي ، وكان نصرانياً - خمسين ومائة سنة .

وعاش نصر بن دهمان بن بصر بن بكر بن سليم بن أشجع بن الريث بن غطفان مائة وتسعين سنة حتى سقطت أسنانه ، وخرف عقله ، وابتيض رأسه ، فحزب قومه أمر^(١) فاحتاجوا فيه إلى رأيه ، ودعوا الله عز وجل أن يرد إليه عقله وشبابه ، فعاد إليه عقله وشبابه واسود شعره .

فقال فيه سلمة بن الخرشب الأنماري من أنمار بن بغيض ، ويقال بل عياض مرداس السلمي :

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها

وتسعين حولاً ثم قوم فانصاتا^(٢)

وعاد سواد الرأس بعد بياضه^(٣)

وراجعة شرخ الشباب الذي فاتا^(٤)

وراجع عقلاً عند ما فات عقله

ولكنه من بعد ذا كله ماتا

وعاش سويد بن حذاق العبدي^(٥) مائتي سنة .

(١) حزبه أمر ، أي نزل به مهم ، أو أصابه غم .

(٢) الهنيدة : المائة من الإبل وغيرها ، وقال أبو عبيدة : هي اسم لكل مائة ، وإنصات الرجل : إذا أجاب .

(٣) في رواية : « بعد ابضااضه » .

(٤) شرخ الشباب : أوله أو نضارته .

(٥) من عبد القيس بن أفضى بن دغمي بن أسد بن ربيعة بن نزار .

وعاش الجعشم بن عوف بن حزيمة دهنراً طويلاً ، فقال :
 حتّى متى الجعشم في الأحياء ليس بذى أيد ولا غناء
 هيهات ما للموت من دواء

وعاش ثعلبة بن كعب بن زيد بن عبد الأشهل الأوسيّ (١)
 مائتي سنة ، فقال :

لقد صاحبت أقواماً فأمسوا (٢) خفاتا ما يجاب لهم دعاء
 مضوا قصد السبيل وخلفوني فطال عليّ بعدهم الثواء
 فأصبحت الغداة رهين بيتي وأخلفني من الموت الرجاء
 وعاش رداءة بن كعب (٣) بن ذهل بن قيس النخعيّ ثلاثمائة
 سنة ، وقال :

لم يبق يا خذلة من لداتي أبو بنين لا ولا بنات (٤)
 ولا عقيم غير ذي سبات (٥) إلّا يعد اليوم في الأموات
 هل مشتر أبيعه حياتي

وعاش عدي بن حاتم طيء عشرين ومائة سنة .

(١) في بعض النسخ : « الأشوس » .

(٢) في رواية السجستانيّ : « فأضحوا » .

(٣) في بعض النسخ : « رداد بن كعب » ، وأورده أبو حاتم السجستانيّ في « المعمّرون »
 بعنوان جعفر بن قرط بن كعب بن قيس بن سعد ، وذكر له شعراً ، ولعله كعب بن رداء
 النخعيّ ، كما ذكره ابن الكلبيّ على قول السجستانيّ .

(٤) لدّة الرجل : تربه ، والجمع : لدّات .

(٥) السبات : النوم والراحة ، وفي بعض النسخ : « ذي بتات » ، والبتات : متاع البيت ،
 وفي رواية السجستانيّ : « من مسقط الشمس إلى الفرات » .

وعاش أمابة بن قيس بن الحارث بن شيان الكندي ستين ومائة سنة .

وعاش عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزى بن قمير سبعين ومائة سنة ، وقال :

بليت وأفناني الزمان وأصبحت

هنيذة قد أبقيت (١) من بعدها عشرا

وأصبحت مثل الفرخ لا أنا ميّت

فأسلى (٢) ولا حيّ فأصدر لي أمرا

وقد عشت دهرأ ما تجن عشيرتي

لها ميّتا حتّى أخطّ به قبرا

وعاش العرام بن منذر (٣) بن زبيد بن قيس بن حارثة بن لام دهرأ طويلاً في الجاهليّة ، وأدرك عمر بن عبد العزيز ، وأدخل عليه وقد اختلفت ترقوتاه ، وسقط حاجباه ، ف قيل له : ما أدركت ؟ فقال :

وواللّٰه ما أدري أدركت أمة

على عهد ذي القرنين أم كنت أقدما

(١) في رواية : « قد أنضيت » .

(٢) في بعض النسخ : « فابلى » ، وفي البحار : « فأبكى » ، وزاد في كتاب أبى حاتم السجستاني :

وقد كنت دهرأ أهزم الجيش واحداً وأعطى فلا منأ عطائي ولا نزرا

(٣) في بعض النسخ والكتب : « عوام بن المنذر » .

متى تخلعاً منّي القميص تبينا

جآجئ^(١) لم يكسين لحماً ولا دماً

وعاش سيف بن وهب بن جذيمة الطائي مائتي سنة ، وقال :

ألا إنني عاجلاً ذاهب فلا تحسبوا أنني كاذب

لبست شـبابي فأفـنيتـه وأدركني القدر الغالب

وخصم دفعت ومولى نفعت حتّى يثوب له ثائب

وعاش أرطاة بن دشهة المزنيّ عشرين ومائة سنة ، فكان

يكنّى أبا الوليد ، فقال له عبد الملك بن مروان : ما بقي من شعرك يا

أرطاة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنني لا أشرب ، ولا أطرب ، ولا

أغضب ، ولا يجيئني الشعراء إلا على أحد هذه الخصال ، على أنني

أقول :

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبقي المنيّة حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنّها ستكرّ حتّى توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك^(٢) فقال : يا أرطاة ؟ فقال أرطاة : يا أمير

المؤمنين ، إنني أكنّى أبا الوليد .

وعاش عبيد بن الأبرص^(٣) ثلاثمائة سنة ، فقال :

(١) جآجئ - جمع جوجؤ - وهو الصدر ، وقيل : عظامه ، وهو المراد هنا .

(٢) أي فزع لما ظنّ أنّه أراد بأبي الوليد إياه .

(٣) هو عبيد بن الأبرص الأسديّ الشاعر من بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وقتله - كما في هامش « المعمّرون » - المنذر بن ماء السماء ، وهو أحد فحول الشعراء

فنيث وأفناني الزمان وأصبحت

لداتي بنو نعيش وزهر الفراق^(١)

ثم أخذته النعمان بن المنذر يوم يؤسه فقتله .

وعاش شريح بن هانئ عشرين ومائة سنة حتى قتل في زمن

الحجاج بن يوسف ، فقال في كبره وضعفه :

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا

قد عشت بين المشركين أعصرا

ثمت أدركت النبي المنذرا

وبعده صدّيقه وعمرا

ويوم مهران ويوم تسترا

والجمع في صفيّتهم والنهرا^(٢)

هيهات ما أطول هذا عمرا

وعاش رجل من بني ضبة يقال له المسجاح بن سباع

الضبي^(٣) دهراً طويلاً ، فقال :

الجاهلي .

(١) الفراق - جمع فرقد - : وهو النجم الذي يهتدى به .

(٢) يوم مهران ويوم تستر يومان من أيام المسلمين المشهورة في تاريخ الفتوحات الإسلامية ببلاد الفرس ، والأشعار في كتاب السجستاني ، مصرعها الأول ساقط ، وجعل المصراع الثاني مكانه ، وهكذا إلى آخرها .

(٣) قال ابن دريد : مسجاح بن سباع ، وفي : «المعمرون» : «مسجاح بن خالد بن الحارث بن قيس بن نصر بن عائذة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة» . وقال : زعموا أنه قال : ثم ذكر ما في المتن من الشعر وزاد :

لقد طوفت في الآفاق حتّى بليت وقد أنى لي لو أبيد (١)
وأفنانني ولو يفتنى نهار وليل كلما يمضي يعود
وشهر مستهل بعد شهر وحول بعده حول جديد
وعاش لقمان العادي الكبير (٢) خمسمائة وستين سنة .

وعاش عمر سبعة أنسر ، عاش كلّ نسر منها ثمانين عاماً ،
وكان من بقيّة عاد الأولى ، وروي أنّه عاش ثلاثة آلاف سنة
 وخمسمائة سنة ، وكان من وفد عاد الذين بعثهم قومهم إلى الحرم
ليستسقوا لهم ، وكان أعطي عمر سبعة أنسر ، وكان يأخذ فرخ
النسر الذكر فيجعله في الجبل الذي هو في أصله ، فيعيش النسر
منها ما عاش ، فإذا مات أخذ آخر فربّاه ، حتّى كان آخرها لبد ،
وكان أطولها عمراً ، ف قيل فيه : طال الأبد على لبد (٣) .

وقد قيل فيه أشعار معروفة (٤) ، وأعطي من القوّة والسمع

ومفقود عزيز الفقد تأتي منبته ومأمول وليد

(١) في بعض النسخ : « بليت ، وأن لي أن قد أبيد » ، وكذا في « المعمرون » .

(٢) هو غير لقمان الذي عاصر داود النبي عليه السّلام .

(٣) راجع مجمع الأمثال : ٣٧٢ .

(٤) قال لبيد بن ربيعة الجعفرّي من بني كلاب فيه :

ولقد رأى لبد النسر تطايرت رفع القوادم كالفقير الأعزل

من تحته لقمان يرجع نهضه ولقد رأى لقمان ألا يأتلي

وقال الضبيّ فيه :

أولم تر لقمان أهلكه ما افتات من سنة ومن شهر

وبقاء نسر كلّما انقرضت أيّامه عادت إلى نسر

وقال النابغة الذبيانيّ :

والبصر على قدر ذلك ، وله أحاديث كثيرة .

وعاش زهير بن جناب ^(١) بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبى ثلاثمائة سنة ^(٢) .

وعاش مزيقيا - واسمه عمر بن عامر - وهو ماء السماء ؛ لأنه كان حياة أينما نزل كمثّل ماء السماء ، وإنما سمّي مزيقيا لأنه عاش ثمانمائة سنة أربعمئة سوقة ، وأربعمئة ملكاً ، وكان يلبس كلّ يوم حلّتين ، ثم يأمر بهما فتمزقان حتّى لا يلبسهما أحد غيره .
وعاش هبل بن عبد الله بن كنانة ستمائة سنة ^(٣) .

وعاش أبو الطحمان القينى ^(٤) مائة وخمسين سنة .
وعاش مستوغر بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم ثلاثمائة وثلاثين سنة ، ثم أدرك الإسلام فلم يسلم ، وله شعر معروف ^(٥) .

وعاش دويد بن زيد بن نهد أربعمئة سنة وخمسين سنة ،

أُمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أأخنى عليها الذي أخنى على لبد وأخنى أي أفسد .

(١) في بعض النسخ : « حباب » .

(٢) في « المعمّرون » : عاش أربعمئة سنة وعشرين سنة .

(٣) قال السجستاني : « سبعمئة » ، وذكر له حكاية .

(٤) اسمه حنظلة بن الشرفى ، وهو من بني كنانة بن القين ، وفي « المعمّرون » : « عاش مائتي سنة » ، وقد يظهر من القاموس كونه شاعراً .

(٥) أولها :

« ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد الستين مئينا

فقال في ذلك :

ألقى علي الدهر رجلاً ويذا والدهر ما أصلح يوماً أفسدا
يفسد ما أصلحه اليوم غدا

وجمع بنيه حين حضرته الوفاة فقال : يا بني ! أوصيكم
بالناس شراً ، لا تقبلوا لهم معذرة ، ولا تقيّلوا لهم عثرة ^(١) .
وعاش تيم الله بن ثعلبة بن عكاية مائتي سنة ^(٢) .

وعاش ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن
عدي بن فرارة مائتي وأربعين سنة ^(٣) ، وأدرك الإسلام فلم يسلم .
وعاش معد يكرب الحميري من آل ذي يزن مائتي وخمسين
سنة .

وعاش شرية بن عبد الله الجعفي ثلاثمائة سنة ، فقدم على
عمر بن الخطاب بالمدينة فقال : لقد رأيت هذا الوادي الذي أنتم فيه
وما به قطرة ولا هضبة ^(٤) ولا شجرة ، ولقد أدركت أخريات قومي
يشهدون شهادتكم هذه - يعني لا إله إلا الله - ومعه ابن له

(١) بقيّة وصيّته : « أوصيكم بالناس شراً ، طعنأً وضرباً ، قصروا الأعنة ، واشرعوا
الأسنة ، وارعوا الكلاء وإن كان على الصفا ، وما احتجتم إليه فصونوه ، وما استغنيتم عنه
فأفسدوه على من سواكم ، فإنّ غشّ الناس يدعو إلى سوء الظنّ ، وسوء الظنّ يدعو إلى
الاحتراس » ، انتهى . راجع نسخة أخرى من وصيّة « دويد » أمالي السيّد رحمه الله :
١٧١/١ .

(٢) في « المعمّرون » : خمسمائة سنة ، وقال : كان من دهاة العرب في زمانه .

(٣) في « المعمّرون » : عاش أربعين وثلاثمائة سنة .

(٤) الهضبة : المطرة ، وفي رواية : « قصبة » .

يهادي^(١) قد خرف ، فقيل له : يا شرية ، هذا ابنك قد خرف وبك بقیة ؟ فقال : والله ما تزوجت أمه حتى أتت عليّ سبعون سنة ، ولكنني تزوجتها عفيفة ستيرة ، إن رضيت رأيت ما تقرّ به عيني ، وإن سخطت تأتت لي حتى أَرْضى ، وإنّ ابني هذا تزوّج امرأة بذيّة فاحشة ، إن رأى ما تقرّ به عينه تعرّضت له حتى يسخط ، وإن سخط تلغّيته حتى يهلك^(٢) .

(٥٦٣) ٢ - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ نَصْرِ السَّجَزِيُّ^(٣) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ^(٤) أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَمَزَةَ بْنَ زَيْدٍ الشَّعْرَانِيَّ - مِنْ وَلَدِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : حَكَى لِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمِصْرِيُّ : أَنَّ أَبَا الْجَيْشِ^(٥) حَمَادَوَيْهَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ كَانَ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ كُنُوزِ مِصْرَ مَا لَمْ يُزَرَ قَ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، فَأَغْرِيَ بِالْهَرَمَيْنِ^(٦) ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جُلَسَاؤُهُ وَحَاشِيَتُهُ وَبِطَانَتُهُ بِأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ

(١) أي يميل في المشي .

(٢) اللغب : التعب والإعياء .

(٣) في بعض النسخ : « نصير الشجري » .

(٤) في بعض النسخ : « سمعت أبا الحسين » .

(٥) في بعض النسخ : « أبا الحسن » ، وكذا فيما يأتي .

(٦) الهرمان - بالتحريك - : بناءان أوليان بمصر ، بناهما إدريس لحفظ العلوم فيهما عن الطومان ، أو بناء سنان بن المشثل ، أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة

لِهَذَا الْأَهْرَامِ ، فَإِنَّهُ مَا تَعَرَّضَ لِهَذِهِ أَحَدٌ ، فَطَالَ عُمُرُهُ ، فَأَلَحَّ فِي ذَلِكَ ، وَأَمَرَ أَلْفًا مِنَ الْفَعْلَةِ أَنْ يَطْلُبُوا الْبَابَ ، فَكَانُوا يَعْمَلُونَ سَنَةً حَوَالِيهِ حَتَّى صَجِرُوا وَكَلُوا ، فَلَمَّا هَمُّوا بِالْإِنْصِرَافِ بَعْدَ الْإِيَّاسِ مِنْهُ ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ ، وَجَدُوا سَرَبًا فَقَدَرُوا أَنَّ الْبَابَ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ ، فَلَمَّا بَلَغُوا آخِرَهُ وَجَدُوا بِلَاطَةً قَائِمَةً ^(١) مِنْ مَزْمَرٍ ، فَقَدَرُوا أَنَّهَا الْبَابُ ، فَاحْتَالُوا فِيهَا إِلَى أَنْ قَلَعُوهَا وَأَخْرَجُوهَا .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ : وَجَدُوا مِنْ وَرَائِهَا بِنَاءً مُنْضَمًّا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجُوهَا ثُمَّ نَظَّفُوهَا ، فَإِذَا عَلَيْهَا كِتَابَةٌ بِالْيُونَانِيَّةِ ، فَجَمَعُوا حُكَمَاءَ مِصْرَ وَعُلَمَاءَهَا مِنْ سَائِرِ الْأَذْيَانِ فَلَمْ يَهْتَدُوا لَهَا .

وَكَانَ فِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيِّ أَحَدَ حُفَظِ الدُّنْيَا وَعُلَمَائِهَا ، فَقَالَ لِأَبِي الْجَيْشِ حَمَادَوِيهِ بْنِ أَحْمَدَ : أَعْرِفُ فِي بَلَدِ الْحَبَشَةِ أَسْقَفًا قَدْ عُمِرَ ، وَاتَى عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً ، يَعْرِفُ هَذَا الْخَطَّ ، وَقَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَنِيهِ ، فَلِحِزْصِي عَلَى عِلْمِ الْعَرَبِ لَمْ أَقُمْ عِنْدَهُ ، وَهُوَ بَاقٍ ، فَكَتَبَ أَبُو الْجَيْشِ إِلَيَّ مَلِكِ

النجوم ، وفيها كلُّ طبٍّ وسحرٍ وطلسم ، وهناك أهرام صغار كثيرة - القاموس .
(١) البلاط : الحجرة المفروشة في الدار .

الْحَبْسَةِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَحْمِلَ هَذَا الْأُسْقُفَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَهُ : أَنَّ هَذَا شَيْخٌ قَدْ طُعِنَ فِي السِّنِّ ، وَقَدْ حَطَمَهُ الزَّمَانُ ، وَإِنَّمَا يَحْفَظُهُ هَذَا الْهَوَاءُ وَهَذَا الْإِقْلِيمُ ، وَيُحَافُ عَلَيْهِ إِنْ نُقِلَ إِلَى هَوَاءٍ آخَرَ وَإِقْلِيمٍ آخَرَ ، وَلِحِقَتُهُ حَرَكَهٌ وَتَعَبٌ وَمَشَقَّةُ السَّفَرِ ، أَنْ يَتَلَفَ ، وَفِي بَقَائِهِ لَنَا شَرَفٌ وَفَرَحٌ وَسَكِينَةٌ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ شَيْءٌ يَقْرَؤُهُ أَوْ يُفَسِّرُهُ ، أَوْ مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُونَهُ ، فَارْكُتْ لِي بِذَلِكَ .

فَحُمِلَتِ الْبَلَاطَةُ فِي قَارِبٍ إِلَى بَلَدِ أُسْوَانَ مِنَ الصَّعِيدِ الْأَعْلَى ، وَحُمِلَتْ مِنْ أُسْوَانَ عَلَى الْعَجَلَةِ إِلَى بَلَدِ الْحَبْسَةِ ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْأُسْوَانِ .

فَلَمَّا وَصَلَتْ قَرَأَهَا الْأُسْقُفُ ، وَفَسَّرَ مَا كَانَ فِيهَا بِالْحَبْسِيَّةِ ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ : أَنَا الرِّيَّانُ بْنُ دَوْمَعٍ ، فَسَّيْلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ عَنِ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَ ؟ فَقَالَ : هُوَ وَالِدُ الْعَزِيزِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِ يُوسُفَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاسْمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ الرِّيَّانِ بْنِ دَوْمَعٍ ، وَكَانَ عُمُرُ الْعَزِيزِ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَعُمُرُ الرِّيَّانِ وَالِدِهِ أَلْفٌ وَسَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَعُمُرُ دَوْمَعٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ سَنَةٍ .

فَإِذَا فِيهَا أَنَا الرِّيَّانُ بْنُ دَوْمَعٍ ، خَرَجْتُ فِي طَلَبِ عِلْمِ النَّيْلِ

الْأَعْظَمَ لِأَعْلَمَ فَيْضُهُ وَمَتَّبَعُهُ ؛ إِذْ كُنْتُ أَرَى مُفِيضَهُ ، فَخَرَجْتُ وَمَعِيَ
 مَنْ صَحِبَنِي أَرْبَعَةَ آلَافٍ رَجُلٍ ، فَسِرْتُ ثَمَانِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ
 إِلَى الظُّلُمَاتِ ، وَالْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِالدُّنْيَا ، فَرَأَيْتُ النَّيْلَ يَقْطَعُ الْبَحْرَ
 الْمُحِيطَ وَيَعْبُرُ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَنْقُذٌ ، وَتَمَاوَتْ أَصْحَابِي ^(١)
 وَبَقِيْتُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ رَجُلٍ ، فَخَشِيتُ عَلَى مُلْكِي ، فَرَجَعْتُ إِلَى
 مِصْرَ وَبَنَيْتُ الْأَهْرَامَ وَالْبَرَابِي ^(٢) ، وَبَنَيْتُ الْهَرَمَيْنِ ، وَأَوْدَعْتُهُمَا
 كُنُوزِي وَذَخَائِرِي وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

وَأَدْرَكَ عِلْمِي بَعْضُ مَا هُوَ كَائِنٌ
 وَلَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 وَأَتَقَنْتُ مَا حَاوَلْتُ إِتْقَانَ صُنْعِهِ
 وَأَحْكَمْتُهُ وَاللَّهُ أَقْوَى وَأَحْكَمُ
 وَحَاوَلْتُ عِلْمَ النَّيْلِ مِنْ بَدءِ فَيْضِهِ
 فَأَعْجَزَنِي وَالْمَرْءُ بِالْعَجْزِ مُلْجَمٌ
 ثَمَانِينَ شَاهُورًا قَطَعْتُ مَسَايِحًا
 وَحَوْلِي بَنُو حُجْرٍ وَجَيْشٌ عَرَمَرَمٌ

(١) تماوت : تظاهر أنه مات ، وأظهر التخافت والتضاعف .

(٢) وفي نسخة : والبراني .

إِلَى أَنْ قَطَعْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ كُلَّهُمْ
وَعَارَضَنِي لُجٌّ مِنَ الْبَحْرِ مُظْلِمٌ
فَأَيَقَنْتُ أَنْ لَا مَنَفَذَ بَعْدَ مَنَزِلِي
لِذِي هِمَّةٍ ^(١) بَعْدِي وَلَا مُتَقَدِّمٍ
فَأُتِبْتُ إِلَى مُلْكِي وَأَرْسَيْتُ ثَاوِيًا
بِمِصْرَ وَلِلْأَيَّامِ بُؤْسٌ وَأَنْعَمُ
أَنَا صَاحِبُ الْأَهْرَامِ فِي مِصْرَ كُلِّهَا
وَبَانِي بَرَائِيهَا بِهَا وَالْمُقَدَّمُ
تَرَكَتُ بِهَا آثَارَ كَفِّي وَحِكْمَتِي
عَلَى الدَّهْرِ لَا تُبْلَى وَلَا تَتَهَدَّمُ ^(٢)
وَفِيهَا كُنُوزٌ جَمَّةٌ وَعَجَائِبُ
وَلِلدَّهْرِ أَمْرٌ مَرَّةً وَتَجَهُمُ
سَيَفْتَحُ أَقْفَالِي وَيُبْدِي عَجَائِبِي
وَلِيَّ لِرَبِّي آخِرَ الدَّهْرِ يَنْجُمُ ^(٣)

(١) في بعض النسخ: «لذي نهبة»، وفي بعضها: «لذي هيبة».

(٢) في بعض النسخ: «تنلثم».

(٣) في نسخة: «تهجم».

بِأَكْنَافِ بَيْتِ اللَّهِ تَبْدُو أُمُورُهُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَغْلُوَ وَيَسْمُوَ بِهِ السَّمُ
ثَمَانٍ وَتِسْعٌ وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعٌ
وَتِسْعُونَ أُخْرَى مِنْ قَتِيلٍ وَمُلْجَمٍ
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا كَرَّرَ تِسْعُونَ تِسْعَةً
وَتِلْكَ الْبَرَانِي تَسْتَخِرُ وَتُهْدَمُ
هَذَا أَنْ يُفَرِّقَهَا الدَّمُ
زَبَرْتُ مَقَالِي فِي صُخُورٍ قَطَعْتُهَا
سَتَبْقَى وَأَفْنَى بَعْدَهَا ثُمَّ أَعْدَمُ

فَحِينَئِذٍ قَالَ أَبُو الْجَيْشِ حَمَادَوَيْهِ بْنُ أَحْمَدَ : هَذَا شَيْءٌ لَيْسَ
لِأَحَدٍ فِيهِ حِيلَةٌ إِلَّا الْقَائِمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرُدَّتِ الْبَلَاطَةُ
كَمَا كَانَتْ مَكَانَهَا .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْجَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ قَتَلَهُ طَاهِرُ الْخَادِمِ ، ذَبَحَهُ عَلَى
فِرَاشِهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ عُرِفَ خَبَرُ الْهَرَمَيْنِ ، وَمَنْ
بَنَاهُمَا ، فَهَذَا أَصَحُّ مَا يُقَالُ مِنْ خَبَرِ النَّيْلِ وَالْهَرَمَيْنِ .

وعاش ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي مائة وثمانين

سنة ، وأدرك الإسلام ، فهلك فجأة .

وعاش لبید بن ربیعۃ الجعفریّ مائة وأربعین سنة ، وأدرك الإسلام فأسلم ، فلما بلغ سبعون سنة من عمره أنشأ يقول في ذلك :
كأنّي وقد جاوزت سبعین حجّة

خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعین سنة أنشأ يقول :

باتت تشكي إلي النفس مجهشة

وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فإن تزيدي ثلاثاً تبليغي أملا

وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ تسعين سنة أنشأ يقول :

كأنّي وقد جاوزت تسعين حجّة

خلعت بها عني عذار لثامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

وكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنّني أرمى بنبل رأيتها

ولكنني أرمى بغير سهام

فلما بلغ مائة وعشر سنين أنشأ يقول :

أليس في مائة قد عاشها رجل

وفي تكامل عشر بعدها عمر

فلما بلغ مائة وعشرين سنة أنشأ يقول :

قد عشت دهرأ قبل مجرى داحس

لو كان للنفس اللجوج خلود

فلما بلغ مائة وأربعين سنة أنشأ يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال وكان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

يوماً إذا يأتي عليّ ليلة وكلاهما بعد المضي يعود

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَمُتْ ،

وَلَكِنَّهُ فَنِيَ ، فَإِذَا قُبِضَ أَبُوكَ فَأَغْمِضْهُ ، وَأَقْبِلْ بِهِ الْقَبِيلَةَ وَسَجِّهِ

بِثَوْبِهِ ، وَلَا أَعْلَمَنَّ مَا صَرَحْتَ عَلَيْهِ صَارِحَةً ، أَوْ بَكَتَ عَلَيْهِ بَاكِئَةً ،

وَانْظُرْ جَفْتَيْيَ الَّتِي كُنْتُ أَضِيفُ بِهَا فَأَجِدُ صَنْعَتَهَا ، ثُمَّ اخْمِلْهَا إِلَى

مَسْجِدِكَ ، وَإِلَى مَنْ كَانَ يَغْشَانِي عَلَيْهَا ، فَإِذَا قَالَ الْإِمَامُ : سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ فَقَدْ مَهَا إِلَيْهِمْ يَا كُلُّوَا مِنْهَا ، فَإِذَا فَرَّغُوا فَقُلْ : اخْضُرُوا جَنَازَةَ

أَخِيكُمْ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَدْ قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجْعَلْ فَوْقَهُ خَشَباً وَطِيناً

وَصَفَائِحَ صُمًّا رَوَّاشِنُهَا تُسَدِّدْنَ الْغُصُونَا

لِيَقِينَ حَرَّ الْوَجْهِ سَفْسَافُ الثُّرَابِ وَلَنْ يَقِينَا

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ فِي حَدِيثِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ فِي أَمْرِ الْجَفْنَةِ غَيْرُ هَذَا ، ذَكَرُوا أَنَّ لَبِيدَ بْنَ رَبِيعَةَ جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ كُلَّمَا هَبَّتِ الشَّمَالُ أَنْ يَنْحَرَ جَزُورًا فَيَمْلَأُ الْجَفْنَةَ الَّتِي حَكُوا عَنْهَا فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ .

فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ الْكُوفَةَ خَطَبَ النَّاسَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! قَدْ عَلِمْتُمْ حَالَ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْجَعْفَرِيِّ وَشَرَفَهُ وَمُرُوءَتَهُ ، وَمَا جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كُلَّمَا هَبَّتِ الشَّمَالُ أَنْ يَنْحَرَ جَزُورًا ، فَأَعِينُوا أَبَا عَقِيلٍ عَلَى مُرُوءَتِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخُمْسَةِ مِنَ الْجُزْرِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ فِيهَا :

أَرَى الْجَزَارَ يَشْحَذُ شَفَرَتَيْهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ

طَوِيلُ الْبَاعِ أَبْلَجُ جَعْفَرِيٍّ كَرِيمُ الْجَدِّ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِمَا لَدَيْهِ عَلَى الْعَلَاتِ (١) وَالْمَالِ الْقَلِيلِ

(١) عَلَى الْعَلَاتِ ، أَيُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَقَدْ ذَكَّرُوا أَنَّ الْجُزْرَ كَانَتْ عِشْرِينَ ، فَلَمَّا أَتَتْهُ قَالَ : جَزَى اللَّهُ
الْأَمِيرَ خَيْرًا ، قَدْ عَرَفَ أَنِّي لَا أَقُولُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ أَخْرَجِي يَا بُنَيَّةُ ،
فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ بُنَيَّةٌ لَهُ حُمَاسِيَّةٌ فَقَالَ لَهَا : أَجِيبِي الْأَمِيرَ ، فَأَقْبَلَتْ
وَأَدْبَرَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
طَوِيلُ الْبَاعِ أَبْلَجُ عَبْشَمِيًّا ^(١) أَعَانَ عَلَى مُرُوءَتِهِ لَبِيدًا
بِأَمْثَالِ الْهَضَابِ ^(٢) كَانَ رَكْبًا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُودًا
أَبَا وَهْبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمْنَا الثَّرِيدَا
فَعُدَّ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مُعَادٌ وَعَهْدِي بِابْنِ أَرْوَى أَنْ تَعُودَا
فَقَالَ لَهَا : أَحْسَنْتِ يَا بُنَيَّةُ ، لَوْلَا أَنَّكَ سَأَلْتِ ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ لَا
يُسْتَحْيَا مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ ، قَالَ : وَأَنْتِ يَا بُنَيَّةُ أَشْعُرُ .

وعاش ذو الإصبع العدواني - واسمه حرثان بن الحارث بن
محراث بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن الظرب بن عثمان - ثلاثمائة
سنة .

(١) منسوب إلى عبد شمس بجوار ، أو ولاء ، أو حلف .

(٢) شبه الجزور بالهضاب ، وهو الحبل المنبسط .

وعاش جعفر بن قبط (١) ثلاثمائة سنة ، وأدرك الإسلام .

وعاش عامر بن الظرب العدواني ثلاثمائة سنة (٢) .

وعاش محصن بن عتبان بن ظالم بن عمرو بن قطيعة بن

الحارث بن سلمة بن مازن الزبيدي مائتين وخمسين سنة ، وقال

في ذلك :

ألا يا سلم إنني لست منكم

ولكنني امرؤ قوتي سغوب (٣)

دعاني الداعيان فقلت هيا (٤)

فقالا كل من يدعى يجيب

ألا يا سلم أعياني قيامي

وأعيتني المكاسب والذهب (٥)

وصرت رذية (٦) في البيت كلا

تأذى بي الأبعاد والقريب

(١) كذا ، ولعل الصواب : « جعفر بن قرط » بضم القاف وسكون الراء ، وهو جعفر بن قرط بن كعب بن قيس بن سعد ، وذكر ابن الكلبي أنه جعفر بن قرط بن عبد يغوث بن كعب ابن ردة الشاعر .

(٢) في « المعمرّون » : مائتي سنة .

(٣) السغب : الجوع ، وفي رواية : « ولكنني امرؤ قومي شعوب » .

(٤) في رواية : « إياها » وكلاهما كلمة زجر .

(٥) في بعض النسخ : « الرهوب » ، وفي بعضها : « الركوب » .

(٦) الرذي : من أثقله المرض والضعف من كل شيء .

كذلك الدهر والأيام خون (١)

لها في كل سائمة نصيب

(٥٦٤) ٣ وعاش عوف بن كنانة الكلبي ثلاثمائة سنة ، فلما

حضرته الوفاة جمع بينه فأوصاهم - وهو عوف بن كنانة بن عوف

ابن عذرة بن زيد بن ثور بن كلب - فقال : يا بني ! احفظوا

وصيتي ، فإنكم إن حفظتموها سدتكم قومكم من بعدي ، إلهكم

فاتقوه ، ولا تحزنوا ، ولا تحزنوا ، ولا تثيروا السباع (٢) من

مراضها فتندموا ، وجاوزوا الناس بالكف عن مساويهم فتسلموا

وتصلحوا ، وعفوا عن الطلب إليهم ، ولا تستقلوا (٣) ، والزمو

الصمت إلا من حق تحمدوا ، وابذلوا لهم المحبة تسلم لكم

الصدور ، ولا تحرموهم المنافع فيظهروا الشكاة ، وتكونوا منهم

في ستر ينعم بالكم ، ولا تكثرُوا مجالستهم فيستخف بكم ، وإذا

نزلت بكم مفضلة فاصبروا لها ، والبسوا للدهر أثوابه ، فإن لسان

الصدق مع المسكنة خير من سوء الذكر مع الميسرة ، ووطنوا

(١) جمع الخوان : ما يؤكل عليه الطعام .

(٢) في بعض النسخ : « تستثيروا السباع » .

(٣) في بعض النسخ : « لئلا تستقلوا » .

أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمَذَلَّةِ لِمَنْ تَذَلَّلَ لَكُمْ ، فَإِنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ الْمَوَدَّةُ وَإِنْ
 اتَّعَبْتَ النَّسَبُ الْبَغْضَةَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْوَفَاءِ ، وَتَنَكَّبُوا الْعُذْرَ ، يَا أَمَنُ
 سَرُبُكُمْ ، وَأَصِيحُوا لِلْعَدْلِ ، وَأَحْيُوا الْحَسَبَ ، بِتَرْكِ الْكَذِبِ ، فَإِنَّ
 آفَةَ الْمُرُوءَةِ الْكَذِبُ وَالْخُلْفُ ، لَا تُعْلَمُوا النَّاسَ إِفْتَارَكُمْ فَتَهُونُوا
 عَلَيْهِمْ ، وَتَحْمَلُوا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُرْبَةَ ، فَإِنَّهَا ذِلَّةٌ ، وَلَا تَضَعُوا
 الْكَرَائِمَ إِلَّا عِنْدَ الْأَكْفَاءِ ، وَابْتَغُوا لَأَنْفُسِكُمُ الْمَعَالِي ، وَلَا يَخْتَلِجَنَّكُمْ
 جَمَالُ النِّسَاءِ عَنِ الصَّحَّةِ (١) ، فَإِنَّ نِكَاحَ الْكَرَائِمِ مَدَارِجُ الشَّرَفِ ،
 وَاخْضَعُوا الْقَوْمَ مَعَكُمْ وَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ لَتَنَالُوا الْمَنَافِسَ ، وَلَا تُخَالِفُوهُمْ
 فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزِرِّي بِالرَّئِيسِ الْمُطَاعَ ، وَلِيَكُنْ
 مَعْرُوفَكُمْ لِغَيْرِ قَوْمِكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَا تُوحِشُوا أَفْنِيَّتَكُمْ مِنْ
 أَهْلِهَا ، فَإِنَّ إِحَاشَهَا إِحْمَادُ النَّارِ ، وَدَفْعُ الْحُقُوقِ ، وَارْقُضُوا النَّائِمَ
 بَيْنَكُمْ تَسْلَمُوا ، وَكُونُوا أَعْوَانًا عِنْدَ الْمُلِمَّاتِ (٢) تَغْلِبُوا ، وَاحْذَرُوا
 النَّجْعَةَ (٣) إِلَّا فِي مَنَفْعَةٍ لَا تُصَابُوا ، وَأَكْرِمُوا الْجَارَ يَخْصِبُ

(١) في رواية: «عن صراحة النسب»، وفي بعض النسخ: «عن النصيحة». وفي وصية
 أكنم بن صبيح: يا بني ، لا يغلبنكم جمال النساء عن صراحة النسب .

(٢) في رواية: «وكونوا أنجاءاً عند المللمات تغلبوا» .

(٣) النجعة - وزان الرقعة -: طلب الكلاء في موضعه ، وفي رواية: «واحذروا النجعة
 التي في المنعة» .

جَنَابُكُمْ ، وَآثَرُوا حَقَّ الضَّعِيفِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَالزُّمُوا مَعَ السُّفَهَاءِ
الْجِلْمِ ثَقُلَ هُمُومُكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّهَا ذِلَّةٌ ، وَلَا تُكَلَّفُوا
أَنْفُسَكُمْ فَوْقَ طَاقَتِهَا إِلَّا الْمُضْطَرَّ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ (١) تُكَلَّمُوا عِنْدَ اتِّصَاحِ
الْعُذْرِ ، وَبِكُمْ قُوَّةٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعَاوُنُوا فِي الاضْطِرَارِ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ
بِالْمَعْذِرَةِ (٢) ، وَجِدُّوا وَلَا تُفْرِطُوا ، فَإِنَّ الْجِدَّ مَانِعُ الضَّيْمِ ، وَلَتَكُنْ
كَلِمَتُكُمْ وَاحِدَةً تَعَزُّوا ، وَيُرْهَفُ حَدُّكُمْ ، وَلَا تَبْذُلُوا التَّوَجُّهَ لِغَيْرِ
مُكْرِمِيهَا فَتُكَلِّحُوهَا ، وَلَا تَجَشَّمُوهَا أَهْلَ الدَّنَاءَةِ فَتَقْصُرُوا بِهَا (٣) ،
وَلَا تَحَاسَدُوا فَتَبُورُوا ، وَاجْتَنِبُوا الْبُحْلَ فَإِنَّهُ دَاءٌ ، وَابْنُوا الْمَعَالِي
بِالْجُودِ وَالْأَدَبِ ، وَمُصَافَاةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحَبَاءِ (٤) ، وَابْتَاعُوا
الْمَحَبَّةَ بِالْبَذْلِ ، وَوَقَّروا أَهْلَ الْفَضْلِ ، وَخُذُوا عَنْ أَهْلِ التَّجَارِبِ ،
وَلَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ صِغَرُهُ ، فَإِنَّ لَهُ ثَوَابًا ، وَلَا تُحَقِّرُوا الرِّجَالَ
فَتَزْدَرُوا ، فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : ذِكَاةُ قَلْبِهِ ، وَلِسَانٌ يُعَبِّرُ عَنْهُ ، وَإِذَا
خَوْفُكُمْ دَاهِيَةٌ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّثَبُّتِ قَبْلَ الْعَجَلَةِ ، وَالتَّمِسُّوا بِالتَّوَدُّدِ الْمُنْزِلَةَ

(١) وفي نسخة : أَنْ .

(٢) في رواية : « فلئن تلاموا وبكم قُوَّةٌ خير من أن تعاونا بالعجز » .

(٣) في بعض النسخ : « لغير مكرمة فتخلقوها ، ولا تحتشموا أهل الدناءة فتقصروا بها » ، وفي بعض النسخ : « ولا تحتشموها » ، والتجشَّم : التكلف .

(٤) في رواية : « وابتنوا المباني بالأدب ، ومصافاة أهل الحباء » ، والحباء : العطاء بلا جزاء .

عِنْدَ الْمُلُوكِ ، فَإِنَّهُمْ مَنْ وَضَعُوهُ اتَّضَعَ ، وَمَنْ رَفَعُوهُ اِرْتَفَعَ ،
وَتَبَلَّوْا تَسْمُ إِلَيْكُمْ الْأَبْصَارُ ، وَتَوَاضَعُوا بِالْوَقَارِ لِيُحِبَّكُمْ رَبُّكُمْ .

ثُمَّ قَالَ :

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ
وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلِيْبٍ

وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ

فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيْبٍ

وعاش صيفي بن رباح بن أكتم - أحد بني أسد بن عمر بن
تميم - مائتين وسبعين سنة ، وكان يقول : لك على أخيك سلطان
في كلِّ حال ، إلا في القتال ، فإذا أخذ الرجل السلاح فلا سلطان
لك عليه ، وكفى بالمشرفية واعظاً ^(١) ، وترك الفخر أبقى للثناء ،
وأسرع الجرم عقوبة البغي ، وشرَّ النصرة التعدي ، وألأم الأخلاق
أضيقتها ، ومن سوء الأدب كثرة العتاب ^(٢) ، وأقرع الأرض بالعصا
فذهبت ^(٣) مثلاً :

(١) المشرفية : سيوف جيدة تنسب إلى مشارف الشام .

(٢) في بعض النسخ : « ومن الأذى كثرة العتاب » .

(٣) القرع - بالفتح - : الضرب ، والمراد أن ينه الإنسان صاحبه عند خطئه ، وأصل
المثل أن عامر بن الظرب طعن في السنِّ وأنكر قومه من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إذا
رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره ، فافرعوا إلى المحجن بالعصا فكانوا

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا

وما علم الإنسان إلا ليعلمنا

وعاش أكتم بن صيفي - أحد بني أسد بن عمرو بن تميم -
ثلاثمائة وستين سنة (١) ، وقال بعضهم : مائة وتسعين سنة ،
وأدرك الإسلام فاختلف في إسلامه ، إلا أن أكثرهم لا يشك في أنه
لم يسلم ، فقال في ذلك :

وإن امرءا قد عاش تسعين حجة

إلى مائة لم يسأم العيش جاهل

خلت مائتان غير ست وأربع

وذلك من عد الليالي قلائل

(٥٦٥) ٤ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ : أَقْبَلَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ يُرِيدُ

الإِسْلَامَ فَقَتَلَهُ ابْنُهُ عَطْشًا ، فَسَمِعْتُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ : ﴿ وَمَنْ
يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ
أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٢) ، وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدًا فِي
الْحِكْمَةِ ، وَإِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ ابْنَهُ

يفرغونه والأرض .

(١) في «المعمر» : مائة وثمانين سنة ، وفي بعض النسخ : « عاد بن شداد » .

(٢) سورة النساء : ٩٩ .

حُلَيْسًا (١) فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ! إِنِّي أَعْظُكَ بِكَلِمَاتٍ فَخُذْ بِهِنَّ مِنْ حِينٍ تَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي إِلَى أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ، ائْتِ نَصِيْبَكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ فَلَا تَسْتَحِلَّهُ فَيَسْتَحِلَّ مِنْكَ ، فَإِنَّ الْحَرَامَ لَيْسَ يُحَرِّمُ نَفْسَهُ ، وَإِنَّمَا يُحَرِّمُهُ أَهْلُهُ ، وَلَا تُمَرِّنْ بِقَوْمٍ إِلَّا نَزَلْتَ عِنْدَ أَعَزِّهِمْ ، وَأُحْدِثْ (٢) عَقْدًا مَعَ شَرِيفِهِمْ ، وَإِيَّاكَ وَالذَّلِيلَ فَإِنَّهُ أَذَلُّ نَفْسُهُ ، وَلَوْ أَعَزَّهَا لَأَعَزَّهُ قَوْمُهُ ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُهُ وَعَرَفْتُ نَسَبَهُ ، وَهُوَ فِي بَيْتِ قُرَيْشٍ ، وَأَعَزُّ الْعَرَبِ ، وَهُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ ، إِمَّا ذُو نَفْسٍ أَرَادَ مُلْكًا فَخَرَجَ لِلْمُلْكِ بِعِزِّهِ ، فَوَقَّرَهُ وَشَرَّفَهُ ، وَقُمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا تَجْلِسْ إِلَّا بِإِذْنِهِ حَيْثُ يَأْمُرُكَ ، وَيُشِيرُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ (٣) كَانَ أَذْفَعَ لِسَرِّهِ عَنْكَ ، وَأَقْرَبَ لِخَيْرِهِ مِنْكَ ، فَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحْسُ فَيَتَوَهَّمُ ، وَلَا يُنْظَرُ فَيَتَجَسَّمُ ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْخَيْرَةَ حَيْثُ يَعْلَمُ (٤) ، لَا يُخْطِئُ فَيُسْتَعْتَبَ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ عَلَى مَا يُحِبُّ .

وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَتَجِدُ أَمْرَهُ كُلَّهُ صَالِحًا ، وَخَبَرَهُ كُلَّهُ صَادِقًا ، وَسَتَجِدُهُ مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِهِ ، مُتَذَلِّلًا لِرَبِّهِ ، فَذِلَّ لَهُ ، فَلَا تُحْدِثَنَّ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « حَبِيشًا » .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : « وَأُحْدِثْتُ » .

(٣) أَيْ إِنْ كَانَ مُلْكًا .

(٤) لَعَلَّ الْمَعْنَى اللَّهُ يَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .

أَمْرًا دُونِي ، فَإِنَّ الرَّسُولَ إِذَا أَحْدَثَ الْأَمْرَ مِنْ عِنْدِهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيِ
الَّذِي أَرْسَلَهُ ، وَاحْفَظْ مَا يَقُولُ لَكَ ، إِذَا رَدَّكَ إِلَيَّ فَإِنَّكَ لَوْ تَوَهَّمْتَ
أَوْ نَسِيتَ جَشَمْتَنِي (١) رَسُولًا غَيْرَكَ .

وَ كَتَبَ مَعَهُ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، مِنَ الْعَبْدِ إِلَى الْعَبْدِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَبْلِغْنَا مَا بَلَغَكَ ، فَقَدْ أَتَانَا عَنْكَ خَبَرٌ لَا نَذْرِي مَا
أَصْلُهُ ، فَإِنْ كُنْتَ أُرَيْتَ فَارِنَا ، وَإِنْ كُنْتَ عَلِمْتَ فَعَلُّمْنَا ، وَأَشْرِكْنَا
فِي كَنْزِكَ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِيمَا ذَكَرُوا - : مِنْ
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ .

أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَمَرَ النَّاسَ بِقَوْلِهَا ، وَالْخَلْقُ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ،
خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ ، وَهُوَ يَنْشُرُهُمْ ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، أَدَبْتُكُمْ بِآدَابِ
الْمُرْسَلِينَ ، وَلَتُسْأَلُنَّ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢) ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ
حِينَ ﴿ (٣) 》 .

(١) أي كلفتنى .

(٢) إشارة لقوله تعالى في سورة النبأ الآية ١ و ٢ .

(٣) سورة ص : ٨٨ .

فَلَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بَنِي ! مَاذَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَنْهَى عَنِ مَلَائِمِهَا ، فَجَمَعَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ إِلَيْهِ بَنِي تَمِيمٍ ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي تَمِيمٍ ، لَا تُخْضِرُونِي سَفِيهَاً ، فَإِنَّ مَنْ يَسْمَعُ يَحُلْ ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ رَأْيٌ فِي نَفْسِهِ ، وَإِنَّ السَّفِيهَ وَاهِنُ الرَّأْيِ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ .

يَا بَنِي تَمِيمٍ ! كَبُرَتْ سِنِّي ، وَدَخَلْتَنِي ذِلَّةُ الْكِبَرِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي حَسَنًا فَأْتُوهُ ، وَإِذَا أَنْكَرْتُمْ مِنِّي شَيْئًا فَقَوُّمُونِي بِالْحَقِّ أَسْتَقِمَّ لَهُ ، إِنَّ ابْنِي قَدْ جَاءَنِي وَقَدْ شَافَهُ هَذَا الرَّجُلُ ، فَرَأَاهُ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْخُذُ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَنْهَى عَنِ مَلَائِمِهَا ، وَيَدْعُو إِلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، وَتُخْلَعَ الْأَوْثَانُ ، وَيُتْرَكَ الْحَلْفُ بِالنِّيرَانِ ، وَيَذَكَّرُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّ قَبْلَهُ رُسُلًا لَهُمْ كُتُبٌ ، وَقَدْ عَلِمْتُ رَسُولًا قَبْلَهُ كَانَ يَأْمُرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِمُعَاوَنَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَكُ بَاطِلًا كُتِبَ أَحَقُّ مَنْ كَفَّ عَنْهُ ، وَسَتَرَ عَلَيْهِ .

وَقَدْ كَانَ أَشَقُّفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ سُفْيَانُ بْنُ
 مُجَاشِعٍ قَبْلَهُ يُحَدِّثُ بِهِ ، وَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، وَقَدْ عَلِمَ ذَوُو الرَّأْيِ
 مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَيَأْمُرُ بِهِ ، فَكُونُوا فِي أَمْرِهِ أَوَّلًا ،
 وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، اتَّبِعُوهُ تَشَرَّفُوا ، وَتَكُونُوا سَنَامَ الْعَرَبِ ، وَاثْتَوُ
 طَائِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتُوهُ كَارِهِينَ ، فَإِنِّي أَرَى أَمْرًا مَا هُوَ بِالْهُوَيْنَا ، لَا
 يَنْزُكُ مَضْعَدًا إِلَّا صَعِدَهُ ، وَلَا مَنْصُوبًا إِلَّا بَلَغَهُ ، إِنَّ هَذَا الَّذِي يَدْعُو
 إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ دِينًا لَكَانَ فِي الْأَخْلَاقِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا
 أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ مَا لَا يُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ أَكْثَرَ الْعَرَبِ
 عَدَدًا ، وَأَوْسَعَهُمْ بَلَدًا ، وَإِنِّي لَأَرَى أَمْرًا لَا يَتَّبِعُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزَّ ، وَلَا
 يَنْزُكُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلَّ ، اتَّبِعُوهُ مَعَ عِزِّكُمْ تَزِدُّوا عِزًّا ، وَلَا يَكُنْ أَحَدٌ
 مِثْلَكُمْ ، إِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدْعُ لِلْآخِرِ شَيْئًا ، وَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لِمَا هُوَ بَعْدَهُ ،
 مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ فَهُوَ الْبَاقِي وَاقْتَدَى بِهِ الثَّانِي ، فَأَصْرِمُوا أَمْرَكُمْ ، فَإِنَّ
 الصَّرِيمَةَ قُوَّةٌ ، وَالْاِخْتِيَاظَ عَجْزٌ ^(١) .

فَقَالَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ : خَرِفَ شَيْخُكُمْ ، فَقَالَ أَكْثَمُ : وَيْلَ

(١) في بعض النسخ: « فالاختلاط عجز » ، والصريمة: العزيمة في الشيء ، والصرم: القطع .

لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ (١) ، أَرَأَيْتُمْ سَكُوتًا ، وَإِنَّ آفَةَ الْمَوْعِظَةِ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا .

وَيْلَكَ يَا مَالِكَ ! إِنَّكَ هَالِكٌ ، إِنَّ الْحَقَّ إِذَا قَامَ وَقَعَ الْقَائِمُ مَعَهُ ، وَجَعَلَ الصَّرْعَى قِيَامًا ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، أَمَا إِذَا سَبَقْتُمُونِي بِأَمْرِكُمْ فَقَرَّبُوا بَعِيرِي أَوْ كَبَنُهُ ، فَدَعَا بِرَاحِلَتِهِ فَزَكَبَهَا ، فَتَبِعُوهُ بَنُوهُ وَبَنُو أَخِيهِ فَقَالَ : لَهْفِي عَلَى أَمْرٍ لَنْ أُدْرِكَهُ وَلَمْ يَسْبِقْنِي .

(٥٦٦) ٥- وَكَتَبْتُ طَيِّئًا إِلَى أَكْثَمَ فَكَانُوا أَخْوَالَهُ ، وَقَالَ آخَرُونَ كَتَبْتُ بَنُو مَرْءَةٍ وَهُمْ أَخْوَالُهُ ، أَنْ أَحْدِثَ إِلَيْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ ، فَكَتَبَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، فَإِنَّهَا تَبْتُ أَصْلُهَا ، وَتَبْتُ فَرْعُهَا ، وَأَنَّهَا كُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، فَإِنَّهَا لَا يَتْبَتُّ لَهَا أَصْلٌ ، وَلَا يَتْبَتُّ لَهَا فَرْعٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحَ الْحَمَقَاءِ ، فَإِنَّ مَبَاضِعَهَا قَدَرٌ ، وَوُلْدَهَا ضِيَاعٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِبْلِ فَأَكْرَمُوهَا ، فَإِنَّهَا حُصُونُ الْعَرَبِ ، وَلَا تَصْعُورِاقِبَاهَا إِلَّا فِي حَقِّهَا ، فَإِنَّ فِيهَا مَهْرَ الْكَرِيمَةِ ، وَرَقُوءَ الدِّمِ (٢) ، وَبِأَلْبَانِهَا يُتَحَفُّ الْكَبِيرُ ،

(١) الخَلِيّ: الخالي من الهمّ والحزن ، خلاف الشَّجِيِّ ، والمثل معروف ، والمعنى أُنِّي في همّ عظيم لهذا الأمر الذي أدعوكم إليه ، وأنتم فارغون غافلون ، فويل لي منكم .
(٢) رَقَا الدِّم: جَفَّ وسكن ، والرقوء -كصبور-: ما يوضع على الدم ليرقته ، والمعنى

وَيُغْذَى الصَّغِيرُ ، وَلَوْ كُفِّتِ الْإِبِلُ الطَّحْنَ لَطَحَنْتَ ، وَلَنْ يَهْلِكَ
أَمْرُؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَالْعُدْمُ عُدْمُ الْعَقْلِ (١) ، وَالْمَرْءُ الصَّالِحُ لَا يَعْدُمُ
مِنَ الْمَالِ ، وَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ مِائَةٍ ، وَرُبَّ فِئَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
قَبِيلَتَيْنِ (٢) ، وَمَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ طَالَتْ مَعَبَّتُهُ ، وَمَنْ رَضِيَ
بِالْقَسْمِ طَابَتْ مَعِيشَتُهُ .

آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى ، وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ بِالْأَدَبِ ، وَالْحَاجَةُ مَعَ
الْمَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْبُغْضَةِ ، وَالدُّنْيَا دُوْلٌ ، فَمَا كَانَ لَكَ مِنْهَا
أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَإِنْ قَصُرَتْ فِي طَلَبِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ
تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ ، وَسُوءُ حَمْلِ الْفَاقَةِ (٣) تَضَعُ الشَّرَفَ ، وَالْحَسَدُ دَاءٌ
لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ ، وَالشَّمَاتَةُ تُعَقِّبُ ، وَمَنْ بَرَّ يَوْمًا بَرَّ بِهِ ، وَاللُّؤْمَةُ مَعَ
السَّفَاهَةِ ، وَدِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحِلْمُ ، وَجَمَاعُ الْأَمْرِ الصَّبْرُ ، وَخَيْرُ
الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الْعَفْوِ ، وَأَبْقَى الْمَوَدَّةِ حُسْنُ التَّعَاهُدِ ، وَمَنْ يَزُرْ غِبًّا
يَزِدَّ حُبًّا (٤) ..

أَنَّهُا تَعْطَى فِي الدِّيَاتِ فَتَحَقْنَ بِهَا الدِّمَاءُ .

(١) العدم - بالضم وبضمّتين - وبالتحريك : الفقدان ، وغلب على فقدان المال .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : « مِنْ فِئَتَيْنِ » .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخ : « الرِّبَّة » .

(٤) يَعْنِي الزَّيَارَةَ يَوْمًا وَيَوْمًا لَا مُوجِبَةَ لِلْحُبِّ .

وصية أكنم بن صيفي عند موته

(٥٦٧) ٦- جَمَعَ أَكْنَمُ بَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ! إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَيَّ دَهْرٌ طَوِيلٌ وَأَنَا مُزَوَّدٌ كُمْ مِنْ نَفْسِي قَبْلَ الْمَمَاتِ ، أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْبِرِّ فَإِنَّهُ يُنْمِي عَلَيْهِ الْعَدَدَ ، وَلَا يَبِيدُ عَلَيْهِ أَصْلٌ ، وَلَا يَهْتَصِرُ فَرْعٌ ، فَإِنَّهَا كُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَإِنَّهُ لَا يَثْبُتُ عَلَيْهَا أَصْلٌ ، وَلَا يَثْبُتُ عَلَيْهَا فَرْعٌ ، كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ ، إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا .

انظُرُوا أَعْنَاقَ الْإِبِلِ وَلَا تَضَعُوهَا إِلَّا فِي حَقِّهَا ، فَإِنَّ فِيهَا مَهْرَ الْكَرِيمَةِ ، وَرَقُوءَ الدِّمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحَ الْحَمَقَاءِ فَإِنَّ نِكَاحَهَا قَذْرٌ ، وَوُلْدَهَا ضَيَاعٌ ، الْاِقْتِصَادُ فِي السَّفَرِ أَبْقَى لِلْجِمَامِ (١) ، مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى مَا فَاتَهُ وَدَعَا بَدَنَهُ (٢) . مَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ ، التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ ، أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ ،

(١) كذا، والظاهر: «الاقتصاد في السعي أبقي للجمام»، كما في رواية السجستاني، وأما الجمام كما في الصلب: الراحة، والقوة.

(٢) أي سكن، وفي بعض القراءات: «ودع»، أي راح نفسه.

لَمْ يَهْلِكْ أَمْرُؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ ، الْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ آفَةُ التَّجَمُّلِ (١) ، لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ ، وَيَلْ لِعَالِمٍ أَمِنْ مِنْ جَهْلِهِ (٢) ، الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ ، يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْمَقُ ، الْبُطْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ حُمَقٌ ، وَفِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعِزُّ ، وَلَا تَغْضَبُوا مِنَ الْيَسِيرِ فَإِنَّهُ يَجْنِي الْكَثِيرَ ، لَا تُحْيُوا فِيمَا لَمْ تُسْأَلُوا (٣) عَنْهُ ، وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا لَا يُضْحَكُ مِنْهُ ، تَبَارَوْا فِي الدُّنْيَا وَلَا تَبَاغُضُوا ، الْحَسَدُ فِي الْقُرْبِ فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَقَّعُ عُمْدُهُ (٤) يَتَقَرَّبُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي الْمَوَدَّةِ لَا تَتَكَلَّمُوا عَلَى الْقَرَابَةِ فَتَقَاطَعُوا ، فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ قَرَّبَ نَفْسَهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمَالِ فَأَصْلِحُوهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ الْأَمْوَالُ إِلَّا بِإِصْلَاحِكُمْ ، وَلَا يَتَكَلَّنُ أَحَدُكُمْ عَلَى مَالِ أَخِيهِ يَرَى فِيهِ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَالْقَابِضِ عَلَى الْمَاءِ ، وَمَنْ اسْتَغْنَى كَرَّمَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَكْرَمُوا الْخَيْلَ ،

(١) في بعض نسخ الحديث : « الجزع عند النازلة آفة التجمُّل » .

(٢) كذا ، وفي جمهرة الأمثال : ٣٢٠/١ ، ومجمع الأمثال : ٦٩٨ : « ويل لعالم أمر من جاهله » .

(٣) في بعض النسخ : « عمّا لا تسألوا » .

(٤) الفقعقة : حكاية صوت السلاح ، وقفقت عمدهم تفققت : وارتحلوا ، يعني إذا اجتمعوا وتقاربوا وقع بينهم الشرّ فتنفّروا ، أو معناه لا بد من الافتراق بعد الاجتماع ، أو من غبط بكثرة العدد وأنساق الأمر فهو بمعرض الزوال والانتشار .

نِعْمَ لَهُوَ الْحُرَّةُ الْمَغْرُلُ ، وَحِيلَةٌ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ .

وعاش قردة بن ثعلبة بن نفاثة (١) السلوليّ مائة وثلاثين سنة في الجاهليّة ، ثم أدرك الإسلام فأسلم .

وعاش مصاد بن جناب بن مرارة من بني عمرو بن يربوع بن حنظلة بن زيد بن مناة أربعين ومائة سنة (٢) .

وعاش قسّ بن ساعدة الإياديّ ستّ مائة سنة وهو الذي يقول :
هل الغيث معطي الأمن عند نزوله

بحال مسيء في الأمور ومحسن

وما قد تولّى وهو قد فات ذاهبا

فهل ينفعني ليتني ولو أنني

وكذلك يقول لبيد :

وأخلف قسّاً ليتني ولو أنني واعياً على لقمان حكم التدبّر
وعاش الحارث بن كعب المذحجيّ ستّين ومائة سنة .

قال مصنّف هذا الكتاب رضي الله عنه : هذه الأخبار التي ذكرتها في المعمّرين قد رواها مخالفونا أيضاً من طريق محمّد بن السائب الكلبيّ ومحمّد بن إسحاق بن بشّار وعوانة بن الحكم

(١) في أكثر النسخ : « فروة بن ثعلبة بن نفاثة » ، والظاهر تصحيف .

(٢) وقال شعراً منها :

إنّ مصاد بن جناب قد ذهب ج أدرك من طول الحياة ما طلب
والموت قدر يدرك يوماً من هرب

وعيسى بن زيد بن آب^(١) والهيثم بن عدي الطائي .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : كُلَّمَا كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ ، حَذَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ ، وَالْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ..

وقد صحَّ هذا التعمير فيمن تقدَّم ، وصحَّت الغيبات الواقعة بحجج الله عليهم السَّلام فيما مضى من القرون .

فكيف السبيل إلى إنكار القائم عليه السَّلام لغيبته ، وطول عمره ، مع الأخبار الواردة فيه عن النبي صَلَّى الله عليه وآله ، وعن الأئمة عليهم السَّلام ، وهي التي قد ذكرناها في هذا الكتاب بأسانيدھا :

(٥٦٨) ٧- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَاقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ النَّخَعِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ غِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : كُلَّمَا كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ ، حَذَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ ،

(١) في البحار: « عيسى بن يزيد بن رثاب » .

وَالْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ (١) .

(٥٦٩) ٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ السُّكْرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ ، عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَبَشِيرًا ، لَتَرَكِبَنَّ أُمَّتِي سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ حَيَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ دَخَلَتْ فِي جُحْرِ لَدَخَلَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيَّةً مِثْلَهَا (٢) .

(٥٧٠) ٩- حَدَّثَنَا الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ رِكَامٍ (٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

(١) وسنده حسن كالصحيح ، موسى بن عمران النخعي وهو روائي الزيادة الجامعة الكبيرة - كنز المعرفة في كمالات المعصومين عليهم السلام - التي تلقاها بالقبول الأجلاء والأعظم من مدرسة قم المقدسة وهم أول من رواها ، ومنه تعرف عظم راويها بقبولهم منه هذه الزيارة وعناية الإمام له بجعله راوي هذه الزيارة ، والحسين بن يزيد هو النوفلي المعروف الجليل .

(٢) ورجال السند ممن أكثر الصدوق قدس سره الرواية عنهم ، وهو لا يعدد الرواية عمّن لا يرتضيه .

(٣) في بعض النسخ : « عبد الله » .

(٤) في بعض النسخ : « أبو علي بن همام » .

النُّوفَلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ هِلَالٍ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى
الْكِلَابِيِّ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ نَجِيحٍ ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ
ابْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : فِي الْقَائِمِ مَنَا سُنَنَ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : سُنَّةُ مِنْ نُوحٍ ، وَسُنَّةُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ، وَسُنَّةُ مِنْ
مُوسَى ، وَسُنَّةُ مِنْ عِيسَى ، وَسُنَّةُ مِنْ أَيُّوبَ ، وَسُنَّةُ مِنْ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وَأَمَّا مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطُولُ الْعُمُرِ ، وَأَمَّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَخَفَاءُ
الْوِلَادَةِ ، وَاعْتِزَالُ النَّاسِ ، وَأَمَّا مِنْ مُوسَى فَالْخَوْفُ وَالْغَيْبَةُ ، وَأَمَّا
مِنْ عِيسَى فَاخْتِلَافُ النَّاسِ فِيهِ ، وَأَمَّا مِنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالْفَرَجُ
بَعْدَ الْبَلْوَى ، وَأَمَّا مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَالْخُرُوجُ
بِالسَّيْفِ (١) .

فمضى صحَّ التعمير لمن تقدّم عصرنا ، وصحَّ الخبر بأنَّ السَّنةَ
بذلك جارية في القائم عليه السَّلَامُ الثاني عشر من الأئمة عليهم
السَّلَام ، لم يجز إلا أن يعتقد أنه لو بقي في غيبته ما بقي لم يكن

(١) مر في الحديث : ٢٧٧ ، بسند حسن عن أبي علي محمد بن همام عن أحمد بن
محمد النوفلي عن أحمد بن هلال .

القائم غيره ، وأنه لو لم يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ
الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ فَيَمْلَأَهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا ،
كَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَنِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
بَعْدَهُ ..

ولا يحصل لنا الإسلام إلا بالتسليم لهم فيما يرد ، ويصح
عنهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وما في الأزمنة المتقدمة من أهل الدين والزهد والورع إلا
مغييبين لأشخاصهم ، مستترين لأمرهم ، يظهرون عند الإمكان
والأمن ، ويغيبون عند العجز والخوف ، وهذا سبيل الدنيا من
ابتدائها إلى وقتنا ، هذا فكيف صار أمر القائم عليه السلام في غيبته
من دون جميع الأمور منكراً ، إلا لما في نفوس الجاحدين من
الكفر والضلال ، وعداوة الدين وأهله ، وبغض النبي والأئمة بعده
عليهم السلام .

٥٦ - باب قصة بلوهر ويوناسيف

(٥٧١) ١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ السُّكْرِيِّ (١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا ، قَالَ :

(١) في بعض النسخ : « العسكري » ، وفي بعضها السكوني .

فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ كَانَ كَثِيرَ الْجُنْدِ ، وَاسِعَ الْمَمْلَكَةِ ،
 مَهِيئاً فِي أَنْفُسِ النَّاسِ ، مُظْفَراً عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ عَظِيمَ
 النَّهْمَةِ (١) فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَمَلَاهِيهَا ، مُؤَثِّراً لِهَوَاهُ مُطِيعاً
 لَهُ ، وَكَانَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَأَنْصَحُهُمْ لَهُ فِي نَفْسِهِ ، مَنْ زَيْنَ لَهُ
 حَالَهُ ، وَحَسَّنَ رَأْيَهُ ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَأَغْشُهُمْ لَهُ فِي نَفْسِهِ ،
 مَنْ أَمَرَهُ بِغَيْرِهَا ، وَتَرَكَ أَمْرَهُ فِيهَا ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ الْمُلْكَ فِيهَا فِي
 حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، وَعُتُفَوَانِ شَبَابِهِ ، وَكَانَ لَهُ رَأْيٌ أَصِيلٌ ، وَلِسَانٌ بَلِيغٌ ،
 وَمَعْرِفَةٌ بِتَذْيِيرِ النَّاسِ وَضَبْطِهِمْ ، فَعَرَفَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْهُ فَاتَّقَادُوا
 لَهُ ، وَخَضَعَ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ سُكْرُ الشَّبَابِ وَسُكْرُ
 السُّلْطَانِ ، وَالشَّهْوَةُ وَالْعُجْبُ .

ثُمَّ قَوِيَ ذَلِكَ مَا أَصَابَ مِنَ الظَّفَرِ عَلَى مَنْ نَاصَبَهُ ، وَالْقَهْرِ
 لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَانْقِيَادِ النَّاسِ لَهُ ، فَاسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ
 وَاحْتَقَرَهُمْ ، ثُمَّ ازْدَادَ عُجْباً بِرَأْيِهِ وَنَفْسِهِ لِمَا مَدَحَهُ النَّاسُ ، وَزَيْنُوا
 أَمْرَهُ عِنْدَهُ ، فَكَانَ لَا هِمَّةَ لَهُ إِلَّا الدُّنْيَا ، وَكَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ مُوَاتِيَةً ، لَا

(١) النهمة - بفتح النون -: بلوغ الهمة والشهوة في الشيء ، ويقال: له في هذا الأمر نهمة ، أي شهوة .

يُرِيدُ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا نَالَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ مِثْنَاً (١) لَا يُؤَلِّدُ لَهُ ذَكَرٌ ، وَقَدْ كَانَ الدِّينُ فُشَا فِي أَرْضِهِ قَبْلَ مُلْكِهِ ، وَكَثُرَ أَهْلُهُ ، فَزَيَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِدَاوَةَ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، وَأَضَرَّ بِأَهْلِ الدِّينِ فَأَقْصَاهُمْ مَخَافَةً عَلَى مُلْكِهِ ، وَقَرَّبَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ ، وَصَنَعَ لَهُمْ أَصْنَاماً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَفَضَّلَهُمْ وَشَرَّفَهُمْ ، وَسَجَدَ لِأَصْنَامِهِمْ .

فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ مِنْهُ سَارَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِأَهْلِ الدِّينِ ، ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ يَوْماً عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِ كَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنَزِلَةٌ حَسَنَةً ، وَمَكَانَةٌ رَفِيعَةً ، وَكَانَ أَرَادَ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى بَعْضِ أُمُورِهِ ، وَيُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّهُ قَدْ خَلَعَ الدُّنْيَا وَخَلَا مِنْهَا ، وَلَحِقَ بِالنُّسَاكِ ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ وَشَقَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ فِي زِيِّ النُّسَاكِ وَتَخَشُّعِهِمْ زَبْرَهُ وَشَتَمَهُ (٢) وَقَالَ لَهُ : بَيْنَا أَنْتَ مِنْ عِبِيدِي ، وَعُيُونِ أَهْلِ مَمْلَكَتِي ، وَوَجْهِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ إِذْ فَضَحْتَ نَفْسَكَ ، وَضَيَّعْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ ، وَاتَّبَعْتَ أَهْلَ الْبِطَالَةِ وَالْخُسَارَةِ ،

(١) المِثْنَانِ: التي اعتادت أن تلد الإناث ، وكذلك الرجل لأنهما يستويان في مفعول ، ويقابله المذكر ، وهي التي تلد الذكور كثيراً .

(٢) النُّسَاكُ: العبَّاد ، وزبره أي زجره .

حَتَّى صِرْتَ ضُحْكَةً وَمَثَلًا ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُكَ لِمِهِمْ أُمُورِي ،
وَالِاسْتِعَانَةَ بِكَ عَلَى مَا يَتَوَبُّنِي .

فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَلَيْكَ حَقٌّ فَلِعَقْلِكَ
عَلَيْكَ حَقٌّ ، فَاسْتَمِعْ قَوْلِي بِغَيْرِ غَضَبٍ ، ثُمَّ أَوْمُرْ بِمَا بَدَا لَكَ بَعْدَ
الْفَهْمِ وَالتَّشَبُّهِ ، فَإِنَّ الْغَضَبَ عَدُوُّ الْعَقْلِ ، وَلِذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَ
صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْفَهْمِ .

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : قُلْ مَا بَدَا لَكَ .

قَالَ النَّاسِكُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَفِي ذَنْبِي عَلَى نَفْسِي
عَتَبْتَ عَلَيَّ ، أَمْ فِي ذَنْبٍ مِنِّي إِلَيْكَ سَالِفٌ ؟

قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ ذَنْبَكَ إِلَى نَفْسِكَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدِي ، وَلَيْسَ
كُلَّمَا أَرَادَ رَجُلٌ مِنْ رَعِيَّتِي أَنْ يَهْلِكَ نَفْسُهُ أُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ،
وَلَكِنِّي أَعِدُّ إِهْلَاكَهُ نَفْسَهُ كإِهْلَاكِهِ لغيرِهِ ، مِمَّنْ أَنَا وَلِيُّهُ ، وَالْحَاكِمُ
عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَأَنَا أَحْكُمُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ ، وَأَخْذُهَا مِنْكَ إِذْ ضَيَّعْتَ أَنْتَ
ذَلِكَ .

فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ : أَرَاكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - لَا تَأْخُذُنِي إِلَّا بِحُجَّةٍ ،
وَلَا نَفَازَ لِحُجَّةٍ إِلَّا عِنْدَ قَاضٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ قَاضٍ ، لَكِنْ

عِنْدَكَ قُضَاءٌ وَأَنْتَ لِأَحْكَامِهِمْ مُنْفِذٌ ، وَأَنَا بِبَعْضِهِمْ رَاضٍ ، وَمِنْ
بَعْضِهِمْ مُشْفِقٌ .

قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا أَوْلَيْكَ الْقُضَاءُ ؟ قَالَ : أَمَّا الَّذِي أَرْضَى قُضَاءَهُ
فَعَقْلُكَ ، وَأَمَّا الَّذِي أَنَا مُشْفِقٌ مِنْهُ فَهَوَاكَ .

قَالَ الْمَلِكُ : قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ وَاصْدُقْنِي خَبْرَكَ ، وَمَتَى كَانَ هَذَا
رَأْيَكَ ؟ وَمَنْ أَغْوَاكَ ؟

قَالَ : أَمَّا خَبْرِي فَإِنِّي كُنْتُ سَمِعْتُ كَلِمَةً فِي حَدَاثَةِ سِنِّي وَقَعَتْ
فِي قَلْبِي ، فَصَارَتْ كَالْحَبَّةِ الْمَرْزُوعَةِ ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَنْمِي حَتَّى
صَارَتْ شَجَرَةً إِلَى مَا تَرَى ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ :
يَحْسَبُ الْجَاهِلُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ شَيْئًا ، وَالْأَمْرَ الَّذِي هُوَ
الشَّيْءُ لَا شَيْءَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْفُضِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ لَمْ يَنْلِ الْأَمْرَ
الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ ، وَمَنْ لَمْ يُبْصِرِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ لَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ
بِرَفْضِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ ، وَالشَّيْءُ هُوَ الْآخِرَةُ ، وَاللَّاشَيْءُ هُوَ
الدُّنْيَا ، فَكَانَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عِنْدِي قَرَارٌ لِأَنِّي وَجَدْتُ الدُّنْيَا حَيَاتَهَا
مَوْتًا ، وَغَنَاهَا فَقْرًا ، وَفَرَحَهَا تَرْحًا ، وَصِحَّتَهَا سُقْمًا ، وَقُوَّتَهَا
ضَعْفًا ، وَعِزَّهَا ذُلًّا .

وَ كَيْفَ لَا تَكُونُ حَيَاتُهَا مَوْتًا وَإِنَّمَا يَحْيَا فِيهَا صَاحِبُهَا لِيَمُوتَ ؟
وَهُوَ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى يَقِينٍ ، وَمِنَ الْحَيَاةِ عَلَى قُلْعَةٍ .

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَقْرًا وَلَيْسَ يُصِيبُ أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا
اِحْتِاجَ لِذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يُصْلِحُهُ ، وَإِلَى أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهُ
مِنْهَا ؟ وَمِثْلُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى دَابَّةٍ فَإِذَا أَصَابَهَا اِحْتِاجَ
إِلَى عَافِيَتِهَا وَقِيَمَتِهَا وَمَرْبِطَتِهَا ^(١) وَأَدَوَاتِهَا ، ثُمَّ اِحْتِاجَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ
ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يُصْلِحُهُ ، وَإِلَى أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا ، فَمَتَى
تَنْفَضِي حَاجَةٌ مِنْ هُوَ كَذَلِكَ وَفَاقَتُهُ ؟

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ فَرَحُهَا تَرَحُّاً وَهِيَ مَرْصَدَةٌ لِكُلِّ مَنْ أَصَابَ مِنْهَا
قُرَّةَ عَيْنٍ أَنْ يَرَى مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ بَعِيْنَهُ أَضْعَافَهُ مِنَ الْحُزَنِ ؟ إِنْ رَأَى
سُرُوراً فِي وَلَدِهِ فَمَا يَتَنَظَّرُ مِنَ الْأَحْزَانِ فِي مَوْتِهِ وَسُقْمِهِ ، وَجَائِحَةٍ
إِنْ أَصَابَتْهُ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ بِهِ ، وَإِنْ رَأَى السُّرُورَ فِي مَالٍ فَمَا
يَتَخَوَّفُ مِنَ التَّلَفِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ بِالْمَالِ ، فَإِذَا كَانَ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ لَا يَتَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِنْهَا لَمَنْ عَرَفَ هَذَا
مِنْهَا .

(١) المرابط - بفتح الباء وكسرها -: موضع ربط الدواب .

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ صِحَّتُهَا سُقْمًا وَإِنَّمَا صِحَّتُهَا مِنْ أَخْلَاطِهَا ،
وَأَصَحُّ أَخْلَاطِهَا وَأَقْرَبُهَا مِنَ الْحَيَاةِ الدَّمُ ، وَأَظْهَرُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ
دَمًا أَخْلَقَ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ بِمَوْتِ الْفَجَاءَةِ وَالذُّبْحَةِ وَالطَّاعُونَ (١)
وَالْأَكِلَةِ وَالْبِرْسَامِ ؟

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ قُوَّتُهَا ضَعْفًا وَإِنَّمَا تَجْمَعُ الْقُوَى فِيهَا مَا يَضُرُّهُ
وَيُوبِقُهُ ؟

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ عِزُّهَا ذُلًّا وَلَمْ يَزِرْ فِيهَا عِزُّ قَطٍ إِلَّا أَوْرَثَ أَهْلَهُ ذُلًّا
طَوِيلًا ، غَيْرَ أَنَّ أَيَّامَ الْعِزِّ قَصِيرَةٌ ، وَأَيَّامَ الذُّلِّ طَوِيلَةٌ ، فَأَحَقُّ النَّاسِ
بِذَمِّ الدُّنْيَا لَمَنْ بُسِطَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصَابَ حَاجَتَهُ مِنْهَا ، فَهُوَ يَتَوَقَّعُ كُلَّ
يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَسَاعَةٍ وَطَرْفَةِ عَيْنٍ أَنْ يُعْدَى عَلَى مَالِهِ فَيَحْتَاجَ ، وَعَلَى
حَمِيمِهِ فَيَخْتَطَفَ ، وَعَلَى جَمْعِهِ فَيُنْهَبَ ، وَأَنْ يُؤْتَى بُنْيَانُهُ مِنْ
الْقَوَاعِدِ فَيُهْدَمَ ، وَأَنْ يَدْبَّ الْمَوْتُ إِلَى حَشْدِهِ فَيَسْتَأْصِلَ ، وَيُفْجَعَ
بِكُلِّ مَا هُوَ بِهِ ضَنِينٌ ؟

فَأَذُمُّ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - الدُّنْيَا الْآخِذَةَ مَا تُعْطَى ، وَالْمُورَثَةَ

(١) الذبحة - بضم الذال وفتح الباء - والعامة تسكن الباء : ورم حار في العضلات من
جانِبِ الحلقوم التي بها يكون البلع ، وقال العلامة : وقد يطلق الذبحة على الاختناق ،
والشيخ لا يفرق بينهما ، وقيل : هي ورم اللوزتين .

بَعْدَ ذَلِكَ التَّبَعَةَ ، السَّلَابَةَ لِمَنْ تَكْسُو ، وَالْمُورِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَرَى ،
 الْمُوَاضِعَةَ لِمَنْ تَرْفَعُ ، وَالْمُورِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَزَعَ ، التَّارِكََةَ لِمَنْ
 يَعَشَّقُهَا ، وَالْمُورِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّقْوَةَ الْمُغْوِيَةَ لِمَنْ أَطَاعَهَا وَاعْتَرَّ
 بِهَا ، الْغَدَارَةَ بِمَنْ ائْتَمَنَهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا ، هِيَ الْمَرْكَبُ الْقَمُوصُ (١) ،
 وَالصَّاحِبُ الْخَثُونُ ، وَالطَّرِيقُ الزَّلَقُ ، وَالْمَهْبِطُ الْمُهْوِي ، هِيَ
 الْمَكْرُمَةُ الَّتِي لَا تُكْرِمُ أَحَدًا إِلَّا أَهَانَتْهُ ، الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي لَا تُحِبُّ
 أَحَدًا ، الْمَلْزُومَةُ الَّتِي لَا تَلْزِمُ أَحَدًا ، يُوفَى لَهَا وَتَعْدِرُ ، وَيُصَدَّقُ لَهَا
 وَتَكْذِبُ ، وَيُنْجَزُ لَهَا وَتُخْلِفُ ، هِيَ الْمُعْوَجَّةُ لِمَنْ اسْتَقَامَ بِهَا ،
 الْمُتْلَاعِبَةُ بِمَنْ اسْتَمَكَّنَتْ (٢) مِنْهُ ، بَيْنَا هِيَ تُطْعِمُهُ إِذْ حَوْلَتْهُ مَا كُولا ،
 وَبَيْنَا هِيَ تَحْدُمُهُ إِذْ جَعَلَتْهُ خَادِمًا ، وَبَيْنَا هِيَ تُضْحِكُهُ إِذْ ضَحِكَتْ
 مِنْهُ ، وَبَيْنَا هِيَ تَشْمَتُهُ إِذْ شَمِتَتْ مِنْهُ (٣) ، وَبَيْنَا هِيَ تَبْكِيهِ إِذْ بَكَتْ
 عَلَيْهِ ، وَبَيْنَا هِيَ قَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ بِالْعَطِيَّةِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْمَسْأَلَةِ ، وَبَيْنَا
 هُوَ فِيهَا عَزِيزٌ إِذْ أَذَلَّتْهُ ، وَبَيْنَا هُوَ فِيهَا مُكْرَمٌ إِذْ أَهَانَتْهُ ، وَبَيْنَا هُوَ فِيهَا
 مُعْظَمٌ إِذْ صَارَ مُحَقَّورًا ، وَبَيْنَا هُوَ رَفِيعٌ إِذْ وَضَعَتْهُ ، وَبَيْنَا هِيَ لَهُ

(١) القموص على وزان جموش وبمعناه .

(٢) في بعض النسخ : « استمكنت » .

(٣) في بعض النسخ : « وبيننا هي تشتمه إذا شتمت منه » ، ولعل الصواب : « بيننا هي تشتمه إذا شتمت منه » .

مُطِيعَةً إِذْ عَصَتْهُ ، وَبَيْنَا هُوَ فِيهَا مَسْرُورٌ إِذْ أَحْزَنْتَهُ ، وَبَيْنَا هُوَ فِيهَا شَبَعَانٌ إِذْ أَجَاعَتْهُ ، وَبَيْنَا هُوَ فِيهَا حَيٌّ إِذْ أَمَاتَتْهُ .

فَأَفَّ لَهَا مِنْ دَارٍ إِذْ كَانَ هَذَا فِعَالَهَا ، وَهَذِهِ صِفَتَهَا ، تَضَعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ غُدُوَّةً ، وَتُعَفِّرُ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ عَشِيَّةً ، وَتُحَلِّي الْأَيْدِيَ بِأَسْوَرَةِ الذَّهَبِ عَشِيَّةً ، وَتَجْعَلُهَا فِي الْأَغْلَالِ غُدُوَّةً ، وَتُقْعِدُ الرَّجُلَ عَلَى السَّرِيرِ غُدُوَّةً ، وَتَزِمِي بِهِ فِي السَّجْنِ عَشِيَّةً ، تَفْرُشُ لَهُ الدِّيْبَاجَ عَشِيَّةً ، وَتَفْرُشُ لَهُ التُّرَابَ غُدُوَّةً ، وَتَجْمَعُ لَهُ الْمَلَاهِي وَالْمَعَارِفَ غُدُوَّةً ، وَتَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّوَائِحَ وَالنَّوَادِبَ عَشِيَّةً ، تُحَبِّبُ إِلَى أَهْلِهِ قُرْبَهُ عَشِيَّةً ، وَتُحَبِّبُ إِلَيْهِمْ بُعْدَهُ غُدُوَّةً ، تُطِيبُ رِيحَهُ غُدُوَّةً ، وَتُتِنُّ رِيحَهُ عَشِيَّةً ، فَهُوَ مُتَوَقِّعٌ لِسَطَوَاتِهَا ، غَيْرُ نَاجٍ مِنْ فِتْنَتِهَا وَبَلَائِهَا ، تَمْتَعُ نَفْسُهُ مِنْ أَحَادِيثِهَا ، وَعَيْنُهُ مِنْ أَعَاجِبِهَا ، وَيَدُهُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ جَمْعِهَا ، ثُمَّ تُصْبِحُ الْكَفَّ صِفْرًا ، وَالْعَيْنُ هَامِدَةً ، ذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَهَوَى مَا هَوَى ، وَبَادَ مَا بَادَ ، وَهَلَكَ مَا هَلَكَ ، تَجِدُ فِي كُلِّ مِنْ كُلِّ خَلْفًا ، وَتَرْضَى بِكُلِّ مِنْ كُلِّ بَدَلًا ، تُسْكِنُ دَارَ كُلِّ قَرْنٍ قَرْنًا ، وَتُطْعِمُ سُورَ كُلِّ قَوْمٍ قَوْمًا ، تُقْعِدُ الْأَرَادِلَ مَكَانَ الْأَفَاضِلِ ، وَالْعَجَزَةَ مَكَانَ الْحَزْمَةِ ، تَنْقُلُ أَقْوَامًا مِنَ الْجَذْبِ إِلَى

الْخِصْبِ^(١) ، وَمِنْ الرَّجُلَةِ إِلَى الْمَرْكَبِ ، وَمِنْ الْبُؤْسِ إِلَى النُّعْمَةِ ،
وَمِنْ الشَّدَّةِ إِلَى الرَّخَاءِ ، وَمِنْ الشَّقَاءِ إِلَى الْخَفْضِ وَالِدَّعَةِ ، حَتَّى إِذَا
غَمَسْتَهُمْ فِي ذَلِكَ انْقَلَبَتْ بِهِمْ فَسَلَبْتَهُمُ الْخِصْبَ ، وَنَزَعْتَ مِنْهُمْ
الْقُوَّةَ ، فَعَادُوا إِلَى أَبَاسِ الْبُؤْسِ ، وَأَفْقَرِ الْفَقْرِ ، وَأَجْدَبِ الْجَدْبِ .

فَأَمَّا قَوْلُكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - : فِي إِضَاعَةِ الْأَهْلِ وَتَرْكِهِمْ ، فَإِنِّي لَمْ
أُضِيعْهُمْ وَلَمْ أَتْرُكْهُمْ ، بَلْ وَصَلْتُهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ
وَأَنَا أَنْظُرُ بَعَيْنٍ مَسْحُورَةٍ لَا أَعْرِفُ بِهَا الْأَهْلَ مِنَ الْغُرَبَاءِ ، وَلَا الْأَعْدَاءَ
مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنِّي السَّحَرُ اسْتَبَدَلْتُ بِالْعَيْنِ الْمَسْحُورَةِ
عَيْنًا صَاحِيحَةً ، وَاسْتَبَنْتُ الْأَعْدَاءَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْأَقْرَبَاءَ مِنَ
الْغُرَبَاءِ ، فَإِذَا الَّذِينَ كُنْتُ أَعِدُّهُمْ أَهْلِينَ ، وَأَصْدِقَاءَ إِخْوَانًا
وَحُلَطَاءَ ، إِنَّمَا هُمْ سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ^(٢) ، لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلَنِي وَتَأْكُلَ
بِي ، غَيْرَ أَنْ اخْتِلَافَ مَنَازِلِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْقُوَّةِ ، فَمِنْهُمْ
كَالْأَسَدِ فِي شِدَّةِ السُّورَةِ^(٣) ، وَمِنْهُمْ كَالذُّبِّ فِي الْغَارَةِ وَالنُّهْبَةِ ،
وَمِنْهُمْ كَالْكَلْبِ فِي الْهَرِيرِ وَالْبُضْبُصَةِ ، وَمِنْهُمْ كَالثَّغْلَبِ فِي الْحِيلَةِ

(١) الجذب: القحط ، مقابل الخصب .

(٢) الضاري من الكلاب: ما لهج بالصيد ونعوذ أكله .

(٣) السُّورَةُ - بالفتح - : الحِدَّةُ .

وَالسَّرِقَةَ ، فَالطَّرُقُ وَاحِدَةٌ ، وَالْقُلُوبُ مُخْتَلِفَةٌ .

فَلَوْ أَنَّكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - فِي عَظِيمٍ مَا أَنتَ فِيهِ مِنْ مُلْكِكَ ، وَكَثْرَةِ مَنْ تَبَعَكَ مِنْ أَهْلِكَ ، وَجُنُودِكَ وَحَاشِيَتِكَ ، وَأَهْلِ طَاعَتِكَ ، نَظَرْتَ فِي أَمْرِكَ عَرَفْتَ أَنَّكَ فَرِيدٌ وَحِيدٌ ، لَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ عَامَّةَ الْأُمَمِ عَدُوٌّ لَكَ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الَّتِي أُوتِيَتْ الْمُلْكُ عَلَيْهَا كَثِيرَةُ الْحَسَدِ ^(١) مِنْ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَالْغِشِّ لَكَ ، الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ عَدَاوَةً لَكَ مِنَ السَّبَاعِ الضَّارِيَةِ ، وَأَشَدُّ حَقًّا عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ الْغَرِيبَةِ ، وَإِذَا صِرْتَ إِلَى أَهْلِ طَاعَتِكَ وَمَعُونَتِكَ وَقَرَابَتِكَ وَجَدْتَ لَهُمْ قَوْمًا يَعْمَلُونَ عَمَلًا بِأَجْرِ مَعْلُومٍ ، يَخْرِصُونَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَنْقُصُوكَ مِنَ الْعَمَلِ فَيَزِدَادُوكَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَإِذَا صِرْتَ إِلَى أَهْلِ خَاصَّتِكَ وَقَرَابَتِكَ صِرْتَ إِلَى قَوْمٍ جَعَلْتَ كَذَكَ وَكَذَحَكَ ^(٢) وَمُهَنَّاكَ وَكَسَبَكَ لَهُمْ ، فَأَنْتَ تُؤَدِّي إِلَيْهِمْ كُلَّ يَوْمٍ الضَّرِيبَةَ وَلَيْسَ كُلُّهُمْ - وَإِنْ وَزَعْتَ بَيْنَهُمْ جَمِيعَ كَذَكَ - عَنْكَ بِرَاضٍ ، فَإِنْ أَنْتَ حَبَسْتَ عَنْهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ الْبَتَّةَ رَاضٍ ، أَفَلَا تَرَى أَنَّكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - وَحِيدٌ لَا أَهْلٌ لَكَ وَلَا مَالٌ ؟

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ: « الْحِشْد » وَهُوَ الْجَمَاعَةُ .

(٢) الْكَذُّ: السَّعْيُ وَالْجَدُّ ، وَالْكَذْحُ فِي الْعَمَلِ: الْمَجَاهِدَةُ فِيهِ .

فَأَمَّا أَنَا فَإِنَّ لِي أَهْلًا وَمَالًا وَإِخْوَانًا وَأَخَوَاتٍ وَأَوْلِيَاءَ لَا يَأْكُلُونِي
وَلَا يَأْكُلُونَ بِي ، يُحِبُّونِي وَأُحِبُّهُمْ فَلَا يُفْقِدُ الْحُبُّ بَيْنَنَا ، يَنْصَحُونِي
وَأَنْصَحُهُمْ فَلَا غِشَّ بَيْنَنَا ، وَيَصْدُقُونِي وَأَصْدُقُهُمْ فَلَا تَكَاذُبَ بَيْنَنَا ،
وَيُؤَالُونِي وَأُوَالِيهِمْ فَلَا عَدَاوَةَ بَيْنَنَا ، يَنْصُرُونِي وَأَنْصُرُهُمْ فَلَا تَخَاذُلَ
بَيْنَنَا ، يَطْلُبُونَ الْخَيْرَ الَّذِي إِنْ طَلَبْتُهُ مَعَهُمْ لَمْ يَخَافُوا أَنْ أَغْلِبَهُمْ
عَلَيْهِ ، أَوْ أَسْتَأْثِرَ بِهِ دُونَهُمْ ، فَلَا فَسَادَ بَيْنَنَا ، وَلَا تَحَاسُدَ ، يَعْمَلُونَ
لِي وَأَعْمَلُ لَهُمْ بِأَجُورٍ لَا تَنْقُذُ ، وَلَا يَزَالُ الْعَمَلُ قَائِمًا بَيْنَنَا ، هُمْ
هُدَاتِي إِنْ ظَلَلْتُ ، وَنُورُ بَصْرِي إِنْ عَمِيتُ ، وَحِصْنِي إِنْ أُتِيتُ ،
وَمَجْنِي إِنْ رُمِيتُ ^(١) ، وَأَعْوَانِي إِذَا فَزِعْتُ ، وَقَدْ تَنَزَّهْنَا عَنِ الْبُيُوتِ
وَالْمَخَانِي ^(٢) فَلَا نُرِيدُهَا ، وَتَرَكَنَا الذَّخَائِرَ وَالْمَكَاسِبَ لِأَهْلِ
الدُّنْيَا ، فَلَا تَكَاثُرَ بَيْنَنَا ، وَلَا تَبَاغِي ، وَلَا تَبَاغُضَ ، وَلَا تَفَاسِدَ ،
وَلَا تَحَاسُدَ ، وَلَا تَقَاطُعَ ، فَهَؤُلَاءِ أَهْلِي - أَيُّهَا الْمَلِكُ - وَإِخْوَانِي
وَأَقْرَبَائِي وَأَحِبَّائِي ، أَحَبَّبْتُهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَتَرَكَتُ الَّذِينَ
كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِالْعَيْنِ الْمَسْحُورَةِ لَمَّا عَرَفْتُهُمْ ، وَالتَّمَسْتُ السَّلَامَةَ
مِنْهُمْ .

(١) المجن: الترس ، وكل ما وقى من السلاح .

(٢) لعلّه جمع خان ، وهو الحانوت والفندق ، وفي بعض النسخ : « المخابي » .

فَهَذِهِ الدُّنْيَا - أَيُّهَا الْمَلِكُ - الَّتِي أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا لَا شَيْءَ ، فَهَذَا نَسَبُهَا وَحَسَبُهَا ، وَمَصِيرُهَا إِلَى مَا قَدْ سَمِعْتَ ، وَقَدْ رَفَضْتُهَا لِمَا عَرَفْتُهَا ، وَأَبْصَرْتُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ ، فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَنْ أَصِفَ لَكَ مَا أَعْرِفُ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الشَّيْءُ فَاسْتَعِدِّ إِلَى السَّمَاعِ ، تَسْمَعُ غَيْرَ مَا كُنْتَ تَسْمَعُ بِهِ الْأَشْيَاءَ .

فَلَمْ يَزِدِ الْمَلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُ : كَذَبْتَ لَمْ تُصِبْ شَيْئاً ، وَلَمْ تَظْفَرْ إِلَّا بِالشَّقَاءِ وَالْعَنَاءِ ، فَاخْرُجْ وَلَا تُقِيمَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَمْلَكَتِي ، فَإِنَّكَ فَاسِدٌ مُفْسِدٌ .

وَوُلِدَ لِلْمَلِكِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بَعْدَ إِيَّاسِهِ مِنَ الذُّكُورِ غُلَامٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مَوْلُوداً مِثْلَهُ قَطُّ حُسْناً وَجَمَالاً وَضِيَاءً ، فَبَلَغَ السُّرُورُ مِنَ الْمَلِكِ مَبْلَغاً عَظِيماً كَادَ أَنْ يُشْرِفَ مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ نَفْسِهِ مِنَ الْفَرَحِ ، وَزَعَمَ أَنَّ الْأَوْثَانَ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا هِيَ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ الْغُلَامَ ، فَقَسَمَ عَامَّةً مَا كَانَ فِي بُيُوتِ أَمْوَالِهِ عَلَى بُيُوتِ أَوْثَانِهِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ سَنَةً ، وَسَمَّى الْغُلَامَ يُوذَاسُفَ (١) ، وَجَمَعَ الْعُلَمَاءَ

(١) كذا بالياء في جميع النسخ ، والمظنون أنه تصحيف ، والصواب : يوداسف ، والكلمة مركبة من « يودا » و « سف » ، وقيل : يودا هو الاسم الديني لمؤسس الديانة البوذية ، ومعناه باللغة السنسكريتية : العالم الذي وصل الحصول على البوذة ، وهو

وَالْمُنَجِّمِينَ لِتَقْوِيمِ مِيلَادِهِ ، فَرَفَعَ الْمُنَجِّمُونَ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ
 الْغُلَامَ يَبْلُغُ مِنَ الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ مَا لَا يَبْلُغُهُ أَحَدٌ قَطُّ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ ،
 وَاتَّقُوا عَلَى ذَلِكَ جَمِيعاً ، غَيْرَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : مَا أَظُنُّ الشَّرَفَ
 وَالْمَنْزِلَةَ وَالْفَضْلَ الَّذِي وَجَدْنَاهُ يَبْلُغُهُ هَذَا الْغُلَامُ ، إِلَّا شَرَفَ
 الْآخِرَةِ ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِمَامًا فِي الدِّينِ وَالنُّسكِ ، وَذَا
 فَضِيلَةٍ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ ؛ لِأَنِّي أَرَى الشَّرَفَ الَّذِي تَبْلُغُهُ لَيْسَ يُشْبِهُ
 شَيْئًا مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِشَرَفِ الْآخِرَةِ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ الْقَوْلُ
 مِنَ الْمَلِكِ مَوْقِعًا كَادَ أَنْ يُنْغَصَّهُ سُرُورُهُ بِالْغُلَامِ ، وَكَانَ الْمُنَجِّمُ الَّذِي
 أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ الْمُنَجِّمِينَ فِي نَفْسِهِ ، وَأَعْلَمِهِمْ وَأَصْدَقِهِمْ
 عِنْدَهُ ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ لِلْغُلَامِ بِمَدِينَةٍ فَأَحْلَاهَا ، وَتَخَيَّرَ لَهُ مِنَ
 الظُّمُورَةِ ^(١) وَالْخَدَمِ كُلِّ ثِقَةٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يُذَكَّرَ فِيمَا بَيْنَهُمْ
 مَوْتُ وَلَا آخِرَةٌ ، وَلَا حُزْنٌ وَلَا مَرَضٌ وَلَا فَنَاءٌ ، حَتَّى تَعْتَادَ ذَلِكَ
 أَلْسِنَتُهُمْ ، وَتَنْسَاهُ قُلُوبُهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ أَنْ لَا يَنْطِقُوا عِنْدَهُ
 بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا يَتَخَوَّفُونَهُ عَلَيْهِ خَشْيَةً أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ،

العلم الكامل ، لكن لم أجد في موضع يدخله أداة التعريف ، وعلى ما قيل ليس باسم
 على ، بل هو صفة ، وبناء عليه يجوز أن يدخله (أَل) ويقال : « البوذا » ، والعلم عند
 الله ، قال الغفاري رحمه الله .
 (١) جمع الظئر : المرضعة .

فَيَكُونُ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى اهْتِمَامِهِ بِالذِّينِ وَالنُّسْكِ ، وَأَنْ يَتَحَفَّظُوا
وَيَتَحَرَّزُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَيَتَفَقَّدَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

وَإِذَا دَا دَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ حَقًّا عَلَى النَّسَاكِ مَخَافَةً عَلَى ابْنِهِ .

وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ وَزِيرٌ قَدْ كَفَلَ أَمْرَهُ ، وَحَمَلَ عَنْهُ مَثُونَةَ
سُلْطَانِهِ ، وَكَانَ لَا يَخُونُهُ ، وَلَا يَكْذِبُهُ ، وَلَا يَكْتُمُهُ ، وَلَا يُؤْثِرُ
عَلَيْهِ ، وَلَا يَتَوَانَى فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ وَلَا يُضِيعُهُ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ مَعَ
ذَلِكَ رَجُلًا لَطِيفًا طَلِقًا ، مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ ، يُحِبُّهُ النَّاسُ وَيَرْضَوْنَ بِهِ ،
إِلَّا أَنْ أَحْبَبَاءَ الْمَلِكِ وَأَقْرِبَاءَهُ كَانُوا يَحْسُدُونَهُ ، وَيَبْغُونَ عَلَيْهِ ،
وَيَسْتَقِيلُونَ بِمَكَانِهِ (١) .

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ ذَلِكَ الْوَزِيرُ ،
فَأَتَى بِهِ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَتْهُ زَمَانَةٌ شَدِيدَةٌ فِي
رِجْلَيْهِ ، مُلْقَى فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بَرَا حاً (٢) ، فَسَأَلَ الْوَزِيرُ
عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ السَّبَاعَ أَصَابَتْهُ ، فَرَّقَ لَهُ الْوَزِيرُ ، فَقَالَ لَهُ
الرَّجُلُ : ضَمِّنِي إِلَيْكَ ، وَاحْمِلْنِي إِلَى مَنْزِلِكَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ عِنْدِي

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « يَسْتَقِيلُونَ بِمَكَانِهِ » .

(٢) أَيْ لَا يَسْتَطِيعُ تَحَوُّلاً .

مَنْفَعَةً ، فَقَالَ الْوَزِيرُ : إِنِّي لَفَاعِلٌ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ عِنْدَكَ مَنَفَعَةً ، وَلَكِنْ - يَا هَذَا - مَا الْمَنْفَعَةُ الَّتِي تَعِدُنِيهَا ، هَلْ تَعْمَلُ عَمَلًا ، أَوْ تُحْسِنُ شَيْئًا ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ ، أَنَا أَزِيقُ الْكَلَامَ ^(١) ، فَقَالَ : وَكَيْفَ تَزِيقُ الْكَلَامَ ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ فِيهِ فَتَقٌ أَرْتِقُهُ حَتَّى لَا يَجِيءَ مِنْ قِبَلِهِ فَسَادٌ ، فَلَمْ يَرَ الْوَزِيرُ قَوْلَهُ شَيْئًا ، وَأَمَرَ بِحَمْلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَا يُصْلِحُهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ اخْتَالَ أَحِبَّاءُ الْمَلِكِ لِلْوَزِيرِ وَضَرَبُوا لَهُ الْأُمُورَ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ دَسُّوا رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ هَذَا الْوَزِيرَ يَطْمَعُ فِي مُلْكِكَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِكَ ، فَهُوَ يُصَانِعُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَعْمَلُ عَلَيْهِ دَائِبًا ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ صِدْقَ ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَكَ أَنْ تَرْفُضَ الْمُلْكَ ، وَتَلْحَقَ بِالنِّسَاكِ ، فَإِنَّكَ سَتَرَى مِنْ فَرْحِهِ بِذَلِكَ مَا تَعْرِفُ بِهِ أَمْرَهُ ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ عَرَفُوا مِنَ الْوَزِيرِ رِقَّةً عِنْدَ ذِكْرِ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتِ ، وَلِينًا لِلنِّسَاكِ ، وَحُبًّا لَهُمْ ، فَعَمِلُوا فِيهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ .

فَقَالَ الْمَلِكُ : لَيْتَ أَنَا هَجَمْتُ مِنْهُ عَلَى هَذَا لَمْ أَسْأَلْ عَمَّا سِوَاهُ ،

(١) رتق الفتق : أصلحه ، يقال : هوراتق أي مصلح الأمر .

فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حِرْصِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَطَلَبِ الْمُلْكِ ، وَإِنِّي قَدْ ذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ أَجِدْ مَعِيَ مِنْهُ طَائِلًا ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الَّذِي بَقِيَ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَنْقُضِي ذَلِكَ كُلَّهُ بِأَجْمَعِهِ ، فَلَا يَصِيرُ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْمَلَ فِي حَالِ الْآخِرَةِ عَمَلًا قَوِيًّا عَلَى قَدْرِ مَا كَانَ مِنْ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا ، وَقَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَلْحَقَ بِالنُّسَاكِ وَأُخْلِيَ هَذَا الْعَمَلَ لِأَهْلِهِ ، فَمَا رَأَيْتُكَ ؟

قَالَ : فَارْقَ الْوَزِيرُ لِذَلِكَ رِقَّةً شَدِيدَةً حَتَّى عَرَفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ الْبَاقِيَّ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا لِأَهْلٍ أَنْ يُطْلَبَ ، وَإِنَّ الْفَنَاءِيَّ وَإِنْ اسْتَمَكَّنَتْ مِنْهُ لِأَهْلٍ أَنْ يُرْفَضَ ، وَنِعْمَ الرَّأْيُ رَأَيْتَ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ لَكَ مَعَ الدُّنْيَا شَرْفَ الْآخِرَةِ .

قَالَ : فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ ، وَوَقَعَ مِنْهُ كُلُّ مَوْعٍ ، وَلَمْ يُبَدِلْهُ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ الْوَزِيرَ عَرَفَ الثُّقَلَ فِي وَجْهِهِ ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ كَثِيبًا حَزِينًا لَا يَذَرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى ، وَلَا مَنْ دَهَاهُ (١) ، وَلَا يَذَرِي مَا

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « مَا دَهَاهُ » .

دَوَاءَ الْمَلِكِ فِيمَا اسْتَنْكَرَ عَلَيْهِ ، فَسَهَرَ لِذَلِكَ عَامَّةَ اللَّيْلِ .

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ يَزِيقُ الْكَلَامَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَأَتَيْتُ بِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ لِي ذِكْرًا مِنْ رَتَقِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَجَلْ ، فَهَلِ اخْتَجْتَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ الْوَزِيرُ : نَعَمْ ، أَخْبِرْكَ أَنِّي صَحَبْتُ هَذَا الْمَلِكَ قَبْلَ مُلْكِهِ ، وَمُنْذُ صَارَ مَلِكًا فَلَمْ أَسْتَنْكَرْهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَطُّ لِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ نَصِيحَتِي وَشَفَقَتِي وَإِثَارِي إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِي ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ هَذَا الْيَوْمُ اسْتَنْكَرْتُهُ اسْتِنكَارًا شَدِيدًا لَا أَطْنُ لِي خَيْرًا عِنْدَهُ بَعْدَهُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّاتِقُ : هَلْ لِذَلِكَ سَبَبٌ أَوْ عِلَّةٌ ؟ قَالَ الْوَزِيرُ : نَعَمْ ، دَعَانِي أَمْسَ وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا ، فَقُلْتُ لَهُ : كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ : مِنْ هَاهُنَا جَاءَ الْفُتُو ، وَأَنَا أَرْتِقُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

اعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ ظَنَّ أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ يَتَخَلَّى هُوَ عَنْ مُلْكِهِ وَتَخْلُقَهُ أَنْتَ فِيهِ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ فَاطْرُحْ عَنْكَ ثِيَابَكَ وَحُلِيَّتَكَ ، وَالْبَسْ أَوْضَعَ مَا تَجِدُهُ مِنْ ذِي النَّسَاكِ وَأَشْهَرَهُ ، ثُمَّ اخْلُقْ رَأْسَكَ ، وَامْضِ عَلَى وَجْهِكَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ سَيَدْعُو بِكَ وَيَسْأَلُكَ عَنِ الَّذِي صَنَعْتَ ، فَقُلْ لَهُ : هَذَا الَّذِي دَعَوْتَنِي

إِلَيْهِ ، وَلَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يُشِيرَ عَلَيَّ صَاحِبِهِ بِشَيْءٍ إِلَّا وَاسَاهُ فِيهِ ،
وَصَبَرَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَظُنُّ الَّذِي دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ، فَقُمْ
إِذَا بَدَأَكَ ، فَفَعَلَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ ، فَتَحَلَّى عَنْ نَفْسِ الْمَلِكِ مَا كَانَ فِيهَا
عَلَيْهِ .

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِنَفْيِ النِّسَاكِ مِنْ جَمِيعِ بِلَادِهِ ، وَتَوَعَّدَهُمْ
بِالْقَتْلِ ، فَجَدُّوا فِي الْهَرَبِ وَالِاسْتِخْفَاءِ ، ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ خَرَجَ ذَاتَ
يَوْمٍ مُتَصَيِّدًا فَوَقَعَ بَصْرُهُ عَلَى شَخْصَيْنِ مِنْ بَعِيدٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا
فَأَتَيَا بِهِمَا ، فَإِذَا هُمَا نَاسِكَانِ ، فَقَالَ لَهُمَا : مَا بِالْكُفَّاءِ لَنْ تَخْرُجَا مِنْ
بِلَادِي ؟ قَالَا : قَدْ أَتَيْنَا رُسُلَكَ وَنَحْنُ عَلَى سَبِيلِ الْخُرُوجِ ، قَالَ : وَلِمَ
خَرَجْتُمَا رَاجِلَيْنِ ؟ قَالَا : لِأَنَّا قَوْمٌ ضَعَفَاءُ لَيْسَ لَنَا دَوَابٌّ وَلَا زَادٌ ،
وَلَا نَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ إِلَّا بِالتَّقْصِيرِ (١) .

قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ مَنْ خَافَ الْمَوْتَ أَسْرَعَ بِغَيْرِ دَابَّةٍ وَلَا زَادٍ ، فَقَالَا
لَهُ : إِنَّا لَا نَخَافُ الْمَوْتَ ، بَلْ لَا نَنْظُرُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا
فِيهِ .

قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ لَا تَخَافَانِ الْمَوْتَ وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنَّ رُسُلَنَا لَمَّا

أَتَتْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى سَبِيلِ الْخُرُوجِ ، أَفَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ ؟ قَالَا : إِنَّ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ لَيْسَ مِنَ الْفَرْقِ (١) ، فَلَا تَظُنُّ أَنَّا فَرَقْنَاكَ وَلَكِنَّا هَرَبْنَا مِنْ أَنْ نُعِينَكَ عَلَى أَنْفُسِنَا ، فَأَسِفَ الْمَلِكُ ، وَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُحْرَقَا بِالنَّارِ ، وَأُذِنَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِأَخْذِ النُّسَاكِ وَتَحْرِيقِهِمْ بِالنَّارِ ، فَتَجَرَّدَ رُؤَسَاءُ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ فِي طَلِبِهِمْ ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ ، فَمِنْ ثَمَّ صَارَ التَّحْرِيقُ سُنَّةً بَاقِيَةً فِي أَرْضِ الْهِنْدِ ، وَبَقِيَ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْأَرْضِ قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ النُّسَاكِ كَرِهُوا الْخُرُوجَ مِنَ الْبِلَادِ ، وَاخْتَارُوا الْغَيْبَةَ وَالِاسْتِخْفَاءَ لِيَكُونُوا دُعَاةً وَهْدَاةً لِمَنْ وَصَلُوا إِلَى كَلَامِهِمْ .

فَنَبَتَ ابْنُ الْمَلِكِ أَحْسَنَ نَبَاتٍ فِي جِسْمِهِ وَعَقْلِهِ وَعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُوْخِذْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ إِلَّا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ مَوْتٍ وَلَا زَوَالٍ وَلَا فَنَاءٍ ، وَأُوتِيَ الْغُلَامُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ شَيْئًا كَانَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَكَانَ أَبُوهُ لَا يَذَرِي أَيْفَرَحُ بِمَا أُوتِيَ ابْنُهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَحْزَنُ لَهُ لِمَا يَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى مَا قِيلَ فِيهِ .

فَلَمَّا فَطَنَ الْغُلَامُ بِحَضْرِهِمْ إِيَّاهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَمَنْعِهِمْ إِيَّاهُ مِنَ
الْخُرُوجِ ، وَالنَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ ، وَتَحَفُّظِهِمْ عَلَيْهِ ، اِزْتَابَ لِذَلِكَ
وَسَكَتَ عَنْهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَؤُلَاءِ أَعْلَمُ بِمَا يُضِلُّحْنِي مِنِّي ، حَتَّى
إِذَا اِزْدَادَ بِالسِّنِّ وَالتَّجَرُّبَةِ عِلْمًا قَالَ : مَا أَرَى لَهُؤُلَاءِ عَلَيَّ فَضْلًا ، وَمَا
أَنَا بِحَقِيقٍ أَنْ أَقْلُدَهُمْ أَمْرِي ، فَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ أَبَاهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلَهُ
عَنْ سَبَبِ حَضْرِهِ إِيَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا مِنْ قَبْلِهِ ، وَمَا كَانَ
لِيُطْلِعَنِي عَلَيْهِ ، وَلَكِنِّي حَقِيقٌ أَنْ أَلْتَمِسَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَرْجُو
إِذْرَاكَ ، وَكَانَ فِي خَدْمِهِ رَجُلٌ كَانَ الْطَفْهَمُ بِهِ ، وَأَرْأَفَهُمْ بِهِ ، وَكَانَ
الْغُلَامُ إِلَيْهِ مُسْتَأْنَسًا ، فَطَمَعَ الْغُلَامُ فِي إِصَابَةِ الْخَبَرِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ
الرَّجُلِ ، فَازْدَادَ لَهُ مُلَاطَفَةً ، وَبِهِ اسْتِيْنَسًا .

ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ وَاضَعَهُ الْكَلَامَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ بِاللَّيْنِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ
بِمَنْزِلَةِ وَالِدِهِ ، وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ ،
وَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَأَظُنُّ هَذَا الْمُلْكَ صَائِرًا لِي بَعْدَ الْإِدْيِ ، وَأَنْتَ فِيهِ
صَائِرٌ أَحَدَ رَجُلَيْنِ ، إِمَّا أَعْظَمَ النَّاسِ مِنْهُ مَنْزِلَةً ، وَإِمَّا أَسْوَأَ النَّاسِ
حَالًا .

قَالَ لَهُ الْحَاضِنُ ^(١) : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَخَوَّفُ فِي مُلْكِكَ سُوءَ

(١) الحاضن فاعل من حضنه ، أي جعله في حضنه ، والحضن ما دون الإبط لي

الْحَالِ ؟ قَالَ : بِأَنْ تَكْتُمَنِي الْيَوْمَ أَمْراً أَفْهَمُهُ غَداً مِنْ غَيْرِكَ ، فَأَنْتَقِمَ مِنْكَ بِأَشَدِّ مَا أَقْدِرُ عَلَيْكَ ، فَعَرَفَ الْحَاضِنُ مِنْهُ الصَّدَقَ ، وَطَمَعَ مِنْهُ فِي الْوَفَاءِ ، فَأَفْشَى إِلَيْهِ خَبْرَهُ وَالَّذِي قَالَ الْمُنْجِمُونَ لِأَبِيهِ ، وَالَّذِي حَدَّرَ أَبُوهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَشَكَرَ لَهُ الْغَلَامُ ذَلِكَ ، وَأَطْبَقَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُوهُ قَالَ : يَا أَبَتِ ! إِنْ كُنْتُ صَبِيّاً فَقَدْ رَأَيْتُ فِي نَفْسِي ، وَاخْتِلَافِ حَالِي ، أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَذْكَرُ ، وَأَعْرِفُ بِمَا لَا أَذْكَرُ مِنْهُ مَا أَعْرِفُ ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَلَا أَنْتَ كَائِنٌ عَلَيْهَا إِلَى الْأَبَدِ ، وَسَيُغَيِّرُكَ الدَّهْرُ عَنْ حَالِكَ هَذِهِ ، فَلَيْتَ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ تُخْفِيَ عَنِّي أَمْرَ الزَّوَالِ فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ ، وَلَيْتَ كُنْتُ حَبَسْتَنِي عَنِ الْخُرُوجِ ، وَحُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ لِكَيْ لَا تَتَوَقَّ نَفْسِي إِلَى غَيْرِ مَا أَنَا فِيهِ لَقَدْ تَرَكْتَنِي بِحَضْرِكَ إِيَّايَ ، وَإِنَّ نَفْسِي لَقَلَقَةٌ مِمَّا تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى مَا لِي هَمٌّ غَيْرُهُ ، وَلَا أَرَدْتُ سِوَاهُ حَتَّى لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبِي إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أَنَا فِيهِ ، وَلَا أَتَنَفَّعُ بِهِ ، وَلَا آلِفُهُ ، فَحَلَّ عَنِّي وَأَعْلِمَنِي بِمَا تَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ وَتَحْذَرُهُ حَتَّى أَجْتَنِبَهُ ، وَأَوْثِرَ مُوَافَقَتَكَ وَرِضَاكَ عَلَى مَا سِوَاهُمَا .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ مِنْ ابْنِهِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا الَّذِي
يَكْرَهُهُ ، وَأَنَّهُ مِنْ حَبْسِهِ وَحَضْرِهِ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِغْرَاءً وَحِرْصاً عَلَى مَا
يُحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ! مَا أَرَدْتُ بِحَضْرِي إِيَّاكَ إِلَّا أَنْ أُنْحِيَ
عَنْكَ الْأَذَى ، فَلَا تَرَى إِلَّا مَا يُوَافِقُكَ ، وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا مَا يَسُرُّكَ ، فَأَمَّا
إِذَا كَانَ هَوَاكَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ آثَرَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي مَا رَضِيتَ
وَهَوَيْتَ .

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ أَصْحَابَهُ أَنْ يُزَكِّبُوهُ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ ، وَأَنْ يُنْحُوا
عَنْ طَرِيقِهِ كُلَّ مَنْظَرٍ قَبِيحٍ ، وَأَنْ يُعِدُّوا لَهُ الْمَعَارِيفَ وَالْمَلَاهِي ،
فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَجَعَلَ بَعْدَ رَكْبَتِهِ تِلْكَ يُكْثِرُ الرُّكُوبَ ، فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ
عَلَى طَرِيقٍ قَدْ غَفَلُوا عَنْهُ ، فَأَتَى عَلَى رَجُلَيْنِ مِنَ السُّؤَالِ (١) ،
أَحَدُهُمَا قَدْ تَوَرَّمَ ، وَذَهَبَ لَحْمُهُ ، وَاصْفَرَ جِلْدُهُ ، وَذَهَبَ مَاءُ
وَجْهِهِ ، وَسَمُحَ مَنْظَرُهُ ، وَالْآخَرُ أَعْمَى يَقُودُهُ قَائِدٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
اقْشَعَرَ مِنْهُمَا وَسَأَلَ عَنْهُمَا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا الْمُرَّامَ مِنْ سُقْمٍ
بَاطِنٍ ، وَهَذَا الْأَعْمَى مِنْ زَمَانَةٍ ، فَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : وَإِنَّ هَذَا الْبَلَاءَ
لَيُصِيبُ غَيْرَ وَاحِدٍ ، قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : هَلْ يَأْمَنُ أَحَدٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ

(١) في بعض النسخ : « فأتى عليه رجلان من السؤل » .

يُصِيبُهُ مِثْلُ هَذَا ؟ قَالُوا : لَا ، وَانْصَرَفَ يَوْمَئِذٍ مَهْمُومًا ثَقِيلًا مَحْزُونًا
بَاكِيًا مُسْتَحْفِقًا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ مُلْكِهِ وَمُلْكِ أَبِيهِ فَلَبِثَ بِذَلِكَ أَيَّامًا .

ثُمَّ رَكِبَ رَكْبَةً فَاتَى فِي مَسِيرِهِ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ قَدْ انْحَنَى مِنَ
الْكِبَرِ ، وَتَبَدَّلَ خَلْقُهُ ، وَابْيَضَّ شَعْرُهُ ، وَاسْوَدَّ لَوْنُهُ ، وَتَقَلَّصَ
جِلْدُهُ (١) ، وَقَصُرَ خَطْوُهُ ، فَعَجِبَ مِنْهُ وَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا
الْهَرَمُ ، فَقَالَ : وَفِي كَمْ تَبْلُغُ الرَّجُلُ مَا أَرَى ؟ قَالُوا : فِي مِائَةِ سَنَةٍ ، أَوْ
نَحْوِ ذَلِكَ ، وَقَالَ : فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : الْمَوْتُ ، قَالَ : فَمَا يُحَلِّي
بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ مِنَ الْمُدَّةِ ؟ قَالُوا : لَا ، وَلَيَصِيرَنَّ إِلَى هَذَا
فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ : الشَّهْرُ ثَلَاثُونَ يَوْمًا ، وَالسَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا ، وَانْقِضَاءُ الْعُمُرِ مِائَةُ سَنَةٍ ، فَمَا أَسْرَعَ الْيَوْمَ فِي الشَّهْرِ ، وَمَا
أَسْرَعَ الشَّهْرُ فِي السَّنَةِ ، وَمَا أَسْرَعَ السَّنَةُ فِي الْعُمُرِ ، فَاِنْصَرَفَ
الْغُلَامُ ، وَهَذَا كَلَامُهُ يَبْدُوهُ وَيُعِيدُهُ مُكْرَّرًا لَهُ .

ثُمَّ سَهَرَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا ، وَكَانَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ ذَكِيٌّ ، وَعَقْلٌ لَا يَسْتَطِيعُ
مَعَهُ نِسْيَانًا وَلَا غَفْلَةً ، فَعَلَاهُ الْحُزْنُ وَالْاهْتِمَامُ ، فَاِنْصَرَفَ نَفْسُهُ عَنِ
الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ يُدَارِي أَبَاهُ ، وَيَتَلَطَّفُ عِنْدَهُ ،

(١) تقلص ، أي انضمّ وانزوى .

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ أَصْغَى بِسَمْعِهِ إِلَى كُلِّ مُتَكَلِّمٍ بِكَلِمَةٍ طَمَعَ أَنْ يَسْمَعَ شَيْئاً يَدُلُّهُ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ ، وَخَلَا بِحَاضِنِهِ الَّذِي كَانَ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسِرِّهِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا شَأْنُهُ غَيْرُ شَأْنِنَا هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ النَّسَاكُ ، رَفَضُوا الدُّنْيَا وَطَلَبُوا الْآخِرَةَ ، وَلَهُمْ كَلَامٌ وَعِلْمٌ لَا يُدْرَى مَا هُوَ ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ عَادُوهُمْ وَأَبْغَضُوهُمْ وَحَرَقُوهُمْ ، وَنَفَاهُمُ الْمَلِكُ عَنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَلَا يَعْلَمُ الْيَوْمَ بِلَادِنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ غَيَّبُوا أَشْخَاصَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَرَجَ ، وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ قَدِيمَةٌ يَتَعَاطُونَهَا فِي دَوْلِ الْبَاطِلِ .

فَاغْتَصَّ لِذَلِكَ الْخَبَرَ فُؤَادَهُ ، وَطَالَ بِهِ اهْتِمَامُهُ ، وَصَارَ كَالرَّجُلِ الْمُتَلَمِّسِ ضَالَّتُهُ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا ، وَذَاعَ خَبَرُهُ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ ، وَشَهِرَ بِتَفَكُّرِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ وَفَهْمِهِ وَعَقْلِهِ وَزَهَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَهَوَانِهَا عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنَ النَّسَاكِ يُقَالُ لَهُ : بِلُوهُرُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : سَرَنْدِيبُ ، كَانَ رَجُلًا نَاسِكًا حَكِيمًا ، فَارْتَكَبَ الْبَحْرَ حَتَّى أَتَى أَرْضَ سُولَابِطَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَابِ ابْنِ الْمَلِكِ فَلَرِمَهُ ، وَطَرَحَ عَنْهُ زِيَّ النَّسَاكِ وَلَبَسَ زِيَّ التُّجَّارِ ، وَتَرَدَّدَ إِلَى بَابِ ابْنِ الْمَلِكِ حَتَّى عَرَفَ الْأَهْلَ وَالْأَحْبَاءَ وَالِدَّاحِلِينَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَبَانَ

لَهُ لُطْفُ الْحَاضِنِ بِابْنِ الْمَلِكِ ، وَحُسْنُ مَنَزَلَتِهِ مِنْهُ ، أَطَافَ بِهِ بِلَوْهَرُ حَتَّى أَصَابَ مِنْهُ خَلْوَةً ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي رَجُلٌ مِنْ تَجَارِ سَرَنْدِيبَ ، قَدِمْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ وَمَعِيَ سِلْعَةٌ عَظِيمَةٌ نَفِيسَةُ الثَّمَنِ ، عَظِيمَةُ الْقَدْرِ ، فَأَرَدْتُ الثَّقَةَ لِنَفْسِي ، فَعَلَيْكَ وَقَعَ اخْتِيَارِي ، وَسِلْعَتِي خَيْرٌ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ ، وَهِيَ تُبْصِرُ الْعُمَيَّانَ ، وَتُسْمِعُ الصُّمَّ ، وَتُدَاوِي الْأَسْقَامَ ، وَتُقَوِّي مِنَ الضَّعْفِ ، وَتَعْصِمُ مِنَ الْجُنُونِ ، وَتَنْصُرُ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَلَمْ أَرِ بِهَذَا أَحَدًا هُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنْ هَذَا الْفَتَى ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ ذَلِكَ ذِكْرَتَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أَذْخَلْتَنِي عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفَ عَنْهُ فَضْلُ سِلْعَتِي لَوْ قَدْ نَظَرَ إِلَيْهَا .

قَالَ الْحَاضِنُ لِلْحَكِيمِ : إِنَّكَ لَتَقُولُ شَيْئًا مَا سَمِعْنَا بِهِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَكَ ، وَلَا أَرَى بِكَ بَأْسًا ، وَمَا مِثْلِي يَذْكُرُ مَا لَا يَذَرِي مَا هُوَ ، فَأَعْرِضْ عَلَيَّ سِلْعَتَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهَا ، فَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَذْكُرَهُ ذِكْرَتَهُ .

قَالَ لَهُ بِلَوْهَرُ : إِنِّي رَجُلٌ طَيِّبٌ ، وَإِنِّي لَأَرَى فِي بَصَرِكَ ضَعْفًا ، فَأَخَافُ أَنْ نَظَرْتَ إِلَى سِلْعَتِي أَنْ يَلْتَمِعَ بَصَرُكَ ، وَلَكِنْ ابْنُ الْمَلِكِ صَحِيحُ الْبَصَرِ ، حَدَّثَ السَّنَّ ، وَلَسْتُ أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ

إِلَى سِلْعَتِي ، فَإِنْ رَأَى مَا يُعْجِبُهُ كَانَتْ لَهُ مَبْدُولَةٌ عَلَى مَا يُحِبُّ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ مَثُونَةٌ وَلَا مَتَقَصَّةٌ ، وَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَسْعُكَ أَنْ تُحَرِّمَهُ إِيَّاهُ ، أَوْ تَطْوِيَهُ دُونَهُ ، فَاَنْطَلَقَ الْحَاضِنُ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ ، فَحَسَّ قَلْبُ ابْنِ الْمَلِكِ بِأَنَّهُ قَدْ وَجَدَ حَاجَتَهُ ، فَقَالَ : عَجَلْ إِدْخَالَ الرَّجُلِ عَلَيَّ لَيْلًا ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ فِي سِرٍّ وَكِتْمَانٍ ، فَإِنْ مِثْلَ هَذَا لَا يَتَهَاوَنُ بِهِ .

فَأَمَرَ الْحَاضِنُ بِلَوْهَرٍ بِالتَّهَيُّؤِ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِ ، فَحَمَلَ مَعَهُ سَفْطًا فِيهِ كُتُبٌ لَهُ ، فَقَالَ الْحَاضِنُ : مَا هَذَا السَّفْطُ ؟ قَالَ بِلَوْهَرٌ : فِي هَذَا السَّفْطِ سِلْعَتِي ، فَإِذَا شِئْتَ فَأَدْخِلْنِي عَلَيْهِ ، فَاَنْطَلَقَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بِلَوْهَرٌ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ ، وَأَحْسَنَ ابْنُ الْمَلِكِ إِجَابَتَهُ ، وَانْصَرَفَ الْحَاضِنُ وَقَعَدَ الْحَكِيمُ عِنْدَ الْمَلِكِ .

فَأَوَّلُ مَا قَالَ لَهُ بِلَوْهَرٌ : رَأَيْتُكَ - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - زِدْتَنِي فِي التَّحِيَّةِ عَلَى مَا تَصْنَعُ بِعِلْمَانِكَ وَأَشْرَافِ أَهْلِ بِلَادِكَ ، قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ لِعَظِيمِ مَا رَجَوْتُ عِنْدَكَ ، قَالَ بِلَوْهَرٌ : لَيْتَنِي فَعَلْتُ ذَلِكَ بِي فَقَدْ كَانَ رَجُلًا مِنَ الْمُلُوكِ فِي بَعْضِ الْأَفَاقِ يُعْرِفُ بِالْخَيْرِ وَيُزْجِي ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ يَوْمًا فِي مَوْكِبِهِ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي مَسِيرِهِ رَجُلَانِ مَاشِيَانِ ،

لِبَاسُهُمَا الْخَلِقَانِ ، وَعَلَيْهِمَا أَثَرُ الْبُؤْسِ وَالضَّرِّ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمَا الْمَلِكُ لَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَحَيَّاهُمَا وَصَافَحَهُمَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَزَرَّأُوهُ اشْتَدَّ جَزَعُهُمْ مِمَّا صَنَعَ الْمَلِكُ ، فَأَتَوْا أَخَاهُ لَهُ ، وَكَانَ جَرِيًّا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ أَزْرَى بِنَفْسِهِ ، وَفَضَحَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ ، وَخَرَّ عَنْ دَابَّتِهِ لِإِنْسَانَيْنِ دَنِيَّيْنِ ، فَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ كَيْ لَا يَعُودَ ، وَلُمَهُ عَلَى مَا صَنَعَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَخُ الْمَلِكِ ، فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ بِجَوَابٍ لَا يَذِرِي مَا حَالُهُ فِيهِ ، أَسَاخِطُ عَلَيْهِ الْمَلِكُ أَمْ رَاضٍ عَنْهُ ، فَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أَمَرَ الْمَلِكُ مُنَادِيًّا - وَكَانَ يُسَمَّى مُنَادِي الْمَوْتِ - فَنَادَى فِي فِنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ سُبَّتُهُمْ فِيمَنْ أَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَقَامَتِ النَّوَائِحُ وَالنَّوَادِبُ فِي دَارِ أَخِ الْمَلِكِ وَلَبَسَ ثِيَابَ الْمَوْتَى ، وَانْتَهَى إِلَى بَابِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً ، وَتَنَفَّ شَعْرُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَلِكَ دَعَا بِهِ ، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ الْمَلِكُ دَخَلَ عَلَيْهِ وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَنَادَى بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ بِالتَّضَرُّعِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : اقْتَرَبَ أَيُّهَا السَّفِيهُ ، أَنْتَ تَجْزَعُ مِنْ مُنَادٍ نَادَى عَلَى بَابِكَ بِأَمْرِ مَخْلُوقٍ وَلَيْسَ بِأَمْرِ خَالِقٍ ، وَأَنَا أَخُوكَ وَقَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا ذَنْبُ أَقْتُلَكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَنْتُمْ

تَلُمُونَنِي عَلَى وَقُوعِي إِلَى الْأَرْضِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَى مُنَادِي رَبِّي إِلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِفُ مِنْكُمْ بِذُنُوبِي ، فَاذْهَبْ فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَفْزَكَ وَزَرَائِي ، وَسَيَعْلَمُونَ خَطَأَهُمْ .

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِأَرْبَعَةِ تَوَابِيَتْ ، فَصُنِعَتْ لَهُ مِنْ خَشَبٍ ، فَطَلَى تَابُوتَيْنِ مِنْهَا بِالذَّهَبِ ، وَتَابُوتَيْنِ بِالْقَارِ ، فَلَمَّا فَرِغَ مِنْهَا مَلَأَ تَابُوتَيِ الْقَارِ ذَهَبًا وَيَاقُوتًا وَزَبَرْجَدًا ، وَمَلَأَ تَابُوتَيِ الذَّهَبِ جِيفًا وَدَمًا وَعَذِيرَةً وَشَعْرًا ، ثُمَّ جَمَعَ الْوُزَرَاءَ وَالْأَشْرَافَ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا صَنِيعَهُ بِالرَّجُلَيْنِ الضَّعِيفَيْنِ النَّاسِكَيْنِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ التَّوَابِيَتِ الْأَرْبَعَةَ وَأَمَرَهُمْ بِتَقْوِيمِهَا ، فَقَالُوا: أَمَا فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ ، وَمَا رَأَيْنَا ، وَمَبْلَغِ عِلْمِنَا ، فَإِنَّ تَابُوتَيِ الذَّهَبِ لَا ثَمَنَ لَهُمَا لِفَضْلِهِمَا ، وَتَابُوتَيِ الْقَارِ لَا ثَمَنَ لَهُمَا لِرِذَالَتِهِمَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ: أَجَلْ هَذَا لِعِلْمِكُمْ بِالْأَشْيَاءِ ، وَمَبْلَغِ رَأْيِكُمْ فِيهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَابُوتَيِ الْقَارِ فَنُزِعَتْ عَنْهُمَا صَفَائِحُهُمَا فَأَضَاءَ الْبَيْتُ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْجَوَاهِرِ ، فَقَالَ: هَذَانِ مِثْلُ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ ارْزَدَرَيْتُمْ لِبَاسَهُمَا وَظَاهِرُهُمَا ، وَهُمَا مَمْلُوءَانِ عِلْمًا وَحِكْمَةً ، وَصِدْقًا وَبِرًّا ، وَسَائِرِ مَنَاقِبِ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالْجَوْهَرِ وَالذَّهَبِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَابُوتَيِ الذَّهَبِ فَنُزِعَ

عَنْهُمَا أَثْوَابُهُمَا ، فَاقْشَعَرَ الْقَوْمُ مِنْ سُوءِ مَنْظَرِهِمَا ، وَتَأَذَّوْا بِرِيحِهِمَا
وَنَتْنِهِمَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ : وَهَذَانِ مِثْلُ الْقَوْمِ الْمُتَزَيِّنِينَ بِظَاهِرِ الْكِسْوَةِ
وَاللَّبَاسِ ، وَأَجَوَافُهُمَا مَمْلُوءَةٌ جَهَالَةً وَعَمًى وَكَذِبًا وَجَوْرًا ، وَسَائِرِ
أَنْوَاعِ الشَّرِّ الَّتِي هِيَ أَفْطَعُ وَأَشْنَعُ وَأَقْدَرُ مِنَ الْجَيْفِ .

قَالَ الْقَوْمُ لِلْمَلِكِ : قَدْ فُقِّهْنَا وَاتَّعَظْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ .

ثُمَّ قَالَ بِلَوْهَرٍ : هَذَا مِثْلُكَ - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - فِيمَا تَلَقَّيْتَنِي بِهِ مِنَ
التَّحِيَّةِ وَالْبَشْرِ ، فَاثْتَصَبَ يُوذَاسُفُ ابْنُ الْمَلِكِ - وَكَانَ مُتَكِنًا - ثُمَّ
قَالَ : زِدْنِي مَثَلًا ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّ الزَّارِعَ خَرَجَ بِبَذَرِهِ الطَّيِّبِ لِيَبْذُرَهُ ، فَلَمَّا مَلَأَ
كَفَّهُ وَنَثَرَهُ وَقَعَ بَعْضُهُ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ التَّقَطَّهُ
الطَّيْرُ ، وَوَقَعَ بَعْضُهُ عَلَى صَفَاةٍ قَدْ أَصَابَهَا نَدَى وَطِينٌ ، فَمَكَثَ
حَتَّى اهْتَزَّ ، فَلَمَّا صَارَتْ غُرُوقُهُ إِلَى يُبْسِ الصَّفَاةِ مَاتَ وَيَبَسَ ،
وَوَقَعَ بَعْضُهُ بِأَرْضِ ذَاتِ شَوْكٍ ، فَنَبَتَ حَتَّى سَنَبَلَ ، وَكَادَ أَنْ يُثْمَرَ
فَغَمَّهُ الشَّوْكُ فَأَبْطَلَهُ ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهُ وَقَعَ فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ ، وَإِنْ
كَانَ قَلِيلًا ، فَإِنَّهُ سَلِمَ وَطَابَ وَزَكَى ، فَالزَّارِعُ حَامِلُ الْحِكْمَةِ ، وَأَمَّا
الْبَذَرُ فَفُتُونُ الْكَلَامِ ، وَأَمَّا مَا وَقَعَ مِنْهُ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ فَالْتَقَطَهُ

الطَيْرُ فَمَا لَا يُجَاوِزُ السَّمْعَ مِنْهُ حَتَّى يَمُرَّ صَفْحًا ، وَأَمَّا مَا وَقَعَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي النَّدَى فَيَسِّرَ حِينَ بَلَغَتْ عُزُوقَهُ الصَّفَاةَ ، فَمَا اسْتَحْلَاهُ صَاحِبُهُ حَتَّى سَمِعَهُ بِفِرَاقِ قَلْبِهِ ، وَعَرَفَهُ بِفَهْمِهِ ، وَلَمْ يَفْقَهُ بِحَصَافَةِ وَلَا نِيَّةٍ ، وَأَمَّا مَا نَبَتَ مِنْهُ وَكَادَ أَنْ يُثْمِرَ فَعَمَّهُ الشُّوكُ فَأَهْلَكَهُ ، فَمَا وَعَاهُ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعَمَلِ بِهِ حَفَّتْهُ الشَّهَوَاتُ فَأَهْلَكَتْهُ ، وَأَمَّا مَا زَكَّى وَطَابَ وَسَلِمَ مِنْهُ وَانْتَفَعَ بِهِ فَمَا رَأَاهُ الْبَصَرُ ، وَوَعَاهُ الْحِفْظُ ، وَأَنْفَذَهُ الْعَزْمُ ، بِقَمْعِ الشَّهَوَاتِ ، وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنْ دَنَسِهَا .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَا تَبَذَّرُهُ - أَيُّهَا الْحَكِيمُ - مَا يَزْكُو وَيَسْلَمُ وَيَطِيبُ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الدُّنْيَا وَغُرُورِ أَهْلِهَا بِهَا ؟
قَالَ بِلَوَهَرُ : بَلَّغْنَا أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَلَيْهِ فِيلٌ مُغْتَلِمٌ ^(١) فَانْطَلَقَ مُوَلِّيًا هَارِبًا ، وَاتَّبَعَهُ الْفِيلُ حَتَّى غَشِيَهُ ، فَاضْطَرَّهُ إِلَى بُرٍّ فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ نَابِتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبُرِّ ، وَوَقَعَتْ قَدَمَاهُ عَلَى رُءُوسِ حَيَّاتٍ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرْدَانٍ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْيَضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى

(١) أي شديد الشهوة ، يعني فيل مست ، اغتلم الشراب : اشتدَّت سورتَه .

تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَإِذَا رُءُوسُ أَرْبَعِ أَفَاعٍ قَدْ طَلَعْنَ مِنْ جُحْرِهِنَّ ، فَلَمَّا نَظَرَ
إِلَى قَعْرِ الْبُئْرِ إِذَا بَتَيْنِ فَاغِرٍ فَاهُ^(١) نَحْوَهُ يُرِيدُ التِّقَامَهُ ، فَلَمَّا رَفَعَ
رَأْسَهُ إِلَى أَعْلَى الْغُصْنَيْنِ إِذَا عَلَيْهِمَا شَيْءٌ مِنْ عَسَلِ النَّخْلِ ، فَيَطْعَمُ
مِنْ ذَلِكَ الْعَسَلِ فَأَلْهَاهُ مَا طَعِمَ مِنْهُ ، وَمَا نَالَ مِنْ لَذَّةِ الْعَسَلِ وَحَلَاوَتِهِ
عَنِ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ الْأَفَاعِي اللَّوَاتِي لَا يَذَرِي مَتَى يُبَادِرُنَهُ ، وَالْهَاهُ عَنِ
التَّيْنِ الَّذِي لَا يَذَرِي كَيْفَ مَصِيرُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ فِي لَهَوَاتِهِ .

أَمَّا الْبُئْرُ فَالْدُّنْيَا مَمْلُوءَةٌ أَفَاتٍ وَبَلَايَا وَشُرُورًا ، وَأَمَّا الْغُصْنَانِ
فَالْعُمُرُ ، وَأَمَّا الْجُرْدَانِ فَالْلَيْلُ وَالنَّهَارُ يُسْرِعَانِ فِي الْأَجْلِ ، وَأَمَّا
الْأَفَاعِي الْأَرْبَعَةُ فَلَا خَلَاطُ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ السُّمُومُ الْقَاتِلَةُ مِنَ الْمِرَّةِ
وَالْبَلْغَمِ وَالرَّيْحِ وَالْدَّمِ ، الَّتِي لَا يَذَرِي صَاحِبُهَا مَتَى تُهَيِّجُ بِهِ ، وَأَمَّا
التَّيْنُ الْفَاغِرُ فَاهُ لِيَلْتَقِمَهُ فَالْمَوْتُ الرَّاصِدُ الطَّالِبُ ، وَأَمَّا الْعَسَلُ الَّذِي
اغْتَرَّ بِهِ الْمَغْرُورُ فَمَا يَنَالُ النَّاسُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَنَعِيمِهَا
وَدَعَتِهَا مِنْ لَذَّةِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَالشَّمِّ وَاللَّمْسِ ، وَالسَّمْعِ
وَالْبَصَرِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ هَذَا الْمَثَلَ عَجِيبٌ ، وَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ حَقٌّ ،

(١) الفاجر: الفاتح فاه .

فَرِذْنِي مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَصَاحِبَهَا الْمَغْرُورِ بِهَا ، الْمُتَهَاوِنِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِيهَا ؟
 قَالَ بِلَوْهَرُ : زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ قُرَنَاءَ ، وَكَانَ قَدْ آثَرَ
 أَحَدَهُمْ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا ، وَيَزُكُّبُ الْأَهْوَالَ وَالْأَخْطَارَ بِسَبَبِهِ ،
 وَيُغَرَّرُ بِنَفْسِهِ لَهُ ، وَيُشْغَلُ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَكَانَ الْقَرِينُ
 الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ مَنْزِلَةً ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ حَبِيبٌ إِلَيْهِ ، أَمِيرٌ عِنْدَهُ ،
 يُكْرِمُهُ وَيَلَاطِفُهُ ، وَيَخْدُمُهُ وَيُطِيعُهُ ، وَيَبْذُلُ لَهُ ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ ،
 وَكَانَ الْقَرِينُ الثَّلَاثُ مَجْفُوعًا مَحْقُورًا مُسْتَقْفِلًا ، لَيْسَ لَهُ مِنْ وَدِّهِ وَمَالِهِ
 إِلَّا أَقْلُهُ ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِالرَّجُلِ الْأَمْرُ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قُرْنَائِهِ
 الثَّلَاثَةِ فَاتَاهُ زَبَانِيَةُ الْمَلِكِ لِيَذْهَبُوا بِهِ ، فَفَرَعَ إِلَى قَرِينِهِ الْأَوَّلِ فَقَالَ لَهُ :
 قَدْ عَرَفْتَ إِثَارِي إِيَّاكَ ، وَبَذَلَ نَفْسِي لَكَ ، وَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ حَاجَتِي
 إِلَيْكَ ، فَمَاذَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا لَكَ بِصَاحِبٍ ، وَإِنِّي لِي أَصْحَابًا
 يَشْغَلُونِي عَنْكَ ، هُمُ الْيَوْمَ أَوْلَى بِي مِنْكَ ، وَلَكِنْ لَعَلِّي أَزُودُكَ
 ثَوْبَيْنِ لِيَتَنَفَّعَ بِهِمَا .

ثُمَّ فَرَعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّانِي ذِي الْمَحَبَّةِ وَاللُّطْفِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ
 عَرَفْتَ كَرَامَتِي إِيَّاكَ ، وَلُطْفِي بِكَ ، وَحِرْصِي عَلَى مَسَرَّتِكَ ، وَهَذَا
 يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، فَمَاذَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أَمْرَ نَفْسِي يَشْغَلُنِي عَنْكَ

وَعَنْ أَمْرِكَ ، فَأَعِمِدْ لِسَانِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَأَنَّ طَرِيقِي غَيْرُ طَرِيقِكَ ، إِلَّا أَنِّي لَعَلِّي أَخْطُو مَعَكَ خُطُواتٍ يَسِيرَةً لَا تَنْتَفِعُ بِهَا ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى مَا هُوَ أَهْمٌ إِلَيَّ مِنْكَ .

ثُمَّ فَرَعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّالِثِ الَّذِي كَانَ يُحَقِّرُهُ وَيَعْصِيهِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ أَيَّامَ رَحَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مِنْكَ لَمْسُتِح ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ اضْطَرَّتْنِي إِلَيْكَ ، فَمَاذَا لِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لَكَ عِنْدِي الْمَوَاساةُ ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْكَ ، وَقِلَّةُ الْغَفْلَةِ عَنْكَ ، فَأَبْشِرْ وَقَرَّ عَيْنًا ، فَإِنِّي صَاحِبُكَ الَّذِي لَا يَخْذُلُكَ وَلَا يُسْلِمُكَ ، فَلَا يُهَمِّنُكَ قِلَّةُ مَا أَسْلَفْتَنِي ، وَاضْطَنَعْتَ إِلَيَّ ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَحْفَظُ لَكَ ذَلِكَ وَأَوْفِرُهُ عَلَيْكَ كُلَّهُ ، ثُمَّ لَمْ أَرْضَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى اتَّجَرْتُ لَكَ بِهِ ، فَرَبِحْتُ أَرْبَاحًا كَثِيرَةً ، فَلَكَ الْيَوْمَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافُ مَا وَضَعْتَ عِنْدِي مِنْهُ فَأَبْشِرْ ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ رِضَا الْمَلِكِ عَنْكَ الْيَوْمَ ، وَفَرَجًا مِمَّا أَنْتَ فِيهِ .

فَقَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا أَذْرِي عَلَى أَيِّ الْأَمْرَيْنِ أَنَا أَشَدُّ حَسْرَةً عَلَيْهِ : عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ ، أَمْ عَلَى مَا اجْتَهَدْتُ فِيهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ لِقَرِينِ السَّوِّءِ .

قَالَ بَلَوَهَرُ : فَالْقَرِينُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَالُ ، وَالْقَرِينُ الثَّانِي هُوَ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ ، وَالْقَرِينُ الثَّلَاثُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، فَرِذْنِي مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَغُرُورِهَا ، وَصَاحِبِهَا الْمَغْرُورِ بِهَا الْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا ؟

قَالَ بَلَوَهَرُ : كَانَ أَهْلُ مَدِينَةٍ يَأْتُونَ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ الْجَاهِلَ بِأَمْرِهِمْ فَيَمْلِكُونَهُ عَلَيْهِمْ سَنَةً ، فَلَا يَشْكُ أَنَّ مِلْكَهُ دَائِمٌ عَلَيْهِمْ لِجَهَالَتِهِ بِهِمْ ، فَإِذَا انْقَضَتِ السَّنَةُ أَخْرَجُوهُ مِنْ مَدِينَتِهِمْ عُرْيَانًا مُجَرَّدًا سَلِيبًا ، فَيَقَعُ فِي بَلَاءٍ وَشَقَاءٍ لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، فَصَارَ مَا مَضَى عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِهِ وَبَالًا وَخِزْيًا وَمُصِيبَةً وَأَذَى .

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَخَذُوا رَجُلًا آخَرَ فَمَلَكُوهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ غُرْبَتَهُ فِيهِمْ لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِهِمْ ، وَطَلَبَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ خَبِيرًا بِأَمْرِهِمْ حَتَّى وَجَدَهُ ، فَأَفْضَى إِلَيْهِ بِسِرِّ الْقَوْمِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ فَيُخْرِجَ مِنْهَا مَا اسْتَطَاعَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ، حَتَّى يُخْرِزَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُخْرِجُونَهُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَخْرَجَهُ الْقَوْمُ صَارَ إِلَى الْكِفَايَةِ وَالسَّعَةِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخْرَزَ ، فَفَعَلَ مَا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ ، وَلَمْ يُضَيِّعْ وَصِيَّتَهُ .

قَالَ بِلَوَهْرُ : وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ الَّذِي لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِالْغُرَبَاءِ ، وَلَمْ يَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ ، وَأَنَا الرَّجُلُ الَّذِي طَلَبْتَ وَلَكَ عِنْدِي الدَّلَالَةُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْمَعُونَةُ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ ، أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَأَنْتَ طَلَبْتَنِي الَّتِي كُنْتُ طَلَبْتُهَا ، فَصِفْ لِي أَمْرَ الْآخِرَةِ تَامًا ، فَأَمَّا الدُّنْيَا فَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَقْتَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا مَا يَدُلُّنِي عَلَى فَنَائِهَا ، وَيُزْهِدُنِي فِيهَا ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهَا حَقِيرًا عِنْدِي .

قَالَ بِلَوَهْرُ : إِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - مِفْتَاحُ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ فَأَصَابَ بَابَهَا دَخَلَ مَلَكُوتَهَا ، وَكَيْفَ لَا تَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - وَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْعَقْلِ مَا آتَاكَ ؟ وَقَدْ تَرَى أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ إِنَّمَا يَجْمَعُهَا أَهْلُهَا لِهَذِهِ الْأَجْسَادِ الْفَانِيَةِ ، وَالْجَسَدُ لَا قِيَامَ لَهُ ، وَلَا امْتِنَاعَ بِهِ ، فَالْحَرُ يُذِيبُهُ ، وَالْبَرْدُ يُجَمِّدُهُ ، وَالسَّمُومُ تَتَخَلَّلُهُ ، وَالْمَاءُ يُغْرِقُهُ ، وَالشَّمْسُ تُحْرِقُهُ ، وَالْهَوَاءُ يُسْقِمُهُ ، وَالسَّبَاعُ تَفْتَرِسُهُ ، وَالطَّيْرُ تَنْفُرُهُ ، وَالْحَدِيدُ يَقْطَعُهُ ، وَالصَّدَامُ يَحْطِمُهُ ، ثُمَّ هُوَ مَعْجُونٌ بِطِينَةٍ مِنَ الْوَانِ الْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ وَالْأَمْرَاضِ ، فَهُوَ مُزْتَهَنٌ بِهَا ، مُتَرَقِّبٌ لَهَا ،

وَجِلَّ مِنْهَا ، غَيْرَ طَامِعٍ فِي السَّلَامَةِ مِنْهَا ، ثُمَّ هُوَ مُقَارِنُ الْآفَاتِ السَّبْعِ
الَّتِي لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا ذُو جَسَدٍ ، وَهِيَ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ ، وَالْحَرُّ
وَالْبَرْدُ ، وَالْوَجَعُ وَالْخَوْفُ وَالْمَوْتُ .

فَأَمَّا مَا سَأَلَتْ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَجِدَ مَا تَحْسَبُهُ
بَعِيداً قَرِيباً ، وَمَا كُنْتَ تَحْسَبُهُ عَسِيراً يَسِيراً ، وَمَا كُنْتَ تَحْسَبُهُ قَلِيلاً
كَثِيراً .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أَيُّهَا الْحَكِيمُ ! أَرَأَيْتَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانَ وَالِدِي
حَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ وَنَفَاهُمْ ، أَهُمُ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ بِلَوَهَرُ : نَعَمْ .
قَالَ : فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى عَدَاوَتِهِمْ ، وَسُوءِ
الشَّئِءِ عَلَيْهِمْ .

قَالَ بِلَوَهَرُ : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ أَيُّهَا
الْحَكِيمُ ؟ قَالَ بِلَوَهَرُ : أَمَا قَوْلُكَ - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - فِي سُوءِ الشَّئِءِ
عَلَيْهِمْ فَمَا عَسَى أَنْ يَقُولُوا فِيمَنْ يَصْدُقُ وَلَا يَكْذِبُ ، وَيَعْلَمُ وَلَا
يَجْهَلُ ، وَيَكْفُفُ وَلَا يُؤْذِي ، وَيُصَلِّي وَلَا يَنَامُ ، وَيَصُومُ وَلَا يُفْطِرُ ،
وَيُتَبَلَّى فَيَصْبِرُ ، وَيَتَفَكَّرُ فَيَعْتَبِرُ ، وَيُطَيِّبُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَمْوَالِ
وَالْأَهْلِينَ ، وَلَا يَخَافُهُمُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَكَيْفَ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ مُخْتَلِفُونَ ؟

قَالَ بَلَوَهْرُ : مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ كِلَابٍ اجْتَمَعُوا عَلَى جِيْفَةٍ تَنْهَشُهَا ، وَيُهَارُ بِغَضِّهَا بَعْضًا ، مُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، فَبَيْنَا هِيَ تُقْبَلُ عَلَى الْجِيْفَةِ إِذْ دَنَا رَجُلٌ مِنْهُمْ فَتَرَكَ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا ، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فِيهِرُنَّ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، مُتَعَاوِيَاتٍ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِلرَّجُلِ فِي جِيْفَتِهِنَّ حَاجَةٌ ، وَلَا أَرَادَ أَنْ يُنَازِعَهُنَّ فِيهَا ، وَلَكِنَّهُنَّ عَرَفْنَ عُزْبَتَهُ مِنْهُنَّ ، فَاسْتَوْحَشْنَ مِنْهُ ، وَاسْتَأْنَسَ بِبَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ ، وَإِنْ كُنَّ مُخْتَلِفَاتٍ مُتَعَادِيَاتٍ فِيمَا بَيْنَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِدَ الرَّجُلُ عَلَيْهِنَّ .

قَالَ بَلَوَهْرُ : فَمَثَلُ الْجِيْفَةِ مَتَاعُ الدُّنْيَا ، وَمَثَلُ صُنُوفِ الْكِلَابِ ضُرُوبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَيُهْرِقُونَ دِمَاءَهُمْ ، وَيُنْفِقُونَ لَهَا أَمْوَالَهُمْ ، وَمَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ وَلَا حَاجَةَ لَهُ فِي جِيْفَتِهِنَّ كَمَثَلِ صَاحِبِ الدِّينِ الَّذِي رَفَضَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ مِنْهَا ، فَلَيْسَ يُنَازِعُ فِيهَا أَهْلَهَا ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ النَّاسَ مِنْ أَنْ يُعَادُونَهُ لِغُرْبَتِهِ عِنْدَهُمْ ، فَإِنْ عَجِبْتَ فَاعْجَبْ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَّا الدُّنْيَا وَجَمْعُهَا ، وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّفَاخُرُ وَالتَّغَالُبُ عَلَيْهَا ، حَتَّى

إِذَا رَأَوْا مَنْ قَدْ تَرَكَهَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَخَلَّى عَنْهَا ، كَانُوا لَهُ أَشَدَّ حَقًّا مِنْهُمْ لِلَّذِي يُشَاحُّهُمْ عَلَيْهَا ، فَأَيُّ حُجَّةٍ - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - أَذْخَصَ مِنْ تَعَاوُنِ الْمُخْتَلِفِينَ عَلَى مَنْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَيْهِ ؟

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : اْعْمِدْ لِحَاجَتِي .

قَالَ بِلَوَهْرُ : إِنَّ الطَّبِيبَ الرَّفِيقَ إِذْ رَأَى الْجَسَدَ قَدْ أَهْلَكَتُهُ الْأَخْلَاطُ الْفَاسِدَةُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْوِيَهُ وَيُسَمِّنَهُ ، لَمْ يُغْذِهِ بِالطَّعَامِ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ اللَّحْمُ وَالْدَّمُ وَالْقُوَّةُ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَذْخَلَ الطَّعَامَ عَلَى الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ أَضَرَّ بِالْجَسَدِ ، وَلَمْ يَنْفَعُهُ ، وَلَمْ يَقْوِهِ ، وَلَكِنْ يَبْدَأُ بِالْأَذْوِيَةِ وَالْحِمِيَةِ مِنَ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَذْهَبَ مِنْ جَسَدِهِ الْأَخْلَاطُ الْفَاسِدَةَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا يُصْلِحُهُ مِنَ الطَّعَامِ ، فَحِينَئِذٍ يَجِدُ طَعْمَ الطَّعَامِ وَيَسْمَنُ وَيَقْوَى ، وَيَحْمِلُ الثَّقَلَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أَيُّهَا الْحَكِيمُ ! أَخْبِرْنِي مَاذَا تُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ عَظِيمَ الْمُلْكِ ، كَثِيرَ الْجُنْدِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَغْزُوَ مَلِكًا آخَرَ لِيَزِدَ مُلْكًا إِلَى مُلْكِهِ ، وَمَالًا إِلَى مَالِهِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِالْجُنُودِ وَالْعِدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالنِّسَاءِ

وَالْأَوْلَادِ وَالْأَثْقَالِ ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ فَظَهَرُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتَبَاحُوا
عَسْكَرَهُ ، فَهَرَبَ وَسَاقَ امْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ صِغَاراً ، فَالْجَأَ الطَّلَبُ عِنْدَ
الْمَسَاءِ إِلَى أَجْمَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ، فَدَخَلَهَا مَعَ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ ،
وَسَيَّبَ دَوَابَّهُ مَخَافَةَ أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ بِصَهِيلِهَا ، فَبَاتُوا فِي الْأَجْمَةِ وَهُمْ
يَسْمَعُونَ وَقَعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَصْبَحَ الرَّجُلُ لَا يُطِيقُ
بَرَاحاً ، وَأَمَّا النَّهْرُ فَلَا يَسْتَطِيعُ عُثُورَهُ ، وَأَمَّا الْفَضَاءُ فَلَا يَسْتَطِيعُ
الْخُرُوجَ إِلَيْهِ لِمَكَانِ الْعَدُوِّ ، فَهُمْ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ قَدْ آذَاهُمُ الْبَرْدُ ،
وَأَهْجَرَهُمُ الْخَوْفُ ، وَطَوَاهُمُ الْجُوعُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ وَلَا مَعَهُمْ
زَادٌ وَلَا إِدَامٌ ، وَأَوْلَادُهُ صِغَارٌ جِيَاعٌ يَبْكُونَ مِنَ الضَّرِّ الَّذِي قَدْ
أَصَابَهُمْ ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ إِنَّ أَحَدَ بَنِيهِ مَاتَ فَأَلْقَوْهُ فِي
النَّهْرِ ، فَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْماً آخَرَ فَقَالَ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ : إِنَّا مُشْرِفُونَ
عَلَى الْهَلَاكِ جَمِيعاً ، وَإِنْ بَقِيَ بَعْضُنَا وَهَلَكَ بَعْضُنَا كَانَ خَيْراً مِنْ أَنْ
نَهْلِكَ جَمِيعاً ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَعْجَلَ ذَنْبِ صَبِيٍّ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ
فَنَجَّعَلُهُ قُوتاً لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْفَرَجِ ، فَإِنْ
أَخْرَجْنَا ذَلِكَ هَزَلَ الصَّبِيَّانِ حَتَّى لَا يُشْبِعَ لُحُومُهُمْ ، وَنَضْعُفُ حَتَّى لَا
نَسْتَطِيعَ الْحَرَكََةَ إِنْ وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً ، وَطَاوَعْتُهُ امْرَأَتُهُ فَذَبَحَ

بَعْضَ أَوْلَادِهِ وَوَضَعُوهُ بَيْنَهُمْ يَنْهَشُونَهُ ، فَمَا ظَنُّكَ - يَا ابْنَ الْمَلِكِ -
بِذَلِكَ الْمُضْطَرِّ أَكَلَ الْكَلْبِ الْمُسْتَكْثِرِ يَا كُلُّ أَمٍّ أَكَلَ الْمُضْطَرِّ
الْمُسْتَقِلُّ ؟

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : بَلْ أَكَلَ الْمُسْتَقِلُّ ، قَالَ الْحَكِيمُ : كَذَلِكَ أَكَلِي
وَشُرْبِي - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - فِي الدُّنْيَا .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمَلِكِ : أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ - أَيُّهَا
الْحَكِيمُ - أَهْوَى شَيْءٌ نَظَرَ النَّاسُ فِيهِ بِعُقُولِهِمْ وَالْبَابِهِمْ حَتَّى اخْتَارُوهُ
عَلَى مَا سِوَاهُ لِأَنْفُسِهِمْ ، أَمْ دَعَاهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَأَجَابُوا ؟ قَالَ الْحَكِيمُ :
عَلَا هَذَا الْأَمْرُ وَلَطَفَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، أَوْ بِرَأْيِهِمْ
دَبَّرُوهُ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَدَعَا إِلَى عَمَلِهَا وَزِينَتِهَا وَحِفْظِهَا
وَدَعَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَلَذَّتِهَا وَلَهْوِهَا وَلَعِبِهَا وَشَهَوَاتِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ
غَرِيبٌ ، وَدَعْوَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَاطِعَةٌ ، وَهُدًى مُسْتَقِيمٌ نَاقِضٌ
عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا أَعْمَالُهُمْ مُخَالِفٌ لَهُمْ ، عَائِبٌ عَلَيْهِمْ ، وَطَاعِنٌ نَاقِلٌ
لَهُمْ عَنْ أَهْوَائِهِمْ ، دَاعٍ لَهُمْ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ ، وَإِنَّ ذَلِكَ لَبَيِّنٌ لِمَنْ
تَبَّهَ ، مَكْتُومٌ عِنْدَهُ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ بَعْدَ خَفَائِهِ ،
وَيَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعُلْيَا وَكَلِمَةَ الَّذِينَ جَهِلُوا السُّفْلَى .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : صَدَقَتْ أَيْهَا الْحَكِيمُ ، ثُمَّ قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَنْ تَفَكَّرَ قَبْلَ مَجِيءِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَأَصَابَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَتْهُ الرُّسُلُ بَعْدَ مَجِيئِهَا فَأَجَابَ ، وَأَنْتَ - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - مِمَّنْ تَفَكَّرَ بَعْقِلِهِ فَأَصَابَ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَهَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَدْعُو إِلَى التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا غَيْرَ كُمْ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : أَمَّا فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ فَلَا ، وَأَمَّا فِي سَائِرِ الْأُمَمِ فَفِيهِمْ قَوْمٌ يَتَحَلُّونَ الدِّينَ بِالسِّتَةِمْ ، وَلَمْ يَسْتَحِقُّوهُ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَاخْتَلَفَ سَبِيلُنَا وَسَبِيلُهُمْ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : كَيْفَ صِرْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُمْ ^(١) ، وَإِنَّمَا أَتَاكُمْ هَذَا الْأَمْرُ الْغَرِيبُ مِنْ حَيْثُ أَتَاهُمْ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : الْحَقُّ كُلُّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَا الْعِبَادَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَهُ قَوْمٌ بِحَقِّهِ وَشُرُوطِهِ حَتَّى أَدَّوْهُ إِلَى أَهْلِهِ كَمَا أَمَرُوا ، لَمْ يَظْلِمُوا وَلَمْ يُخْطِئُوا وَلَمْ يُضَيِّعُوا ، وَقَبِلَهُ آخَرُونَ فَلَمْ يَقُومُوا بِحَقِّهِ وَشُرُوطِهِ ، وَلَمْ يُؤَدِّوْهُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهِ

(١) في بعض النسخ : « فيما جعلكم الله أولى بالحق منهم » .

عَزِيمَةً ، وَلَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ نِيَّةٌ ضَمِيرٍ ، فَضَيَعُوهُ وَاسْتَقْلَوْهُ ،
فَالْمُضَيِّعُ لَا يَكُونُ مِثْلَ الْحَافِظِ ، وَالْمُفْسِدُ لَا يَكُونُ كَالْمُصْلِحِ ،
وَالصَّابِرُ لَا يَكُونُ كَالْجَارِعِ ، فَمِنْ هَاهُنَا كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ
وَأَوْلَى .

ثُمَّ قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّهُ لَيْسَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الدِّينِ
وَالتَّزْهِيدِ ، وَالِدُّعَاءِ إِلَى الْآخِرَةِ ، إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ أَصْلِ
الْحَقِّ (١) الَّذِي عَنْهُ أَخَذْنَا ، وَلَكِنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، أَخَذَانَهُمُ الَّتِي
أَخَذْتُوا ، وَابْتِغَاؤُهُمُ الدُّنْيَا وَإِخْلَادُهُمْ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ
لَمْ تَزَلْ تَأْتِي وَتَظْهَرُ فِي الْأَرْضِ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ عَلَى أَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَّفَرِّقَةٍ ، وَكَانَ أَهْلُ
دَعْوَةِ الْحَقِّ أَمْرُهُمْ مُسْتَقِيمٌ ، وَطَرِيقُهُمْ وَاضِحٌ ، وَدَعْوَتُهُمْ بَيِّنَةٌ ، لَا
فُرْقَةَ بَيْنَهُمْ وَلَا اخْتِلَافَ ، فَكَانَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذَا بَلَّغُوا
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ، وَاخْتَجُّوا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِحُجَّتِهِ ،
وَإِقَامَةِ مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ ، قَبَضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ عِنْدَ انْقِضَاءِ
أَجَالِهِمْ ، وَمُتَّهَى مُدَّتِهِمْ ، وَمَكْتَبَتِ الْأُمَّةِ مِنَ الْأُمَمِ بَعْدَ نَبِيِّهَا بُرْهَةً

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « أَهْلُ الْحَقِّ » .

مِنْ دَهْرِهَا لَا تَعْيُرُ وَلَا تَبْدُلُ ، ثُمَّ صَارَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ يُحْدِثُونَ
 الْأَخْدَاطَ ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، وَيُضَيِّعُونَ الْعِلْمَ ، فَكَانَ الْعَالِمُ
 الْبَالِغُ الْمُسْتَبْصِرُ مِنْهُمْ يُخْفِي شَخْصَهُ ، وَلَا يُظْهِرُ عِلْمَهُ فَيَعْرِفُونَهُ
 بِاسْمِهِ ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا الْخَسِيسُ مِنَ
 أَهْلِ الْعِلْمِ ، يَسْتَخِفُّ بِهِ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَاطِلِ ، فَيَحْمِلُ الْعِلْمُ ،
 وَيُظْهِرُ الْجَهْلُ ، وَيَتَنَاسَلُ الْقُرُونُ ، فَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْجَهْلَ
 وَالْبَاطِلَ ، وَيَزْدَادُ الْجُهَالُ اسْتِعْلَاءً وَكَثْرَةً ، وَالْعُلَمَاءُ حُمُولًا وَقِلَّةً ،
 فَحَوَّلُوا مَعَالِمَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ وُجُوهِهَا ، وَتَرَكَوا قَصْدَ
 سَبِيلِهَا ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُقَرَّرُونَ بِتَنْزِيلِهِ ، مُتَّبِعُونَ شِبْهَهُ ابْتِغَاءً
 تَأْوِيلِهِ ، مُتَعَلِّقُونَ بِصِفَتِهِ ، تَارِكُونَ لِحَقِيقَتِهِ ، نَابِذُونَ لِأَحْكَامِهِ ،
 فَكُلُّ صِفَةٍ جَاءَتْ الرُّسُلُ تَدْعُوا إِلَيْهَا فَنَحْنُ لَهُمْ مُوَافِقُونَ فِي تِلْكَ
 الصِّفَةِ ، مُخَالِفُونَ لَهُمْ فِي أَحْكَامِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ ، وَلَسْنَا نُخَالِفُهُمْ فِي
 شَيْءٍ إِلَّا وَلَنَا عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْبَيِّنَةُ الْعَادِلَةُ مِنْ نَعْتِ مَا فِي
 أَيْدِيهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَكُلُّ مُتَكَلِّمٍ مِنْهُمْ
 يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، فَهِيَ لَنَا وَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، تَشْهَدُ لَنَا
 عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَا تُوَافِقُ صِفَتَنَا وَسِيرَتَنَا وَحُكْمَنَا ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَا

مُخَالَفَةً لِسُنَّتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، فَلَيْسُوا يَعْرِفُونَ مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا وَصْفَهُ ،
وَلَا مِنَ الدِّينِ إِلَّا اسْمَهُ ، فَلَيْسُوا بِأَهْلِ الْكِتَابِ حَقِيقَةً حَتَّى يُقِيمُوهُ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَمَا بَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَأْتُونَ
فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ مَوَاتٌ لَا
عُمْرَانَ فِيهَا ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَيْهَا بِعِمَارَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهَا رَجُلًا جَلَدًا
أَمِينًا نَاصِحًا ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَغْمُرَ تِلْكَ الْأَرْضَ ، وَأَنْ يَغْرِسَ فِيهَا
صُنُوفَ الشَّجَرِ وَأَنْوَاعَ الزَّرْعِ ، ثُمَّ سَمَّى لَهُ الْمَلِكُ الْوَنَاءَ مِنَ الْغَرْسِ
مَعْلُومَةً ، وَأَنْوَاعًا مِنَ الزَّرْعِ مَعْرُوفَةً ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ لَا يَعْدُوَ مَا سَمَّى
لَهُ ، وَأَنْ لَا يُحْدِثَ فِيهَا مِنْ قَبْلِهِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ بِهِ سَيِّدُهُ ، وَأَمَرَهُ
أَنْ يُخْرِجَ لَهَا نَهْرًا ، وَيَسُدَّ عَلَيْهَا حَائِطًا ، وَيَمْنَعَهَا مِنْ أَنْ يُفْسِدَهَا
مُفْسِدٌ ، فَجَاءَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ فَأَحْيَاهَا
بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَعَمَرَهَا بَعْدَ خَرَابِهَا ، وَغَرَسَ فِيهَا ، وَزَرَعَ مِنْ
الصُّنُوفِ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا ، ثُمَّ سَاقَ الْمَاءَ إِلَيْهَا حَتَّى نَبَتَ الْغَرْسُ ،
وَاتَّصَلَ الزَّرْعُ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ قَيْمُهَا ، وَأَقَامَ بَعْدَهُ مَنْ
يَقُومُ مَقَامَهُ ، وَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِ خَلَفٌ خَالَفُوا مَنْ أَقَامَهُ الْقَيْمُ بَعْدَهُ ،

وَعَلَبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَأَخْرَبُوا الْعُمَرَانَ ، وَطَمَوْا الْأَنْهَارَ ، فَيَبَسَ
الْغَرْسُ وَهَلَكَ الزَّرْعُ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ خِلَافَتَهُمْ عَلَى الْقِيَمِ بَعْدَ رَسُولِهِ ، وَخَرَابُ
أَرْضِهِ ، أَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولًا آخَرَ يُحْيِيهَا وَيُعِيدُهَا وَيُصْلِحُهَا كَمَا كَانَتْ
فِي مَنْزِلَتِهَا الْأُولَى ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَبْعَثُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ فَيُصْلِحُ أَمْرَ النَّاسِ بَعْدَ فَسَادِهِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أَيَخْصُصُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذَا
جَاءَتْ بِمَا يَبْعَثُ بِهِ ، أَمْ تُعَمُّ ؟

قَالَ بِلَوَهْرَ : إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِذَا جَاءَتْ تَدْعُوا عَامَّةَ النَّاسِ
فَمَنْ أَطَاعَهُمْ كَانَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ عَصَاهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ ، وَمَا تَخْلُو
الْأَرْضُ قَطُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا مُطَاعٌ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ
وَمِنْ أَوْصِيَائِهِ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ طَائِرٍ كَانَ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ يُقَالُ
لَهُ : قَدَمٌ^(١) ، يَبْيِضُ بَيْضًا كَثِيرًا ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِلْفَرَاخِ
وَكَثَرَتِهَا ، وَكَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ زَمَانٌ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِيهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ ذَلِكَ ،
فَلَا يَجِدُ بُدًّا مِنْ اتِّخَاذِ أَرْضٍ أُخْرَى حَتَّى يَذْهَبَ ذَلِكَ الزَّمَانُ ،

(١) في بعض النسخ : « قَرَم » ، ولعل الصواب : « قَرَلِي » .

فَيَأْخُذُ بَيْضَهُ مَخَافَةً عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَهْلِكَ مِنْ شَفَقَتِهِ فَيُفَرِّقُهُ فِي أَغْشَاشِ الطَّيْرِ ، فَتَخْضُنُ الطَّيْرُ بَيْضَهُ مَعَ بَيْضِهَا ، وَتُخْرِجُ فِرَاحَهُ مَعَ فِرَاحِهَا ، فَإِذَا طَالَ مَكْتُ فِرَاحِ قَدَمٍ مَعَ فِرَاحِ الطَّيْرِ أَلْفَهَا بَعْضُ فِرَاحِ الطَّيْرِ ، وَاسْتَأْنَسَ بِهَا ، فَإِذَا كَانَ الزَّمَانُ الَّذِي يَنْصَرِفُ فِيهِ قَدَمٌ إِلَى مَكَانِهِ مَرًّا بِأَغْشَاشِ الطَّيْرِ وَأَوْ كَارِهَا بِاللَّيْلِ ، فَأَسْمَعَ فِرَاحَهُ وَغَيْرَهَا صَوْتَهُ ، فَإِذَا سَمِعَتْ فِرَاحَهُ صَوْتَهُ تَبَعْتُهُ ، وَتَبَعَ فِرَاحَهُ مَا كَانَ أَلْفَهَا مِنْ فِرَاحِ سَائِرِ الطَّيْرِ ، وَلَمْ يُجِبْهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ فِرَاحِهِ ، وَلَا مَا لَمْ يَكُنْ أَلْفَ فِرَاحِهِ ، وَكَانَ قَدْ يَضُمُّ إِلَيْهِ مَنْ أَجَابَهُ مِنْ فِرَاحِهِ حُبًّا لِلْفِرَاحِ ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يَسْتَعْرِضُونَ النَّاسَ جَمِيعًا بِدُعَائِهِمْ فَيَجِيبُهُمْ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلُ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضْلِ الْحِكْمَةِ ، فَمَثَلُ الطَّيْرِ الَّذِي دَعَا بِصَوْتِهِ مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الَّتِي تَعْمُ النَّاسَ بِدُعَائِهِمْ ، وَمَثَلُ الْبَيْضِ الْمُتَفَرِّقِ فِي أَغْشَاشِ الطَّيْرِ مَثَلُ الْحِكْمَةِ ، وَمَثَلُ سَائِرِ فِرَاحِ الطَّيْرِ الَّتِي أَلْفَتْ مَعَ فِرَاحِ قَدَمٍ مَثَلُ مَنْ أَجَابَ الْحُكَمَاءَ قَبْلَ مَجِيءِ الرُّسُلِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَرُسُلِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّأْيِ مَا لَمْ يَجْعَلْ لِغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالنُّورِ وَالضِّيَاءِ مَا لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُمْ ، وَذَلِكَ لِمَا يُرِيدُ مِنْ بُلُوغِ

رِسَالَتِهِ ، وَمَوَاقِعِ حُجَجِهِ ، وَكَانَتْ الرُّسُلُ إِذَا جَاءَتْ وَأُظْهِرَتْ
دَعْوَتَهَا أَجَابَهُمْ مِنَ النَّاسِ أَيْضاً مَنْ لَمْ يَكُنْ أَجَابَ الْحُكَمَاءَ ، وَذَلِكَ
لِمَا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى دَعْوَتِهِمْ مِنَ الضِّيَاءِ وَالْبُرْهَانِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أَفَرَأَيْتَ مَا يَأْتِي بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ إِذْ زَعَمْتَ
أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ النَّاسِ ، وَكَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ كَلَامٌ ، وَكَلَامُ
مَلَائِكَتِهِ كَلَامٌ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : أَمَا رَأَيْتَ النَّاسَ لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يُفْهِمُوا بَعْضَ
الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ مَا يُرِيدُونَ مِنْ تَقَدُّمِهَا وَتَأَخُّرِهَا ، وَإِقْبَالِهَا
وَإِدْبَارِهَا ، لَمْ يَجِدُوا الدَّوَابَّ وَالطَّيْرَ تَحْمِلُ كَلَامَهُمُ الَّذِي هُوَ
كَلَامُهُمْ ، فَوَضَعُوا مِنَ النُّقْرِ وَالصَّفِيرِ وَالزَّجْرِ مَا يَبْلُغُوا بِهِ حَاجَتَهُمْ ،
وَمَا عَرَفُوا أَنَّهَا تُطِيقُ حَمْلَهُ ، وَكَذَلِكَ الْعِبَادُ يَعْجِزُونَ أَنْ يَعْلَمُوا كَلَامَ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَامَ مَلَائِكَتِهِ عَلَى كُنْهِهِ وَكَمَالِهِ وَلُطْفِهِ وَصِفَتِهِ ، فَصَارَ
مَا تَرَجَعَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي سَمِعُوا بِهَا الْحِكْمَةَ شَبِيهاً
بِمَا وَضَعَ النَّاسُ لِلدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ ، وَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ الصَّوْتُ مَكَانَ
الْحِكْمَةِ الْمُخْبِرَةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ وَاضِحَةً
بَيْنَهُمْ ، قَوِيَّةً مُنِيرَةً شَرِيفَةً عَظِيمَةً ، وَلَمْ يَمْنَعْهَا مِنْ وَقُوعِ مَعَانِيهَا

عَلَى مَوَاقِعِهَا ، وَبُلُوغِ مَا اخْتَجَّ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ فِيهَا ،
وَكَانَ الصَّوْتُ لِلْحِكْمَةِ جَسَدًا وَمَسْكَنًا ، وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ لِلصَّوْتِ
نَفْسًا وَرُوحًا ، وَلَا طَاقَةَ لِلنَّاسِ أَنْ يُنْفِذُوا غَوْرَ كَلَامِ الْحِكْمَةِ ، وَلَا
يُحِيطُوا بِهِ بِعُقُولِهِمْ ، فَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ تَفَاضَلَتِ الْعُلَمَاءُ فِي عِلْمِهِمْ ،
فَلَا يَزَالُ عَالِمٌ يَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ عَالِمٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْعِلْمُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ قَدْ يُصِيبُونَ مِنَ الْحِكْمَةِ
وَالْعِلْمِ مَا يُنْجِيهِمْ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ ، كَمَا أَنَّ
النَّاسَ يَنَالُونَ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ مَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي مَعَاشِهِمْ
وَأَبْدَانِهِمْ ، وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُنْفِذُوهَا بِأَبْصَارِهِمْ ، فَهِيَ كَالْعَيْنِ
الْغَزِيرَةِ الظَّاهِرِ مَجْرَاهَا ، الْمَكْنُونِ غُنْصُرُهَا ، فَالنَّاسُ قَدْ يُجِيبُونَ
بِمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ مَائِهَا ، وَلَا يُدْرِكُونَ غَوْرَهَا ، وَهِيَ كَالنُّجُومِ الزَّاهِرَةِ
الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا النَّاسُ وَلَا يَعْلَمُونَ مَسَاقِطَهَا ، فَالْحِكْمَةُ أَشْرَفُ
وَأَرْفَعُ وَأَعْظَمُ مِمَّا وَصَفْنَاهَا بِهِ كُلُّهُ ، هِيَ مِفْتَاحُ بَابِ كُلِّ خَيْرٍ
يُزْتَجَى ، وَالنَّجَاةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى ، وَهِيَ شَرَابُ الْحَيَاةِ الَّتِي مَنْ
شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ أَبَدًا ، وَالشِّفَاءُ لِلْسَّقَمِ الَّذِي مَنْ اسْتَشْفَى بِهِ لَمْ
يَسْقُمْ أَبَدًا ، وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ لَمْ يَضِلَّ أَبَدًا ، هِيَ

حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ الَّذِي لَا يُخْلِقُهُ طَوْلُ التَّكْرَارِ ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ انْجَلَى عَنْهُ الْعَمَى ، وَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ فَازَ وَاهْتَدَى ، وَأَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَمَا بَالُ هَذِهِ الْحِكْمَةِ الَّتِي وَصَفَتْ بِمَا وَصَفَتْ مِنَ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ وَالْإِزْتِفَاعِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْكَمَالِ وَالْبُرْهَانِ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّمَا مَثَلُ الْحِكْمَةِ كَمَثَلِ الشَّمْسِ الطَّالِعَةِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ ، الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ مِنْهُمْ ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا لَمْ تَمْنَعْهُ ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِنْ أَقْرَبِهِمْ وَأَبْعَدِهِمْ ، وَمَنْ لَمْ يُرِدْ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا ، فَلَا حُجَّةَ لَهُ عَلَيْهَا ، وَلَا تَمْنَعُ الشَّمْسُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا ، وَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ وَحَالُهَا بَيْنَ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالْحِكْمَةُ قَدْ عَمَّتِ النَّاسَ جَمِيعاً ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاضِلُونَ فِي ذَلِكَ ، وَالشَّمْسُ ظَاهِرَةٌ إِذْ طَلَعَتْ عَلَى الْأَبْصَارِ النَّازِرَةِ فَرَّقَتْ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ ، فَمِنْهُمْ الصَّحِيحُ الْبَصَرِ الَّذِي يَنْفَعُهُ الضُّوْءُ ، وَيَقْوَى عَلَى النَّظَرِ ، وَمِنْهُمْ الْأَعْمَى الْقَرِيبُ مِنَ الضُّوْءِ الَّذِي لَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسٌ أَوْ شُمُوسٌ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ شَيْئاً ، وَمِنْهُمْ الْمَرِيضُ

الْبَصْرِ الَّذِي لَا يُعَدُّ فِي الْعُمَيَّانِ ، وَلَا فِي أَصْحَابِ الْبَصْرِ ، كَذَلِكَ الْحِكْمَةُ هِيَ شَمْسُ الْقُلُوبِ إِذَا طَلَعَتْ تَفَرَّقَ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ : مَنَزِلَ لِأَهْلِ الْبَصْرِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ الْحِكْمَةَ فَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَيَعْمَلُونَ بِهَا ، وَمَنَزِلَ لِأَهْلِ الْعَمَى الَّذِينَ تَبَوُّوا الْحِكْمَةَ عَنْ قُلُوبِهِمْ لِإِنْكَارِهِمُ الْحِكْمَةَ ، وَتَرْكِهِمْ قَبُولَهَا ، كَمَا يَتَّبِعُونَ ضَوْءَ الشَّمْسِ عَنِ الْعُمَيَّانِ ، وَمَنَزِلَ لِأَهْلِ مَرَضِ الْقُلُوبِ الَّذِينَ يَقْصُرُ عِلْمُهُمْ ، وَيَضْعُفُ عَمَلُهُمْ ، وَيَسْتَوِي فِيهِمُ السَّيِّئُ وَالْحَسَنُ ، وَالْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ، وَإِنْ أَكْثَرَ مَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ مِمَّنْ يَعْمَى عَنْهَا .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَهَلْ يَسَعُ الرَّجُلَ الْحِكْمَةُ فَلَا يُجِيبُ إِلَيْهَا حَتَّى يَلْبَثَ زَمَانًا نَاكِبًا عَنْهَا ، ثُمَّ يُجِيبُ وَيُرَاجِعُهَا ؟

قَالَ بِلَوَهْرُ : نَعَمْ ، هَذَا أَكْثَرُ حَالَاتِ النَّاسِ فِي الْحِكْمَةِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : تَرَى وَالِدِي سَمِعَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ قَطُّ ؟

قَالَ بِلَوَهْرُ : لَا أَرَاهُ سَمِعَ سَمَاعًا صَحِيحًا رَسَخَ فِي قَلْبِهِ ، وَلَا كَلِمَةً فِيهِ نَاصِحٌ شَفِيقٌ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : وَكَيْفَ تَرَكَ ذَلِكَ الْحُكَمَاءُ مِنْهُ طُولَ دَهْرِهِمْ ؟

قَالَ بَلَوَهْرُ : تَرَكُوهُ لِعِلْمِهِمْ بِمَوَاضِعِ كَلَامِهِمْ ، فَرَبَّمَا تَرَ كُوا
ذَلِكَ مِمَّنْ هُوَ أَحْسَنُ إِنْصَافاً ، وَالَّتَيْنِ عَرِيكَتَهُ ، وَأَحْسَنُ اسْتِمَاعاً مِنْ
أَبِيكَ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعَايِشُ الرَّجُلَ طُولَ عُمُرِهِ وَبَيْنَهُمَا
الاسْتِيْنَاسُ وَالْمَوَدَّةُ وَالْمُقَاوَضَةُ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا الدِّينُ
وَالْحِكْمَةُ ، وَهُوَ مُتَفَجِّعٌ عَلَيْهِ ، مُتَوَجِّعٌ لَهُ ، ثُمَّ لَا يُفْضِي إِلَيْهِ أَسْرَارَ
الْحِكْمَةِ ؛ إِذْ لَمْ يَرَهُ لَهَا مَوْضِعاً .

وَقَدْ بَلَغْنَا أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ عَاقِلاً ، قَرِيباً مِنَ النَّاسِ ،
مُضْلِحاً لِأُمُورِهِمْ ، حَسَنَ النَّظَرِ وَالْإِنْصَافِ لَهُمْ ، وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ
صِدْقٍ صَالِحٍ يُعِينُهُ عَلَى الْإِصْلَاحِ ، وَيَكْفِيهِ مَثُونَتَهُ ، وَيُشَاوِرُهُ فِي
أُمُورِهِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ أَدِيباً عَاقِلاً لَهُ دِينَ وَوَرَعٌ ، وَنَزَاهَةٌ عَلَى
الدُّنْيَا (١) ، وَكَانَ قَدْ لَقِيَ أَهْلَ الدِّينِ وَسَمِعَ كَلَامَهُمْ ، وَعَرَفَ
فَضْلَهُمْ فَأَجَابَهُمْ ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِمْ بِإِخَائِهِ وَوُدِّهِ ، وَكَانَتْ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ
مَنْزِلَةٌ حَسَنَةٌ وَخَاصَّةٌ ، وَكَانَ الْمَلِكُ لَا يَكْتُمُهُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ ، وَكَانَ
الْوَزِيرُ أَيْضاً لَهُ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُطْلِعَهُ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ ،
وَلَا يُفَاوِضَهُ أَسْرَارَ الْحِكْمَةِ ، فَعَاشَا بِذَلِكَ زَمَاناً طَوِيلاً ، وَكَانَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « وَزَهَادَةً عَنِ الدُّنْيَا » .

الْوَزِيرُ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ سَجَدَ لِلأَصْنَامِ وَعَظَّمَهَا ، وَأَخَذَ شَيْئاً فِي طَرِيقِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ تَقِيَّةً لَهُ ، فَأَشْفَقَ الْوَزِيرُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ ذَلِكَ ، وَاهْتَمَّ بِهِ ، وَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَصْحَابَهُ وَإِخْوَانَهُ فَقَالُوا لَهُ : انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَصْحَابِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مَوْضِعاً لِلْكَلامِ فَكَلِّمُهُ وَفَاوِضْهُ ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ إِنَّمَا تُعِينُهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَتُهَيِّجُهُ عَلَى أَهْلِ دِينِكَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَغْتَرُّ بِهِ ، وَلَا تُؤْمِنُ سَطَوْتُهُ ، فَلَمْ يَزَلِ الْوَزِيرُ عَلَى اهْتِمَامِهِ بِهِ مُصَافِياً لَهُ ، رَفِيقاً بِهِ ، رَجَاءً أَنْ يَجِدَ فُرْصَةً فَيَنْصَحَهُ ، أَوْ يَجِدَ لِلْكَلامِ مَوْضِعاً فَيَفَاوِضْهُ ، وَكَانَ الْمَلِكُ مَعَ ضَلَالَتِهِ مُتَوَاضِعاً سَهْلاً قَرِيباً ، حَسَنَ السَّيْرَةِ فِي رَعِيَّتِهِ ، حَرِيصاً عَلَى إِصْلَاحِهِمْ ، مُتَفَقِّداً لِأُمُورِهِمْ ، فَاصْطَحَبَ الْوَزِيرُ مَعَ الْمَلِكِ عَلَى هَذَا بَرْهَةً مِنْ زَمَانِهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِلْوَزِيرِ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي - بَعْدَ مَا هَدَاتِ الْعُيُونُ - : هَلْ لَكَ أَنْ تَرْكَبَ فَنَسِيرَ فِي الْمَدِينَةِ فَنَنْظُرَ إِلَى حَالِ النَّاسِ ، وَآثَارِ الْأَمْطَارِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ؟ فَقَالَ الْوَزِيرُ : نَعَمْ ، فَرَكِبَا جَمِيعاً يَجُولَانِ فِي نَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، فَمَرَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَلَى مَزْبَلَةٍ تُشَبِّهُ الْجَبَلَ ، فَنَظَرَ الْمَلِكُ إِلَى ضَوْءِ النَّارِ تَبْدُو فِي

نَاحِيَةِ الْمَزْبَلَةِ ، فَقَالَ لِلْوَزِيرِ : إِنَّ لِهَذِهِ لِقِصَّةً ، فَأَنْزِلْ بِنَا نَمْشِي حَتَّى
 نَدْنُو مِنْهَا فَتَعْلَمَ خَبَرَهَا ، ففَعَلَا ذَلِكَ ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى مَخْرَجِ الضُّوءِ
 وَجَدَا نَقْبًا شَبِيهَاً بِالْغَارِ ، وَفِيهِ مَسْكِينٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ ، ثُمَّ نَظَرَا فِي
 الْغَارِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمَا الرَّجُلُ ، فَإِذَا الرَّجُلُ مُشَوِّهُ الْخَلْقِ ، عَلَيْهِ
 ثِيَابٌ خُلِقَانٌ مِنْ خُلِقَانِ الْمَزْبَلَةِ ، مُتَكَيِّ عَلَى مُتَكَا قَدْ هَيَّأَهُ مِنَ
 الزُّبْلِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ إِبْرِيْقٌ فَخَّارٌ فِيهِ شَرَابٌ ، وَفِي يَدِهِ طُبُورٌ يَضْرِبُ
 بِيَدِهِ ، وَأَمْرَأَتُهُ فِي مِثْلِ خَلْقِهِ وَلِبَاسِهِ قَائِمَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، تَسْقِيهِ إِذَا
 اسْتَسْقَى مِنْهَا ، وَتَرْقُصُ لَهُ إِذَا ضَرَبَ ، وَتُحْيِيهِ بِتَحِيَّةِ الْمُلُوكِ كُلَّمَا
 شَرِبَ ، وَهُوَ يُسَمِّيهَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ ، وَهُمَا يَصِفَانِ أَنْفُسَهُمَا بِالْحُسْنِ
 وَالْجَمَالِ ، وَبَيْنَهُمَا مِنَ السُّرُورِ وَالضَّحِكِ وَالطَّرِبِ مَا لَا يُوصَفُ ،
 فَقَامَ الْمَلِكُ عَلَى رِجْلَيْهِ مَلِيًّا وَالْوَزِيرُ يَنْظُرُ كَذَلِكَ ، وَيَتَعَجَّبَانِ مِنْ
 لَذَّتِهِمَا وَإِعْجَابِهِمَا بِمَا هُمَا فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ الْمَلِكُ وَالْوَزِيرُ ، فَقَالَ
 الْمَلِكُ : مَا أَعْلَمَنِي وَإِيَّاكَ أَصَابَنَا الدَّهْرُ مِنَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ وَالْفَرَحِ
 مِثْلَ مَا أَصَابَ هَذَيْنِ اللَّيْلَةَ ، مَعَ أَنِّي أَظْنُهُمَا يَصْنَعَانِ كُلُّ لَيْلَةٍ مِثْلَ
 هَذَا ، فَاعْتَنَمَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَوَجَدَ فُرْصَةً فَقَالَ لَهُ : أَخَافُ - أَيُّهَا
 الْمَلِكُ - أَنْ يَكُونَ دُنْيَانَا هَذِهِ مِنَ الْغُرُورِ ، وَيَكُونَ مُلْكُكَ وَمَا نَحْنُ

فِيهِ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ فِي أَغْنِي مَنْ يَعْرِفُ الْمَلَكُوتَ الدَّائِمَ مِثْلَ
هَذِهِ الْمَرْبَلَةِ ، وَمِثْلَ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ اللَّذَيْنِ رَأَيْنَاهُمَا ، وَتَكُونُ
مَسَاكِينًا وَمَا شَيْدْنَا مِنْهَا عِنْدَ مَنْ يَزُجُّو مَسَاكِينَ السَّعَادَةِ وَثَوَابَ الْآخِرَةِ
مِثْلَ هَذَا الْغَارِ فِي أَغْنِيَنَا ، وَتَكُونُ أَجْسَادُنَا عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ الطَّهَارَةَ
وَالنَّصَارَةَ ، وَالْحُسْنَ وَالصُّحَّةَ ، مِثْلَ جَسَدِ هَذَا الْمُشَوِّهِ الْخَلْقِ فِي
أَغْنِيَنَا ، وَيَكُونُ تَعَجُّبُهُمْ عَنْ إِعْجَابِنَا بِمَا نَحْنُ فِيهِ كَتَعَجُّبِنَا مِنْ
إِعْجَابِ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ بِمَا هُمَا فِيهِ .

قَالَ الْمَلِكُ : وَهَلْ تَعْرِفُ لِهَذِهِ الصُّفَةِ أَهْلًا ؟ قَالَ الْوَزِيرُ : نَعَمْ ،
قَالَ الْمَلِكُ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ الْوَزِيرُ : أَهْلُ الدِّينِ الَّذِينَ عَرَفُوا مُلْكَ
الْآخِرَةِ وَنَعِيمَهَا فَطَلَّبُوهُ .

قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا مُلْكُ الْآخِرَةِ ؟ قَالَ الْوَزِيرُ : هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي لَا
بُؤْسَ بَعْدَهُ ، وَالْغِنَى الَّذِي لَا فَقْرَ بَعْدَهُ ، وَالْفَرَحُ الَّذِي لَا تَرَحَ
بَعْدَهُ ، وَالصُّحَّةُ الَّتِي لَا سُقْمَ بَعْدَهَا ، وَالرِّضَا الَّذِي لَا سَخَطَ بَعْدَهُ ،
وَالْأَمْنُ الَّذِي لَا خَوْفَ بَعْدَهُ ، وَالْحَيَاةُ الَّتِي لَا مَوْتَ بَعْدَهَا ، وَالْمُلْكُ
الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ ، هِيَ دَارُ الْبَقَاءِ ، وَدَارُ الْحَيَوَانِ الَّتِي لَا انْقِطَاعَ لَهَا ،
وَلَا تَغْيِيرَ فِيهَا ، رَفَعَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَنْ سَاكِنِيهَا فِيهَا السُّقْمَ وَالْهَرَمَ

وَالشَّقَاءَ وَالنَّصَبَ وَالْمَرَضَ وَالْجُوعَ وَالظَّمَأَ وَالْمَوْتَ ، فَهَذِهِ صِفَةُ
مُلْكِ الْآخِرَةِ وَخَبَرُهَا أَيُّهَا الْمَلِكُ .

قَالَ الْمَلِكُ : وَهَلْ تُذَرِكُونِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ مَطْلَبًا ؟ وَإِلَى دُخُولِهَا
سَبِيلًا ؟ قَالَ الْوَزِيرُ : نَعَمْ ، هِيَ مُهَيَّاةٌ لِمَنْ طَلَبَهَا مِنْ وَجْهِ مَطْلَبِهَا ،
وَمَنْ أَتَاهَا مِنْ بَابِهَا ظَفِرَ بِهَا .

قَالَ الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ : مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ إِجْلَالُكَ ، وَالْهَيْبَةُ لِسُلْطَانِكَ .

قَالَ الْمَلِكُ : لَيْسَ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي وَصَفْتَ يَقِينًا فَلَا يَنْبَغِي لَنَا
أَنْ نُضَيِّعَهُ ، وَلَا نَتْرِكَ الْعَمَلَ بِهِ فِي إِصَابَتِهِ ، وَلَكِنَّا نَجْتَهِدُ حَتَّى يَصِحَّ
لَنَا خَبَرُهُ .

قَالَ الْوَزِيرُ : أَفَتَأْمُرُنِي - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَنْ أُوَاطِبَ عَلَيْكَ فِي
ذِكْرِهِ ، وَالتَّكْرِيرِ لَهُ ؟

قَالَ الْمَلِكُ : بَلْ أَمُرُّكَ أَنْ لَا تَقْطَعَ عَنِّي ذِكْرَهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا ، وَلَا
تُرِيحَنِي وَلَا تُمْسِكَ عَنِّي ذِكْرَهُ ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ لَا يُتَهَاوَنُ بِهِ ،
وَلَا يُغْفَلُ عَنْ مِثْلِهِ ، وَكَانَ سَبِيلُ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَالْوَزِيرِ إِلَى النِّجَاحِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : مَا أَنَا بِشَاغِلٍ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ ، وَلَقَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْهَرَبِ مَعَكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ حَيْثُ بَدَا لَكَ أَنْ تَذْهَبَ .

قَالَ بِلَوَهْرُ : وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ مَعِيَ ، وَالصَّبْرَ عَلَى صُحْبَتِي ، وَلَيْسَ لِي جُحْرٌ يَأْوِينِي ، وَلَا دَابَّةٌ تَحْمِلُنِي ، وَلَا أَمْلِكُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً ، وَلَا أَذْخِرُ غِذَاءَ الْعِشَاءِ ، وَلَا يَكُونُ عِنْدِي فَضْلٌ ثَوْبٍ ، وَلَا أَسْتَقِرُّ بِبَلَدَةٍ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَتَحَوَّلَ عَنْهَا ، وَلَا أَتَزَوَّدُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى رَغِيْفًا أَبَدًا ؟

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُقَوِّينِي الَّذِي قَوَّاكَ .

قَالَ بِلَوَهْرُ : أَمَّا إِنَّكَ إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا صُحْبَتِي كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَكُونَ كَالْغَنِيِّ الَّذِي صَاهَرَ الْفَقِيرَ .

قَالَ يُوْدَاسُفُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بِلَوَهْرُ : زَعَمُوا أَنَّ فَتًى كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَغْنِيَاءِ ، فَأَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَةً عَمَّ لَهُ ذَاتَ جَمَالٍ وَمَالٍ ، فَلَمْ يُوَافِقْ ذَلِكَ الْفَتَى ، وَلَمْ يُطْلِعْ أَبَاهُ عَلَى كَرَاهَتِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ عَلَى جَارِيَةٍ عَلَيْهَا ثِيَابٌ خُلْقَانُ ، لَهَا قَائِمَةٌ

عَلَى بَابِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْمَسَاكِينِ ، فَأَعْجَبَتْهُ الْجَارِيَةُ ، فَقَالَ لَهَا :
 مَنْ أَنْتِ أَيْتُهَا الْجَارِيَةُ ؟ قَالَتْ : أَنَا ابْنَةُ شَيْخٍ كَبِيرٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ ،
 فَنَادَى الْفَتَى الشَّيْخَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ تُزَوِّجُنِي ابْنَتَكَ هَذِهِ ؟
 قَالَ : مَا أَنْتِ بِمُتَزَوِّجٍ لِبَنَاتِ الْفُقَرَاءِ ، وَأَنْتِ فَتَى مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ، قَالَ :
 أَعْجَبْتَنِي هَذِهِ الْجَارِيَةُ ، وَلَقَدْ خَرَجْتُ هَارِباً مِنْ امْرَأَةٍ ذَاتِ حَسَبٍ
 وَمَالٍ أَرَادُوا مِنِّي تَزْوِيجَهَا فَكَرِهْتُهَا ، فَزَوِّجْنِي ابْنَتَكَ فَإِنَّكَ وَاجِدٌ
 عِنْدِي خَيْراً إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الشَّيْخُ : كَيْفَ أَرَوُّجُكَ ابْنَتِي وَنَحْنُ لَا تَطِيبُ أَنْفُسَنَا أَنْ
 تَنْقُلَهَا عَنَّا ، وَلَا أَحْسَبُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ أَهْلَكَ يَرْضُونَ أَنْ تَنْقُلَهَا إِلَيْهِمْ ؟
 قَالَ الْفَتَى : فَنَحْنُ مَعَكُمْ فِي مَنْزِلِكُمْ هَذَا ، قَالَ الشَّيْخُ : إِنْ صَدَقْتَ
 فِيمَا تَقُولُ فَاطْرَحْ عَنْكَ زَيْكَ وَحِلْيَتَكَ هَذِهِ ، قَالَ : فَفَعَلَ الْفَتَى
 ذَلِكَ ، وَأَخَذَ أَطْمَاراً رَثَةً مِنْ أَطْمَارِهِمْ فَلَبِسَهَا وَقَعَدَ مَعَهُمْ ، فَسَأَلَهُ
 الشَّيْخُ عَنْ شَأْنِهِ ، وَعَرَضَ لَهُ بِالْحَدِيثِ حَتَّى فَتَشَّ عَقْلَهُ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ
 صَحِيحُ الْعَقْلِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى مَا صَنَعَ السَّفَهُ ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ :
 أَمَّا إِذَا اخْتَرْتَنَا وَرَضِيتَ بِنَا فَقُمْ مَعِيَ إِلَى هَذَا السَّرْبِ فَأَدْخِلْهُ ، فَإِذَا
 خَلَفَ مَنْزِلَهُ بُيُوتَ وَمَسَاكِينَ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ سَعَةً وَحُسْنًا ، وَلَهُ

خَزَائِنُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ مَفَاتِيحَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ كُلَّ مَا هَاهُنَا لَكَ ، فَاصْنَعْ بِهِ مَا أَحْبَبْتَ ، فَنِعْمَ الْفَتَى أَنْتَ ، وَأَصَابَ الْفَتَى مَا كَانَ يُرِيدُهُ .

قَالَ يُونَا سُفُ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَ هَذَا الْمَثَلِ ، إِنَّ الشَّيْخَ فَتَّشَ عَقْلَ هَذَا الْغُلَامِ حَتَّى وَثَقَ بِهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطَوَّلُ بِي عَلَى تَفْتِيشِ عَقْلِي فَأَعْلِمْنِي مَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَيَّ لَا كُتِفَيْتُ مِنْكَ بِأَذْنَى الْمُسَافَهَةِ ، وَلَكِنَّ فَوْقَ رَأْسِي سُنَّةٌ قَدْ سَنَّهَا أَيْمَةُ الْهُدَى فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ فِي التَّوْفِيقِ ، وَعِلْمِ مَا فِي الصُّدُورِ ، فَأَنَا أَخَافُ أَنْ خَالَفْتُ السُّنَّةَ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَخَذْتُ بِدَعَةٍ ، وَأَنَا مُنْصَرِفٌ عَنْكَ اللَّيْلَةَ وَحَاضِرٌ بِأَبِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِكَ بِهَذَا ، وَاتَّعِظْتُ بِهِ ، وَلِيَحْضُرَكَ فَهْمُكَ تَثَبُّتٌ ، وَلَا تَعْجَلْ بِالتَّصَدِيقِ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ هَمُّكَ حَتَّى تَعْلَمَهُ بَعْدَ التُّؤَدَةِ وَالْأَنَاءَةِ ، وَعَلَيْكَ بِالْإِحْتِرَاسِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَغْلِبَكَ الْهَوَى ، وَالْمَيْلُ إِلَى الشُّبْهَةِ وَالْعَمَى ، وَاجْتَهِدْ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي تَظُنُّ أَنَّ فِيهَا شُبْهَةً ، ثُمَّ كَلِّمْنِي فِيهَا ، وَأَعْلِمْنِي رَأْيَكَ فِي الْخُرُوجِ إِذَا أَرَدْتَ ، وَافْتَرَقَا عَلَى هَذَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

ثُمَّ عَادَ الْحَكِيمُ إِلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَوَّلَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ ، وَالْآخِرَ الَّذِي لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ ، وَالْبَاقِيَ الَّذِي لَا مُنْتَهَى لَهُ ، وَالْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ ، وَالْقَاهِرَ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ ، الْبَدِيعَ الَّذِي لَا خَالِقَ مَعَهُ ، الْقَادِرَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ ضِدٌّ ، الصَّمَدَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نِدٌّ ، الْمَلِكَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، أَنْ يَجْعَلَكَ مَلِكًا عَدْلًا ، إِمَامًا فِي الْهُدَى ، قَائِدًا إِلَى التَّقْوَى ، وَمُبْصِرًا مِنَ الْعَمَى ، وَزَاهِدًا فِي الدُّنْيَا ، وَمُحِبًّا لِلذَّوِي النَّهْيِ ، وَمُبْغِضًا لِأَهْلِ الرَّدَى ، حَتَّى يُفْضِيَ بِنَاوِكَ إِلَى مَا وَعَدَ اللَّهُ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ مِنْ جَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ ، فَإِنْ رَغَبْتَنَا إِلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ سَاطِعَةً ، وَرَهَبْتَنَا مِنْهُ بَاطِنَةً ، وَأَبْصَرْنَا إِلَيْهِ شَاخِصَةً (١) ، وَأَعْنَقْنَا لَهُ خَاضِعَةً ، وَأُمُورَنَا إِلَيْهِ صَائِرَةً .

فَرَّقَ ابْنُ الْمَلِكِ لِذَلِكَ الدُّعَاءِ رِقَّةً شَدِيدَةً ، وَازْدَادَ فِي الْخَيْرِ رَغْبَةً ، وَقَالَ مُتَعَجِّبًا مِنْ قَوْلِهِ : أَيُّهَا الْحَكِيمُ ! أَعْلِمْنِي كَمْ أَتَى لَكَ مِنَ الْعُمُرِ ؟ فَقَالَ : اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً ، فَازْتَاعَ لِذَلِكَ وَقَالَ : ابْنُ اثْنَتَيْنِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « وَأَبْصَرْنَا إِلَيْهِ خَاشِعَةً » .

عَشْرَةَ سَنَةٍ طِفْلٌ ، وَأَنْتَ مَعَ مَا أَرَى مِنَ التَّكْهَلِ لِابْنِ سِتِّينَ سَنَةً ؟ قَالَ الْحَكِيمُ : أَمَّا الْمَوْلُدُ فَقَدْ رَاهَقَ السِّتِينَ سَنَةً ، وَلَكِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنِ الْعُمُرِ ، وَإِنَّمَا الْعُمُرُ الْحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي الدِّينِ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَالتَّخَلِّي مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِي إِلَّا مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنِّي كُنْتُ مَيِّتًا ، وَلَسْتُ أَعْتَدُ فِي عُمْرِي بِأَيَّامِ الْمَوْتِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : كَيْفَ تَجْعَلُ الْآكِلَ وَالشَّارِبَ وَالْمُتَقَلِّبَ مَيِّتًا ؟ قَالَ الْحَكِيمُ : لِأَنَّهُ شَارَكَ الْمَوْتَى فِي الْعَمَى وَالصَّمِّ وَالْبَكَمِ ، وَضَعِفَ الْحَيَاةَ ، وَقِلَّةِ الْغِنَى ، فَلَمَّا شَارَكَهُمْ فِي الصِّفَةِ وَافَقَهُمْ فِي الْأَسْمِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : لَئِنْ كُنْتُ لَا تَعُدُّ حَيَاةً ، وَلَا غِبْطَةً ، مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعُدَّ مَا يَتَوَقَّعُ مِنَ الْمَوْتِ مَوْتًا وَلَا تَرَاهُ مَكْرُوهًا ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : تَغْرِيرِي فِي الدُّخُولِ عَلَيْكَ بِنَفْسِي - يَا ابْنَ الْمَلِكِ - مَعَ عِلْمِي لِسَطْوَةِ أَبِيكَ عَلَى أَهْلِ دِينِي يَدُلُّكَ عَلَى أَنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ مَوْتًا ، وَلَا أَرَى هَذِهِ الْحَيَاةَ حَيَاةً ، وَلَا مَا أَتَوَقَّعُ مِنَ الْمَوْتِ مَكْرُوهًا ، فَكَيْفَ يَزْغِبُ فِي الْحَيَاةِ مَنْ قَدْ تَرَكَ حَظَّهُ مِنْهَا ، أَوْ يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ أَمَاتَ نَفْسَهُ بِيَدِهِ ، أَوْ لَا تَرَى - يَا ابْنَ

الْمَلِكِ - أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ قَدْ رَفَضَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَمَا لَا يَزُغِبُ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا لَهُ ^(١) ، وَاحْتَمَلَ مِنْ نَصَبِ الْعِبَادَةِ مَا لَا يُرِيحُهُ مِنْهُ إِلَّا الْمَوْتُ ، فَمَا حَاجَةٌ مَنْ لَا يَتَمَتَّعُ بِلَذَّةِ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَيَاةِ ، أَوْ يَهْزُبُ مَنْ لَا رَاحَةَ لَهُ إِلَّا فِي الْمَوْتِ مِنَ الْمَوْتِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : صَدَقَتْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ ، فَهَلْ يَسْرُكَ أَنْ يَنْزَلَ بِكَ الْمَوْتُ مِنْ غَدٍ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : بَلْ يَسْرُنِي أَنْ يَنْزَلَ بِي اللَّيْلَةُ دُونَ غَدٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ عَرَفَ السَّيِّئَ وَالْحَسَنَ ، وَعَرَفَ ثَوَابَهُمَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، تَرَكَ السَّيِّئَ مَخَافَةَ عِقَابِهِ ، وَعَمِلَ بِالْحَسَنِ رَجَاءَ ثَوَابِهِ ، وَمَنْ كَانَ مُوقِنًا بِاللَّهِ وَخَدَهُ ، مُصَدِّقًا بِوَعْدِهِ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْمَوْتَ لِمَا يَرْجُو بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الرِّخَاءِ ، وَيَزْهَدُ فِي الْحَيَاةِ لِمَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ فِيهَا ، فَهُوَ يُحِبُّ الْمَوْتَ مُبَادِرَةً مِنْ ذَلِكَ .

فَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ هَذَا لَخَلِيقٌ أَنْ يُبَادِرَ الْهَلَكَةَ لِمَا يَرْجُو فِي ذَلِكَ مِنَ النِّجَاةِ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا أَمْتِنَا هَذِهِ وَعُكُوفِهَا عَلَى

(١) في بعض النسخ : «ما لا يرغب فيها مالا إلا له» .

أَصْنَامُهَا ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَعْمُرُهُ ، وَيُحْسِنُ الْقِيَامَ عَلَيْهِ ؛ إِذْ رَأَى فِي بُسْتَانِهِ ذَاتَ يَوْمٍ عُصْفُورًا وَاقِعًا عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ الْبُسْتَانِ يُصِيبُ مِنْ ثَمَرِهَا ، فَغَاظَهُ ذَلِكَ فَنَصَبَ فَخًا فَصَادَهُ ، فَلَمَّا هَمَّ بِذَبْحِهِ أَنْطَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقُدْرَتِهِ فَقَالَ لِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ : إِنَّكَ تَهْتَمُّ بِذَبْحِي وَلَيْسَ فِيَّ مَا يُشْبِعُكَ مِنْ جُوعٍ ، وَلَا يُقْوِيكَ مِنْ ضَعْفٍ ، فَهَلْ لَكَ فِيَّ خَيْرٌ مِمَّا هَمَمْتَ بِهِ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : مَا هُوَ ؟ قَالَ الْعُصْفُورُ : تُخْلِي سَبِيلِي ، وَأَعْلَمُكَ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُنَّ كُنَّ خَيْرًا لَكَ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ هُوَ لَكَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَأَخْبِرْنِي بِهِنَّ ؟ قَالَ الْعُصْفُورُ : اخْفِظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ : لَا تَأْسَ عَلَى مَا فَاتَكَ ، وَلَا تُصَدِّقَنَّ بِمَا لَا يَكُونُ ، وَلَا تَطْلُبَنَّ مَا لَا تُطِيقُ ، فَلَمَّا قَضَى الْكَلِمَاتِ خَلَّى سَبِيلَهُ فَطَارَ ، فَوَقَعَ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ : لَوْ تَعَلَّمُ مَا فَاتَكَ مِنِّي لَعَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ فَاتَكَ مِنِّي عَظِيمٌ جَسِيمٌ مِنَ الْأَمْرِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ الْعُصْفُورُ : لَوْ كُنْتَ مَضَيْتَ عَلَى مَا هَمَمْتَ بِهِ مِنْ ذَبْحِي لَأَسْتَخَرَجْتَ مِنْ حَوْصَلَتِي دُرَّةً كَبِيضَةً الْوَرَّةِ ، فَكَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ غِنَى الدَّهْرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ مِنْهُ

ذَلِكَ أَسْرَ فِي نَفْسِهِ نَدْمًا عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَقَالَ : دَعْ عَنْكَ مَا مَضَى ،
 وَهَلُمَّ أَنْطَلِقْ بِكَ إِلَى مَنْزِلِي فَأُخْسِنَ صُحْبَتَكَ ، وَأَكْرِمَ مَثْوَاكَ ؟ فَقَالَ
 لَهُ الْعُصْفُورُ : أَيُّهَا الْجَاهِلُ ، مَا أَرَاكَ حَفِظْتَنِي إِذَا ظَفِرْتَ بِي ، وَلَا
 انْتَفَعْتَ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي افْتَدَيْتُ بِهَا مِنْكَ نَفْسِي ، أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكَ أَلَّا
 تَأْسَ عَلَى مَا فَاتَكَ ، وَلَا تُصَدِّقَ مَا لَا يَكُونُ ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لَا
 يُدْرِكُ ؟ أَمَّا أَنْتَ مُتَفَجِّعٌ عَلَى مَا فَاتَكَ ، وَتَلْتَمِسُ مِنِّي رَجْعِي
 إِلَيْكَ ، وَتَطْلُبُ مَا لَا تُدْرِكُ ، وَتُصَدِّقُ أَنَّ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً كَبِيضَةً
 الْوَزَّةَ ، وَجَمِيعِي أَصْغَرُ مِنْ بَيْضِهَا ، وَقَدْ كُنْتُ عَهِدْتُ إِلَيْكَ أَنْ لَا
 تُصَدِّقَ بِمَا لَا يَكُونُ ، وَأَنْ أُمَتِّكُمْ صَنَعُوا أَصْنَامَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ
 زَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي خَلَقَتْهُمْ ، وَحَفِظُوهَا مِنْ أَنْ تُسْرِقَ مَخَافَةً
 عَلَيْهَا ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَحْفَظُهُمْ ، وَأَنْفَقُوا عَلَيْهَا مِنْ مَكَاسِبِهِمْ
 وَأَمْوَالِهِمْ ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَرْزُقُهُمْ ، فَطَلَبُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا
 يُدْرِكُ ، وَصَدَّقُوا بِمَا لَا يَكُونُ ، فَلَزِمَهُمْ مِنْهُ مَا لَزِمَ صَاحِبَ الْبُسْتَانِ .
 قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : صَدَقْتَ ، أَمَّا الْأَصْنَامُ فَإِنِّي لَمْ أَرَلْ عَارِفًا
 بِأَمْرِهَا ، زَاهِدًا فِيهَا ، آيسًا مِنْ خَيْرِهَا ، فَأَحْبِرْنِي بِالَّذِي تَدْعُونِي
 إِلَيْهِ ، وَالَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِكَ مَا هُوَ ؟

قَالَ بَلَوَهَرُ : جَمَاعُ الدِّينِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْآخَرُ الْعَمَلُ بِرِضْوَانِهِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : وَكَيْفَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : أَذْعُوكَ إِلَى أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ، لَمْ يَزَلْ فَرْدًا رَبًّا ، وَمَا سِوَاهُ مَرْبُوبٌ ، وَأَنَّهُ خَالِقٌ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ وَمَا سِوَاهُ مُخَدَّثٌ ، وَأَنَّهُ صَانِعٌ وَمَا سِوَاهُ مَصْنُوعٌ ، وَأَنَّهُ مُدَبِّرٌ وَمَا سِوَاهُ مُدَبَّرٌ ، وَأَنَّهُ بَاقٍ وَمَا سِوَاهُ فَانٍ ، وَأَنَّهُ عَزِيزٌ وَمَا سِوَاهُ ذَلِيلٌ ، وَأَنَّهُ لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفُلُ ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يَضْعُفُ وَلَا يُغْلَبُ ، وَلَا يَضْجَرُ ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، لَمْ تَمْتَنِعْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْهَوَاءُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ ، وَأَنَّهُ كَوَّنَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ، وَلَا تُحْدِثُ فِيهِ الْحَوَادِثُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَحْوَالُ ، وَلَا تُبَدِّلُهُ الْأَزْمَانُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَكُونُ مِنْ مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ ، عَالِمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، قَدِيرٌ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ ، وَأَنْ تَعْرِفَهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ ، وَأَنْ لَهُ ثَوَابًا أَعَدَّهُ لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَعَذَابًا أَعَدَّهُ لِمَنْ

عَصَاهُ ، وَأَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِرِضَاهُ ، وَتَجْتَنِبَ سَخَطَهُ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَمَا رِضَا الْوَاحِدِ الْخَالِقِ مِنَ الْأَعْمَالِ ؟ قَالَ الْحَكِيمُ : يَا ابْنَ الْمَلِكِ ، رِضَاهُ أَنْ تُطِيعَهُ وَلَا تَعْصِيَهُ ، وَأَنْ تَأْتِيَ إِلَى غَيْرِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُؤْتِيَ إِلَيْكَ ، وَتَكُفَّ عَنْ غَيْرِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُكُفَّ عَنْكَ فِي مِثْلِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَدْلٌ ، وَفِي الْعَدْلِ رِضَاهُ ، وَفِي اتِّبَاعِ آثَارِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ بَأَنْ لَا تَعْدُو سُنَّتَهُمْ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : زِدْنِي - أَيُّهَا الْحَكِيمُ - تَزْهِيداً فِي الدُّنْيَا ، وَأُخْبِرْنِي بِحَالِهَا ؟ قَالَ الْحَكِيمُ : إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الدُّنْيَا دَارَ تَصَرُّفٍ وَزَوَالٍ ، وَتَقَلُّبٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَرَأَيْتُ أَهْلَهَا فِيهَا أَغْرَاضاً لِلْمَصَائِبِ ، وَرَهَائِنَ لِلْمَتَالِفِ ، وَرَأَيْتُ صِحَّةً بَعْدَهَا سُقْمًا ، وَشَبَاباً بَعْدَهُ هَرَمًا ، وَغِنًى بَعْدَهُ فَقْرًا ، وَفَرَحاً بَعْدَهُ حُزْناً ، وَعِزّاً بَعْدَهُ ذُلّاً ، وَرَخَاءً بَعْدَهُ شِدَّةً ، وَأَمْنًا بَعْدَهُ خَوْفاً ، وَحَيَاةً بَعْدَهَا مَمَاتًا ، وَرَأَيْتُ أَعْمَاراً قَصِيرَةً ، وَخُثُوفاً رَاصِدَةً ^(١) ، وَسِهَاماً قَاصِدَةً ، وَأَبْدَاناً ضَعِيفَةً مُسْتَسْلِمَةً ، غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ وَلَا حَصِينَةٍ ، عَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ ، بِالْيَةِ فَانِيَّةٌ ، وَعَرَفْتُ بِمَا ظَهَرَ لِي مِنْهَا مَا

(١) الحنف: الموت من غير قتل ، والجمع : حتوف ، والراصد: المراقب .

غَابَ عَنِّي مِنْهَا ، وَعَرَفْتُ بِظَاهِرِهَا بَاطِنَهَا ، وَغَامِضَهَا بِوَاضِحِهَا ،
وَسِرَّهَا بِعَلَانِيَتِهَا ، وَصُدُورَهَا بِوُرُودِهَا ، فَحَذَرْتُهَا لِمَا عَرَفْتُهَا ،
وَفَرَزْتُ مِنْهَا لِمَا أَبْصَرْتُهَا ، بَيْنَا تَرَى الْمَرْءَ فِيهَا مُغْتَبِطاً
مُخْبُوراً (١) ، وَمَلِكاً مُسْرُوراً (٢) ، فِي خَفِضٍ وَدَعَةٍ ، وَنِعْمَةٍ
وَسَعَةٍ ، فِي بَهْجَةٍ مِنْ شَبَابِهِ ، وَحَدَاثَةٍ مِنْ سِنِّهِ ، وَغِبْطَةٍ مِنْ مُلْكِهِ ،
وَبَهَاءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَصِحَّةٍ مِنْ بَدَنِهِ ، إِذَا انْقَلَبَتِ الدُّنْيَا بِهِ أَسْرَ مَا كَانَ
فِيهَا نَفْساً ، وَأَقْرَ مَا كَانَ فِيهَا عَيْناً ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ مُلْكِهَا وَغِبْطَتِهَا
وَحَفِضِهَا وَدَعَتِهَا وَبَهْجَتِهَا ، فَأَبْدَلَتْهُ بِالْعِزِّ ذُلّاً ، وَبِالْفَرَحِ تَرْحاً ،
وَبِالسُّرُورِ حُزْناً ، وَبِالنُّعْمَةِ بُؤْساً ، وَبِالْغِنَى فَقْراً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ،
وَبِالشَّبَابِ هَرَمًا ، وَبِالشَّرَفِ ضَعْفًا ، وَبِالْحَيَاةِ مَوْتًا ، فَدَلَّتْهُ فِي حُفْرَةٍ
ضَيِّقَةٍ شَدِيدَةِ الْوَحْشَةِ ، وَحِيداً فَرِيداً غَرِيباً ، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ
وَفَارَقُوهُ ، وَخَذَلَهُ إِخْوَانُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَنَعًا ، وَغَرَّهُ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ
يَجِدْ عِنْدَهُمْ دَفْعًا ، وَصَارَ عِزُّهُ وَمُلْكُهُ وَأَهْلُهُ وَمَالُهُ نُهْبَةً مِنْ بَعْدِهِ كَأَن
لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا سَاعَةً قَطُّ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا
خَطَرٌ ، وَلَمْ يَمْلِكْ مِنَ الْأَرْضِ حَظًّا قَطُّ ، فَلَا تَتَّخِذْهَا - يَا ابْنَ

(١) أي مسروراً ، والحبر - بفتح الحاء وكسرهما -: السرور ، والجمع : حبور وأحبار .

(٢) في بعض النسخ : « مشعوقاً » .

الْمَلِكِ - دَاراً ، وَلَا تَتَّخِذَنَّ فِيهَا عُقْدَةً ^(١) وَلَا عَقَاراً ، فَأُفِّ لَهَا وَتُفَّ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أُفُّ لَهَا وَلِمَنْ يَغْتَرُّ بِهَا إِذَا كَانَ هَذَا حَالَهَا ، وَرَقُّ ابْنِ الْمَلِكِ وَقَالَ : زِدْنِي - أَيُّهَا الْحَكِيمُ - مِنْ حَدِيثِكَ ، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي صَدْرِي ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : إِنَّ الْعُمَرَ قَصِيرٌ ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يُسْرِعَانِ فِيهِ ، وَالْأَرْزَاحَ مِنَ الدُّنْيَا حَيْثُ قَرِيبٌ ، وَإِنَّهُ وَإِنْ طَالَ الْعُمُرُ فِيهَا فَإِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ ، وَالظَّاعِنَ لَا مَحَالَةَ رَاحِلٌ ، فَيَصِيرُ مَا جَمَعَ فِيهَا مُفَرَّقاً ، وَمَا عَمِلَ فِيهَا مُتَّبِراً ، وَمَا شَيْدَ فِيهَا خَرَاباً ، وَيَصِيرُ اسْمُهُ مَجْهُولاً ، وَذِكْرُهُ مَنْسِيّاً ، وَحَسْبُهُ خَامِلاً ، وَجَسَدُهُ بَالِيّاً ، وَشَرَفُهُ وَضِيعاً ، وَنِعْمَتُهُ وَبَالاً ، وَكَسْبُهُ خَسَاراً ، وَيُورَثُ سُلْطَانُهُ ، وَيُسْتَذَلُّ عَقِبُهُ ، وَيُسْتَبَاحُ حَرِيمُهُ ، وَتُنْقَضُ عُهُودُهُ ، وَتُخْفَرُ ذِمَّتُهُ ، وَتُدْرَسُ آثَارُهُ ، وَيُوزَعُ مَالُهُ ، وَيُطَوَّى رَحْلُهُ ، وَيَفْرَحُ عَدُوُّهُ ، وَيَبِيدُ مُلْكُهُ ، وَيُورَثُ تَاجُهُ ، وَيُخْلَفُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَيُخْرَجُ مِنْ مَسَاكِينِهِ مَسْلُوباً مَخْذُولاً ، فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ فَيَذَلُّ فِي

(١) العقدة : الضبعة ، وهي المتاع والعقار .

حُفِرَتْ فِي وَحْدَةٍ وَغُرْبَةٍ ، وَظُلْمَةٍ وَوَحْشَةٍ ، وَمَسْكَنَةٍ وَذِلَّةٍ ، قَدْ
فَارَقَ الْأَحِبَّةَ ، وَأَسْلَمَتْهُ الْعَصَبَةُ ، فَلَا تُؤْنَسُ وَحْشَتُهُ أَبَدًا ، وَلَا تُرَدُّ
غُرْبَتُهُ أَبَدًا .

وَاعْلَمْ أَنَّهَا يَحِقُّ عَلَى الْمَرْءِ اللَّيْبِ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ خَاصَّةً
كَسِيَاسَةِ الْأِمَامِ الْعَادِلِ الْحَازِمِ الَّذِي يُؤَدِّبُ الْعَامَّةَ ، وَيَسْتَصْلِحُ
الرَّعِيَّةَ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا يُفْسِدُهُمْ ، ثُمَّ يُعَاقِبُ
مَنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ ، وَيُكْرِمُ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْهُمْ ، فَكَذَلِكَ لِلرَّجُلِ اللَّيْبُ
أَنْ يُؤَدِّبَ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهَا وَأَهْوَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا ، وَأَنْ تَحْمِلَهَا
- وَإِنْ كَرِهَتْ - عَلَى لُزُومِ مَنَافِعِهَا فِيمَا أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ ، وَعَلَى
اجْتِنَابِ مَضَارِّهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ ثَوَابًا وَعِقَابًا مِنْ
مَكَانِهَا مِنَ السُّرُورِ إِذَا أَحْسَنْتَ ، وَمِنْ مَكَانِهَا مِنَ الْغَمِّ إِذَا أَسَاءْتَ .

وَمِمَّا يَحِقُّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ النَّظَرُ فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ،
وَالْأَخْذُ بِصَوَابِهَا ، وَيَنْهَى نَفْسَهُ عَنْ خَطَايَاهَا ، وَأَنْ يَخْتَقِرَ عَمَلُهُ
وَنَفْسُهُ فِي رَأْيِهِ لِكَيْ لَا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ مَدَحَ
أَهْلَ الْعَقْلِ ، وَذَمَّ أَهْلَ الْعُجْبِ ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَبِالْعَقْلِ يُدْرِكُ كُلُّ
خَيْرٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَبِالْجَهْلِ تَهْلِكُ النُّفُوسُ ، وَإِنْ مِنْ

أَوْثَقِ الثَّقَاتِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَا أَدْرَكَتْهُ عُقُولُهُمْ ، وَبَلَغَتْهُ
تَجَارِبُهُمْ ، وَنَالَتْهُ أَبْصَارُهُمْ فِي التَّرَكِّ لِلْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ ، وَلَيْسَ
ذُو الْعَقْلِ بِجَدِيرٍ أَنْ يَرْفُضَ مَا قَوِيَ عَلَى حِفْظِهِ مِنَ الْعَمَلِ احْتِقَاراً لَهُ
إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ أَسْلِحَةِ الشَّيْطَانِ
الْغَامِضَةِ الَّتِي لَا يُبْصِرُهَا إِلَّا مَنْ تَدَبَّرَهَا ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ
اللَّهُ مِنْهَا ، وَمِنْ رَأْسِ أَسْلِحَتِهِ سِلَاحَانِ : أَحَدُهُمَا انْكَارُ الْعَقْلِ أَنْ
يُوقِعَ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنَّهُ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا بَصَرَ ، وَلَا مَنَفَعَةَ لَهُ
فِي عَقْلِهِ وَبَصَرِهِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصُدَّهُ عَنْ مَحَبَّةِ الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ ، وَيُزَيِّنَ
لَهُ الْاِشْتِغَالَ بِغَيْرِهِ مِنْ مَلَاهِي الدُّنْيَا ، فَإِنْ اتَّبَعَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا
الْوَجْهِ فَهُوَ ظَفَرُهُ ، وَإِنْ عَصَاهُ وَغَلَبَهُ فَرَعَ إِلَى السِّلَاحِ الْآخِرِ ، وَهُوَ
أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ إِذَا عَمِلَ شَيْئاً وَأَبْصَرَ عَرَضَ لَهُ بِأَشْيَاءَ لَا يُبْصِرُهَا
لِيُعْمَهُ وَيُضْجِرَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ ، حَتَّى يُبْغِضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ بِتَضْعِيفِ
عَقْلِهِ عِنْدَهُ ، وَبِمَا يَأْتِيهِ مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَيَقُولُ : أَلَسْتُ تَرَى أَنَّكَ لَا
تَسْتَكْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ ، وَلَا تُطِيقُهُ أَبَداً ، فَبِمَ تَعْنِي نَفْسَكَ وَتُشْقِيهَا فِيمَا
لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ ؟ فَبِهَذَا السِّلَاحِ صَرَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَاخْتَرَسَ مِنْ
أَنْ تَدَعَ اكْتِسَابَ عِلْمٍ مَا تَعْلَمُهُ ، وَأَنْ تُخَدَعَ عَمَّا اكْتَسَبْتَ مِنْهُ ، فَإِنَّكَ

فِي دَارٍ قَدْ اسْتَحَوَذَ عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِهَا الشَّيْطَانُ بِالْوَانِ حِيلِهِ ، وَوُجُوهُ ضَلَالَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ ضَرَبَ عَلَى سَمْعِهِ وَعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ فَتَرَ كَهَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا ، وَلَا يَسْأَلُ عَنْ عِلْمٍ مَا يَجْهَلُ مِنْهُ كَالْبَهِيمَةِ ، وَإِنَّ لِعَامَّتِهِمْ أَذْيَانًا مُخْتَلِفَةً ، فَمِنْهُمْ الْمُجْتَهِدُونَ فِي الضَّلَالَةِ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَيَسْتَحِلُّ دَمَ بَعْضٍ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَيَمُوتُهُ ضَلَالَتُهُمْ بِأَشْيَاءٍ مِنَ الْحَقِّ لِيَلْبَسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ، وَيُزَيِّنَهُ لِضَعِيفِهِمْ ، وَيَصُدَّهُمْ عَنِ الدِّينِ الْقَيِّمِ ، فَالشَّيْطَانُ وَجُنُودُهُ دَائِبُونَ فِي إِهْلَاكِ النَّاسِ وَتَضْلِيلِهِمْ لَا يَسْأَمُونَ وَلَا يَفْتَرُونَ ، وَلَا يُخْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُ مَكَائِدِهِمْ إِلَّا بِعَوْنٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْاِعْتِصَامُ بِدِينِهِ ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَوْفِيقًا لِمَطَاعَتِهِ ، وَنُصْرًا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : صِفْ لِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَتَّى كَأَنِّي أَرَاهُ ؟

قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ لَا يُوصَفُ بِالرُّؤْيَا ، وَلَا يُبْلَغُ بِالْعُقُولِ كُنْهَ صِفَتِهِ ، وَلَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ كُنْهَ مَذْحَتِهِ ، وَلَا يُحِيطُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا عَلَّمَهُمْ مِنْهُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ عِظَمَ رُبُوبِيَّتِهِ ، هُوَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ ، وَأَعَزُّ وَأَعْظَمُ ، وَأَمْنَعُ وَأَلْطَفُ ، فَبَاحَ لِلْعِبَادِ مِنْ عِلْمِهِ بِمَا

أَحَبُّ ، وَأَظْهَرُهُمْ مِنْ صِفَتِهِ عَلَى مَا أَرَادَ ، وَدَلَّلَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ
وَمَعْرِفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ بِإِحْدَاثِ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَإِعْدَامِ مَا أَحْدَثَ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : وَمَا الْحُجَّةُ ؟ قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ شَيْئًا مَصْنُوعًا
غَابَ عَنْكَ صَانِعُهُ عَلِمْتَ بِعَقْلِكَ أَنَّ لَهُ صَانِعًا ، فَكَذَلِكَ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَأَيُّ حُجَّةٍ أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ؟!

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : فَأَخْبِرْنِي - أَيُّهَا الْحَكِيمُ - أَبِقَدَرِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ يُصِيبُ النَّاسَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ وَالْفَقْرِ
وَالْمَكَارِهِ ، أَوْ بَعِيرٍ قَدَرٍ ؟ قَالَ بِلَوْهَرٍ : لَا ، بَلْ بِقَدَرٍ .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ
سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ بَرِيءٌ ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ لِمَنْ
أَطَاعَهُ ، وَالْعِقَابَ الشَّدِيدَ لِمَنْ عَصَاهُ .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي مَنْ أَعْدَلُ النَّاسِ ؟ وَمَنْ أَجْوَرُهُمْ ؟ وَمَنْ
أَكْيَسُهُمْ ؟ وَمَنْ أَحْمَقُّهُمْ ؟ وَمَنْ أَشْقَاهُمْ ؟ وَمَنْ أَسْعَدُهُمْ ؟

قَالَ : أَعْدَلُهُمْ أَنْصَفُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَجْوَرُهُمْ مَنْ كَانَ جَوْرُهُ
عِنْدَهُ عَدْلًا وَعَدْلُ أَهْلِ الْعَدْلِ عِنْدَهُ جَوْرًا ، وَأَمَّا أَكْيَسُهُمْ فَمَنْ أَخَذَ

لَاخِرَتِهِ أَهْبَتَهَا ^(١) ، وَأَخَمَّتُهُمْ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، وَالْخَطَايَا عَمَلُهُ ، وَأَسْعَدَهُمْ مَنْ خُتِمَ عَاقِبَةُ عَمَلِهِ بِخَيْرٍ ، وَأَشْقَاهُمْ مَنْ خُتِمَ لَهُ بِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

ثُمَّ قَالَ : مَنْ دَانَ النَّاسَ بِمَا إِنْ دُيِّنَ بِمِثْلِهِ هَلَكَ ، فَذَلِكَ الْمُسْخِطُ لِلَّهِ ، الْمُخَالَفُ لِمَا يُحِبُّ ، وَمَنْ دَانَهُمْ بِمَا إِنْ دُيِّنَ بِمِثْلِهِ صَلَحَ ، فَذَلِكَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ ، الْمُوَافِقُ لِمَا يُحِبُّ ، الْمُجْتَنِبُ لِمُسْخِطِهِ .
ثُمَّ قَالَ : لَا تَسْتَقْبِحَنَّ الْحَسَنَ وَإِنْ كَانَ فِي الْفُجَّارِ ، وَلَا تَسْتَخْسِنَنَّ الْقَبِيحَ وَإِنْ كَانَ فِي الْأَبْرَارِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالسَّعَادَةِ ؟ وَأَيُّهُمْ أَوْلَى بِالشَّقَاوَةِ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ : أَوْلَاهُمْ بِالسَّعَادَةِ الْمُطِيعُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوَامِرِهِ ، وَالْمُجْتَنِبُ لِنَوَاهِيهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالشَّقَاوَةِ الْعَامِلُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، التَّارِكُ لِمَطَاعَتِهِ ، الْمُؤَثِّرُ لَشَهْوَتِهِ عَلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : فَأَيُّ النَّاسِ أَطْوَعُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : أَتَبِعُهُمْ لِأَمْرِهِ ، وَأَقْوَاهُمْ فِي دِينِهِ ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِالسَّيِّئَاتِ .

(١) الالهة: العدة ، يقال: أخذ للسفر أهبطه ، أي أسبابه .

قَالَ : فَمَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ ؟

قَالَ : الْحَسَنَاتُ صِدْقُ النِّيَّةِ ، وَالْعَمَلُ وَالْقَوْلُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَالسَّيِّئَاتُ سُوءُ النِّيَّةِ ، وَسُوءُ الْعَمَلِ ، وَالْقَوْلُ السَّيِّئُ .

قَالَ : فَمَا صِدْقُ النِّيَّةِ ؟ قَالَ : الْاِقْتِصَادُ فِي الْهِمَّةِ .

قَالَ : فَمَا سُوءُ الْقَوْلِ ؟ قَالَ : الْكَذِبُ .

قَالَ : فَمَا سُوءُ الْعَمَلِ (١) ؟ قَالَ : مَعْصِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ الْاِقْتِصَادُ فِي الْهِمَّةِ ؟ قَالَ : التَّذَكُّرُ لِزَوَالِ الدُّنْيَا ، وَانْقِطَاعِ أَمْرِهَا ، وَالْكُفُّ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا النِّقْمَةُ وَالتَّبَعَةُ فِي الْآخِرَةِ .

قَالَ : فَمَا السَّخَاءُ ؟ قَالَ : إِعْطَاءُ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : فَمَا الْكَرَمُ ؟ قَالَ : التَّقْوَى .

قَالَ : فَمَا الْبُخْلُ ؟ قَالَ : مَنَعُ الْحُقُوقِ عَنْ أَهْلِهَا ، وَأَخْذُهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا .

قَالَ : فَمَا الْحِرْصُ ؟ قَالَ : الْإِخْلَادُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَالطَّمَاحُ إِلَى

(١) في بعض النسخ : « شر » مكان « سوء » .

الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا الْفَسَادُ ، وَثَمَرَتُهَا عُقُوبَةُ الْآخِرَةِ .

قَالَ : فَمَا الصَّدَقُ ؟ قَالَ : الطَّرِيقَةُ فِي الدِّينِ ، بِأَنْ لَا يُخَادِعَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَا يَكْذِبَهَا .

قَالَ : فَمَا الْحُمُقُ ؟ قَالَ : الطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَتَرْكُ مَا يَدُومُ وَيَبْقَى .

قَالَ : فَمَا الْكَذِبُ ؟ قَالَ : أَنْ يَكْذِبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ، فَلَا يَزَالَ بِهِوَاهُ شَغِفاً ، وَلِدِينِهِ مُسَوِّفاً .

قَالَ : أَيُّ الرِّجَالِ أَكْمَلُهُمْ فِي الصَّلَاحِ ؟ قَالَ : أَكْمَلُهُمْ فِي الْعَقْلِ ، وَأَبْصَرُهُمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِخُصُومِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ مِنْهُمْ اخْتِرَاساً .

قَالَ : أَخْبِرْنِي مَا تِلْكَ الْعَاقِبَةُ ؟ وَمَا أَوْلَيْكَ الْخُصَمَاءُ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمُ الْعَاقِلُ فَيَخْتَرِسُ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : الْعَاقِبَةُ الْآخِرَةُ ، وَالْفَنَاءُ الدُّنْيَا .

قَالَ : فَمَا الْخُصَمَاءُ ؟ قَالَ : الْحِرْصُ وَالْغَضَبُ وَالْحَسَدُ وَالْحَمِيَّةُ وَالشَّهْوَةُ وَالرِّيَاءُ وَاللَّجَاجَةُ .

قَالَ : أَيُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَدَدْتُ أَقْوَى وَأَجْدَرُ أَنْ يُسَلَّمَ مِنْهُ ؟

قَالَ : الْحِرْصُ أَقْلُ رِضًا ، وَأَفْحَشُ غَضَبًا ، وَالْغَضَبُ أَجْوَرُ
سُلْطَانًا ، وَأَقْلُ شُكْرًا ، وَأَكْسَبُ لِلْبَغْضَاءِ ، وَالْحَسَدُ أَسْوَأُ الْخِيَّةِ
لِلنِّيَّةِ ، وَأَخْلَفُ لِلظَّنِّ ، وَالْحَمِيَّةُ أَشَدُّ لَجَاجَةً ، وَأَفْطَعُ مَعْصِيَةً ،
وَالْحِقْدُ أَطْوَلُ تَوْقُدًا ، وَأَقْلُ رَحْمَةً ، وَأَشَدُّ سَطْوَةً ، وَالرِّيَاءُ أَشَدُّ
خَدِيعَةً ، وَأَخْفَى اكْتِتَامًا وَأَكْذَبُ ، وَاللَّجَاجَةُ أَغْيَا خُصُومَةً ، وَأَقْطَعُ
مَعْدِرَةً .

قَالَ : أَيُّ مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ لِلنَّاسِ فِي هَلَاكِهِمْ أَبْلَغُ ؟ قَالَ : تَعَمُّيَّتُهُ
عَلَيْهِمُ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَعَوَاقِبُ الْأُمُورِ فِي
ارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ .

قَالَ : أَخْبِرْنِي بِالْقُوَّةِ الَّتِي قَوَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا الْعِبَادَ فِي
تَغَالِبِ تِلْكَ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ ؟

قَالَ : الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ وَالْعَمَلُ بِهِمَا ، وَصَبْرُ النَّفْسِ عَنْ
شَهَوَاتِهَا ، وَالرَّجَاءُ لِلثَّوَابِ فِي الدِّينِ ، وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ لِفَنَاءِ الدُّنْيَا ،
وَقُرْبُ الْأَجْلِ ، وَالِاخْتِفَاطُ مِنْ أَنْ يَنْقُضَ مَا يَبْقَى بِمَا يَفْنَى ، فَاعْتِبَارُ
مَاضِي الْأُمُورِ بِعَاقِبَتِهَا ، وَالِاخْتِفَاطُ بِمَا لَا يَعْرِفُ إِلَّا عِنْدَ ذَوِي
الْعُقُولِ ، وَكَفُّ النَّفْسِ عَنِ الْعَادَةِ السَّيِّئَةِ ، وَحَمْلُهَا عَلَى الْعَادَةِ

الْحَسَنَةِ ، وَالْخُلُقِ الْمَحْمُودِ ، وَأَنْ يَكُونَ أَمَلُ الْمَرْءِ بِقَدْرِ عَيْشِهِ حَتَّى
يَبْلُغَ غَايَتَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقُنُوعُ ، وَعَمَلُ الصَّبْرِ ، وَالرِّضَا
بِالْكَفَافِ ، وَاللُّزُومُ لِلْقَضَاءِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا فِيهِ فِي الشَّدَةِ مِنَ
التَّعَبِ ، وَمَا فِي الْإِفْرَاطِ مِنَ الْاِفْتِرَافِ ، وَحُسْنِ الْعَزَاءِ عَمَّا فَاتَ ،
وَطِيبُ النَّفْسِ عَنْهُ ، وَتَرْكُ مُعَالَجَةِ مَا لَا يَتِمُّ ، وَالصَّبْرُ بِالْأُمُورِ الَّتِي
إِلَيْهَا يُرَدُّ ، وَاخْتِيَارُ سَبِيلِ الرُّشْدِ عَلَى سَبِيلِ الْغَيِّ ، وَتَوْطِينُ النَّفْسِ
عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَمِلَ خَيْرًا أُجْزِيَ بِهِ ، وَإِنْ عَمِلَ شَرًّا أُجْزِيَ بِهِ ،
وَالْمَعْرِفَةُ بِالْحُقُوقِ وَالْحُدُودِ فِي التَّقْوَى ، وَعَمَلُ النَّصِيحَةِ ، وَكُفُّ
النَّفْسِ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى ، وَرُكُوبُ الشَّهَوَاتِ ، وَحَمْلُ الْأُمُورِ عَلَى
الرَّأْيِ ، وَالْأَخْذُ بِالْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ ، فَإِنَّ أَتَاهُ الْبَلَاءُ أَتَاهُ وَهُوَ مَعْدُورٌ غَيْرُ
مَلُومٍ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أَيُّ الْأَخْلَاقِ أَكْرَمُ وَأَعَزُّ ؟ قَالَ : التَّوَاضُّعُ ،
وَلَيْنُ الْكَلِمَةِ لِلْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : أَيُّ الْعِبَادَةِ أَحْسَنُ ؟ قَالَ : الْوَقَارُ وَالْمَوَدَّةُ .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي أَيُّ الشَّيْمِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : حُبُّ الصَّالِحِينَ .

قَالَ : أَيُّ الذُّكْرِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : مَا كَانَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ

وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

قَالَ : فَأَيُّ الْخُصُومِ أَلَدُّ ؟ قَالَ : اَزْتِكَابُ الذُّنُوبِ .

قَالَ : ابْنُ الْمَلِكِ : أَخْبِرْنِي أَيُّ الْفَضْلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الرِّضَا بِالْكَفَافِ .

قَالَ : أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَدَبِ أَحْسَنُ ؟ قَالَ : أَدَبُ الدِّينِ .

قَالَ : أَيُّ الشَّيْءِ أَجْفَى ؟ قَالَ : السُّلْطَانُ الْعَاتِي ، وَالْقَلْبُ الْقَاسِي .

قَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَبْعَدُ غَايَةً ؟ قَالَ : عَيْنُ الْحَرِيصِ الَّتِي لَا تَشْبَعُ مِنَ الدُّنْيَا .

قَالَ : أَيُّ الْأُمُورِ أَخْبَثُ عَاقِبَةً ؟ قَالَ : التِّمَاسُ رِضَا النَّاسِ فِي سَخَطِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا ؟ قَالَ : قُلُوبُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي أَيُّ الْفُجُورِ أَفْحَشُ ؟ قَالَ : إِعْطَاءُ عَهْدِ اللَّهِ ، وَالْغَدْرُ فِيهِ .

قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَسْرَعُ انْقِطَاعاً ؟ قَالَ : مَوَدَّةُ الْفَاسِقِ .

قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَخْوَنُ ؟ قَالَ : لِسَانُ الْكَاذِبِ .

قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ اكْتِسَاماً ؟ قَالَ : شَرُّ الْمُرَائِي الْمُخَادِعِ .

قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ أَشْبَهُ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : أَحْلَامُ النَّائِمِ .

قَالَ : أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ رِضَاً ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ ظَنّاً بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَتْقَاهُمْ ، وَأَقْلَهُهُمْ غَفْلَةً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَانْقِطَاعِ الْمُدَّةِ .

قَالَ : أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا أَقَرُّ لِلْعَيْنِ ؟ قَالَ : الْوَلَدُ الْأَدِيبُ ، وَالزَّوْجَةُ الْمُوَافِقَةُ الْمُوَاتِيَّةُ ، الْمُعِينَةُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ .

قَالَ : أَيُّ الدَّاءِ أَلْزَمُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : الْوَلَدُ السَّوُّءُ ، وَالزَّوْجَةُ السَّوُّءُ ، اللَّذَيْنِ لَا يَجِدُ مِنْهُمَا بُدّاً .

قَالَ : أَيُّ الْحَفْضِ أَحْفَظُ ؟ قَالَ : رِضَا الْمَرْءِ بِحَظِّهِ ، وَاسْتِينَاسُهُ بِالصَّالِحِينَ .

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ لِلْحَكِيمِ : فَرِّغْ لِي ذِهْنَكَ ، فَقَدْ أَرَدْتُ مُسَاءَلَتَكَ عَنْ أَهَمِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ بَعْدَ إِذْ بَصَّرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَمْرِي

مَا كُنْتُ بِهِ جَاهِلًا ، وَرَزَقَنِي مِنَ الدِّينِ مَا كُنْتُ مِنْهُ آيِسًا . قَالَ
الْحَكِيمُ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : أَرَأَيْتَ مَنْ أُوتِيَ الْمُلْكَ طِفْلًا ، وَدِينُهُ عِبَادَةُ
الْأَوْثَانِ ، وَقَدْ غُذِيَ بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَاعْتَادَهَا وَنَشَأَ فِيهَا ، إِلَى أَنْ كَانَ
رَجُلًا وَكَهْلًا لَا يَتَّقِلُ مِنْ حَالَتِهِ تِلْكَ فِي جَهَالَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ ،
وَإِعْطَائِهِ نَفْسَهُ شَهَوَاتِهَا مُتَجَرِّدًا لِبُلُوغِ الْعَايَةِ فِيمَا زُيِّنَ لَهُ مِنْ تِلْكَ
الشَّهَوَاتِ ، مُشْتَغِلًا بِهَا ، مُؤَثِّرًا لَهَا ، جَرِيًّا عَلَيْهَا ، لَا يَرَى الرُّشْدَ
إِلَّا فِيهَا ، وَلَا تَزِيدُهُ الْأَيَّامُ إِلَّا حُبًّا لَهَا ، وَاعْتِرَارًا بِهَا ، وَعَجْبًا وَحُبًّا
لِأَهْلِ مِلَّتِهِ وَرَأْيِهِ ، وَقَدْ دَعَتْهُ بِصِيرَتُهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَهَلَ أَمْرَ
آخِرَتِهِ وَأَغْفَلَهَا ، فَاسْتَخَفَ بِهَا ، وَسَهَا عَنْهَا ، قَسَاوَةَ قَلْبٍ ،
وَحُبْثَ نِيَّةٍ ، وَسُوءَ رَأْيٍ ، وَاشْتَدَّتْ عَدَاوَتُهُ لِمَنْ خَالَفَهُ مِنْ أَهْلِ
الدِّينِ ، وَالِاسْتِخْفَاءِ بِالْحَقِّ وَالْمُغَيِّبِينَ لِأَشْخَاصِهِمْ انْتِظَارًا لِلْفَرَجِ
مِنْ ظُلْمِهِ وَعَدَاوَتِهِ ، هَلْ يَطْمَعُ لَهُ إِنْ طَالَ عُمُرُهُ فِي الزُّرُوعِ عَمَّا هُوَ
عَلَيْهِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَى مَا الْفَضْلُ فِيهِ بَيِّنٌ ، وَالْحُجَّةُ فِيهِ وَاضِحَةٌ ،
وَالْحِظُّ جَزِيلٌ مِنْ لُزُومِ مَا أَبْصَرَ مِنَ الدِّينِ ، فَيَأْتِي مَا يُزْجِي لَهُ بِهِ
مَغْفِرَةً لِمَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَحُسْنِ الثَّوَابِ فِي مَا بِهِ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ: قَدْ عَرَفْتُ هَذِهِ الصِّفَةَ ، وَمَا دَعَاكَ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : مَا ذَاكَ مِنْكَ بِمُسْتَنْكَرٍ لِفَضْلِ مَا أُوتِيَتْ مِنْ الْفَهْمِ ، وَخُصِّصَتْ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ .

قَالَ الْحَكِيمُ : أَمَّا صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ فَالْمَلِكُ ، وَالَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ الْعِنَايَةُ بِمَا سَأَلْتَ عَنْهُ ، وَالْاهْتِمَامُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ وَطَبْعِهِ وَهَوَاهُ ، مَعَ مَا نَوَيْتَ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي أَدَاءِ حَقِّ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ لَهُ ، وَأَحْسَبُكَ تُرِيدُ بُلُوغَ غَايَةِ الْعُذْرِ فِي التَّلَطُّفِ لِإِنْقَاذِهِ وَإِخْرَاجِهِ عَنْ عَظِيمِ الْهَوْلِ ، وَدَائِمِ الْبَلَاءِ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَى السَّلَامَةِ وَرَاحَةِ الْأَبَدِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : لَمْ تَجْرِمَ^(١) حَرْفًا عَمَّا أَرَدْتُ ، فَأَعْلِمْنِي رَأْيَكَ فِيمَا عَنِتُّ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَحَالِهِ الَّتِي أَتَخَوَّفُ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ عَلَيْهَا فَتُصِيبَهُ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ حِينَ لَا أُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا ،

(١) هذه اللفظة يمكن أن يكون بالجيم والراء ، أي لم تخطأ ، أو بالحاء المهملة على صيغة المفعول ، أي لم تمنع من فهمه ، أو بالحاء المعجمة ، أي لم تترك ، أو بالرأي ، أي لم تشك .

فَجَعَلَنِي مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ ، وَفَرَّجَ عَمَّا أَنَا بِهِ مَغْمُومٌ ، شَدِيدُ الْاهْتِمَامِ بِهِ ، فَإِنِّي قَلِيلُ الْحِيلَةِ فِيهِ .

قَالَ الْحَكِيمُ : أَمَّا رَأَيْنَا فَإِنَّا لَا نُبْعَدُ مَخْلُوقًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ خَالِقِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا نَأْيُسُ لَهُ مِنْهُ ، مَا دَامَ فِيهِ الرُّوحُ ، وَإِنْ كَانَ عَاتِيًا طَافِيًا ضَالًّا ؛ لِمَا قَدْ وَصَفَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ مِنَ التَّحْنَنِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ ، وَفِي هَذَا فَضْلُ الطَّمَعِ لَكَ فِي حَاجَتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَزَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ مَلِكٌ عَظِيمُ الصَّوْتِ فِي الْعِلْمِ ، رَفِيقٌ سَائِسٌ ، يُحِبُّ الْعَدْلَ فِي أُمَّتِهِ ، وَالْإِصْلَاحَ لِرِعِيَّتِهِ ، عَاشَ بِذَلِكَ زَمَانًا بِخَيْرِ حَالٍ ، ثُمَّ هَلَكَ ، فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ ، وَكَانَ بِامْرَأَةٍ لَهُ حَمْلٌ ، فَذَكَرَ الْمُنْجِمُونَ وَالْكَهَنَةُ أَنَّهُ غُلَامٌ ، وَكَانَ يُدَبِّرُ مُلْكَهُمْ مَنْ كَانَ يَلِي ذَلِكَ فِي زَمَانٍ مُلْكِهِمْ ، فَاتَّفَقَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ الْمُنْجِمُونَ وَالْكَهَنَةُ ، وَوُلِدَ مِنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ غُلَامٌ ، فَأَقَامُوا عِنْدَ مِيلَادِهِ سَنَةً بِالْمَعَارِفِ وَالْمَلَاهِي ، وَالْأَشْرِبَةِ وَالْأَطْعِمَةِ .

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْفُقَهَ وَالرَّبَّانِيِّينَ قَالُوا لِعَامَّتِهِمْ : إِنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ إِنَّمَا هُوَ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ الشُّكْرَ لِعِيرِهِ ، وَإِنْ

كَانَ هِبَةً مِنْ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ أَدَيْتُمْ الْحَقَّ إِلَى مَنْ أَعْطَا كُومُوهُ ،
وَاجْتَهَدْتُمْ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ رَزَقَكُومُوهُ .

فَقَالَ لَهُمُ الْعَامَّةُ : مَا وَهَبَهُ لَنَا إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَلَا ائْمَنَنَّ بِهِ
عَلَيْنَا غَيْرُهُ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : فَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي وَهَبَهُ لَكُمْ فَقَدْ
أَرْضَيْتُمْ غَيْرَ الَّذِي أَعْطَاكُمْ ، وَأَسَخَطْتُمْ اللَّهَ الَّذِي وَهَبَهُ لَكُمْ ، فَقَالَتْ
لَهُمُ الرِّعِيَّةُ : فَاشِيرُوا لَنَا أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ ، وَأَخْبِرُونَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ ،
فَتَتَّبِعَ قَوْلَكُمْ ، وَنَتَقَبَّلَ نَصِيحَتَكُمْ ، وَمُرُونَا بِأَمْرِكُمْ .

قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : فَإِنَّا نَرَى لَكُمْ أَنْ تَعْدِلُوا عَنْ اتِّبَاعِ مَرْضَاةِ
الشَّيْطَانِ بِالْمَعَارِفِ وَالْمَلَاهِيِ وَالْمُسْكِرِ إِلَى اتِّبَاعِ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ أَضْعَافَ شُكْرِكُمْ لِلشَّيْطَانِ ،
حَتَّى يُغْفَرَ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْكُمْ .

قَالَتِ الرِّعِيَّةُ : لَا تَحْمِلُ أَجْسَادُنَا كُلَّ الَّذِي قُلْتُمْ وَأَمَرْتُمْ بِهِ .

قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : يَا أُولِي الْجَهْلِ ، كَيْفَ أَطَعْتُمْ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ
عَلَيْكُمْ ، وَتَعْصُونَ مَنْ لَهُ الْحَقُّ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ ؟ وَكَيْفَ قَوَيْتُمْ عَلَى
مَا لَا يَنْبَغِي ، وَتَضَعُفُونَ عَمَّا يَنْبَغِي ؟

قَالُوا لَهُمْ : يَا أَيْمَةَ الْحُكَمَاءِ ، عَظُمَتْ فِيْنَا الشَّهَوَاتُ ، وَكَثُرَتْ
فِيْنَا اللَّذَاتُ ، فَقَوِينَا بِمَا عَظُمَ فِيْنَا مِنْهَا عَلَى الْعَظِيمِ مِنْ شَكْلِهَا ،
وَضَعُفَتْ مِنَّا النَّيَّاتُ ، فَعَجَزْنَا عَنْ حَمْلِ الْمُثْقَلَاتِ ، فَارْضُوا مِنَّا فِي
الرَّجُوعِ عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا ، وَلَا تُكَلِّفُونَا كُلَّ هَذَا الثُّغْلِ .

قَالُوا لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ السُّفَهَاءِ ! أَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْجَهْلِ ، وَإِخْوَانَ
الضَّلَالِ ، حِينَ خَفَّتْ عَلَيْكُمُ الشُّقُوءُ ، وَثَقُلَتْ عَلَيْكُمُ السَّعَادَةُ ؟

قَالُوا لَهُمْ : أَيُّهَا السَّادَةُ الْحُكَمَاءُ ، وَالْقَادَةُ الْعُلَمَاءُ ، إِنَّا نَسْتَجِيرُ
مِنْ تَغْنِيفِكُمْ إِيَّانَا بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنَسْتَتِرُ مِنْ تَغْيِيرِكُمْ لَنَا
بِعَفْوِهِ ، فَلَا تُؤْتِبُونَا (١) وَلَا تُعَيِّرُونَا بِضَعْفِنَا ، وَلَا تَعْيِيُوا الْجَهَالََةَ
عَلَيْنَا ، فَإِنَّا إِنِ اطْعَمَنَا اللَّهُ مَعَ عَفْوِهِ وَحِلْمِهِ ، وَتَضَعِيفِهِ الْحَسَنَاتِ ،
وَاجْتَهَدْنَا فِي عِبَادَتِهِ ، مِثْلَ الَّذِي بَدَلْنَا لِهَوَانَا مِنَ الْبَاطِلِ ، بَلَّغْنَا
حَاجَتَنَا ، وَبَلَّغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَا غَايَتَنَا ، وَرَحِمَنَا كَمَا خَلَقَنَا ، فَلَمَّا
قَالُوا ذَلِكَ أَقَرَّ لَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ ، وَرَضُوا قَوْلَهُمْ ، فَصَلُّوا وَصَامُوا ،
وَتَعَبَّدُوا ، وَأَعْظَمُوا الصَّدَقَاتِ سَنَةً كَامِلَةً .

فَلَمَّا انْقَضَى ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَتِ الْكَهَنَةُ : إِنَّ الَّذِي صَنَعْتَ هَذِهِ

(١) أَتْبَه - بشدَّ النون -: عَنَّفَه ولامه .

الْأُمَّةُ عَلَى هَذَا الْمَوْلُودِ يُخْبِرُ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ يَكُونُ فَاجِرًا وَيَكُونُ
بَارًّا ، وَيَكُونُ مُتَجَبِّرًا وَيَكُونُ مُتَوَاضِعًا ، وَيَكُونُ مُسِيئًا وَيَكُونُ
مُحْسِنًا ، وَقَالَ الْمُنَجِّمُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُمْ: كَيْفَ قُلْتُمْ ذَلِكَ ؟
قَالَ الْكَهَنَةُ: قُلْنَا هَذَا مِنْ قِبَلِ اللَّهِوِ وَالْمَعَارِفِ وَالْبَاطِلِ الَّذِي صُنِعَ
عَلَيْهِ ، وَمَا صُنِعَ عَلَيْهِ مِنْ ضِدِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَقَالَ الْمُنَجِّمُونَ: قُلْنَا ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اسْتِقَامَةِ الزُّهْرَةِ
وَالْمُشْتَرِي ، فَنَشَأَ الْعَلَامُ بِكِبَرٍ لَا تُوصَفُ عَظَمَتُهُ ، وَمَرَحٍ لَا يُنَعْتُ ،
وَعُدْوَانٍ لَا يُطَاقُ ، فَعَسَفَ وَجَارَ وَظَلَمَ فِي الْحُكْمِ وَغَشَمَ ، وَكَانَ
أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنْ خَالَفَهُ
فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَاعْتَرَّ بِالشَّبَابِ وَالصَّحَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالظَّفَرِ
وَالنَّظَرِ ، فَاُمْتَلَأَ سُورًا وَإِعْجَابًا بِمَا هُوَ فِيهِ ، وَرَأَى كُلَّمَا يُحِبُّ ،
وَسَمِعَ كُلَّمَا اسْتَهَى .

حَتَّى بَلَغَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ جَمَعَ نِسَاءً مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ
وَصِبْيَانًا وَالْجَوَارِي وَالْمُخَدَّرَاتِ وَخَيْلَهُ الْمُطَهَّمَاتِ الْعَنَاقِ (١)
وَاللَّوَانِ مَرَاكِبِهِ الْفَاحِرَةِ ، وَوَصَائِفُهُ وَخُدَّامُهُ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي

(١) أي تامّ الحسن .

خِدْمَتِهِ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا أَجَدَّ ثِيَابِهِمْ ، وَيَتَزَيَّنُوا بِأَحْسَنِ زِينَتِهِمْ ، وَأَمَرَ بِنَاءَ مَجْلِسٍ مُقَابِلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، صَفَائِحُ أَرْضِهِ الذَّهَبُ ، مُفَضَّضاً بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ ، طُولُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعاً ، وَعَرْضُهُ سِتُونَ ذِرَاعاً ، مُزَخْرَفاً سَقْفُهُ وَحِيطَانُهُ ، قَدْ زُيِّنَ بِكَرَائِمِ الْحُلِيِّ ، وَصُنُوفِ الْجَوْهَرِ ، وَاللُّؤْلُؤِ النَّظِيمِ وَفَاخِرِهِ ، وَأَمَرَ بِضُرُوبِ الْأَمْوَالِ ، فَأُخْرِجَتْ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَنُضِدَتْ سِمَاطِينَ ^(١) أَمَامَ مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَ جُنُودَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقَوَادَهُ وَكُتَّابَهُ وَحُجَّابَهُ وَعُظَمَاءَ أَهْلِ بِلَادِهِ وَعُلَمَاءَهُمْ فَحَضَرُوا فِي أَحْسَنِ هَيْئَتِهِمْ ، وَأَجْمَلِ جَمَالِهِمْ ، وَتَسَلَّحَ فُرْسَانُهُ ، وَرَكِبَتْ خِيُولُهُ فِي عِدَّتِهِمْ ، ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى مَرَاكِزِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ صُفُوفاً وَكَرَادِيسَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِزَعْمِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْظَرٍ رَفِيعٍ حَسَنِ تُسَرِّبُهُ نَفْسُهُ ، وَتَقَرِّبُهُ عَيْنُهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، فَأَشْرَفَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ ، فَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ، فَقَالَ لِبَعْضِ غِلْمَانِهِ : قَدْ نَظَرْتُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِي إِلَى مَنْظَرٍ حَسَنِ ، وَبَقِيَ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى صُورَةِ وَجْهِهِ ، فَدَعَا بِمِرَاةٍ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ يَقْلِبُ طَرَفَهُ فِيهَا إِذْ لَاحَتْ لَهُ شَعْرَةٌ بَيَضَاءُ مِنْ لِحْيَتِهِ كَغَرَابٍ أَبْيَضَ

(١) نُضِدَ الْمَتَاعُ - بِشَدِّ الضَّادِ وَتَخْفِيفِهَا -: رَتَّبَهُ وَضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ، مُتَسَفِّاً أَوْ مَرْكُوماً ، وَالسَّمَاطُ : الشَّيْءُ الْمَصْطَفَى ، وَسَمَاطُ الطَّرِيقِ : جَانِبَاهُ .

بَيْنَ غُرْبَانٍ سُودٍ ، وَاشْتَدَّ مِنْهَا ذُعْرُهُ وَفَزَعُهُ ^(١) ، وَتَغَيَّرَ فِي عَيْنِهِ
حَالُهُ ، وَظَهَرَتِ الْكَآبَةُ وَالْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ ، وَتَوَلَّى السُّرُورُ عَنْهُ .

ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا حِينُ نُعْيِي إِلَيَّ شَبَابِي ، وَبَيِّنَ لِي أَنَّ مُلْكِي
فِي ذَهَابٍ ، وَأُودِنْتُ بِالنُّزُولِ عَنْ سَرِيرِ مُلْكِي ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ
مُقَدِّمَةُ الْمَوْتِ ، وَرَسُولُ الْبَلَى ^(٢) لَمْ يَحْجُبْهُ عَنِّي حَاجِبٌ ، وَلَمْ
يَمْنَعْهُ عَنِّي حَارِسٌ ، فَنُعْيِي إِلَيَّ نَفْسِي ، وَأَذْنِنِي بِزَوَالِ مُلْكِي ، فَمَا
أَسْرَعَ هَذَا فِي تَبْدِيلِ بَهْجَتِي ، وَذَهَابِ سُرُورِي ، وَهَذَا قُوَّتِي ، لَمْ
يَمْنَعْهُ مِنِّي الْحُصُونُ ، وَلَمْ تَدْفَعْهُ عَنِّي الْجُنُودُ ، هَذَا سَالِبُ الشَّبَابِ
وَالْقُوَّةِ ، وَمَا حَقُّ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ ، وَمُفَرِّقُ الشَّمْلِ ، وَقَاسِمُ الثَّرَاثِ بَيْنَ
الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ ، مُفْسِدُ الْمَعَاشِ ، وَمُنْغَصُّ اللَّذَاتِ ، وَمُخَرَّبُ
الْعِمَارَاتِ ، وَمُمَثِّتُ الْجَمْعِ ، وَوَاضِعُ الرَّفِيعِ ، وَمُذِلُّ الْمَنِيعِ ، قَدْ
أَنَاخْتُ بِي أَثْقَالَهُ ^(٣) ، وَنُصِبَ لِي حِبَالُهُ .

ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ خَافِيًا مَاشِيًا ، وَقَدْ صَعِدَ إِلَيْهِ مَحْمُولًا ، ثُمَّ
جَمَعَ إِلَيْهِ جُنُودَهُ ، وَدَعَا إِلَيْهِ ثِقَاتَهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلَأُ ! مَاذَا صَنَعْتُ

(١) الذعر: الخوف والفرع.

(٢) في بعض النسخ: « رسول البلاء ».

(٣) أناخ البلاء على فلان: أقام عليه ، وأناخ به الحاجة: أنزلها به . أناخ الجمل: أبركه .

فِيكُمْ ؟ وَمَاذَا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ مُنْذُ مَلَكَتْكُمْ ، وَوُلِّيتُ أُمُورَكُمْ ؟ قَالُوا لَهُ :
 أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ ، عَظَّمَ بَلَاؤُكَ عِنْدَنَا ، وَهَذِهِ أَنْفُسُنَا مَبْذُولَةٌ فِي
 طَاعَتِكَ ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ ، قَالَ : طَرَقْنِي عَدُوٌّ مُخِيفٌ ^(١) لَمْ تَمْنَعُونِي
 مِنْهُ حَتَّى نَزَلَ بِي ، وَكُتِّمْتُ عُدَّتِي وَثِقَاتِي .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ هَذَا الْعَدُوُّ ، أَيُرَى أَمْ لَا يُرَى ؟ قَالَ :
 يُرَى بِأَثَرٍ ، وَلَا يُرَى عَيْنُهُ ، قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! هَذِهِ عُدَّتُنَا كَمَا
 تَرَى ، وَعِنْدَنَا سَكَنٌ ، وَفِينَا ذَوُو الْحِجَى وَالنُّهَى ، فَأَرِنَاهُ نَكْفِكَ مَا
 مِثْلُهُ يَكْفِي .

قَالَ : قَدْ عَظَّمَ الْاِغْتِرَارُ مِنِّي بِكُمْ ، وَوَضَعْتُ الثِّقَةَ فِي غَيْرِ
 مَوْضِعِهَا حِينَ اتَّخَذْتُكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ لِنَفْسِي جُنَّةً ، وَإِنَّمَا بَذَلْتُ لَكُمْ
 الْأَمْوَالَ ، وَرَفَعْتُ شَرَفَكُمْ ، وَجَعَلْتُكُمْ الْبِطَانَةَ دُونَ غَيْرِكُمْ
 لِتَحْفَظُونِي مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَحْرُسُونِي مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَيْدَيْتُكُمْ عَلَى ذَلِكَ
 بِتَشْيِيدِ الْبُلْدَانِ ، وَتَحْصِينِ الْمَدَائِنِ ، وَالثِّقَةِ مِنَ السَّلَاحِ ، وَنَحَيْتُ
 عَنْكُمْ الْهُمُومَ ^(٢) ، وَفَرَّغْتُكُمْ لِلنَّجْدَةِ وَالْاِحْتِفَاطِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَخْشَى

(١) طرق القوم: أناهم ليلاً.

(٢) نحاه عنه: أي أبعده عنه وأزاله ، والنجدة: الشجاعة والشدة والبأس .

أَنْ أَرَاكَ مَعَكُمْ ، وَلَا أَتَخَوَّفُ الْمُنُونَ عَلَى بُنْيَانِي ، وَأَنْتُمْ عُكُوفٌ مُطِيفُونَ بِهِ ، فَطَرِقتُ وَأَنْتُمْ حَوْلِي ، وَأَتَيْتُ وَأَنْتُمْ مَعِي ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا ضَعْفًا مِنْكُمْ ، فَمَا أَخَذْتُ أَمْرِي بِثِقَةٍ وَإِنْ كَانَتْ غَفْلَةً مِنْكُمْ ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَهْلِ النَّصِيحَةِ ، وَلَا عَلَيَّ بِأَهْلِ الشَّفَقَةِ .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَمَا شَيْءٌ نُطِيقُ دَفْعَهُ بِالْخَيْلِ وَالْقُوَّةِ فَلَيْسَ بِوَاصِلٍ إِلَيْكَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَنَحْنُ أَحْيَاءُ ، وَأَمَا مَا لَا يَرَى فَقَدْ غُيِّبَ عَنَّا عِلْمُهُ ، وَعَجَزَتْ قُوَّتُنَا عَنْهُ .

قَالَ : أَلَيْسَ اتَّخَذْتُمْ لِمَنْعُونِي مِنْ عَدُوِّي ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ عَدُوٍّ تَحْفَظُونِي ، مِنَ الَّذِي يَضُرُّنِي ، أَوْ مِنَ الَّذِي لَا يَضُرُّنِي ؟ قَالُوا : مِنَ الَّذِي يَضُرُّكَ ، قَالَ : أَفَمِنْ كُلِّ ضَارٍّ لِي ، أَوْ مِنْ بَعْضِهِمْ ؟ قَالُوا : مِنْ كُلِّ ضَارٍّ ، قَالَ : فَإِنَّ رَسُولَ الْبَلَى قَدْ أَتَانِي يَنْعِي إِلَيَّ نَفْسِي وَمُلْكِي ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُرِيدُ خَرَابَ مَا عُمُرْتُ ، وَهَدَمَ مَا بَنَيْتُ ، وَتَفْرِيقَ مَا جَمَعْتُ ، وَفَسَادَ مَا أَصْلَحْتُ ، وَتَبْذِيرَ مَا أَخْرَزْتُ ، وَتَبْدِيلَ مَا عَمِلْتُ ، وَتَوْهِينَ مَا وَثِقْتُ ، وَزَعَمَ أَنَّ مَعَهُ الشَّمَاتَةَ مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَقَدْ قَرَّتْ بِي أَعْيُنُهُمْ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنِّْي شِفَاءَ صُدُورِهِمْ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ سَيَهْزِمُ جَيْشِي ، وَيُوحِشُ أَنْسِي ،

وَيَذْهَبُ عِزِّي ، وَيُوتِمُ وُلْدِي ، وَيُفَرِّقُ جُمُوعِي ، وَيُفْجِعُ بِي
إِخْوَانِي وَأَهْلِي وَقَرَابَتِي ، وَيَقْطَعُ أَوْصَالِي ، وَيَسْكُنُ مَسَاكِنِي
أَعْدَائِي .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّمَا نَمْنَعُكَ مِنَ النَّاسِ وَالسَّبَاعِ وَالْهَوَامِّ
وَدَوَابِّ الْأَرْضِ ، فَأَمَّا الْبَلَى فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَيْهِ ، وَلَا
امْتِنَاعَ لَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ : فَهَلْ مِنْ حِيلَةٍ فِي دَفْعِ ذَلِكَ عَنِّي ؟ قَالُوا : لَا .
قَالَ : فَشَيْءٌ دُونَ ذَلِكَ تُطِيقُونَهُ ؟ قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
الْأَوْجَاعُ وَالْأَحْزَانُ وَالْهُمُومُ ، قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّمَا قَدْ قَدَّرَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءُ قَوِيٌّ لَطِيفٌ ، وَذَلِكَ يَثُورُ مِنَ الْجِسْمِ وَالنَّفْسِ ، وَهُوَ يَصِلُ
إِلَيْكَ إِذَا لَمْ يُوَصَّلْ ، وَلَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَإِنْ حُجِبَ (١) .

قَالَ : فَأَمْرٌ دُونَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : مَا قَدْ سَبَقَ مِنْ
الْقَضَاءِ ، قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَمَنْ ذَا غَالَبَ الْقَضَاءَ فَلَمْ يُغْلَبْ ، وَمَنْ
ذَا كَابَرَهُ فَلَمْ يُقَهَّرْ ، قَالَ : فَمَاذَا عِنْدَكُمْ ؟ قَالُوا : مَا نَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ
الْقَضَاءِ وَقَدْ أَصَبَتْ التَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ ، فَمَا ذَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ قَالَ :
أُرِيدُ أَصْحَابًا يَدُومُ عَهْدُهُمْ ، وَيَفُؤُوا إِلَيَّ ، وَتَبْقَى لِي أُخُوَّتُهُمْ ، وَلَا

(١) في بعض النسخ : « وان حجب لم يحتجب » .

يَحْجُبُهُمْ عَنِّي الْمَوْتُ ، وَلَا يَمْنَعُهُمُ الْبَلَى عَنْ صُحْبَتِي ، وَلَا
يَسْتَحِيلُ بِهِمُ الْامْتِنَاعُ عَنْ صُحْبَتِي ^(١) ، وَلَا يُفَرِّدُونِي إِنْ مِتُّ ، وَلَا
يُسَلِّمُونِي إِنْ عِشْتُ ، وَيَدْفَعُونَ عَنِّي مَا عَجَزْتُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْمَوْتِ .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتَ ؟ قَالَ : هُمْ
الَّذِينَ أَفْسَدَتْهُمْ بِاسْتِضْلَاحِكُمْ ، قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَفَلَا تَضْطَنِعُ
عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ مَعْرُوفًا ، فَإِنَّ أَخْلَاقَكَ تَامَّةٌ ، وَرَأْفَتَكَ عَظِيمَةٌ ؟
قَالَ : إِنَّ فِي صُحْبَتِكُمْ إِيَّايَ السَّمَّ الْقَاتِلَ ، وَالصَّمَمَ وَالْعَمَى فِي
طَاعَتِكُمْ ، وَالْبُكَمَ مِنْ مُوَافَقَتِكُمْ ، قَالُوا : كَيْفَ ذَاكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟
قَالَ : صَارَتْ صُحْبَتُكُمْ إِيَّايَ فِي الْاسْتِكْثَارِ ، وَمُوَافَقَتُكُمْ عَلَى
الْجَمْعِ ، وَطَاعَتُكُمْ إِيَّايَ فِي الْاِغْتِفَالِ ، فَبَطَأْتُ مُنِي عَنِ الْمَعَادِ ،
وَزَيَّيْتُ لِي الدُّنْيَا ، وَلَوْ نَصَحْتُ مُنِي ذَكَرْتُ مُنِي الْمَوْتَ ، وَلَوْ أَشْفَقْتُ
عَلَيَّ ذَكَرْتُ مُنِي الْبَلَى ، وَجَمَعْتُ لِي مَا يَبْقَى ، وَلَمْ تَسْتَكْثِرُوا لِي مَا
يَفْنَى ، فَإِنَّ تِلْكَ الْمَنْفَعَةَ الَّتِي ادَّعَيْتُمُوهَا ضَرَّرَ ، وَتِلْكَ الْمَوَدَّةَ
عَدَاوَةٌ ، وَقَدْ رَدَدْتُهَا عَلَيْكُمْ لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا مِنْكُمْ .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ الْمَحْمُودُ ! قَدْ فَهِمْنَا مَقَالَاتَكَ ، وَفِي

(١) في بعض النسخ : «ولا يستحيل بهم الأطماع عن نصيحتي» ، وفي بعضها :
«لا يستميل» .

أَنْفُسِنَا إِجَابَتُكَ ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْتَجَّ عَلَيْكَ ، فَقَدْ رَأَيْنَا مَكَانَ الْحُجَّةِ
فَسَكُوتُنَا عَنْ حُجَّتِنَا فَسَادَ لِمُلْكِنَا ، وَهَلَكَ لِدُنْيَانَا ، وَشَمَاتَةٌ
لِعَدُوِّنَا ، وَقَدْ نَزَلَ بِنَا أَمْرٌ عَظِيمٌ بِالَّذِي تَبَدَّلَ مِنْ رَأْيِكَ ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ
أَمْرُكَ .

قَالَ : قُولُوا : آمِينَ ، وَادْكُرُوا مَا بَدَا لَكُمْ غَيْرَ مَرْغُوبِينَ ، فَإِنِّي
كُنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مَغْلُوبًا بِالْحَمِيَّةِ وَالْأَنَفَةِ ، وَأَنَا الْيَوْمَ غَالِبٌ لَهُمَا ،
وَكَنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مَقْهُورًا لَهُمَا ، وَأَنَا الْيَوْمَ قَاهِرٌ لَهُمَا ، وَكَنْتُ إِلَى
الْيَوْمِ مَلِكًا عَلَيْكُمْ فَقَدْ صِرْتُ عَلَيْكُمْ مَمْلُوكًا ، وَأَنَا الْيَوْمَ عَتِيقٌ وَأَنْتُمْ
مِنْ مَمْلَكَتِي طُلُقَاءُ .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! مَا الَّذِي كُنْتَ لَهُ مَمْلُوكًا إِذْ كُنْتَ عَلَيْنَا
مَلِكًا ؟ قَالَ : كُنْتُ مَمْلُوكًا لِهَوَايَ ، مَقْهُورًا بِالْجَهْلِ ، مُسْتَعْبِدًا
لِشَهَوَاتِي ، فَقَدْ قَطَعْتُ تِلْكَ الطَّاعَةَ عَنِّي ، وَبَنَذْتُهَا خَلْفَ ظَهْرِي .

قَالُوا : فَقُلْ : مَا أَجْمَعْتَ عَلَيْهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : الْقُنُوعَ ،
وَالْتَّخَلِّيَ لِأَخِيرَتِي ، وَتَرَكَ هَذَا الْغُرُورَ ، وَبَنَذَ هَذَا الثَّقَلَ عَنْ
ظَهْرِي ، وَالِاسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ ، وَالتَّأَهُبَ لِلْبَلَاءِ ، فَإِنَّ رَسُولَهُ عِنْدِي
قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِمَلَاذِمَتِي ، وَالْإِقَامَةِ مَعِي ، حَتَّى يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ .

فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَمَنْ هَذَا الرَّسُولُ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ وَلَمْ نَرَهُ ، وَهُوَ مُقَدِّمَةُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا نَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : أَمَّا الرَّسُولُ فَهَذَا الْبَيَاضُ الَّذِي يَلُوحُ بَيْنَ السَّوَادِ ، وَقَدْ صَاحَ فِي جَمِيعِهِ بِالزَّوَالِ ، فَأَجَابُوا وَأَدْعَنُوا ، وَأَمَّا مُقَدِّمَةُ الْمَوْتِ فَالْبَلَى الَّذِي هَذَا الْبَيَاضُ طُرْفُهُ .

قَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! أَفَتَدْعُ مَمْلَكَتَكَ ، وَتُهْمِلُ رَعِيَّتَكَ ، وَكَيْفَ لَا تَخَافُ الْإِثْمَ فِي تَعْطِيلِ أَمَّتِكَ ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَعْظَمَ الْأَجْرِ فِي اسْتِصْلَاحِ النَّاسِ ، وَأَنَّ رَأْسَ الصَّلَاحِ الطَّاعَةُ لِلْأُمَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَكَيْفَ لَا تَخَافُ مِنَ الْإِثْمِ وَفِي هَلَاكِ الْعَامَّةِ مِنَ الْإِثْمِ فَوْقَ الَّذِي تَرْجُو مِنَ الْأَجْرِ فِي صَلاحِ الْخَاصَّةِ ، أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ الْعَمَلُ ، وَأَنَّ أَشَدَّ الْعَمَلِ السِّيَاسَةُ ، فَإِنَّكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - مَا فِي يَدَيْكَ عِزٌّ عَلَى رَعِيَّتِكَ مُسْتَصْلِحٌ لَهَا بِتَدْبِيرِكَ ، فَإِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ بِقَدْرِ مَا اسْتَصْلَحْتَ .

أَلَسْتَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - إِذَا خَلَيْتَ مَا فِي يَدَيْكَ مِنْ صَلاحِ أَمَّتِكَ فَقَدْ أَرَدْتَ فَسَادَهُمْ ، فَقَدْ حَمَلْتَ مِنَ الْإِثْمِ فِيهِمْ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْتَ مُصِيبٌ مِنَ الْأَجْرِ فِي خَاصَّةِ يَدَيْكَ .

أَلَسْتَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا : مَنْ أَتْلَفَ

نَفْسًا فَقَدْ اسْتَوْجَبَ لِنَفْسِهِ الْفَسَادَ ، وَمَنْ أَصْلَحَهَا فَقَدْ اسْتَوْجَبَ
الصَّلَاحَ لِبَدَنِهِ ؟ وَآيُّ فَسَادٍ أَعْظَمُ مِنْ رَفُضِ هَذِهِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَنْتَ
إِمَامُهَا ، وَالْإِقَامَةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَنْتَ نِظَامُهَا ، حَاشَا لَكَ - أَيُّهَا
الْمَلِكُ - أَنْ تَخْلَعَ عَنْكَ لِبَاسَ الْمُلِكِ الَّذِي هُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى شَرَفِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

قَالَ قَدْ فَهِمْتُ الَّذِي ذَكَرْتُمْ ، وَعَقَلْتُ الَّذِي وَصَفْتُمْ ، فَإِنْ كُنْتُ
إِنَّمَا أَطْلُبُ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ لِلْعَدْلِ فِيكُمْ ، وَالْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ
فِي اسْتِصْلَاحِكُمْ ، بِغَيْرِ أَعْوَانٍ يَزِفُدُونَنِي ، وَوُزَرَءَ يَكْفُونَنِي ، فَمَا
عَسَيْتُ أَنْ أَبْلُغَ بِالْوَحْدَةِ فِيكُمْ . أَلَسْتُمْ جَمِيعًا نَزْعًا إِلَى الدُّنْيَا
وَشَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا ، وَلَا آمِنُ أَنْ أَخْلُدَ إِلَى الْحَالِ (١) الَّتِي أَرْجُو أَنْ
أَدْعَهَا وَأَرْفِضَهَا ، فَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ أَتَانِي الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ فَأَنْزَلَنِي
عَنْ سَرِيرِ مُلْكِي إِلَى بَطْنِ الْأَرْضِ ، وَكَسَانِي التُّرَابَ بَعْدَ الدِّيبَاجِ
وَالْمَنْسُوجِ بِالذَّهَبِ وَنَفِيسِ الْجَوْهَرِ ، وَضَمَّنِي إِلَى الضِّيقِ بَعْدَ
السَّعَةِ ، وَالْبَسْنِي الْهَوَانَ بَعْدَ الْكَرَامَةِ ، فَأَصِيرُ فَرِيدًا بِنَفْسِي لَيْسَ
مَعِيَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي الْوَحْدَةِ ، قَدْ أَخْرَجْتُمُونِي مِنَ الْعُمَرَانِ ،

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « إِلَى الدُّنْيَا » .

وَأَسْلَمْتُمُونِي إِلَى الْخَرَابِ ، وَخَلَيْتُمْ بَيْنَ لَحْمِي وَبَيْنَ سِبَاعِ الطَّيْرِ ،
وَحَشَرَاتِ الْأَرْضِ ، فَأَكَلَتْ مِنِّي النَّمْلَةُ فَمَا فَوْقَهَا مِنَ الْهَوَامِّ ، وَصَارَ
جَسَدِي دُوداً وَجِيفَةً قَدِرَةً ، الذُّلُّ لِي حَلِيفٌ ، وَالْعِزُّ مِنِّي غَرِيبٌ ،
أَشَدُّكُمْ حُبًّا لِي أَسْرَعُكُمْ إِلَى دَفْنِي ، وَالتَّخْلِيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا قَدَّمْتُ
مِنْ عَمَلِي ، وَأَسْلَفْتُ مِنْ ذُنُوبِي ، فَيُورِثُنِي ذَلِكَ الْحَسْرَةُ ،
وَيُعَقِّبُنِي النَّدَامَةُ ، وَقَدْ كُنْتُمْ وَعَدْتُمُونِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِنْ عَذْوِي
الضَّارِّ ، فَإِذَا أَنْتُمْ لَا مَنَعَ عِنْدَكُمْ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى ذَلِكَ لَكُمْ ، وَلَا سَبِيلَ
- أَيُّهَا الْمَلَأُ - إِنِّي مُخْتَالٌ لِنَفْسِي؛ إِذْ جِئْتُمْ بِالْخِدَاعِ ، وَنَصَبْتُمْ لِي
شِرَاكَ الْغُرُورِ (١) .

فَقَالُوا: أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ! لَسْنَا الَّذِي كُنَّا ، كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ
الَّذِي كُنْتَ ، وَقَدْ أَبْدَلْنَا الَّذِي أَبْدَلَكَ ، وَغَيَّرْنَا الَّذِي غَيَّرَكَ ، فَلَا تَرُدَّ
عَلَيْنَا تَوْبَتَنَا ، وَبَذَلْ نَصِيحَتَنَا .

قَالَ: أَنَا مُقِيمٌ فِيكُمْ مَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، وَمُفَارِقُكُمْ إِذَا خَالَفْتُمُوهُ ،
فَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَلِكُ فِي مُلْكِهِ ، وَأَخَذَ جُنُودَهُ بِسِيرَتِهِ ، وَاجْتَهَدُوا فِي
الْعِبَادَةِ ، فَخَصَبَ بِلَادَهُمْ ، وَغَلَبُوا عَدُوَّهُمْ ، وَازْدَادَ مُلْكُهُمْ ،

حَتَّى هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ ، وَقَدْ صَارَ فِيهِمْ بِهَذِهِ السَّيْرَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ جَمِيعُ مَا عَاشَ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً .

قَالَ يُودَاسُفُ : قَدْ سُرِرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ جِدًّا ، فَزِدْنِي مِنْ نَحْوِهِ أَزْدَدَ سُرُورًا ، وَلِرَبِّي شُكْرًا ؟

قَالَ الْحَكِيمُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ ، وَكَانَ لَهُ جُنُودٌ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْبُدُونَهُ ، وَكَانَ فِي مُلْكِهِ أَبِيهِ شِدَّةٌ مِنْ زَمَانِهِمْ ، وَالتَّفَرُّقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَيَنْقُصُ الْعَدُوُّ مِنْ بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ يَحُثُّهُمْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَشْيَتِهِ ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ ، وَمُرَاقَبَتِهِ ، وَالْفَزَعِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ قَهَرَ عَدُوَّهُ ، وَاسْتَجْمَعَتْ رَعِيَّتُهُ ، وَصَلَحَتْ بِلَادُهُ ، وَانْتَضَمَ لَهُ الْمُلْكُ ، فَلَمَّا رَأَى مَا فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَتْرَفَهُ ذَلِكَ وَأَبْطَرَهُ وَأَطْعَاهُ حَتَّى تَرَكَ عِبَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَفَرَ نِعَمَهُ ، وَأَسْرَعَ فِي قَتْلِ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ ، وَدَامَ مُلْكُهُ ، وَطَالَتْ مُدَّتُهُ ، حَتَّى ذَهَلَ النَّاسُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ مُلْكِهِ وَنِسْوَهُ ، وَأَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَأَسْرَعُوا إِلَى الضَّلَالَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ ، فَنَشَأَ فِيهِ الْأَوْلَادُ ، وَصَارَ لَا يُعْبَدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ ، وَلَا يُذَكَّرُ بَيْنَهُمْ اسْمُهُ ، وَلَا يَخْسَبُونَ أَنَّ لَهُمْ إِلَهًا

غَيْرَ الْمَلِكِ ، وَ كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ إِنَّهُ هُوَ مَلِكٌ يَوْمًا أَنْ يَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِأَمْرِ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْمُلُوكِ يَعْمَلُونَ بِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَهُ ، فَلَمَّا مَلَكَ أَنْسَاءُ الْمَلِكِ رَأْيَهُ الْأَوَّلَ ، وَنَيْتَهُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ، وَسَكِرَ سُكْرَ صَاحِبِ الْخَمْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَضْحُو وَيُفِيْقُ (١) .

وَ كَانَ مِنْ أَهْلِ لُطْفِ الْمَلِكِ رَجُلٌ صَالِحٌ ، أَفْضَلُ أَصْحَابِهِ مَنْزِلَةً عِنْدَهُ ، فَتَوَجَّعَ لَهُ مِمَّا رَأَى مِنْ ضَلَالَتِهِ فِي دِينِهِ ، وَنَسِيَانِهِ مَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَ كَانَ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْظُهُ ذَكَرَ عُثُوَّهُ وَجَبْرُوتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَمَّةِ غَيْرُهُ وَغَيْرُ رَجُلٍ آخَرَ فِي نَاحِيَةِ أَرْضِ الْمَلِكِ لَا يُعْرِفُ مَكَانَهُ ، وَلَا يُدْعَى بِاسْمِهِ ، فَدَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَلِكِ بِجُمُوعَةٍ قَدْ لَفَّهَا فِي ثِيَابِهِ ، فَلَمَّا جَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْمَلِكِ انْتَزَعَهَا عَنْ ثِيَابِهِ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ وَطَّئَهَا بِرِجْلِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْرُكُهَا (٢) بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَعَلَى بَسَاطِهِ ، حَتَّى دَنَسَ مَجْلِسُ الْمَلِكِ بِمَا تَحَاتُّ مِنْ تِلْكَ الْجُمُوعَةِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ مَا صَنَعَ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَشَخَصَتْ إِلَيْهِ أَبْصَارُ جُلَسَائِهِ ، وَاسْتَعَدَّتِ الْحَرَشُ

(١) صحا السكران: ذهب سكره وأفاق .

(٢) فرك الثوب: دلكه ، الشيء عن الثوب: أزاله وحكّه حتى تفتت .

بِأَسْيَافِهِمْ انْتَظَاراً لِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِقَتْلِهِ ، وَالْمَلِكُ فِي ذَلِكَ مَالِكٌ
لِغَضَبِهِ ، وَقَدْ كَانَتْ الْمُلُوكُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ عَلَى جَبَرُوتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ
ذَوِي أَنَاةٍ وَتَوَدَّةٍ ، اسْتَصْلَحُوا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى عِمَارَةِ أَرْضِهِمْ لِيَكُونَ
ذَلِكَ أَعْوَنَ لِلْجَلْبِ ، وَأَدَّى لِلخَرَاجِ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَلِكُ سَاكِناً عَلَى
ذَلِكَ حَتَّى قَامَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَفَّ تِلْكَ الْجُمُجُمَةَ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ
الثَّانِي وَالثَّلَاثِ ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَسْأَلُهُ عَنْ تِلْكَ الْجُمُجُمَةِ ،
وَلَا يَسْتَنْطِقُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا ، أَذْخَلَ مَعَ تِلْكَ الْجُمُجُمَةِ مِيزَاناً ،
وَقَلِيلاً مِنْ تُرَابٍ ، فَلَمَّا صَنَعَ بِالْجُمُجُمَةِ مَا كَانَ يَصْنَعُ أَخَذَ الْمِيزَانَ ،
وَجَعَلَ فِي إِحْدَى كَفَّتَيْهِ دِرْهَمًا وَفِي الْأُخْرَى بَوْزَنَهُ تُرَاباً ، ثُمَّ جَعَلَ
ذَلِكَ التُّرَابَ فِي عَيْنِ تِلْكَ الْجُمُجُمَةِ ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ
فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِ الْفَمِ مِنْ تِلْكَ الْجُمُجُمَةِ .

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ مَا صَنَعَ قَلَّ صَبْرُهُ ، وَبَلَغَ مَجْهُودُهُ ، فَقَالَ
لِذَلِكَ الرَّجُلِ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا اجْتَرَأْتَ عَلَى مَا صَنَعْتَ لِمَكَانِكَ
مِنِّْي ، وَإِذْلَالِكَ عَلَيَّ ، وَفَضْلِ مَنْزِلَتِكَ عِنْدِي ، وَلَعَلَّكَ تُرِيدُ بِمَا
صَنَعْتَ أَمْراً ، فَخَرَّ الرَّجُلُ لِلْمَلِكِ سَاجِداً وَقَبَّلَ قَدَمَيْهِ ، وَقَالَ : أَيُّهَا
الْمَلِكُ ! أَقْبِلْ عَلَيَّ بِعَقْلِكَ كُلِّهِ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْكَلِمَةِ مَثَلُ السَّهْمِ ، إِذَا

رُمِي بِهِ فِي أَرْضٍ لَيِّنَةٍ ثَبَتَ فِيهَا ، وَإِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الصِّفَاءِ لَمْ يَثْبُتْ ،
وَمَثَلُ الْكَلِمَةِ كَمَثَلِ الْمَطَرِ ، إِذَا أَصَابَ أَرْضاً طَيِّبَةً مَزْرُوعَةً نَبَتَ
فِيهَا ، وَإِذَا أَصَابَ السَّبَاحَ لَمْ يَثْبُتْ ، وَإِنْ أَهْوَاءَ النَّاسِ مُتَفَرِّقَةً ،
وَالْعَقْلُ وَالْهَوَىٰ يَصْطَرِعَانِ فِي الْقَلْبِ ، فَإِنْ غَلَبَ هَوَى الْعَقْلِ عَمَلَ
الرَّجُلُ بِالطَّيِّبِ وَالسَّفْهِ ، وَإِنْ كَانَ الْهَوَى هُوَ الْمَغْلُوبُ لَمْ يُوجَدْ فِي
أَمْرِ الرَّجُلِ سَقَطَةٌ ، فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ مُنْذُ كُنْتُ غُلَاماً أَحِبُّ الْعِلْمَ ،
وَأَرْغَبُ فِيهِ ، وَأُوَثِّرُهُ عَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَلَمْ أَدْعُ عِلْماً إِلَّا بَلَغْتُ مِنْهُ
أَفْضَلَ مَبْلَغٍ ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ أَطُوفُ بَيْنَ الْقُبُورِ إِذْ قَدْ بَصُرْتُ بِهَذِهِ
الْجُمُجْمَةِ بَارِزَةً مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ ، فَعَاظَنِي مَوْقِعُهَا وَفِرَاقُهَا جَسَدَهَا
غَضَباً لِلْمُلُوكِ ، فَضَمَمْتُهَا إِلَيَّ ، وَحَمَلْتُهَا إِلَى مَنْزِلِي ، فَأَلْبَسْتُهَا
الدِّيَابِجَ ، وَنَضَحْتُهَا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَالطَّيِّبِ ، وَوَضَعْتُهَا عَلَى الْفُرْشِ ،
وَقُلْتُ : إِنْ كَانَتْ مِنْ جَمَاجِمِ الْمُلُوكِ فَسَيُؤَثِّرُ فِيهَا إِكْرَامِي إِيَّاهَا ،
وَتَرْجِعُ إِلَى جَمَالِهَا وَبَهَائِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ جَمَاجِمِ الْمَسَاكِينِ فَإِنَّ
الْكَرَامَةَ لَا تَزِيدُهَا شَيْئاً ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِهَا أَيَّاماً فَلَمْ أَسْتَنْكِزْ مِنْ هَيْئَتِهَا
شَيْئاً ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ دَعَوْتُ عَبْدًا هُوَ أَهْوَنُ عِبِيدِي عِنْدِي
فَأَهَانَهَا ، فَإِذَا هِيَ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الْإِهَانَةِ وَالْإِكْرَامِ ، فَلَمَّا

رَأَيْتُ ذَلِكَ أَتَيْتُ الْحُكَمَاءَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَهُمْ عِلْمًا بِهَا ، ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَلِكَ مُتَّهِى الْعِلْمِ ، وَمَأْوَى الْحِلْمِ ، فَأَتَيْتُكَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى تَبْدَأَنِي بِهِ ، وَأَحْبَبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَجْمُجْمَةً مَلِكٍ هِيَ أَمْ جُمُجْمَةً مِسْكِينَ ، فَإِنَّهَا لَمَّا أَغْيَانِي أَمْرَهَا تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِهَا ، وَفِي عَيْنِهَا الَّتِي كَانَتْ لَا يَمْلُؤُهَا شَيْءٌ ، حَتَّى لَوْ قَدَرْتُ عَلَى مَا دُونَ السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ تَطَلَّعْتُ إِلَى أَنْ تَتَنَاوَلَ مَا فَوْقَ السَّمَاءِ ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرَ مَا الَّذِي يَسُدُّهَا وَيَمْلُؤُهَا ، فَإِذَا وَزْنُ دِرْهَمٍ مِنْ تُرَابٍ قَدْ سَدَّهَا وَمَلَأَهَا ، وَنَظَرْتُ إِلَى فِيهَا (١) الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَمْلُؤُهُ شَيْءٌ فَمَلَأَتْهُ قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابٍ ، فَإِنْ أَخْبَرْتَنِي - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَنَّهَا جُمُجْمَةٌ مِسْكِينَ احْتَجَجْتُ عَلَيْكَ بِأَنِّي قَدْ وَجَدْتُهَا وَسَطَ قُبُورِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ اجْمَعْ جَمَاجِمَ مُلُوكٍ وَجَمَاجِمَ مَسَاكِينٍ ، فَإِنْ كَانَ لِحِمَا جِمَكُمُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَهُوَ كَمَا قُلْتَ ، وَإِنْ أَخْبَرْتَنِي بِأَنَّهَا مِنْ جَمَاجِمِ الْمُلُوكِ أَنْبَأْتُكَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ الَّذِي كَانَتْ هَذِهِ جُمُجْمَتُهُ قَدْ كَانَ مِنْ بَهَاءِ الْمَلِكِ وَجَمَالِهِ ، وَعِزَّتِهِ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ الْيَوْمَ ، فَحَاشَاكَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ -

(١) يعني فمها.

أَنْ تَصِيرَ إِلَى حَالِ هَذِهِ الْجُمُجُمَةِ فَتُطَوَّأَ بِالْأَقْدَامِ ، وَتُخْلَطَ
بِالتُّرَابِ ، وَيَأْكُلَكَ الدُّودُ ، وَتُضْبَحَ بَعْدَ الْكَثْرَةِ قَلِيلًا ، وَبَعْدَ الْعِزَّةِ
ذَلِيلًا ، وَتَسْعَكَ حُفْرَةً طُولُهَا أَذْنَى مِنْ أَرْبَعَةِ أَذْرُعَ ، وَيُورَثَ
مُلْكُكَ ، وَيَنْقَطِعَ ذِكْرُكَ ، وَيَفْسُدَ صَنَائِعُكَ ، وَيُهَانَ مَنْ أَكْرَمْتَ ،
وَيُكْرِمَ مَنْ أَهْنَتْ ، وَتَسْتَبْشِرَ أَعْدَاؤُكَ ، وَيَضِلَّ أَعْوَانُكَ ، وَيَحُولَ
التُّرَابُ دُونَكَ ، فَإِنْ دَعَوْنَاكَ لَمْ تَسْمَعْ ، وَإِنْ أَكْرَمْنَاكَ لَمْ تَقْبَلْ ، وَإِنْ
أَهْنَاكَ لَمْ تَغْضَبْ ، فَيَصِيرَ بَنُوكَ يَتَامَى ، وَنِسَاؤُكَ أَيَامَى ^(١) ،
وَأَهْلُكَ يُوشِكُ أَنْ يَسْتَبْدِلْنَ أَزْوَاجًا غَيْرَكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ فَرَعَ قَلْبُهُ ، وَانْسَكَبَتْ عَيْنَاهُ يَبْكِي
وَيَعُولُ ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ قَدْ
اسْتَمَكَنَ مِنَ الْمَلِكِ ، وَقَوْلُهُ قَدْ أَنْجَعَ فِيهِ ، زَادَهُ ذَلِكَ جُرْأَةً عَلَيْهِ ،
وَتَكْرِيرًا لِمَا قَالَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ، وَجَزَى
مَنْ حَوْلِي مِنَ الْعُظَمَاءِ شَرًّا ، لَعَمْرِي لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَرَدْتَ بِمَقَالَتِكَ
هَذِهِ ، وَقَدْ أَبْصَرْتُ أَمْرِي ، فَسَمِعَ النَّاسُ خَبْرَهُ فَتَوَجَّهُوا أَهْلُ
الْفُضْلِ نَحْوَهُ ، وَخُتِمَ لَهُ بِالْخَيْرِ ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا .

(١) أي لا زوج لهم .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : زِدْنِي مِنْ هَذَا الْمَثَلِ ؟ قَالَ الْحَكِيمُ : زَعَمُوا أَنَّ
 مَلِكًا كَانَ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُوَلَّدَ لَهُ ، وَكَانَ لَا
 يَدْعُ شَيْئًا مِمَّا يُعَالِجُ بِهِ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنَاهُ وَصَنَعَهُ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ
 مِنْ أَمْرِهِ حَمَلَتْ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْ نِسَائِهِ فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا ، فَلَمَّا نَشَأَ
 وَتَرَعَرَغَ ^(١) خَطَا ذَاتَ يَوْمٍ خُطْوَةً فَقَالَ : مَعَادَ كُمْ تَجْفُونَ ، ثُمَّ خَطَا
 أُخْرَى فَقَالَ : تَهْرُمُونَ ، ثُمَّ خَطَا الثَّالِثَةَ فَقَالَ : ثُمَّ تَمُوتُونَ ، ثُمَّ عَادَ
 كَهَيْئَتِهِ يَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ الصَّبِيُّ .

فَدَعَا الْمَلِكُ الْعُلَمَاءَ وَالْمُنْجِمِينَ فَقَالَ : أَخْبِرُونِي خَبَرَ ابْنِي
 هَذَا ، فَنَظَرُوا فِي شَأْنِهِ وَأَمْرِهِ ، فَأَعْيَاهُمْ أَمْرُهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهِ
 عِلْمٌ ، فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فِيهِ عِلْمٌ دَفَعَهُ إِلَى
 الْمُرْضِعَاتِ ، فَأَخَذَنَ فِي إِرْضَاعِهِ ، إِلَّا أَنَّ مُنْجِمًا مِنْهُمْ قَالَ : إِنَّهُ
 سَيَكُونُ إِمَامًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ حُرَّاسًا لَا يُفَارِقُونَهُ ، حَتَّى إِذَا شَبَّ انْسَلَّ
 يَوْمًا مِنْ عِنْدِ مُرْضِعِيهِ وَالْحَرَسِ فَآتَى السُّوقَ ، فَإِذَا هُوَ بِجِنَازَةٍ ،
 فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : إِنْسَانًا مَاتَ ، قَالَ : مَا أَمَاتَهُ ؟ قَالُوا : كَبُرَ وَفِينَتْ
 أَيَّامُهُ ، وَدَنَا أَجَلُهُ فَمَاتَ ، قَالَ : وَكَانَ صَحِيحًا حَيًّا ، يَمْشِي وَيَأْكُلُ

(١) ترعرع الصبي : نشأ وشب .

وَيَشْرَبُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ مَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ شَيْخٍ كَبِيرٍ، فَقَامَ
يَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَجِّباً مِنْهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ فَنِيَ
شَبَابُهُ وَكَبِرَ، قَالَ: وَكَانَ صَغِيرًا ثُمَّ شَابَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ مَضَى فَإِذَا
هُوَ بِرَجُلٍ مَرِيضٍ مُسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ، فَقَامَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَعَجَّبُ
مِنْهُ، فَسَأَلَهُمْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ مَرِيضٌ، فَقَالَ: أَوَ كَانَ هَذَا
صَحِيحًا ثُمَّ مَرَضَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّ
النَّاسَ لَمَجْنُونُونَ.

فَافْتَقَدَ الْعُلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَطَلَبَ فَإِذَا هُوَ بِالسُّوقِ، فَاتَّوَهُ
فَأَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ فَأَدْخَلُوهُ الْبَيْتَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ اسْتَلْقَى عَلَى
قَفَاهُ يَنْظُرُ إِلَى خَشَبِ سَقْفِ الْبَيْتِ وَيَقُولُ: كَيْفَ كَانَ هَذَا؟ قَالُوا:
كَانَتْ شَجَرَةٌ ثُمَّ صَارَتْ خَشَبًا، ثُمَّ قُطِعَ، ثُمَّ بُنِيَ هَذَا الْبَيْتُ، ثُمَّ
جُعِلَ هَذَا الْخَشَبُ عَلَيْهِ، فَبَيْنَا هُوَ فِي كَلَامِهِ إِذْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى
الْمُؤَكَّلِينَ بِهِ: انظُرُوا هَلْ يَتَكَلَّمُ أَوْ يَقُولُ شَيْئًا؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَقَدْ
وَقَعَ فِي كَلَامٍ مَا نَظَنُّهُ إِلَّا وَسْوَاسًا.

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَسَمِعَ جَمِيعَ مَا لَفَظَ بِهِ الْعُلَامُ، دَعَا
الْعُلَمَاءَ فَسَأَلَهُمْ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ عِنْدَهُمْ عِلْمًا إِلَّا الرَّجُلَ الْأَوَّلَ، فَأَنْكَرَ

قَوْلُهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَوْ زَوَّجْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي تَرَى
وَأَقْبَلَ وَعَقَلَ وَأَبْصَرَ ، فَبَعَثَ الْمَلِكُ فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُ وَيَلْتَمِسُ لَهُ
امْرَأَةً ، فَوُجِدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَجْمَلِهِمْ ، فَزَوَّجَهَا
مِنْهُ ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي وَلِيمَةِ عُرْسِهِ أَخَذَ اللَّاعِبُونَ يَلْعَبُونَ ،
وَالزَّمَارُونَ يُزَمُّرُونَ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْغُلَامُ جَلْبَتَهُمْ ^(١) وَأَصْوَاتَهُمْ قَالَ :
مَا هَذَا ؟ قَالُوا : هَؤُلَاءِ لِعَابُونَ وَزَمَّارُونَ جُمِعُوا لِعُرْسِكَ ، فَسَكَتَ
الْغُلَامُ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الْعُرْسِ وَأَمْسُوا دَعَا الْمَلِكُ امْرَأَةَ ابْنِهِ فَقَالَ
لَهَا : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي وَلَدٌ غَيْرُ هَذَا الْغُلَامِ ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ فَالْطَّفِي
بِهِ ، وَاقْرَبِي مِنْهُ ، وَتَحَبَّيْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِ أَخَذَتْ
تَدْنُو مِنْهُ وَتَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْغُلَامُ : عَلَى رِسْلِكَ ^(٢) ، فَإِنَّ اللَّيْلَ
طَوِيلٌ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَاصْبِرِي حَتَّى نَأْكُلَ وَنَشْرَبَ ، فَدَعَا
بِالطَّعَامِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ جَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَشْرَبُ ، فَلَمَّا أَخَذَ
الشَّرَابُ مِنْهَا نَامَتْ .

فَقَامَ الْغُلَامُ فَخَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ وَأَنْسَلَ مِنَ الْحَرَسِ وَالْبَوَابِينَ

(١) جلب القوم : ضجُّوا واختلطت أصواتهم ، والجلاب والمجلب - بشد اللام :-
المصوِّت .

(٢) أي على مهلك ، يعني أمهل وتأَنَّ .

حَتَّى خَرَجَ ، وَتَرَدَّدَ فِي الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَهُ غُلامٌ مِثْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَاتَّبَعَهُ وَالْقَى ابْنَ الْمَلِكِ عَنْهُ تِلْكَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَلَبِسَ ثِيَابَ الْغُلامِ ، وَتَنَكَّرَ جُهْدَهُ ، وَخَرَجَا جَمِيعاً مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَارَا لَيْلَتَهُمَا حَتَّى إِذَا قُرْبَ الصُّبْحِ خَشِيا الطَّلَبَ فَكَمْنَا ، فَأُتِيَتِ الْجَارِيَةُ عِنْدَ الصُّبْحِ فَوَجَدُوهَا نَائِمَةً ، فَسَأَلُوهَا أَيْنَ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : كَانَ عِنْدِي السَّاعَةَ ، فَطَلَبَ الْغُلامُ فَلَمْ يُقَدِّرْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَمْسَى الْغُلامُ وَصَاحِبُهُ سَارَا ، ثُمَّ جَعَلَا يَسِيرَانِ اللَّيْلَ وَيَكْمُنَانِ النَّهَارَ ، حَتَّى خَرَجَا مِنْ سُلْطَانِ أَبِيهِ وَوَقَعَا فِي مُلْكٍ سُلْطَانٍ آخَرَ .

وَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي صَارَا إِلَى سُلْطَانِهِ ابْنَةٌ قَدْ جَعَلَ لَهَا أَنْ لَا يُزَوِّجَهَا أَحَداً إِلَّا مَنْ هَوِيَتْهُ وَرَضِيَتْهُ ، وَبَنَى لَهَا غُرْفَةً عَالِيَةً مُشْرِفَةً عَلَى الطَّرِيقِ ، فَهِيَ فِيهَا جَالِسَةٌ تَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مَنْ أَقْبَلَ وَأَذْبَرَ ، فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى الْغُلامِ يَطُوفُ فِي السُّوقِ وَصَاحِبُهُ مَعَهُ فِي خُلُقَانِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا إِنِّي قَدْ هَوَيْتُ رَجُلًا ، فَإِنْ كُنْتَ مُزَوِّجِي أَحَداً مِنَ النَّاسِ فَزَوِّجْنِي مِنْهُ ، وَأُتِيَتْ أُمُّ الْجَارِيَةِ فَقِيلَ لَهَا : إِنَّ ابْنَتَكَ قَدْ هَوَيْتُ رَجُلًا ، وَهِيَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهَا فَرِحَةً حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى الْغُلامِ ، فَأَرَوْهَا إِيَّاهُ ، فَزَلَّتْ أُمُّهَا مُسْرِعَةً حَتَّى

دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَتْ : إِنَّ ابْنَتَكَ قَدْ هَوَيْتَ رَجُلًا ، فَأَقْبَلَ
الْمَلِكُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَرُونِيهِ فَأَرَوْهُ مِنْ بُعْدٍ ، فَأَمَرَ أَنْ يُلبَسَ ثِيَابًا
أُخْرَى ، وَنَزَلَ فَسَأَلَهُ وَاسْتَنْطَقَهُ ، وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟
قَالَ الْغُلَامُ : وَمَا سُؤْأَلُكَ عَنِّي ؟ أَنَا رَجُلٌ مِنْ مَسَاكِينِ النَّاسِ ، فَقَالَ :
إِنَّكَ لَعَرِيبٌ ، وَمَا يُشْبِهُ لَوْنُكَ أَلْوَانَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ
الْغُلَامُ : مَا أَنَا بِغَرِيبٍ ، فَعَالَجَهُ الْمَلِكُ أَنْ يَصْدُقَهُ قِصَّتَهُ فَأَبَى ، فَأَمَرَ
الْمَلِكُ أَنَسَاءً أَنْ يَحْرُسُوهُ ، وَيَنْظُرُوا أَيْنَ يَأْخُذُ وَلَا يَعْلَمُ بِهِمْ ، ثُمَّ
رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا كَأَنَّهُ ابْنُ مَلِكٍ ، وَمَا لَهُ
حَاجَةٌ فِيمَا تُرَاوِدُونَهُ عَلَيْهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ ،
فَقَالَ الْغُلَامُ : وَمَا أَنَا وَالْمَلِكُ يَدْعُونِي وَمَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، وَمَا يَذْرِي
مَنْ أَنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ عَلَى كُرْسِيِّهِ مِنْهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ
بِكُرْسِيِّ فَوُضِعَ لَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَدَعَا الْمَلِكُ امْرَأَتَهُ وَابْنَتَهُ
فَاجْلَسَهُمَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ خَلْفَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : دَعَوْتُكَ
لِخَيْرٍ ، إِنَّ لِي ابْنَةً قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ أُرِيدُ أَنْ أَزَوِّجَهَا مِنْكَ ، فَإِنْ كُنْتَ
مِسْكِينًا فَأَغْنِيْنَاكَ وَرَفَعْنَاكَ وَشَرَّفْنَاكَ . قَالَ الْغُلَامُ : مَا لِي فِيمَا
تَدْعُونِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، فَإِنْ شِئْتَ ضَرَبْتُ لَكَ مَثَلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَالَ :

فَفَعَلَ .

قَالَ الْغُلَامُ: زَعَمُوا أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ لَهُ ابْنٌ ، وَكَانَ لَابْنِهِ
أَصْدِقَاءُ صَنَعُوا لَهُ طَعَاماً وَدَعَوْهُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا
حَتَّى سَكِرُوا فَنَامُوا ، فَاسْتَيْقَظَ ابْنُ الْمَلِكِ فِي وَسْطِ اللَّيْلِ فَذَكَرَ
أَهْلَهُ ، فَخَرَجَ عَامِداً إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَلَمْ يُوقِظْ أَحداً مِنْهُمْ ، فَبَيْنَا هُوَ فِي
مَسِيرِهِ إِذْ بَلَغَ مِنْهُ الشَّرَابُ ، فَبَصُرَ بِقَبْرِ عَلَى الطَّرِيقِ فَظَنَّ أَنَّهُ مَدْخَلُ
بَيْتِهِ ، فَدَخَلَهُ فَإِذَا هُوَ بِرِيحِ الْمَوْتِ ، فَحَسِبَ ذَلِكَ - لِمَا كَانَ بِهِ
السُّكْرُ - أَنَّهُ رِيَاخٌ طَيِّبَةٌ ، فَإِذَا هُوَ بِعِظَامٍ لَا يَحْسِبُهَا إِلَّا فُرْشَةً
الْمُمَهَّدَةِ ، فَإِذَا هُوَ بِجَسَدٍ قَدْ مَاتَ حَدِيثاً وَقَدْ أَرْوَحَ ، فَحَسِبَهُ
أَهْلَهُ ، فَقَامَ إِلَى جَانِبِهِ فَأَعْتَقَهُ وَقَبَّلَهُ ، وَجَعَلَ يَعْثُ بِهِ عَامَةً لَيْلِهِ ،
فَأَفَاقَ حِينَ أَفَاقَ ، وَنَظَرَ حِينَ نَظَرَ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى جَسَدٍ مَيِّتٍ ،
وَرِيحٍ مُنْتَنَةٍ ، قَدْ دَنَسَ ثِيَابَهُ وَجِلْدُهُ ، وَنَظَرَ إِلَى الْقَبْرِ وَمَا فِيهِ مِنْ
الْمَوْتِ ، فَخَرَجَ وَبِهِ مِنَ السُّوءِ مَا يَخْتَفِي بِهِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ
مَتَوَجِّهاً إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ فَوَجَدَهُ مَفْتُوحاً ، فَدَخَلَهُ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ ،
فَرَأَى أَنَّهُ قَدْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ حَيْثُ لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ ، فَأَلْقَى عَنْهُ ثِيَابَهُ تِلْكَ ،
وَاعْتَثَلَ ، وَلَبَسَ لِبَاساً أُخْرَى ، وَتَطَيَّبَ .

عَمَرَكَ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَتَرَاهُ رَاجِعاً إِلَى مَا كَانَ فِيهِ وَهُوَ
يَسْتَطِيعُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي أَنَا هُوَ ، فَالْتَفَتَ الْمَلِكُ إِلَى امْرَأَتِهِ
وَابْنَتِهِ وَقَالَ لَهُمَا : قَدْ أَحْبَزْتُكُمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيمَا تَدْعُونَهُ رَغْبَةٌ .

قَالَتْ أُمُّهَا : لَقَدْ قَصَّرْتَ فِي النَّعْتِ لِابْنَتِي وَالْوَصْفِ لَهَا - أَيُّهَا
الْمَلِكُ - وَلَكِنِّي خَارِجَةٌ إِلَيْهِ وَمُكَلَّمَةٌ لَهُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْغُلَامِ : إِنَّ
امْرَأَتِي تُرِيدُ أَنْ تُكَلِّمَكَ وَتَخْرُجَ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَخْرُجْ إِلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ ،
فَقَالَ الْغُلَامُ : لِتَخْرُجْ إِنْ أَحَبَّتْ ، فَخَرَجَتْ وَجَلَسَتْ فَقَالَتْ لِلْغُلَامِ :
تَعَالِ إِلَى مَا قَدْ سَاقَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالرِّزْقِ فَأَزُوجَكَ ابْنَتِي ،
فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ رَأَيْتَهَا ، وَمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا مِنَ الْجَمَالِ وَالْهَيْئَةِ
لَاغْتَبَطْتَ ، فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ : أَفَلَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلاً ؟
قَالَ : بَلَى .

قَالَ : إِنْ سُرَاقاً تَوَاعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا خِزَانَةَ الْمَلِكِ لِيَسْرِقُوا ،
فَتَقَبُّوا حَائِطَ الْخِزَانَةِ فَدَخَلُوهَا ، فَنَظَرُوا إِلَى مَتَاعٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ ،
وَإِذَا هُمْ بِقُلَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ مَخْتُومَةٍ بِالذَّهَبِ ، فَقَالُوا : لَا نَجِدُ شَيْئاً أَعْلَى
مِنْ هَذِهِ الْقُلَّةِ ، هِيَ ذَهَبٌ مَخْتُومَةٌ بِالذَّهَبِ ، وَالَّذِي فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ
الَّذِي رَأَيْنَا ، فَاحْتَمَلُوهَا وَمَضُوا بِهَا حَتَّى دَخَلُوا غَيْصَةً لَا يَأْمَنُ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا ، فَفَتَحُوهَا فَإِذَا فِي وَسْطِهَا أَفَاعٌ ، فَوَثَبْنَ فِي
وُجُوهِهِمْ فَقَتَلَتْهُمْ أَجْمَعِينَ .

عَمَّرَكَ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَفَتَرَى أَحَدًا عَلِمَ بِمَا أَصَابَهُمْ ، وَمَا
لِقُوَّةِ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي تِلْكَ الْقَلَّةِ وَفِيهَا مِنَ الْأَفَاعِي ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ :
فَإِنِّي أَنَا هُوَ ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ لِأَبِيهَا : ائْذَنْ لِي فَأَخْرُجَ إِلَيْهِ بِنَفْسِي
وَأُكَلِّمَهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ وَإِلَى جَمَالِي وَحُسْنِي وَهَيْئَتِي ، وَمَا
قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي مِنَ الْجَمَالِ لَمْ يَتِمَّ أَلْكَ أَنْ يُجِيبَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ
لِلْغُلَامِ : إِنَّ ابْنَتِي تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَخْرُجْ إِلَى رَجُلٍ قَطُّ ،
قَالَ : لِتَخْرُجَ إِنْ أَحَبَّتْ ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا
وَقَدًّا وَطَرَفًا وَهَيْكَلًا ، فَسَلَّمَتْ عَلَى الْغُلَامِ وَقَالَتْ لِلْغُلَامِ : هَلْ
رَأَيْتَ مِثْلِي قَطُّ ، أَوْ أَتَمَّ ، أَوْ أَجْمَلَ ، أَوْ أَكْمَلَ ، أَوْ أَحْسَنَ ؟ وَقَدْ
هَوَيْتُكَ وَأَحْبَبْتُكَ .

فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ : أَفَلَا أَضْرِبُ لَهَا مِثْلًا ؟ قَالَ : بَلَى ،
قَالَ الْغُلَامُ : زَعَمُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ مَلِكًا لَهُ ابْنَانِ ، فَاسَّرَ أَحَدَهُمَا مَلِكٌ
آخَرُ فَحَبَسَهُ فِي بَيْتٍ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا رَمَاهُ بِحَجَرٍ ،
فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ حِينًا ، ثُمَّ إِنَّ أَحَاهُ قَالَ لِأَبِيهِ : ائْذَنْ لِي فَأَنْطَلِقَ إِلَى

أَخِي فَأَفْدِيَهُ ، وَأَخْتَالَ لَهُ ؟ قَالَ الْمَلِكُ : فَاَنْطَلِقْ وَخُذْ مَعَكَ مَا شِئْتَ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ وَدَوَابٍّ ، فَاحْتَمِلْ مَعَهُ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ ، وَانْطَلِقْ مَعَهُ الْمُغْنِيَّاتُ وَالنَّوَائِحُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَدِينَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ الْمَلِكُ بِقُدُومِهِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَنْزِلٍ خَارِجٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَنَزَلَ الْعُلَامُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ ، فَلَمَّا جَلَسَ فِيهِ ، وَنَشَرَ مَتَاعَهُ ، وَأَمَرَ غِلْمَانَهُ أَنْ يَبِيعُوا النَّاسَ وَيُسَاهِلُوهُمْ فِي بَيْعِهِمْ ، وَيُسَامِحُوهُمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ .

فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ شُغِلُوا بِالْبَيْعِ انْسَلَّ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَيْنَ سِجْنُ أَخِيهِ ، ثُمَّ أَتَى السَّجْنَ فَأَخَذَ حَصَاةً فَرَمَى بِهَا لِيَنْظُرَ مَا بَقِيَ مِنْ نَفْسِ أَخِيهِ ، فَصَاحَ حِينَ أَصَابَتْهُ الْحَصَاةُ وَقَالَ : قَتَلْتَنِي ، فَفَزِعَ الْحَرَسُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَسَلَّوْهُ : لِمَ صِحْتَ ؟ وَمَا شَأْنُكَ ؟ وَمَا بَدَا لَكَ ؟ وَمَا رَأَيْتَكَ تَكَلَّمْتَ وَنَحْنُ نُعَذِّبُكَ مُنْذُ حِينٍ ، وَيَضْرِبُكَ وَيَزْمِيكَ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ بِكَ بِحَجَرٍ ، وَرَمَاكَ هَذَا الرَّجُلُ بِحَصَاةٍ فَصِحْتَ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ كَانُوا مِنْ أَمْرِي عَلَى جَهَالَةٍ ، وَرَمَانِي هَذَا عَلَى عِلْمٍ ، فَانْصَرَفَ أَخُوهُ رَاجِعاً إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَتَاعِهِ وَقَالَ لِلنَّاسِ : إِذَا كَانَ غَدًا فَاتُونِي أَنْشُرَ عَلَيْكُمْ بَرَاءً وَمَتَاعاً لَمْ تَرَوْا مِثْلَهُ

قَطُّ ، فَأَنْصَرَفُوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْا عَلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ ،
فَأَمَرَ بِالْبَرْزِ فَنُشِرُوا ، وَأَمَرَ بِالْمُغَيَّاتِ وَالنَّائِحَاتِ ، وَكُلُّ صِنْفٍ مَعَهُ
مِمَّا يُلْهَى بِهِ النَّاسُ ، فَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ ، فَاشْتَغَلَ النَّاسُ ، فَأَتَى
أَخَاهُ فَقَطَعَ عَنْهُ أَغْلَالَهُ وَقَالَ : أَنَا أَدَاوِيكَ ، فَأَخْتَلَسَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنَ
الْمَدِينَةِ ، فَجَعَلَ عَلَى جِرَاحَاتِهِ دَوَاءً كَانَ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ رَاحَةً
أَقَامَهُ عَلَى الطَّرِيقِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انْطَلِقْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ سَفِينَةً قَدْ سِيرَتْ
لَكَ فِي الْبَحْرِ ، فَانْطَلَقَ سَائِراً فَوَقَعَ فِي جُبٍّ فِيهِ تَيْنَيْنِ ، وَعَلَى الْجُبِّ
شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ ، فَظَرَ إِلَى الشَّجَرَةِ فَإِذَا عَلَى رَأْسِهَا اثْنَا عَشَرَ غُولاً ،
وَفِي أَسْفَلِهَا اثْنَا عَشَرَ سَيْفًا ، وَتِلْكَ السُّيُوفُ مَسْلُوءَةٌ مُعَلَّقَةٌ ، فَلَمْ
يَزَلْ يَتَحَمَّلُ وَيَحْتَالُ حَتَّى أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنَ الشَّجَرَةِ فَتَعَلَّقَ بِهِ
وَتَخَلَّصَ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَى الْبَحَرَ فَوَجَدَ سَفِينَةً قَدْ أُعِدَّتْ لَهُ إِلَى
جَانِبِ السَّاحِلِ ، فَرَكِبَ فِيهَا حَتَّى أَتَوْا بِهِ أَهْلَهُ .

عَمَّرَكَ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَتَرَاهُ عَائِداً إِلَى مَا قَدْ عَايَنَ وَلَقِيَ ؟
قَالَ : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي أَنَا هُوَ ، فَيَسْأَلُوا مِنْهُ ، فَجَاءَ الْغُلَامُ الَّذِي صَحِبَهُ
مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَارَّهُ ، وَقَالَ : اذْكُرْنِي لَهَا وَأُنْكِحْنِيهَا ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ
لِلْمَلِكِ : إِنَّ هَذَا يَقُولُ : إِنِّي أَحِبُّ الْمَلِكَ أَنْ يُنْكِحْنِيهَا ؟ فَقَالَ : لَا

أَفْعُلْ ، قَالَ : أَفَلَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا ؟ قَالَ : بَلَى .

قَالَ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِي قَوْمٍ فَرَّ كِبُوا سَفِينَةً ، فَسَارُوا فِي الْبَحْرِ لِيَالِي وَأَيَّامًا ثُمَّ انْكَسَرَتْ سَفِينَتُهُمْ بِقُرْبِ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ فِيهَا الْغِيلَانُ ، فَغَرِقُوا كُلُّهُمْ سِوَاهُ ، وَأَلْقَاهُ الْبَحْرُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَتْ الْغِيلَانُ يُشْرِفْنَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى الْبَحْرِ ، فَأَتَى غُولًا فَهَوِيَهَا وَنَكَحَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ مَعَ الصُّبْحِ قَتَلَتْهُ وَقَسَمَتْ أَعْضَاءَهُ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا ، وَاتَّفَقَ مِثْلُ ذَلِكَ لِرَجُلٍ آخَرَ فَأَخَذَتْهُ ابْنَةُ مَلِكِ الْغِيلَانِ فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ ، فَبَاتَ مَعَهَا يَنْكِحُهَا ، وَقَدْ عَلِمَ الرَّجُلُ مَا لَقِيَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فَلَيْسَ يَنَامُ حَذَرًا ، حَتَّى إِذَا كَانَ مَعَ الصُّبْحِ نَامَتْ الْغُولُ فَأَنْسَلَ الرَّجُلُ حَتَّى أَتَى السَّاحِلَ ، فَإِذَا هُوَ بِسَفِينَةٍ فَنَادَى أَهْلَهَا وَاسْتَعَاثَ بِهِمْ ، فَحَمَلُوهُ حَتَّى أَتَوْا بِهِ أَهْلَهُ فَأَصْبَحَتِ الْغِيلَانُ فَأَتَوَا الْغُولَةَ الَّتِي بَاتَتْ مَعَهُ فَقَالُوا لَهَا : أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي بَاتَ مَعَكَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ قَدْ فَرَّ مِنِّي ، فَكَذَّبُوهَا وَقَالُوا : أَكَلْتِيهِ وَاسْتَأْثَرْتُ بِهِ عَلَيْنَا ، فَلَنَقْتُلَنَّكَ إِنْ لَمْ تَأْتِنَا بِهِ ، فَمَرَّتْ فِي الْمَاءِ حَتَّى أَتَتْهُ فِي مَنْزِلِهِ وَرَحْلِهِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَجَلَسَتْ عِنْدَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : مَا لَقِيتَ فِي سَفْرِكَ هَذَا ؟ قَالَ : لَقِيتُ بَلَاءً خَلَصَنِي اللَّهُ مِنْهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : وَقَدْ تَخَلَّصْتَ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : أَنَا الْغَوْلَةُ ، وَجِئْتُ لِأُخَذَكَ ، فَقَالَ لَهَا : أُنْشِدُكَ
اللَّهَ أَنْ تُهْلِكِيَنِي ، فَإِنِّي أَذْلُكَ عَلَى مَكَانِ رَجُلٍ ، قَالَتْ : إِنِّي
أَرْحَمُكَ ، فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا دَخَلَا عَلَى الْمَلِكِ قَالَتْ : اسْمَعْ مِنَّا
- أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ - إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ ، وَهُوَ مِنْ أَحَبِّ
النَّاسِ إِلَيَّ ، ثُمَّ إِنَّهُ كَرِهَنِي وَكَرِهَ صُحْبَتِي ، فَاَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا ؟ فَلَمَّا
رَأَاهَا الْمَلِكُ أَعْجَبَهُ جَمَالُهَا ، فَخَلَا بِالرَّجُلِ فَسَارَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ
أَحْبَبْتُ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِهَا فَاتَزَوَّجْهَا ، قَالَ : نَعَمْ ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ ، مَا
تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ ، فَتَزَوَّجَ بِهَا الْمَلِكُ وَبَاتَ مَعَهَا حَتَّى إِذَا كَانَتْ مَعَ
السَّحَرِ ذَبَحَتْهُ ، وَقَطَعَتْ أَعْضَاءَهُ وَحَمَلَتْهُ إِلَى صَوَاحِبَاتِهَا ، أَفْتَرَى
- أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَحَدًا يَعْلَمُ بِهَذَا ثُمَّ يَنْطَلِقُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ لَا .

قَالَ الْخَاطِبُ لِلْغُلَامِ : فَإِنِّي لَا أَفَارِقُكَ ، وَلَا حَاجَةَ لِي فِيمَا
أَرَدْتُ .

فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ يَعْبُدَانِ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَيَسِيحَانِ فِي
الْأَرْضِ ، فَهَدَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمَا أَنَاثًا كَثِيرًا ، وَبَلَغَ شَأْنُ الْغُلَامِ
وَأَزْتَفَعَ ذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ ، فَذَكَرَ وَالِدُهُ وَقَالَ : لَوْ بَعَثْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَنْقَذْتُه
مِمَّا هُوَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ ابْنَكَ يُقْرِئُكَ

السَّلَامَ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ ، وَأَمَرَهُ فَأَتَاهُ وَالِدُهُ وَأَهْلُهُ فَاسْتَنْقَذَهُمْ
مِمَّا كَانُوا فِيهِ .

ثُمَّ إِنَّ بِلَوَهَرَ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَاخْتَلَفَ إِلَى يُودَاسُفَ أَيَّامًا
حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ فُتِحَ لَهُ الْبَابُ ، وَدَلَّهُ عَلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ ، ثُمَّ
تَحَوَّلَ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى غَيْرِهَا ، وَبَقِيَ يُودَاسُفَ حَزِينًا مُغْتَمًّا ،
فَمَكَثَ بِذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ وَقْتُ خُرُوجِهِ إِلَى النُّسَاكِ لِيُنَادِيَ بِالْحَقِّ
وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ
خَلْوَةً ظَهَرَ لَهُ وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَكَ الْخَيْرُ وَالسَّلَامَةُ ، أَنْتَ
إِنْسَانٌ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ مِنَ الْجُهَّالِ ، أَتَيْتَكَ بِالتَّحِيَّةِ مِنَ
الْحَقِّ وَالْإِلَهِ الْخَلْقِ ، بَعَثْنِي إِلَيْكَ لِأُبَشِّرَكَ وَأَذْكُرَكَ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ
أُمُورِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ ، فَاقْبَلْ بَشَارَتِي وَمَشُورَتِي ، وَلَا تَغْفَلَ عَنِ
قَوْلِي ، اخْلَعْ عَنْكَ الدُّنْيَا ، وَانْبِذْ عَنْكَ شَهَوَاتِهَا ، وَازْهَدْ فِي الْمُلْكِ
الزَّائِلِ ، وَالسُّلْطَانِ الْفَانِي ، الَّذِي لَا يَدُومُ ، وَعَاقِبَتُهُ النَّدَمُ
وَالْحَسْرَةُ ، وَاطْلُبِ الْمُلْكَ الَّذِي لَا يَزُولُ ، وَالْفَرَحَ الَّذِي لَا
يَنْقُضِي ، وَالرَّاحَةَ الَّتِي لَا يَتَغَيَّرُ ، وَكُنْ صَدِيقًا مُقْسِطًا ، فَإِنَّكَ تَكُونُ
إِمَامَ النَّاسِ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ .

فَلَمَّا سَمِعَ يُودَاسُفُ كَلَامَهُ خَرَّ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَاجِدًا ،
 وَقَالَ : إِنِّي لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مُطِيعٌ ، وَإِلَى وَصِيَّتِهِ مُتَّبِعٌ ، فَمُزِنِي بِأَمْرِكَ
 فَإِنِّي لَكَ حَامِدٌ ، وَلِمَنْ بَعَثَكَ إِلَيَّ شَاكِرٌ ، فَإِنَّهُ رَحِمَنِي وَرَأَوْفٌ
 بِي ، وَلَمْ يَرْفُضْنِي بَيْنَ الْأَعْدَاءِ ، فَإِنِّي كُنْتُ بِالَّذِي أَتَيْتَنِي بِهِ مُهْتَمًّا .
 قَالَ الْمَلِكُ : إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَخْرِجُكَ ، فَتَهَيَّأْ
 لِذَلِكَ ، وَلَا تَغْفُلْ عَنْهُ ، فَوَطَّنَ يُودَاسُفُ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ ،
 وَجَعَلَ هِمَّتَهُ كُلَّهُ فِيهِ ، وَلَمْ يَطْلُعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا ، حَتَّى إِذَا جَاءَ
 وَقْتُ خُرُوجِهِ أَتَاهُ الْمَلِكُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ فَقَالَ لَهُ : قُمْ
 فَاخْرُجْ ، وَلَا تُؤَخِّرْ ذَلِكَ ، فَقَامَ وَلَمْ يُفَشِّرْهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ
 غَيْرِ وَزِيرِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُرِيدُ الرُّكُوبَ إِذَا أَتَاهُ رَجُلٌ شَابٌّ جَمِيلٌ كَانَ قَدْ
 مَلَكَهُمْ بِلَادَهُ فَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ : أَتَيْنَ تَذْهَبُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ وَقَدْ أَصَابَنَا
 الْعُسْرُ ، أَيُّهَا الْمُصْلِحُ الْحَكِيمُ الْكَامِلُ ، وَتَتْرُكُنَا لَهُ وَتَتْرُكُ مُلْكَكَ
 وَبِلَادَكَ ، أَقِمْ عِنْدَنَا فَإِنَّا كُنَّا مِنْذُ وُلِدَتْ فِي رَحَاءٍ وَكَرَامَةٍ ، وَلَمْ تَنْزِلْ
 بِنَا عَاهَةً وَلَا مَكْرُوهَةً ، فَسَكَتَهُ يُودَاسُفُ وَقَالَ لَهُ : امْكُثْ أَنْتَ فِي
 بِلَادِكَ وَدَارِ (١) أَهْلَ مَمْلَكَتِكَ ، فَأَمَّا أَنَا فَذَاهَبْتُ حَيْثُ بُعِثْتُ ،

وَعَامِلٌ مَا أُمِرْتُ بِهِ ، فَإِنْ أَنْتَ أَعْتَنَيْتَنِي كَانَ لَكَ فِي عَمَلِي نَصِيبًا .

ثُمَّ إِنَّهُ رَكِبَ فَسَارَ مَا قَضَى اللَّهُ لَهُ أَنْ يَسِيرَ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ عَنْ
فَرَسِهِ وَوَزِيرُهُ يَقُودُ فَرَسَهُ وَيَبْكِي أَشَدَّ الْبُكَاءِ وَيَقُولُ لِيُودِئُ أَشْفَ : بِأَيِّ
وَجْهِ أَسْتَقْبِلُ أَبَوَيْكَ ، وَبِمَا أُجِيبُهُمَا عَنْكَ ، وَبِأَيِّ عَذَابٍ أَوْ مَوْتٍ
يَقْتُلَانِي ؟ وَأَنْتَ كَيْفَ تُطِيقُ الْعُسْرَ وَالْأَذَى الَّذِي لَمْ تَتَعَوَّدْهُ ؟ وَكَيْفَ
لَا تَسْتَوْحِشُ وَأَنْتَ لَمْ تَكُنْ وَحْدَكَ يَوْمًا قَطُّ ، وَجَسَدَكَ كَيْفَ تَحْمِلُ
الْجُوعَ وَالظَّمَأَ ، وَالتَّقَلُّبَ عَلَى الْأَرْضِ وَالتُّرَابَ ، فَسَكَتَهُ وَعَزَّاهُ
وَوَهَبَ لَهُ فَرَسَهُ وَالْمِنْطَقَةَ ، فَجَعَلَ يَقْبَلُ قَدَمَيْهِ وَيَقُولُ : لَا تَدْعُنِي
وَرَاءَكَ يَا سَيِّدِي اذْهَبْ بِي مَعَكَ حَيْثُ خَرَجْتَ ، فَإِنَّهُ لَا كَرَامَةَ لِي
بَعْدَكَ ، وَإِنَّكَ إِنْ تَرَ كُتْبِي وَلَمْ تَذْهَبْ بِي مَعَكَ أَخْرَجْ فِي الصَّخْرَاءِ ،
وَلَمْ أَذْخُلْ مَسْكَنًا فِيهِ إِنْسَانٌ أَبَدًا ، فَسَكَتَهُ أَيْضًا وَعَزَّاهُ وَقَالَ : لَا
تَجْعَلْ فِي نَفْسِكَ إِلَّا خَيْرًا ، فَإِنِّي بَاعْتُ إِلَى الْمَلِكِ وَمُوصِيهِ فَيْكَ أَنْ
يُكْرِمَكَ وَيُحْسِنَ إِلَيْكَ .

ثُمَّ نَزَعَ عَنْهُ لِبَاسَ الْمَلِكِ وَدَفَعَهُ إِلَى وَزِيرِهِ ، وَقَالَ لَهُ : الْبَسْ
ثِيَابِي ، وَأَعْطَاهُ الْيَاقُوتَةَ الَّتِي كَانَ يَجْعَلُهَا فِي رَأْسِهِ ، وَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ
بِهَا مَعَكَ وَفَرَسِي ، وَإِذَا أَتَيْتَهُ فَاسْجُدْ لَهُ وَأَعْطِهِ هَذِهِ الْيَاقُوتَةَ ،

وَأَقْرَبُهُ السَّلَامَ ، ثُمَّ الْأَشْرَافَ ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِيمَا بَيْنَ
الْبَاقِي وَالزَّائِلِ رَغِبْتُ فِي الْبَاقِي ، وَزَهَدْتُ فِي الزَّائِلِ ، وَلَمَّا اسْتَبَانَ
لِي أَصْلِي وَحَسْبِي ، وَفَصَلْتُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَعْدَاءِ وَالْأَقْرِبَاءِ ،
رَفَضْتُ الْأَعْدَاءَ وَالْأَقْرِبَاءَ ، وَانْقَطَعْتُ إِلَى أَصْلِي وَحَسْبِي ، فَأَمَّا
وَالِدِي فَإِنَّهُ إِذَا أَبْصَرَ الْيَاقُوتَةَ طَابَتْ نَفْسُهُ ، فَإِذَا أَبْصَرَ كِسُوتِي عَلَيْكَ
ذَكَرْنِي وَذَكَرَ حُبِّي لَكَ وَمَوَدَّتِي إِيَّاكَ ، فَمَنْعَهُ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ
مَكْرُوهًا .

ثُمَّ رَجَعَ وَزِيرُهُ وَتَقَدَّمَ يُوذَاسُفُ أَمَامَهُ يَمْشِي حَتَّى بَلَغَ فضاءً
وَاسِعاً ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى شَجَرَةً عَظِيمَةً عَلَى عَيْنٍ مِنْ مَاءٍ أَحْسَنَ مَا
يَكُونُ مِنَ الشَّجَرِ ، وَأَكْثَرَهَا فَرْعاً وَغُصْنًا ، وَأَخْلَاهَا ثَمَرًا ، وَقَدْ
اجْتَمَعَ إِلَيْهَا مِنَ الطَّيْرِ مَا لَا يُعَدُّ كَثَرَةً ، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ وَفَرِحَ بِهِ ،
وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ حَتَّى دَنَا مِنْهُ وَجَعَلَ يُعَبِّرُهُ فِي نَفْسِهِ وَيُفَسِّرُهُ ، فَشَبَّهَ
الشَّجَرَ بِالْبُشْرَى الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا ، وَعَيْنَ الْمَاءِ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ ،
وَالطَّيْرَ بِالنَّاسِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَقْبَلُونَ مِنْهُ الدِّينَ ، فَبَيْنَا هُوَ
قَائِمٌ إِذَا أَنَاهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ حَتَّى رَفَعُوهُ فِي جَوْ السَّمَاءِ ، وَأَوْتِيَ مِنَ الْعِلْمِ

وَالْحِكْمَةَ مَا عَرَفَ بِهِ الْأُولَى وَالْوُسْطَى وَالْآخِرَى ، وَالَّذِي هُوَ
كَائِنٌ ، ثُمَّ أَنْزَلُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَرَّنُوا مَعَهُ قَرِيناً مِنَ الْمَلَائِكَةِ
الْأَرْبَعَةِ ، فَمَكَثَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ حِيناً ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى أَرْضَ سُورَ لَابِطَ ،
فَلَمَّا بَلَغَ وَالِدَهُ قُدُومُهُ خَرَجَ يَسِيرُهُ هُوَ وَالْأَشْرَافُ ، فَأَكْرَمُوهُ
وَقَرَّبُوهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ بَلَدِهِ مَعَ ذَوِي قَرَابَتِهِ وَحَشَمِهِ ، وَقَعَدُوا
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَكَلَّمَهُمُ الْكَلَامَ الْكَثِيرَ ، وَفَرَشَ لَهُمُ
الْأَسَاسَ ، وَقَالَ لَهُمْ : اسْمَعُوا إِلَيَّ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَفَرِّغُوا إِلَيَّ قُلُوبَكُمْ
لَا سِتْمَاعَ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي هِيَ نُورُ الْأَنْفُسِ ، وَثِقُوا بِالْعِلْمِ
الَّذِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَاقْبِضُوا عُقُولَكُمْ ، وَافْهَمُوا
الْفَضْلَ الَّذِي بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالضَّلَالِ وَالْهُدَى ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
هَذَا هُوَ دَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْقُرُونِ الْأُولَى ، فَخَصَّنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي هَذَا
الْقَرْنِ بِرَحْمَتِهِ بِنَا ، وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَتَحَنُّنِهِ عَلَيْنَا ، وَفِيهِ خَلَاصٌ مِنْ
نَارِ جَهَنَّمَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنَالُ الْإِنْسَانُ مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ ، وَلَا يَدْخُلُهَا
أَحَدٌ ، إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ ، فَاجْتَهِدُوا فِيهِ لِتُذَرِّكَوَابِهِ الرَّاحَةُ
الدَّائِمَةُ ، وَالْحَيَاةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ أَبَداً ، وَمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِالذِّينِ فَلَا

يَكُونَنَّ إِيمَانُهُ طَمَعاً فِي الْحَيَاةِ ، وَرَجَاءً لِمُلْكِ الْأَرْضِ ، وَطَلَبِ
مَوَاهِبِ الدُّنْيَا ، وَلَيْكُنْ إِيمَانُكُمْ بِالَّذِينَ طَمَعُوا فِي مَلَكَوتِ
السَّمَاوَاتِ ، وَرَجَاءً لِلْخَلَاصِ ، وَطَلَبِ النَّجَاةِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَبُلُوغِ
الرَّاحَةِ وَالْفَرَجِ فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ مُلْكَ الْأَرْضِ وَسُلْطَانَهَا زَائِلٌ ،
وَلَذَاتُهَا مُنْقَطِعَةٌ ، فَمَنْ اغْتَرَبَ بِهَا هَلَكَ وَافْتَضَحَ ، لَوْ قَدْ وَقَفَ عَلَى
دَيَانَ الدِّينِ الَّذِي لَا يَدِينُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ مَقْرُونٌ مَعَ
أَجْسَادِكُمْ ، وَهُوَ يَتَرَاوَدُّ أَرْوَاحَكُمْ أَنْ يُكَبِّبَهَا مَعَ الْأَجْسَادِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَالنَّجَاةِ مِنَ
الْأَعْدَاءِ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ ، إِلَّا بِقُوَّةٍ مِنَ الْبَصَرِ وَالْجَنَاحَيْنِ
وَالرَّجْلَيْنِ ، فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ وَالنَّجَاةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ
وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَفْعَالِ الْخَيْرِ الْكَامِلَةِ ، فَتَفَكَّرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ
أَنْتَ وَالْأَشْرَافُ فِيمَا تَسْمَعُونَ ، وَافْهَمُوا وَاعْتَبِرُوا وَاعْبِرُوا الْبَحْرَ مَا
دَامَتِ السَّفِينَةُ ، وَاقْطَعُوا الْمَفَازَةَ مَا دَامَ الدَّلِيلُ وَالظُّهْرُ وَالزَّادُ ،
وَاسْلُكُوا سَبِيلَكُمْ مَا دَامَ الْمِصْبَاحُ ، وَأَكْثِرُوا مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مَعَ
النُّسَاكِ ، وَشَارِكُوهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَأَصْلِحُوا التَّبِعَ ،
وَكَوْنُوا لَهُمْ أَغْوَانًا ، وَمُرُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ لِيُنْزِلُوا مَعَكُمْ مَلَكَوتَ

النُّورَ ، وَاقْبَلُوا النُّورَ ، وَاخْتَفِظُوا بِفَرَائِضِكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَوَتَّقُوا
إِلَى أَمَانِي الدُّنْيَا ، وَشُرْبِ الخُمُورِ ، وَشَهْوَةِ النَّسَاءِ ، مِنْ كُلِّ ذَمِيمَةٍ
وَقَبِيحَةٍ مُهْلِكَةٍ لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَاتَّقُوا الْحَمِيَّةَ وَالْغَضَبَ ،
وَالْعَدَاوَةَ وَالنَّمِيمَةَ ، وَمَا لَمْ تَرْضَوْهُ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكُمْ فَلَا تَأْتُوهُ إِلَى
أَحَدٍ ، وَكُونُوا طَاهِرِي الْقُلُوبِ ، صَادِقِي النَّيَّاتِ ، لِتَكُونُوا عَلَى
الْمِنْهَاجِ إِذَا آتَاكُمْ الْأَجَلُ .

ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ أَرْضِ سُولا بِطَ وَسَارَ فِي بِلَادٍ وَمَدَائِنَ كَثِيرَةٍ ،
حَتَّى أَتَى أَرْضاً تُسَمَّى قِشْمِيرَ ، فَسَارَ فِيهَا ، وَأَخِيَا مَيِّتَهَا ، وَمَكَثَ
حَتَّى آتَاهُ الْأَجَلُ الَّذِي خَلَعَ الْجَسَدَ ، وَارْتَفَعَ إِلَى النُّورِ ، وَدَعَا قَبْلَ
مَوْتِهِ تَلْمِيزاً لَهُ اسْمُهُ أَيَّابُذُ ، الَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ ، وَيَقُومُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
رَجُلًا كَامِلًا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَوْصَى إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ دَنَا
ارْتِفَاعِي عَنِ الدُّنْيَا ، وَاخْتَفِظُوا بِفَرَائِضِكُمْ ، وَلَا تَزِيغُوا عَنِ الْحَقِّ ،
وَاخْذُوا بِالتَّنْسُكِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَيَّابُذَ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ مَكَانًا ، فَبَسَطَ هُوَ
رِجْلَيْهِ ، وَهَيَّأَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَوَجَّهَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ ، ثُمَّ قَضَى
نَحْبَهُ (١) .

(١) وأكثر مضامين ما سطر في هذه الحكاية موجود في الأحاديث المروية عن
المعصومين عليهم السلام ، وأهم هذه المضامين المذكورة : ضرورة وجود خليفة وحجة

قال مصنف هذا الكتاب: ليس هذا الحديث وما شا كله من أخبار المعمرين وغيرهم ممّا أعتمده في أمر الغيبة ووقوعها ؛ لأنّ الغيبة إنّما صحّت لي بما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام من ذلك بالأخبار التي يمثلها صحّ الإسلام وشرائعه وأحكامه ، ولكنّي أرى الغيبة لكثير من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم ، ولكثير من الحجج بعدهم عليهم السّلام ، ولكثير من الملوك الصالحين من قبل الله تبارك وتعالى ، ولا أجد لها منكراً من مخالفينا ، وجميعها في الصّحة من طريق الرواية دون ما قد صحّ بالأخبار الكثيرة الواردة الصحيحة عن النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم في أمر القائم الثاني عشر من الأئمّة عليهم السّلام وغيبته حتّى يطول الأمد ، وتقسو القلوب ، ويقع اليأس من ظهوره ، ثمّ يطلعه الله ، وتشرق الأرض بنوره ، ويرتفع الظلم والجور بعدله ، فليس في التكذيب بذلك مع الإقرار بنظائره إلّا القصد إلى إطفاء نور الله وإبطال دينه ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ، ويعلى كلمته ، وَيُحَقِّقَ الْحَقَّ ، وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ، ولو كره المخالفون المكذّبون بما وعد الله الصالحين على لسان خير النبيّين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين .

ولا يرادي هذا الحديث وما يشا كله في هذا الكتاب معنى آخر وهو أنّ جميع أهل الوفاق والخلاف يميلون إلى مثله من

الأحاديث ، فإذا ظفروا به من هذا الكتاب حرصوا على الوقوف على سائر ما فيه فهم بالوقوف عليه من بين منكر وناظر ، وشاك ومقرّ فالمقرّ يزاد به بصيرة ، والمنكر تتأكّد عليه من الله الحجّة ، والواقف الشاك يدعو وقوفه بين الإقرار والإنكار إلى البحث والتنقيب إلى أمر الغائب وغيبته ، فترجى له الهداية؛ لأنّ الصحيح من الأمور لا يزيده البحث والتنقيب (١) إلّا تأكيداً ، كالذهب الذي كلّما دخل النار ازداد صفاء وجودة .

وقد غيّب الله تبارك وتعالى اسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، في أوائل سور من القرآن .

فقال عزّ وجلّ : الم والمر والر والمص وكهيعص وحم عسق وطسم وطس ويس وما أشبه ذلك ؛ لعلّتين : إحداهما أنّ الكفّار والمشرّكين كانت أعينهم في غطاء عن ذكر الله ، وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله ، بدليل قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا ﴾ (٢) ، وكانوا لا يستطيعون للقرآن سمعاً فأنزل الله عزّ وجلّ أوائل سور منه اسم الأعظم بحروف مقطوعة هي من حروف كلامهم ولغتهم ، ولم تجر عاداتهم بذكرها مقطوعة ، فلمّا سمعوها تعجّبوا منها وقالوا : نسمع ما بعدها تعجباً ، فاستمعوا إلى ما بعدها فتأكّدت الحجّة على المنكرين ، وازداد أهل الإقرار به بصيرة ،

(١) في بعض النسخ المصحّحة : « التنقيح » ، والتنقيح : التفتيش ، كما في النهاية .

(٢) سورة الطلاق : ١١ و ١٢ .

وتوقف الباقون شكًا كَأَلا هَمَّة لهم إِلَّا البحث عما شكَّوا فيه ، وفي البحث الوصول إلى الحق .

والعلة الأخرى في إنزال أوائل هذه السور بالحروف المقطوعة ليخصَّ بمعرفتها أهل العصمة والطهارة فيقيمون بها الدلائل ، ويظهرون بها المعجزات ، ولو عمَّ الله تعالى بمعرفتها جميع الناس لكان في ذلك ضدَّ الحكمة ، وفساد التدبير ، وكان لا يؤمن من غير المعصوم أن يدعو بها على نبيٍّ مرسل أو مؤمن ممتحن ، ثم لا يجوز أن يقع الإجابة بها مع وعده واتِّصافه بأنَّه لا يُخِلِّفُ الْمِيعَادَ ، على أنَّه يجوز أن يعطي المعرفة ببعضها من يجعله عبرة لخلقه متى تعدَّى فيها حدَّه ، كبلعم بن باعوراء حين أراد أن يدعو على كليم الله موسى بن عمران عليه السَّلام فأنسى ما كان أوتي من الاسم ، فانسَلَخَ منها ، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه : ﴿ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١) .

وإنما فعل عزَّ وجلَّ ذلك ليعلم الناس أنَّه ما اختصَّ بالفضل إِلَّا من علم أنَّه مستحقٌّ للفضل ، وأنَّه لو عمَّ لجاز منهم وقوع ما وقع من بلعم .

وإذا جاز أن يغيب الله عزَّ وجلَّ اسمه الأعظم في الحروف

المقطوعة في كتابه الذي هو حجته وكلامه فكذلك جائز أن يغيب حجته في الناس عن عباده المؤمنين وغيرهم لعلمه عز وجل أنه متى أظهره وقع من أكثر الناس التعدي لحدود الله في شأنه ، فيستحقون بذلك القتل ، فإن قتلهم لم يجز وفي أصلاهم مؤمنون ، وإن لم يقتلهم لم يجز وقد استحقوا القتل .

فالحكمة للغيبة في مثل هذه الحالة موجبة ، فإذا تزيلوا ولم يبق في أصلاهم مؤمن أظهره الله عز وجل فخسف بأعدائه وأبادهم (١) ، ألا ترى المحصنة إذا زنت وهي حبلى لم ترحم حتى تضع ولدها وترضعه ، إلا أن يتكفل برضاعه رجل من المسلمين ، فهذا سبيل من في صلبه مؤمن إذا وجب عليه القتل لم يقتل حتى يزياله ، ولا يعلم ذلك إلا من يكون حجة من قبل علام الغيوب ، ولهذا لا يقيم الحدود إلا هو وهذه هي العلة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين عليه السلام مجاهدة أهل الخلاف خمسا وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٥٧٢) ٢- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَسْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَامِرٍ ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ

(١) أباده : أي أهلكه .

السَّلامُ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا بَأَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يُقَاتِلْ مُخَالِفِيهِ فِي الْأَوَّلِ ؟ قَالَ : لِأَيَّةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (١) .

قَالَ : قُلْتُ : وَمَا يَعْنِي بِتَزَايُلِهِمْ ؟ قَالَ : وَدَائِعُ مُؤْمِنُونَ فِي أَصْلَابِ قَوْمٍ كَافِرِينَ ، وَكَذَلِكَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَظْهَرَ أَبَداً حَتَّى تَخْرُجَ وَدَائِعُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا خَرَجَتْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ ظَهَرَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَقَتْلَهُمْ (٢) .

(٥٧٣) ٣- حَدَّثَنَا الْمُظَفَّرُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْعَلَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَخْبُوبٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْكَزْحِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ - أَوْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : - أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوِيّاً فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَكَيْفَ ظَهَرَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ؟ وَكَيْفَ لَمْ

(١) سورة الفتح : ٢٥ .

(٢) وسنده مرسل صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وقد ساوا الأصحاب بين مراسلات ومسندات ابن أبي عمير .

يَدْفَعُهُمْ ؟ وَمَا يَمْنَعُهُ ^(١) مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
مَنْعَتُهُ .

قَالَ : قُلْتُ : وَآيَةُ آيَةٍ هِيَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا
لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ، إِنَّهُ كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَدَائِعُ
مُؤْمِنُونَ فِي أَصْلَابِ قَوْمٍ كَافِرِينَ وَمُنَافِقِينَ ، فَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لِيَقْتُلَ الْآبَاءَ حَتَّى يَخْرُجَ الْوَدَائِعُ ، فَلَمَّا خَرَجَتِ الْوَدَائِعُ ظَهَرَ
عَلَى مَنْ ظَهَرَ فَقَاتَلَهُ ، وَكَذَلِكَ قَاتِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَنْ يَظْهَرَ أَبَدًا حَتَّى
تَظْهَرَ وَدَائِعُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَظْهَرُ
فَقَاتَلَهُ ^(٢) .

(٥٧٤) ٤ - حَدَّثَنَا الْمُظَفَّرُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمُظَفَّرِ السَّمَرْقَنْدِيُّ
الْعَلَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْعُودٍ ،
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَبْرِئِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ

(١) في بعض النسخ : « لم يمنعه ، وما يمنعه » .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، إبراهيم هو ابن أبي زياد
الكلابي الكرخي ، اعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وروى عنه ابن محبوب وابن أبي
عمير وأبان بن عثمان وحماد بن عيسى وصفوان وأبو أيوب ، ومنه تعرف مقام الرجل .

حَازِم ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ : لَوْ أَخْرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا فِي أَصْلَابِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَمَا فِي أَصْلَابِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا (١) .

(٥٧٥) ٥ - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَقِيهَ الْأَسْوَارِيُّ بِإِيْلَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزْدَعِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الطَّرْسُوسِيَّ يَقُولُ - وَكَانَ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً عَلَى بَابِ يَحْيَى بْنِ مَنْصُورٍ - (٢) قَالَ : رَأَيْتُ سَرْبَانَكَ مَلِكَ الْهِنْدِ فِي بِلْدَةٍ تُسَمَّى قَنُوجَ (٣) ، فَسَأَلْنَاهُ : كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ السِّنِينَ ؟ فَقَالَ : تِسْعُمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْفَذَ إِلَيْهِ عَشْرَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَصُهَيْبُ الرُّومِيُّ وَسَفِينَةُ وَغَيْرُهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَى

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وجعفر بن محمد بن مسعود من فضلاء الأصحاب .

(٢) عطف على ما سبق من أخبار المعمرين .

(٣) بفتح القاف وتشديد النون وآخره جيم : موضع ببلاد الهند ، المراد .

الإسلام ، فَأَجَابَ وَأَسْلَمَ وَقَبَّلَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تُصَلِّيَ مَعَ هَذَا الضَّعْفِ ؟ فَقَالَ لِي : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ... ﴾ (١) ، فَقُلْتُ
لَهُ : وَمَا طَعَامُكَ ؟ فَقَالَ : أَكُلُ مَاءِ اللَّحْمِ وَالْكَرَاثِ .

وَسَأَلْتُهُ : هَلْ يَخْرُجُ مِنْكَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً
شَيْءٌ يَسِيرٌ .

قَالَ : وَسَأَلْتُهُ عَنْ أَسْنَانِهِ ، فَقَالَ : أَبَدَلْتُهَا عِشْرِينَ مَرَّةً ، وَرَأَيْتُ
لَهُ فِي إِصْطَبَلِهِ شَيْئًا مِنَ الدَّوَابِّ أَكْبَرَ مِنَ الْفِيلِ يُقَالُ لَهُ : زَنْدَفِيلٌ ،
فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِهِذَا ؟ قَالَ : يُحْمَلُ بِهَا ثِيَابُ الْخَدَمِ إِلَى
الْقَصَارِ ، وَمَمْلَكَتُهُ مَسِيرَةُ أَرْبَعِ سِنِينَ فِي مِثْلِهَا ، وَمَدِينَتُهُ طُولُهَا
خَمْسُونَ فَرْسَخًا فِي مِثْلِهَا ، وَعَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا عَسْكَرٌ فِي مِائَةِ أَلْفٍ
وَعِشْرِينَ أَلْفًا ، إِذَا وَقَعَ فِي أَحَدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ حَدَثٌ خَرَجَتْ
تِلْكَ الْفِرْقَةُ إِلَى الْحَرْبِ لَا يُسْتَعَانُ بِغَيْرِهَا ، وَهُوَ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ .
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : دَخَلْتُ الْمَغْرِبَ (٢) فَبَلَغْتُ إِلَى الرَّمْلِ - رَمْلٍ

(١) سورة آل عمران : ١٩١ .

(٢) في بعض النسخ : « دخلت إلى العرب » .

الْعَالِجِ - وَصِرْتُ إِلَى قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَأَيْتُ سَطُوحَ
بُيُوتِهِمْ مُسْتَوِيَةً ، وَبَيْدَرَ الطَّعَامِ (١) خَارِجَ الْقَرْيَةِ يَأْخُذُونَ مِنْهُ الْقُوتَ
وَالْبَاقِي يَتَرُكُونَهُ هُنَاكَ وَقُبُورُهُمْ فِي دُورِهِمْ وَبَسَاتِينُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ
عَلَى فَرْسَخَيْنِ لَيْسَ فِيهِمْ شَيْخٌ وَلَا شَيْخَةٌ ، وَلَمْ أَرِ فِيهِمْ عِلَّةً ، وَلَا
يَعْتَلُونَ إِلَى أَنْ يَمُوتُوا ، وَلَهُمْ أَسْوَاقٌ إِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ شِرَاءَ شَيْءٍ
صَارَ إِلَى السُّوقِ فَوَزَنَ لِنَفْسِهِ وَأَخَذَ مَا يُصِيبُهُ وَصَاحِبُهُ غَيْرُ حَاضِرٍ ،
وَإِذَا أَرَادُوا الصَّلَاةَ حَضَرُوا فَصَلُّوا وَأَنْصَرَفُوا ، لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ
خُصُومَةٌ أَبَدًا ، وَلَا كَلَامٌ يُكْرَهُ ، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالصَّلَاةَ ،
وَذِكْرَ الْمَوْتِ .

قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله : فإذا كان جاز عند مخالفينا
مثل هذه الحال لسربانك ملك الهند فينبغي أن لا يحيلوا مثل ذلك
في حجة الله في التعمير ، ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

٥٧ - باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج

(٥٧٦) ١ - حَدَّثَنَا الْمُظَفَّرُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُظَفَّرُ الْعَلَوِيُّ السَّمَرْقَنْدِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ :

(١) يعني الموضع الذي يجمع فيه الحصيد والقمح ويداس .

حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْعَمَرُ كِيُّ بْنُ عَلِيٍّ
الْبُوفَكِيِّ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَالٍ ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ،
عَنْ مُوسَى النُّمَيْرِيِّ ^(٢) ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ سَيَابَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُتَّظِرًا لَهُ كَانَ كَمَنْ
كَانَ فِي فُسْطَاطِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) .

(٥٧٧) ٢- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ ثَعْلَبَةَ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ
عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيِّ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، لَقَدْ تَرَكْنَا أَسْوَاقَنَا أَنْتِظَارًا
لِهَذَا الْأَمْرِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ ! أَتَرَى مَنْ حَبَسَ

(١) كذا في بعض النسخ ، وفي بعضها: « جعفر بن أحمد » ، ولعل الصواب: « جعفر
بن معروف » .

(٢) هو موسى بن أكيلى النميري: من أصحاب ثقات الصادق عليه السلام ، وصحَّف
في بعض النسخ: « بالهرمزي » ، وفي بعضها: « بالبربري » ، وفي بعضها: « بالنهريري » .
(٣) المحاسن: ١٧٣/١ ، عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن موسى النميري عن علاء
* الغيبة للنعماني: ٢٠٦ ، عن علي بن عقبة .

وسنده حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، جعفر بن محمد مسعود من فضلاء الأصحاب ،
وجعفر بن معروف يروي عنه العياشي كثيراً ، ذكره الشيخ وقال: « من أهل كش وكيل
وكان مكاتباً » وقال ابن الغضائري: « كان في مذهبه ارتفاع وحديثه يعرف وينكر أخرى »
وارتفاعه علو ، والعلاء بن سيابة ذكره الشيخ في رجال الصادق عليه السلام ، روى عنه
ابن أكيلى وأبان بن عثمان وابن أبي عمير وابن فضال ، واعتمد عليه المصنف قدس سره
في الفقيه ، وهو من رواة تفسير القمي .

نَفْسُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا؟ بَلَى - وَاللَّهِ -
لَيَجْعَلَنَّ اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا ، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَيْنَا ، رَحِمَ اللَّهُ
عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا .

قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ مِتُّ قَبْلَ أَنْ أُدْرِكَ الْقَائِمَ ؟ قَالَ : الْقَائِلُ مِنْكُمْ أَنْ
لَوْ أُدْرِكَتُ قَائِمَ آلِ مُحَمَّدٍ نَصْرَتُهُ كَانَ كَالْمُقَارِعِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِسَيْفِهِ ، لَا
بَلْ كَالشَّهِيدِ مَعَهُ (١) .

(٥٧٨) ٣- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ جَعْفَرِ
ابْنِ مَعْرُوفٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ
بَشِيرٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرِ الْوَاسِطِيِّ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ، عَنْ آبَائِهِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : أَفْضَلُ أَعْمَالٍ
أُمَّتِي أَنْتَظَرُ الْفَرَجَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢) .

(٥٧٩) ٤- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ الْقُضَيْلِ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ :

(١) وسنده قوي كالحسن ، وعبد الحميد الواسطي ذكره الشيخ في أصحاب الباقر
والصادق عليهما السلام ، روى عنه عمر بن أبان .

(٢) وسنده حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وجعفر بن معروف مر في الحديث الأول
ههنا .

سَأَلْتُهُ عَنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ (١) .

(٥٨٠) ٥ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ خَلْفُ بْنُ حَمَادٍ الْكَشِّيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرِ ، قَالَ : قَالَ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَانْتَظَارَ الْفَرَجِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ (٢) ، ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ الْفَرَجُ عَلَى الْيَأْسِ ، فَقَدْ كَانَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ (٣) .

(١) سورة الأعراف : ٧١ .

وسنده حسن كالصحيح ، محمد بن الفضيل إذا أطلق فهو ابن كثير الصيرفي الأزدي ، ذكره الشيخ فقال : « صيرفي ، يرمى بالغلو » وضعفه في أصحاب الكاظم عليه السلام ، وذكره النجاشي ولم يقدح فيه ، وقد عده الشيخ المفيد في رسالته العددية من الفقهاء والأعلام ، الذين يؤخذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام ، ولا يطعن عليهم بشيء ، ولا طريق لدم واحد منهم ، قلت : والشاهد على كلامه قدس سره : رواية فحول الأجلاء الكبار عنه ، وكثرة رواياته في الكتب الأربعة وغيرها ، فالقول في ابن الفضيل ما قاله المفيد ، وتضعيف الشيخ معلل بالغلو ، وهو علو .

(٢) تمام الآية في سورة هود : ﴿ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ .

(٣) وسنده قوي كالحسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى خلف بن حماد وسهل ،

(٥٨١) ٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ آبَائِهِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : الْمُتَنَزِّلُ لِأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (١) .

(٥٨٢) ٧ - حَدَّثَنَا الْمُظَفَّرُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْعَلَوِيُّ السَّمَرْقَنْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَيْدَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَجَعْفَرُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ هِشَامٍ اللَّوْلُؤِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ

والأول روى عنه الكشي كثيراً ، وذكره الشيخ في من لم يرو عنهم عليهم السلام ، والثاني من الأجلة ، راجع ملحق : ٩ .

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله بين ثقة وممدوح ومعتمد ، القاسم بن يحيى ، روى عنه أعظم الأصحاب كأحمد بن إسحاق والبرقي والأشعري وإبراهيم بن هاشم واليقطيني ، وروايته في الكتب الأربعة جداً كثيرة ، وهو من رواة كامل الزيارات وتفسير القمي ، واعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وَرَوَى كتابه عن ثلاثة من أعظم الحفاظ ، ووصف بعض رواياته بأنها أصح الروايات عنده ، ذكره النجاشي ولم يقدح فيه ، وهذا من أمارات السلامة والحسن ، نعم ضَعَفَهُ الغضائري ، وفي ثبوت كتاب الغضائري خلاف ، وعلى فرض ثبوته فقد تحفظ الأصحاب في تضعيفاته للرواة ، جده الحسن بن راشد ، قد اعتمد عليه الصدوق وأفتى بمضمون رواياته ، كما وصف بعض رواياته بأنها أصح الروايات عنده ، وهذا كاف في الاعتماد والإعتداد برواياته .

مَحْبُوبٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ عَمَّارِ السَّابَاطِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ
لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْعِبَادَةُ مَعَ الْإِمَامِ مِنْكُمْ ، الْمُسْتَتِرِ فِي
دَوْلَةِ الْبَاطِلِ ، أَفْضَلُ أَمْ الْعِبَادَةُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَدَوْلَتِهِ مَعَ الْإِمَامِ
الظَّاهِرِ مِنْكُمْ ؟ فَقَالَ : يَا عَمَّارُ ! الصَّدَقَةُ - وَاللَّهِ - فِي السِّرِّ فِي دَوْلَةِ
الْبَاطِلِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعِلَانِيَةِ ، وَكَذَلِكَ عِبَادَتُكُمْ فِي السِّرِّ
مَعَ إِمَامِكُمُ الْمُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَفْضَلُ لِحُفُوفِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فِي
دَوْلَةِ الْبَاطِلِ ، وَحَالِ الْهُدْنَةِ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ
مَعَ الْإِمَامِ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ ، وَلَيْسَ الْعِبَادَةُ مَعَ الْخَوْفِ وَفِي
دَوْلَةِ الْبَاطِلِ مِثْلَ الْعِبَادَةِ مَعَ الْأَمْنِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ .

اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً فَرِيضَةً وَخَدَانًا مُسْتَتِرًا بِهَا مِنْ
عَدُوِّهِ فِي وَقْتِهَا فَاتَمَّهَا ، كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ
صَلَاةً فَرِيضَةً وَخَدَانِيَّةً ، وَمَنْ صَلَّى مِنْكُمْ صَلَاةً نَافِلَةً فِي وَقْتِهَا
فَاتَمَّهَا ، كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ نَوَافِلَ ، وَمَنْ عَمِلَ
مِنْكُمْ حَسَنَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِشْرِينَ حَسَنَةً ، وَيُضَاعِفُ اللَّهُ حَسَنَاتِ
الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ إِذَا أَحْسَنَ أَعْمَالَهُ ، وَدَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّقِيَّةِ عَلَى
دِينِهِ وَعَلَى إِمَامِهِ وَعَلَى نَفْسِهِ ، وَأَمْسَكَ مِنْ لِسَانِهِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً

كَثِيرَةً ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ .

قَالَ : فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ رَغَّبْتَنِي فِي الْعَمَلِ ، وَحَشَّيْنِي عَلَيْهِ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ صِرْنَا الْيَوْمَ أَفْضَلَ أَعْمَالًا مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ مِنْكُمْ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ ، وَنَحْنُ وَهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَقَالَ : إِنَّكُمْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالْحَجِّ ، وَإِلَى كُلِّ فِقْهِ وَخَيْرٍ ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ سِرًّا مَعَ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْإِمَامِ الْمُسْتَتِرِ مُطِيعُونَ لَهُ ، صَابِرُونَ مَعَهُ ، مُتَنَبِّطُونَ لِدَوْلَةِ الْحَقِّ ، خَائِفُونَ عَلَى إِمَامِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ ، تَنْظُرُونَ إِلَى حَقِّ إِمَامِكُمْ وَحَقِّكُمْ فِي أَيْدِي الظُّلْمَةِ قَدْ مَنَعُوكُمْ ذَلِكَ ، وَاضْطَرُّوْكُمْ إِلَى حَزْبِ الدُّنْيَا (١) ، وَطَلَبِ الْمَعَاشِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى دِينِكُمْ وَعِبَادَتِكُمْ ، وَطَاعَةِ إِمَامِكُمْ ، وَالْخَوْفِ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَبِذَلِكَ ضَاعَفَ اللَّهُ أَعْمَالَكُمْ ، فَهَنِيئًا لَكُمْ هَنِيئًا .

قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَمَا نَتَمَنَّى إِذَا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي إِمَامَتِكَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : «إِلَى جَدْبِ الْأَرْضِ» .

وَطَاعَتِكَ أَفْضَلُ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ دَوْلَةِ الْحَقِّ ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يُظْهَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي
 الْبِلَادِ ، وَيُحْسِنَ حَالَ عَامَّةِ الْعِبَادِ (١) ، وَيَجْمَعَ اللَّهُ الْكَلِمَةَ ،
 وَيُوَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلَفَةٍ ، وَلَا يُعْصِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ ،
 وَيُقَامَ حُدُودُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، وَيَرُدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ فَيُظْهِرُوهُ ،
 حَتَّى لَا يُسْتَخْفَى بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ ، أَمَا وَاللَّهِ
 - يَا عَمَّارُ - لَا يَمُوتُ مِنْكُمْ مَيِّتٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ
 أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا
 فَأَبْشِرُوا (٢) .

(٥٨٣) ٨ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ
 النَّخَعِيُّ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ
 الْكُوفِيِّ (٣) ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكُنْتُ

(١) في بعض النسخ : « عامة الناس » .

(٢) الكافي الشريف : ٣٣٣/١ ، بسنده عن صفوان والحسن بن محبوب عن هشام .

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٣) والصحيح : إبراهيم الكرخي ، كما في الحديث : ٣٠٥ .

عِنْدَهُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَجَلَسْتُ ، فَقَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ ! أَمَا إِنَّهُ صَاحِبُكَ مِنْ بَعْدِي ، أَمَا لَيْهَلِكَنَّ فِيهِ أَقْوَامٌ ، وَيَسْعُدُ آخَرُونَ ، فَلَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ ، وَضَاعَفَ عَلَى رُوحِهِ الْعَذَابَ ، أَمَا لَيُخْرِجَنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صُلْبِهِ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ بَعْدَ عَجَائِبِ تَمُرِّ بِهِ حَسَدُ لَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَالِغُ أَمْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، يُخْرِجُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ صُلْبِهِ تَكْمِلَةَ اثْنَيْ عَشَرَ مَهْدِيًّا ، اخْتَصَّصَهُمُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَأَحْلَاهُمْ دَارَ قُدْسِهِ ، الْمُنتَظِرُ لِلثَّانِي عَشَرَ كَالشَّاهِرِ سِنْفُهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَذُبُّ عَنْهُ .

فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ فَانْقَطَعَ الْكَلَامُ ، وَعُدْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً أُرِيدُ اسْتِثْمَامَ الْكَلَامِ ، فَمَا قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ الْمَفْرَجُ لِلْكَرْبِ عَنْ شِيعَتِهِ بَعْدَ ضَنْكِ شَدِيدٍ ، وَبَلَاءٍ طَوِيلٍ وَجَوْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ ، حَسْبُكَ اللَّهُ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ .

قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ : فَمَا رَجَعْتُ بِشَيْءٍ أَسْرَّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا ، وَلَا أَفْرَحَ لِقَلْبِي مِنْهُ (١) .

٥٨ - باب النهي عن تسمية القائم عليه السلام

(٥٨٤) ١ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِثَابٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ رَجُلٌ لَا يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ إِلَّا كَافِرٌ (٢) .

(٥٨٥) ٢ - حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَا : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ فَضَالٍ ، عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ ، قَالَ : سُئِلَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : لَا يُرَى جِسْمُهُ ، وَلَا

(١) الغيبة للنعماني : ٩٢ ، بسند آخر حسن عن أحمد بن محمد بن يعقوب عن أبيه عن القاسم بن هشام اللؤلؤي عن الحسن بن محبوب أبي علي الزرادي عن إبراهيم الكرخي * إعلام الوري : ٢٣٤ ، عن محمد بن خالد البرقي .

والحديث ثابت عن محمد بن خالد البرقي وسنده حسن ، إبراهيم الكرخي هو ابن أبي زياد اعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وروى عنه ابن أبي عمير وصفوان وابن محبوب وحماد ، وللمصنف قدس سره عدة أسانيد صحيحة لكل كتب وروايات البرقي .

(٢) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

يُسَمَّى بِاسْمِهِ (١) .

(٥٨٦) ٣- حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
قَالَا : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى بْنِ عُيَيْنٍ ، عَنْ
إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ
الْجُعْفِيِّ ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : سَأَلَ عُمَرُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ !
أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَهْدِيِّ ، مَا اسْمُهُ ؟ قَالَ : أَمَّا اسْمُهُ فَلَا . إِنَّ حَبِيبِي
وَحَلِيلِي عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أُحَدِّثَ بِاسْمِهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَهُوَ مِمَّا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ فِي عِلْمِهِ (٢) .

(٥٨٧) ٤- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ
اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَلَوِيِّ ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ ،
قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : الْخَلْفُ مِنْ
بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي ، فَكَيْفَ لَكُمْ بِالْخَلْفِ مِنْ بَعْدِ الْخَلْفِ ؟ قُلْتُ :

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وجعفر بن محمد بن مالك
وثقه الشيخ ، وضعفه غيره لتهمة الغلو ، وهي علو ، وقد روى عنه الأعظم والكبار .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، عمرو بن شمر من الكبار ،
راجع ملحق : ٧ .

وَلَمْ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكُمْ لَا تَرَوْنَ شَخْصَهُ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ .

قُلْتُ : فَكَيْفَ نَذْكُرُهُ ؟ فَقَالَ : قُولُوا الْحُجَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (١) .

٥٩ - باب ما روي في علامات خروج القائم عليه السلام

(٥٨٨) ١ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْحَمِيرِيُّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْزِيَارَ ، عَنْ أَخِيهِ عَلِيِّ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ مَيْمُونِ الْبَانِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : خَمْسٌ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْيَمَانِيُّ ، وَالسُّفْيَانِيُّ ، وَالْمُنَادِي يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ ، وَخَسْفٌ بِالْبَيْدَاءِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ (٢) .

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، محمد بن أحمد هو ابن اسماعيل العلوي روى عنه الأعظم والكبار ، وهو من رواة نوادر الحكمة ولم تستثن روايته ، وذكر النجاشي أنه من شيوخ أصحابنا .

(٢) وسنده إلى ميمون البان صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام ، وإبراهيم بن مهزيار قال عنه الشيخ المفيد - في الفصول العشرة : ٨١ - : « إنه من أهل العقل والامانة والثقة والدارية والفهم والتحصيل والنباهة والجلالة في الدنيا » ، كما جعله أبو الصلاح

(٥٨٩) ٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ
مَعْرُوفٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَّارَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَجَّالِ ،
عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ، عَنْ شُعَيْبِ الْحَذَّاءِ (١) ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى بَنِي
الْعَذْرَاءِ (٢) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :
لَيْسَ بَيْنَ قِيَامِ قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ قَتْلِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ إِلَّا خُمْسَ عَشْرَةٍ
لَيْلَةً (٣) .

(٥٩٠) ٣ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
جَعْفَرِ الْحَمِيرِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَخْبُوبٍ ،
عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ وَالْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ،

الجلبي ممن يقطع بصدقهم وأنه من السفراء والامناء على قبض الأخماس والأنفال ،
راجع تقريب المعارف : ٤٢٧ ، ومنه تعرف ضعف تأمل السيد الخوئي قدس سره في
كونه من السفراء والأجلاء ، قلت : وهو أيضاً من رواة نوادر الحكمة ولم تستثن روايته ،
وميمون البان روى عنه الأجلاء والعيون كمحمد بن حكيم ومحمد بن عبد الجبار
وسيف بن عميرة والنضري الثبت ، ويحتمل اتحاده مع ميمون القداح .

(١) كذا ، والصحيح : الحداد ، وهو من ثقات أصحابنا .

(٢) كذا ، وفي الإرشاد : ٣٧٤/٢ ، صالح بن ميثم .

(٣) الغيبة للطوسي : ٤٤٥ .

وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وصالح هو ابن ميثم التمار عده
الشيخ في رجال الصادقين عليهما السلام ، وقال له الباقر : إني أحبك وأحب أباك حباً
شديداً .

قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : إِنَّ قُدَّامَ الْقَائِمِ عَلَامَاتٍ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ .

قُلْتُ : وَمَا هِيَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ قَالَ : ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ - يَغْنِي الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿ (١) ، قَالَ : يَبْلُوهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ مُلُوكِ بَنِي فُلَانٍ فِي آخِرِ سُلْطَانِهِمْ ، وَالْجُوعِ بِغَلَاءِ أَسْعَارِهِمْ ، وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، قَالَ : كَسَادُ التَّجَارَاتِ ، وَقِلَّةُ الْفُضْلِ ، وَنَقْصِ مِنَ الْأَنْفُسِ ، قَالَ : مَوْتُ ذَرِيعٍ (٢) ، وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ، قَالَ : قِلَّةُ رَيْعٍ مَا يُزْرَعُ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ بِتَعْجِيلِ خُرُوجِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ ! هَذَا تَأْوِيلُهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة : ١٥٥ .

(٢) الذريع : السريع .

(٣) سورة آل عمران : ٧ ، وسند صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى أحمد بن هلال انحرف ولعن ، وقد قاطعه الأصحاب بعد انحرافه ، فروايتهم عنه وقت استقامته ، والراوي عنه ههنا من الأعظم .

(٥٩١) ٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ
سَعِيدٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ ، عَنْ يَحْيَى الْحَلْبِيِّ ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ
الْمُغِيرَةِ الْبَصْرِيِّ ، عَنْ مَيْمُونِ الْبَانَ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فِي فُسْطَاطِهِ فَرَفَعَ جَانِبَ الْفُسْطَاطِ فَقَالَ : إِنَّ أَمْرًا قَدْ كَانَ أَتَيْنَ
مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ قَالَ : يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ
- هُوَ الْإِمَامُ - بِاسْمِهِ ، وَيُنَادِي إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا نَادَى
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ (١) .

(٥٩٢) ٥- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ صَفْوَانَ
ابْنِ يَحْيَى ، عَنْ عِيسَى بْنِ أَغْيَنَ ، عَنْ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ ، عَنْ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِنَّ أَمْرَ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتُومِ ،
وَحُرُوجُهُ فِي رَجَبٍ (٢) .

(٥٩٣) ٦- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ حَمَّادٍ

(١) وسنده حسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، الحسين بن الحسن بن أبان ممن اعتمد
عليه الأصحاب في روايته لكتب الحسين بن سعيد ، وميمون البان مر في الحديث الأول
ههنا .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، والمعلّى من أوليائهم عليهم
السلام .

ابن عيسى ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : الصَّيْحَةُ الَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تَكُونُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ (١) .

(٥٩٤) ٧- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ مَخْتُومَاتٍ : الْيَمَانِيُّ ، وَالسُّفْيَانِيُّ ، وَالصَّيْحَةُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ، وَالْخَسْفُ بِالْبَيْدَاءِ (٢) .

(٥٩٥) ٨- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ زُرَّارَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : يُنَادِي مُنَادٍ بِاسْمِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قُلْتُ : خَاصٌّ أَوْ عَامٌّ ؟ قَالَ : عَامٌّ ، يَسْمَعُ كُلُّ قَوْمٍ بِلِسَانِهِمْ .

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وعمر بن حنظلة من الكبار ، ولأستاذنا الفقيه الشيخ محمد سند رسالة في جلالته وكبره في الطائفة .

قُلْتُ : فَمَنْ يُخَالِفُ الْقَائِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ نُودِيَ بِاسْمِهِ ؟
 قَالَ : لَا يَدْعُهُمْ إِبْلِيسُ حَتَّى يُنَادِيَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ^(١) ، وَيُشَكِّكَ
 النَّاسَ ^(٢) .

(٥٩٦) ٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ
 الْكُوفِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ ، قَالَ : قَالَ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَخْرُجُ ابْنُ آكَلَةِ الْأَكْبَادِ مِنَ الْوَادِي الْيَابِسِ ، وَهُوَ رَجُلٌ
 رُبْعَةٌ ، وَخَشُ الْوَجْهِ ^(٣) ، صَحْمُ الْهَامَةِ ، بَوَجْهِهِ أَثَرُ جُدَرِيٍّ ، إِذَا
 رَأَيْتَهُ حَسِبْتَهُ أَغْوَرَ ، اسْمُهُ عُثْمَانُ ، وَأَبُوهُ عَبْسَةُ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ أَبِي
 سُفْيَانَ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَرْضاً ذَاتَ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(٤) فَيَسْتَوِي عَلَى

(١) قال في البحار: الظاهر « في آخر النهار » ، كما سيأتي تحت رقم ١٤ ، ولعله من
 النسخ ولم يكن في بعض النسخ: « في آخر الليل أصلاً » ، فالزيادة من النسخ.

(٢) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٣) أي يستوحش من يراه ولا يستأنس به ، وفي بعض النسخ: « وخش الوجه » بالخاء
 المعجمة ، والوخش: الردي من كل شيء ، وردّال الناس وسقاطهم للواحد والجمع ،
 والمذكر والمؤنث . القاموس ، وفي بعض النسخ المصححة: « خشن الوجه » .

(٤) يعني الكوفة ، كما جاءت به الأخبار .

مُسَبَّرَهَا (١) .

(٥٩٧) ١٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ جَعْفَرٍ الْهَمْدَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ ، عَنْ عُمَرَ ابْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ السُّفْيَانِيَّ لَرَأَيْتَ أَحَبَّ النَّاسِ ، أَشَقَرَ ، أَحْمَرَ ، أَزْرَقَ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ ثَارِي ثَارِي ثُمَّ النَّارَ (٢) ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ حُبِّهِ أَنَّهُ يَدْفِنُ أُمَّ وَلَدٍ لَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ مَخَافَةَ أَنْ تَذُلَّ عَلَيْهِ (٣) .

(٥٩٨) ١١ - حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ مَا جِيلَوِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سُفْيَانَ ، عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ الْبَجَلِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ اسْمِ السُّفْيَانِيِّ ، فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِاسْمِهِ ؟ إِذَا مَلَكَ كُورَ

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، محمد بن علي هو أبو سميعة من الكبار ، راجع ملحق : ١١ .

(٢) في غيبة النعماني بسند آخر عنه عليه السلام : « يا ربِّ ، ثاري والنار ، يا ربِّ ثاري والنار » ، ولعلَّ المعنى : يا ربِّ إني أطلب ثاري ولو بدخول النار .

(٣) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

الشَّامِ الْخَمْسَ دِمَشْقَ وَحِمَصَ وَفِلَسْطِينَ وَالْأَزْدَنَ وَقَنْسَرِينَ
فَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرَجِ .

قُلْتُ : يَمْلِكُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ يَمْلِكُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ
لَا يَزِيدُ يَوْمًا (١) .

(٥٩٩) ١٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الطَّالْقَانِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ أَبِي
الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِلرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا عَلَامَاتُ الْقَائِمِ
مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ ؟ قَالَ : عَلَامَتُهُ أَنْ يَكُونَ شَيْخَ السَّنِّ شَابَّ الْمَنْظَرِ ،
حَتَّى إِنَّ النَّازِرَ إِلَيْهِ لَيَحْسَبُهُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ دُونَهَا ، وَإِنَّ مِنْ
عَلَامَاتِهِ أَنْ لَا يَهْرَمَ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ (٢) .

(٦٠٠) ١٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ (٣) ،

(١) الأصول الستة عشر : ٦٧ ، بسنده عن محمد بن شريح قريب منه .

(٢) وسنده قوي - بل حسن - ، أحمد بن علي الأنصاري روى عنه الثقة الجليل أحمد
ابن زياد الهمداني وغيره ، ذكره الحافظ الأصبهاني فقال : « أبو علي سكن نيسابور ومولده
بإصبهان ... » ثم ساق روايته عن أبي الصلت حديث السلسلة الذهبية ... قال أحمد بن
حنبل : « إن قرأت هذا الإسناد على مجنون برىء من جنونه » .

(٣) كذا ، وفي البحار : عن الكوفي عن أبيه عن أبي المغراء ، وهو ظاهراً أحمد بن
محمد بن خالد البرقي الكوفي ، ومحمد بن أبي القاسم هو الثقة الثبت ماجيلويه صهر

عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ ، عَنْ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : صَوْتُ جَبْرَائِيلَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَصَوْتُ إِبْلِيسَ مِنَ الْأَرْضِ ، فَاتَّبِعُوا الصَّوْتَ الْأَوَّلَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْآخِرَ أَنْ تَفْتَتِنُوا بِهِ ^(١) .

(٦٠١) ١٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْحَمِيرِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ خُرُوجَ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتُومِ ؟ قَالَ لِي : نَعَمْ ، وَاخْتِلَافُ وَلَدِ الْعَبَّاسِ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَخُرُوجُ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَحْتُومِ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ النِّدَاءُ ؟ قَالَ : يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوَّلَ النَّهَارِ : أَلَا إِنَّ الْحَقَّ فِي عَلِيِّ وَشِيعَتِهِ ، ثُمَّ يُنَادِي إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ :

أحمد بن محمد البرقي الكوفي .
(١) الغيبة للنعماني : ٢٦٣ ، في حديث طويل بسنده عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام .
وسنده صحيح على الظاهر ، إن كان الكوفي هو الثقة أحمد بن محمد البرقي .

أَلَا إِنَّ الْحَقَّ فِي السُّفْيَانِيِّ وَشِيعَتِهِ ، فَيَزَاتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُبْطِلُونَ (١) .

(٦٠٢) ١٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ عِيسَى بْنِ أَعْيَنَ ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ حُنَيْسٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِنَّ أَمْرَ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَخُرُوجُهُ فِي رَجَبٍ (٢) .

(٦٠٣) ١٦ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ حَمَادِ

ابْنِ عِيسَى ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : الصَّيْحَةُ الَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تَكُونُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ (٣) .

(٦٠٤) ١٧ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

(١) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وقد اعتمد الأصحاب على رواية الحسين بن الحسن بن أبان لكتب الحسين بن سعيد .

(٣) وسنده حسن كالصحيح ، كالسابق .

إِسْمَاعِيلَ الْبَرْمَكِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ زِيَادِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْبَاقِرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ عَلَى الْمِثْبَرِ : يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، أَبْيَضُ اللَّوْنِ ، مُشْرَبٌ بِالْحُمْرَةِ ، مُبْدَحُ الْبَطْنِ ^(١) ، عَرِيضُ الْفَخْذَيْنِ ، عَظِيمٌ مُشَاشٌ الْمَنَكِبَيْنِ ^(٢) ، بَظْهَرِهِ شَامَتَانِ : شَامَةٌ عَلَى لَوْنِ جِلْدِهِ ^(٣) ، وَشَامَةٌ عَلَى شِبْهِ شَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَهُ اسْمَانِ : اسْمٌ يَخْفَى وَاسْمٌ يَعْلُنُ ، فَأَمَّا الَّذِي يَخْفَى فَأَحْمَدُ ، وَأَمَّا الَّذِي يَعْلُنُ فَمُحَمَّدٌ ، إِذَا هَزَّ رَأْيَتَهُ أَضَاءَ لَهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُءُوسِ الْعِبَادِ فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا صَارَ قَلْبُهُ أَشَدَّ مِنْ زُبْرِ الْحَدِيدِ ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَلَا يَبْقَى مَيِّتٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْفَرْحَةُ - فِي قَلْبِهِ - وَهُوَ فِي قَبْرِهِ ، وَهُمْ يَتَرَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَتَبَاشَرُونَ بِقِيَامِ الْقَائِمِ

(١) مبدح البطن: أي واسعه وعريضه، والبдах: المتسع من الأرض، والبده - بالكسر -: الفضاء الواسع، وامرأة ببدح: أي بادن، والأبدح: الرجل الطويل والعريض الجبين من الدواب.

(٢) «مشاش» جمع المشاشة بالضم -: وهي رأس العظم الممكن المضغ.

(٣) الشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه، أما باللون أو التورم، وهي الخال.

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ (١) .

(٦٠٥) ١٨ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ عَمْرِو ابْنِ شَمِيرٍ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِنَّ الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيُثْبِتُ فِي قَلْبِ مَهْدِيِّنَا كَمَا يَثْبِتُ الزَّرْعُ عَلَى أَحْسَنِ نَبَاتِهِ ، فَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ حَتَّى يَرَاهُ فَلْيَقُلْ حِينَ يَرَاهُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ وَالنُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الْعِلْمِ ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ (٢) .

وَرُوِيَ أَنَّ التَّسْلِيمَ عَلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُقَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ .

(٦٠٦) ١٩ - حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَخْرُجُ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ السَّبْتِ ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، يَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣) .

(١) ورجال السند ثقات وأجلاء وعبون ، سوى إسماعيل بن مالك ، لم أجد من ذكره .

(٢) وسنده كالسابق .

(٣) وسنده معتبر صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عبون ، سوى علي بن أبي حمزة منحرف

(٦٠٧) ٢٠ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَمْ يَخْرُجُ مَعَ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ يَخْرُجُ مَعَهُ مِثْلُ عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ؟ قَالَ : وَمَا يَخْرُجُ إِلَّا فِي أُولَى قُوَّةٍ ، وَمَا تَكُونُ أُولُو الْقُوَّةِ أَقَلَّ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ (١) .

(٦٠٨) ٢١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْقَمَّاطِ ، عَنْ ضَرِيرِيسَ ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابَلِيِّ ، عَنْ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : الْمَفْقُودُونَ عَنْ فُرُشِهِمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَيُضْبِحُونَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣) .

الاعتقاد معتمد الرواية - سيما ما رواه عن أبي بصير - وقد قاطعه الأصحاب بعد وقفه وانحرافه ، والراوي عنه ههنا لا يسأل عنه .

(١) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٣) مختصر إثبات الرجعة : حديث : ١٩ بسند صحيح عن ابن أبي نجران عن عبد الله

(٦٠٩) ٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي
الْخَطَّابِ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مَنَدَلٍ ^(١) ، عَنْ بَكَارِ بْنِ أَبِي
بَكْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ ، قَالَ : ذَكَرْنَا خُرُوجَ الْقَائِمِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ لَنَا أَنْ نَعْلَمَ
ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ وَتَحْتَ رَأْسِهِ صَحِيفَةٌ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ
طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ^(٢) .

وَرَوِيَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي رَايَةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَيْعَةُ لِلَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ .

(٦١٠) ٢٣ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ

إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي
الْمِقْدَامِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ كَرِبٍ ^(٣) ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ

بن سنان .

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(١) في أكثر النسخ : « منذر » .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، بكار بن أبي بكر روى عنه
الكبار ، كابن فضال وإسحاق بن عمار ويونس وثعلبة ومندل ، واعتمد عليه المصنف في
الفقيه ، ووقع في أسانيد النجاشي لكتب الأصحاب .

(٣) كذا ، والظاهر أنه تصحيف ، والصواب عبيد الكندي الكوفي ، ذكره ابن حبان في

السَّلَامُ يَقُولُ : إِنَّ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ رَايَةً مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا مَحَقَ ، وَمَنْ تَبِعَهَا لَحِقَ (١) .

(٦١١) ٢٤ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ جَدِّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ زَكَرِيَّا ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : يَمُوتُ سَفِيهٌ مِنْ آلِ الْعَبَّاسِ بِالسَّرِّ ، يَكُونُ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ يَنْكِحُ خَصِيًّا فَيَقُومُ فَيَذْبَحُهُ ، وَيَكْتُمُ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَإِذَا سَارَتِ الرُّكْبَانُ فِي طَلَبِ الْخَصِيِّ لَمْ يَرْجِعْ أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى آخِرٍ مَنْ يَخْرُجُ حَتَّى يَذْهَبَ مُلْكُهُمْ .

(٦١٢) ٢٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ ، عَنْ يَحْيَى الْحَلْبِيِّ ، عَنْ الْحَكَمِ الْحَنَاطِ ، عَنْ

الثقات .

(١) في بعض النسخ : «من لزمها» .

وسنده إلى عبيد صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، وعبيد هو الكندي ذكره ابن حبان في الثقات وقال : « يروي عن علي عليه السلام وعنه ابنه محمد بن عبيد » .

مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ ، عَنْ وَرْدٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ :
اِثْنَانِ بَيْنَ يَدَيَّ هَذَا الْأَمْرِ : خُسُوفُ الْقَمَرِ لِخَمْسٍ ، وَكُسُوفُ
الشَّمْسِ لِخَمْسَ عَشْرَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْقُطُ حِسَابُ الْمُنْجِمِينَ (١) .

(٦١٣) ٢٦- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ النَّضْرِ
ابْنِ سُوَيْدٍ ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ ، عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ
الْكَابِلِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِذَا بَنَى بَنُو
الْعَبَّاسِ مَدِينَةً عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ كَانَ بَقَاؤُهُمْ بَعْدَهَا سَنَةً (٢) .

(٦١٤) ٢٧- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ
صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ
خَالِدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : قُدَّامَ الْقَائِمِ
مَوْتَانِ : مَوْتُ أَحْمَرُ وَمَوْتُ أَبْيَضُ ، حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ كُلِّ سَبْعَةٍ
خَمْسَةٌ ، الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ السِّنْفُ ، وَالْمَوْتُ الْأَبْيَضُ الطَّاعُونُ (٣) .

(١) الغيبة للنعماني : ٢٨٠ ، عن ابن عقدة عن القاسم بن محمد بن الحسن بن حازم عن
عبيس بن هشام عن ابن جبلة عن الحكم بن أيمن عن ورد أخي الكمي .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، والحسين بن الحسن بن أبان
ممن اعتمد عليه الأصحاب في روايته لكتب الحسين بن سعيد .

(٣) وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٦١٥) ٢٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّعْدَآبَادِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : تَنَكَّسَ الشَّمْسُ لِحُمْسٍ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) .

(٦١٦) ٢٩ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَا : سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلَاثَا النَّاسِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِذَا ذَهَبَ ثُلَاثَا النَّاسِ فَمَا يَبْقَى ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا الثُّلُثَ الْبَاقِي (٢) .

قال أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : وقد أخرج ما روي في علامات القائم عليه السلام وسيرته ، وما يجري في أيامه في الكتاب السر المكتوم إلى الوقت المعلوم ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) وسنده حسن كالصحيح - بل صحيح - رجاله ثقات أجلاء عيون كبار ، والسعدآبادي من الكبار بل من الأعظم .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، كالحديث السابق .

٦٠ - باب في نواذر الكتاب

(٦١٧) ١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ هَارُونَ الْقَاضِي ^(١) وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْرُورٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَاذَوَيْهِ الْمُؤَدَّبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ جَامِعِ الْحِمِيرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ الدَّقَاقِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : سَأَلْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْعَصْرُ عَصْرُ خُرُوجِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ يَعْنِي أَعْدَاءَنَا ، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يَعْنِي بَايَاتِنَا ، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يَعْنِي بِمُوَاسَاةِ الْإِخْوَانِ ، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ يَعْنِي بِالْإِمَامَةِ ، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ يَعْنِي فِي الْفِتْرَةِ ^(٢) .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : إن قوماً قالوا بالفترة واحتجوا بها ، وزعموا أن الإمامة منقطعة كما انقطعت النبوة والرسالة من نبي إلى نبي ورسول إلى رسول بعد محمد صلى الله

(١) في بعض النسخ : « الفامي » .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

عَلَيْهِ وَآلِهِ .

فأقول - وبالله التوفيق - : إنَّ هذا القول مخالف للحقِّ لكثرة الروايات التي وردت أنَّ الأرض لا تخلو من حجة إلى يوم القيامة ، ولم تخل من لدن آدم عليه السَّلام إلى هذا الوقت ، وهذه الأخبار كثيرة شائعة^(١) قد ذكرتها في هذا الكتاب ، وهي شائعة في طبقات الشيعة وفرقها ، لا ينكرها منهم منكر ، ولا يجحدُها جاحد ، ولا يتأوَّلها متأوِّل ، وأنَّ الأرض لا تخلو من إمام حيٍّ معروف ، إمَّا ظاهر مشهور أو خاف مستور ، ولم يزل إجماعهم عليه إلى زماننا هذا ، فالإمامة لا تنقطع ، ولا يجوز انقطاعها ؛ لأنَّها متصلة ما اتَّصل الليل والنهار .

(٦١٨) ٢- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ وَعَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ ، عَنْ نَافِعِ الْوَرَّاقِ^(٢) ، عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ ، قَالَ : قَالَ لِي هَارُونَ بْنُ سَعْدِ الْعِجْلِيِّ : قَدْ مَاتَ إِسْمَاعِيلُ الَّذِي كُنْتُمْ تَمْدُونُ أَعْنَاقَكُمْ إِلَيْهِ ، وَجَعَفَرُ شَيْخٍ كَبِيرٍ يَمُوتُ غَدًا أَوْ

(١) في بعض النسخ : « متباعدة » .

(٢) كذا ، وفي نسخة : علي بن الحسن بن نافع وهو موافق لما في غيبة الطوسي : ٤١ عن ابن عبيد عن علي بن الحكم وعلي بن الحسن بن نافع عن ابن خارجة ، وهو الصحيح .

بَعْدَ عَدٍ ، فَتَبْقَوْنَ بِلَا إِمَامٍ ، فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ لَهُ ، فَأُخْبِرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَقَالَتِهِ ، فَقَالَ : هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، أَبِي اللَّهِ - وَاللَّهِ - أَنْ يَنْقَطَعَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَنْقَطَعَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ فَقُلْ لَهُ : هَذَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ يَكْبُرُ وَيُزَوِّجُهُ ، فَيُولَدُ لَهُ وَلَدٌ فَيَكُونُ خَلْفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .

فهذا أبو عبد الله الصادق عليه السلام يحلف بالله أنه لا ينقطع هذا الأمر حتى ينقطع الليل والنهار ، والفترات بين الرسل عليهم السلام كانت جائزة؛ لأن الرسل مبعوثة بشرائع الملة وتجديدها ونسخ بعضها بعضاً ، وليس الأنبياء والأئمة عليهم السلام كذلك ، ولا لهم ذلك ؛ لأنه لا ينسخ بهم شريعة ، ولا يجدد بهم ملة ، وقد علمنا أنه كان بين نوح وإبراهيم ، وبين إبراهيم وموسى ، وبين موسى وعيسى ، وبين عيسى ومحمد عليهم السلام أنبياء وأوصياء كثيرون (٢) ، وإنما كانوا مذكّرين لأمر الله ، مستحفظين مستودعين لما جعل الله تعالى عندهم من الوصايا والكتب والعلوم ، وما جاءت به الرسل عن الله عز وجل إلى أممهم ، وكان لكل نبي منهم مذكّر عنه ووصي يؤدي ما استحفظه من علومه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٨٣/١ ، حديث : ٢٠ ، بتحقيقنا بسند حسن كالصحيح عن سلمة بن محرز .

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) في بعض النسخ : « يكثر عددهم » .

ووصاياه ، فلمّا ختم الله عزّ وجلّ الرسل بمحمّد صلّى الله عليه وآله لم يجوز أن يخلو الأرض من وصيّ هاد مذكّر يقوم بأمره ، ويؤدّي عنه ما استودعه ، حافظاً لما ائتمنه عليه من دين الله عزّ وجلّ .

فجعل الله عزّ وجلّ ذلك سبباً لإمامة منسوقة منظومة متّصلة ما اتّصل أمر الله عزّ وجلّ ؛ لأنّه لا يجوز أن تدرس آثار الأنبياء والرسل وأعلام محمّد صلّى الله عليه وآله وملّته وشرائعه وفرائضه وسننه وأحكامه أو تنسخ أو تعفى^(١) عليها آثار رسول آخر وشرائعه إذ لا رسول بعده صلّى الله عليه وآله ولا نبيّ .

والإمام ليس برسول ولا نبيّ ، ولا داع إلى شريعة ولا ملّة غير شريعة محمّد صلّى الله عليه وآله وملّته ، فلا يجوز أن يكون بين الإمام والإمام الذي بعده فترة ، فالفترات جائزة بين الرسل عليهم السّلام ، وفي الإمامة غير جائزة ، فلذلك وجب أنّه لا بدّ من إمام محجوج به .

ولا بدّ أيضاً أن يكون بين الرسول والرسول ، وإن كان بينهما فترة ، إمام وصيّ يلزم الخلق حجّته ، ويؤدّي عن الرسل ما جاءوا به عن الله تعالى ، ويتّبه عباده على ما أغفلوا ، ويبين لهم ما جهلوا ، ليعلموا أنّ الله عزّ وجلّ لم يتركهم سدى ، ولم يضرب

(١) كذا في جميع النسخ ، ولعلّه : « تقفي عليها » .

عنهم الذكر صفحاً ، ولم يدعهم من دينهم في شبهة ، ولا من فرائضه التي وظّفها عليهم في حيرة ، والنبوة والرسالة سنة من الله جلّ جلاله ، والإمامة فريضة ، والسنن تنقطع ويجوز تركها في حالات ، والفرائض لا تزول ولا تنقطع بعد محمد صلى الله عليه وآله ، وأجلّ الفرائض وأعظمها خطراً الإمامة التي تؤدى بها الفرائض والسنن ، وبها كمل الدين ، وتمّت النعمة .

فالأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله لأنّه لا نبيّ بعده ليحملوا العباد على محبة دينهم ، ويلزموهم سبيل نجاتهم ، ويجنبوهم موارد هلكتهم ، ويبينوا لهم من فرائض الله عزّ وجلّ ما شدّ عن أفهامهم ، ويهدوهم بكتاب الله عزّ وجلّ إلى مرشد أمورهم ، فيكون الدين بهم محفوظاً لا تعترض فيه الشبهة ، وفرائض الله عزّ وجلّ بهم مؤداة ، لا يدخلها باطل ، وأحكام الله ماضية لا يلحقها تبديل ، ولا يزيلها تغيير .

فالرسالة والنبوة سنن ، والإمامة فرض ، وفرائض الله عزّ وجلّ الجارية علينا بمحمد لازمة لنا ثابتة لا تنقطع ، ولا تتغير إلى يوم القيامة ، مع أنّنا لا ندفع الأخبار التي رويت أنّه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله فترة لم يكن فيها نبيّ ولا وصيّ ولا ننكرها ونقول : إنّها أخبار صحيحة ، ولكن تأويلها غير ما ذهب إليه مخالفونا من انقطاع الأنبياء والأئمة والرسل عليهم السلام .

وإنما معنى الفترة أنّه لم يكن بينهما رسول ولا نبيّ ولا وصيّ

ظاهر مشهور كمن كان قبله ، وعلى ذلك دلّ الكتاب المنزل أن الله جلّ وعزّ بعث محمداً صلى الله عليه وآله على حين فترةٍ من الرُّسل لا من الأنبياء والأوصياء ، ولكن قد كان بينه وبين عيسى عليه السلام أنبياء وأئمة مستورون خائفون .

مِنْهُمْ : خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ الْعَبْسِيُّ نَبِيٌّ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ ، وَلَا يُنْكِرُهُ مُنْكَرٌ ، لِتَوَاطُئِ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ عَنِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَشَهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ ، وَأَنَّ ابْنَتَهُ أَدْرَكَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : هَذِهِ ابْنَةُ نَبِيِّ ضَيْعَةٍ قَوْمُهُ ^(١) ، خَالِدِ بْنِ سِنَانِ الْعَبْسِيِّ ، وَكَانَ بَيْنَ مَبْعَثِهِ وَمَبْعَثِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَمْسُونَ سَنَةً .

وهو خالد بن سنان بن بعيث ^(٢) بن مريطة بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس ، حدّثني بذلك جماعة من أهل الفقه والعلم .

(٦١٩) ٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ

(١) الكافي الشريف : ٣٤٢/٨ * المستدرک علی الصحیحین : ٥٩٨/٢ ، وصحح الروایات .

(٢) في بعض النسخ : « لعبث » ، وفي المعارف لابن قتيبة : « أتت ابنته رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعتة يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقالت : كان أبي يقول هذا » .

اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
 الْوَلِيدِ الْخَزَّازُ وَالسُّنْدِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزَّازُ ، جَمِيعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
 عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ الْأَحْمَرِ ، عَنْ بَشِيرِ النَّبَالِ ، عَنْ أَبِي
 جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَالَا : جَاءَتْ ابْنَةُ
 خَالِدِ بْنِ سِنَانِ الْعَبْسِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهَا :
 مَرْحَباً يَا ابْنَةَ أَخِي ، وَصَافَحَهَا ، وَأَذْنَاهَا ، وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، ثُمَّ
 أَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ نَبِيِّ صَيِّعَةٍ قَوْمُهُ ، خَالِدِ بْنِ
 سِنَانِ الْعَبْسِيِّ (١) .

وكان اسمها محياة ابنة خالد بن سنان .

وبعد فلولوا الكتاب المنزل ، وما أخبرنا الله تعالى به على
 لسان نبيِّنا المرسل صَلَّى الله عليه وآله ، وما اجتمعت عليه الأمة من
 النقل عنه عليه السلام في الخبر الموافق للكتاب أنه لا نبي بعده لكان
 الواجب اللازم في الحكمة أن لا يجوز أن يخلو العباد من رسول

(١) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى محمد بن سنان وهو
 جليل كذلك ، راجع ملحق : ٨ ، وبشير النبال هو ابن ميمون روى عنه أبان بن عثمان
 وداد بن فرقد وسيف بن عميرة وصفوان ، واعتمد عليه الصدوق في الفقيه ، وقال : « إنه
 من حملة الحديث من أصحاب الصادق عليه السلام » ، وقال المحقق الداماد : « وآل
 النبال كلهم ثقات أجلاء ، وبشير أوجههم وأعرفهم ، والعلامة ومن قلده من المتأخرين
 عن ذلك من الذاهلين » ، قلت : ولذا يعرف أخوه الثقة شجرة به .

منذر ما دام التكليف لازماً لهم ، وأن تكون الرسل متواترة إليهم
على ما قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَآكُلُ مَا جَاءَ أُمَّةٌ
رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ﴾ (١) ، ولقوله عز وجل :
﴿ لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٢) ؛ لأنَّ علَّتْهم لا
تنزاح إلا بذلك كما حكى تبارك وتعالى عنهم في قوله عز وجل :
﴿ لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ
وَنَخْزَى ﴾ (٣) ، فكان من احتجاج الله عز وجل جواب ذلك أن
قال : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ
قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) ، فعَلَّلَ العباد مع التكليف لا
تنزاح (٥) إلا برسول منذر مبعوث إليهم ليقم أودهم ، ويخبرهم
بمصالح أمورهم ديناً ودنياً ، وينصف مظلومهم من ظالمهم ،
ويأخذ حقَّ ضعيفهم من قويِّهم ، وحجَّة الله عز وجل لا تلزمهم إلا
بذلك .

فلَمَّا أخبرنا عز وجل أنَّه قد ختم أنبياءه ورسله بمحمد صلى
الله عليه وآله سلَّمنا لذلك ، وأيقنا أنَّه لا رسول بعده ، وأنَّه لا بدَّ لنا
ممنَّ يقوم مقامه ، وتلزمنا حجَّة الله به ، وتنزاح به علَّتْنا ؛ لأنَّ الله

(١) سورة المؤمنون : ٤٤ .

(٢) سورة النساء : ١٦٤ .

(٣) سورة طه : ١٣٤ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٣ .

(٥) أي لا تبعد ولا تزول .

عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (١) ، وَلَأَنَّ الْحَاجَةَ مِنَّا إِلَى ذَلِكَ دَائِمَةٌ ، فِينَا ثَابِتَةٌ إِلَى انْقِضَاءِ الدُّنْيَا وَزَوَالِ التَّكْلِيفِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَنَّا ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْهَادِيَ لَا يَكُونُ مِثْلَ حَالِنَا فِي الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يَقُومُهُ وَيُؤَدِّبُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلَ شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَمَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، بَلْ مَقُومُهُ وَهَادِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يُلْهِمُهُ كَمَا أَلْهِمَ أُمَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَدَاها إِلَى مَا كَانَ فِيهِ نَجَاتُهَا وَنَجَاةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ .

فَعِلْمُ الْإِمَامَةِ كُلُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ عَالِمًا بِمَا فِي الْكِتَابِ الْمَنْزُولِ وَتَنْزِيلِهِ وَتَفْسِيرِهِ ، وَتَأْوِيلِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ ، وَمَحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ ، وَحِلَالِهِ وَحُرَامِهِ ، وَأَوْامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، وَأَمْثَالِهِ وَقِصَصِهِ ، لَا بَرَأْيَ وَقِيَاسَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٢) .

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نَقْلِهِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا :

(١) سورة الرعد : ٧ .

(٢) سورة النساء : ٨٣ .

كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ (١) .

وَبَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الْأَئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي لَا تُعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ .

فأعلمنا صلى الله عليه وآله فقال : إنه مخلف فينا من يقوم مقامه في هدايتنا ، وفي معرفته علم الكتاب ، وإن الأمة ستفارقهما ، إلا من عصمه الله جلّ جلاله بلزومهما ، فأنقذه باتباعهما من الضلالة والردى ضماناً منه صحيحاً يؤدّيه عن الله عزّ وجلّ؛ إذ لم يكن صلى الله عليه وآله من المتكلفين ، ولم يتّبع إلا ما يوحى إليه ، إن من تمسك بهما لن يضلّ ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض .

وبقوله صلى الله عليه وآله : إن أئمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية ، واثنين وسبعين فرقة في النار . فقد أخرج صلى الله عليه وآله من تمسك بالكتاب والعتره من الفرق الهالكة وجعله من الناجية بما

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا لَنْ يَضِلَّ .

(١) والحديث متواتر لدى الخاصة والعامة ، راجع كتابنا : « حديث الثقلين ومقامات أهل البيت عليهم السلام » .

وَبَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ فِي أُمَّتِهِ مَنْ يَمْرُقُ مِنَ الدِّينِ كَمَا
يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ قَدْ فَارَقَ الْكِتَابَ
وَالْعِثْرَةَ .

فقد دللنا صلى الله عليه وآله بما أعلمنا أن فيما خلفه فينا غنى
عن إرسال الله عز وجل الرسل إلينا ، وقطعاً لعذرنا وحجتنا ،
ووجدنا الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله قد كثر اختلافها في
القرآن وتنزيله ، وسوره وآياته ، وفي قراءته ومعانيه ، وتفسيره
وتأويله ، وكلّ منهم يحتجّ لمذهبه بآيات منه ، فعلمنا أن الذي
يعلم من القرآن ما يحتاج إليه هو الذي قرنه الله تبارك وتعالى
ورسوله صلى الله عليه وآله بالكتاب الذي لا يفارقه إلى يوم القيامة .
ومع هذا فإنه لا بد أن يكون مع هذا الهادي المقرون بالكتاب
حجة ودلالة يبين بهما من الخلق المحجوجين به ، المحتاجين
إليه ، ويكون بهما في صفاته وعلمه وثباته خارجاً عن صفاتهم غنياً
بما عنده عنهم ، تثبت بذلك معرفتهم عند الخلق دلالة معجزة
وحجة لازمة يضطرّ المحجوجين به إلى الإقرار بإمامته لكي يتبين
المؤمن المحقّق بذلك من الكافر المبطل المعاند ، الملبّس على
الناس بالأكاذيب والمخاريق ، وزخرف القول ، وصنوف
التأويلات للكتاب والأخبار؛ لأنّ المعاند لا يقبل البرهان .

فإن احتج محتجّ من أهل الإلحاد والعناد بالكتاب وأنه الحجة

التي يستغنى بها عن الأئمة الهداة لأنّ فيه تبياناً لكل شيء ، ولقول الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١) .

قلنا له : أمّا الكتاب فهو على ما وصفت ، فيه تبيان كل شيء ، منه منصوص مبين ، ومنه ما هو مختلف فيه ، فلا بدّ لنا من مبين يبين لنا ما قد اختلفنا فيه ؛ إذ لا يجوز فيه الاختلاف لقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٢) ، ولا بدّ للمكلفين من مبين يبين ببراهين واضحة تبهر العقول ، وتلزم بها الحجّة ، كما لم يكن فيما مضى بدّ من مبين لكل أمة ما اختلف فيه من كتابها بعد نبيّها ، ولم يكن ذلك لاستغناء أهل التوراة بالتوراة ، وأهل الزبور بالزبور ، وأهل الإنجيل بالإنجيل ، وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ عن هذه الكتب أنّ فيها هدى ونوراً يحكم بها النبيّون ، وأنّ فيها حكم ما يحتاجون إليه .

ولكنّه عزّ وجلّ لم يكلّمهم إلى علمهم بما فيها ، وواتر الرسل إليهم ، وأقام لكل رسول علماً ووصياً وحجّة على أمته أمرهم بطاعته والقبول منه إلى ظهور النبيّ الآخر ، لئلا تكون لهم عليه حجّة ، وجعل أوصياء الأنبياء حكّاماً بما في كتبه ، فقال تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ (٣) .

(١) سورة الأنعام : ٣٧ .

(٢) سورة النساء : ٨٢ .

(٣) سورة المائدة : ٤٤ .

ثمَّ إِنَّهٗ عَزَّ وَجَلَّ قَطَعَ عَنَّا بَعْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الرِّسْلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ ، وَجَعَلَ لَنَا هِدَاةً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَعِثْرَتَهُ يَهْدُونَنَا إِلَى الْحَقِّ ، وَيَجْلُونَ عَنَّا الْعَمَى ، وَيَنْفُونَ الْاِخْتِلَافَ وَالْفِرْقَةَ مَعْصُومِينَ ، قَدْ أَمَّنَّا مِنْهُمْ الْخَطَأَ وَالزَّلَلَ ، وَقَرْنًا بِهِمُ الْكِتَابَ ، وَأَمَرْنَا بِالتَّمَسُّكِ بِهِمَا ، وَأَعْلَمْنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّا لَا نَضِلُّ مَا إِنْ تَمَسَّكْنَا بِهِمَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتِ الْحِكْمَةُ تَوْجِبُ إِلَّا بَعَثَ الرِّسْلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ إِلَى انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَنَّا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَيْنَا بِذَلِكَ .

والرسل والأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم لم تخل الأرض منهم ، وقد كانت لهم فترات من خوف وأسباب لا يظهرون فيها دعوة ، ولا يبدون أمرهم ، إلا لمن آمنوه ، حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله ، فكان آخر أوصياء عيسى عليه السلام رجل يقال له : أبي ، وكان يقال له : بالط أيضاً .

(٦٢٠) ٤- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عِيسَى وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ وَيَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ الْكَاتِبُ وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ فَضَالٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : الَّذِي تَنَاهَتْ إِلَيْهِ وَصِيَّةُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ يُقَالُ

لَهُ : أَبِي (١) .

(٦٢١) ٥- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، جَمِيعاً عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ الْكَاتِبِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : كَانَ آخِرَ أَوْصِيَاءِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : بِالط .

(٦٢٢) ٦- وَحَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَا : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ أَبِي مَسْرُوقٍ النَّهْدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَهْلٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ دُرُسْتِ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ الْوَاسِطِيِّ وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : كَانَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ أَتَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ أَتَى أَبِي (٢) ، فَمَكَثَ عِنْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ أَبِي : يَا سَلْمَانُ ! إِنَّ صَاحِبَكَ الَّذِي تَطْلُبُهُ بِمَكَّةَ قَدْ ظَهَرَ ، فَتَوَجَّهْ إِلَيْهِ سَلْمَانُ

(١) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٢) كذا ، ولعل النكته في عدم النصب حفظ صورة الكلمة لئلا يشتبه بأبي .

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ (١) .

(٦٢٣) ٧ - حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
قَالَا : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا
الْكُوفِيِّينَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ ، عَنْ أُمِّیَّةَ بْنِ عَلِيٍّ
الْقَيْسِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي دُرُسْتُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ الْوَاسِطِيِّ ، أَنَّهُ سَأَلَ
أَبَا الْحَسَنِ الْأَوَّلَ - يَعْنِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَكَانَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَحْجُوجًا بِأَبِي ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ
مُسْتَوْدَعًا لَوْصَايَاهُ ، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ : قُلْتُ : فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَحْجُوجًا بِهِ ؟ فَقَالَ : لَوْ
كَانَ مَحْجُوجًا بِهِ لَمَا دَفَعَ إِلَيْهِ الْوَصَايَا .

قُلْتُ : فَمَا كَانَ حَالُ أَبِي ؟ قَالَ : أَقَرَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَبِمَا جَاءَ بِهِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْوَصَايَا ، وَمَاتَ أَبِي مِنْ يَوْمِهِ (٢) .

(١) وسنده كالحسن - بل حسن - ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى إسماعيل بن سهل وهو الدهقان ، روى عنه الأشعري والهيثم ومحمد بن عبد الجبار وعلي بن مهزيار والبرقي والعباس بن معروف ، وذكره الشيخ والنجاشي في أصحابنا المصنفين ، وقال النجاشي : « إسماعيل بن سهل الدهقان ضعفه أصحابنا له كتاب » ويقصد بأصحابنا البغداديين ، والظاهر أن منشأ تضعيفه لا يرجع إلى العدالة والنزاهة .
(٢) ورجطال السند ثقات وأجلاء ، سوى أمية بن علي وقد اتهم بالغلو وهي واهية .

فقد دلّ ذلك على أنّ الفترة هي الاختفاء والسرّ ، والامتناع من الظهور وإعلان الدعوة ، لا ذهاب شخص وارتفاع عين الذات والانبئة (١) ، وقد قال الله عزّ وجلّ في قصّة الملائكة عليهم السلام : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (٢) فلو كان الفتور ذهاباً عن الشيء وذاته لكانت الآية محالاً؛ لأنّ الملائكة ينامون ، والنائم في غاية الفتور ، والنائم لا يسبح لأنّه إذا نام فتر عن التسبيح ، والنوم بمنزلة الموت؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ (٣) ويقول عزّ وجلّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ (٤) ، والنائم فاطر بمنزلة الميت ، والذي لا ينام ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يدركه فتور ، هو الله الذي لا إله إلا هو ، والخبر دليل على ذلك .

(٦٢٤) ٨- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى الْوَرَّاقِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ الْعَطَّارِ ، قَالَ : قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا : أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَلَائِكَةِ ،

(١) في بعض النسخ : « الأنبيّة » .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٠ .

(٣) سورة الزمر : ٤٢ .

(٤) سورة الأنعام : ٦٠ . وجرح واجترح : أي اكتسب .

أَيَنَامُونَ ؟ قُلْتُ : لَا أَذْرِي ، فَقَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يُسَبِّحُونَ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُطْرِفُكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فِيهِ بَشَيءٌ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ : سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
مَا مِنْ حَيٍّ إِلَّا وَهُوَ يَنَامُ ، مَا خَلا اللَّهُ وَحْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمَلَائِكَةُ
يَنَامُونَ .

فَقُلْتُ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ، فَقَالَ : أَنْفَاسُهُمْ تَسْبِيحٌ (١) .

فالفترة إنما هي الكف عن إظهار الأمر والنهي .
واللغة تدل على ذلك ، يقال : فتر فلان عن طلب فلان ، وفتر
عن مطالبته ، وفتر عن حاجته ، وإنما ذلك تراخ عنه وكف ، لا
بطلان الشخص والعين ، ومنه قول الرجل : أصابتني فترة ، أي
ضعف .

وقد احتج قوم بقول الله عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ : ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ
مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٢) ، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ
كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ (٣) ، فجعلوا هذا
دليلاً على أنه لم يكن بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله

(١) وسنده مرسل صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) سورة السجدة : ٣ .

(٣) سورة سبأ : ٤٤ .

عليه وآله نبي ولا رسول ولا حجة ، وهذا تأويل بين الخطأ؛ لأن النذر إنما هم الرسل خاصة دون الأنبياء والأوصياء ؛ لأن الله عز وجل يقول لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، فالنذر هم الرسل والأنبياء ، والأوصياء هداة ، وفي قوله عز وجل : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ دليل على أنه لم تخل الأرض من هداة في كل قوم ، وكل عصر ، تلزم العباد الحجة لله عز وجل بهم من الأنبياء والأوصياء .

فالهداة من الأنبياء والأوصياء لا يجوز انقطاعهم ما دام التكليف من الله عز وجل لازماً للعباد ؛ لأنهم يؤدّون عن النذر ، وجائز أن تنقطع النذر كما انقطعت بعد النبي صلى الله عليه وآله فلا نذير بعده .

(٦٢٥) ٩ - حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَا : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ وَيَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ ، جَمِيعاً عَنْ حَمَادِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ حَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، فَقَالَ : كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِكُلِّ قَوْمٍ فِي زَمَانِهِمْ ^(٢) .

(١) في بعض النسخ : «لأبي جعفر عليه السلام» .

(٢) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٦٢٦) ١٠ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ

عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَدْنَةَ ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعَجَلِيِّ ،
قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا مَعْنَى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ
قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ؟ فَقَالَ : الْمُنْذِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَعَلِيِّ
الْهَادِي ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ إِمَامٌ مِّنَّا يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (١) .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة ، وإنما قال الله عز وجل
لرسوله صَلَّى الله عليه وآله : ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ
قَبْلِكَ ﴾ ، أي ما جاءهم رسول قبلك بتبديل شريعة ، ولا تغيير
ملة (٢) ، ولم ينف عنهم الهداة والدعاة من الأوصياء (٣) ، وكيف
يكون ذلك وهو عز وجل يحكي عنهم في قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِخْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا ﴾ (٤) ، فهذا يدل على أنه قد كان
هناك هاد يدلهم على شرائع دينهم ؛ لأنهم قالوا ذلك قبل أن يبعث

(١) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٢) « ولا نسخ ملة » .

(٣) « ولم ينف عنهم الهداية ، ولا عن الأوصياء » .

(٤) سورة فاطر : ٤١ .

محمد صلى الله عليه وآله (١) .

ومما يدل على ذلك الأخبار التي ذكرناها في هذا المعنى ،
وفي هذا الكتاب ، ولا قوة إلا بالله .

(٦٢٧) ١١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْحَمِيرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
الْحَسَنُ بْنُ ظَرِيفٍ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : مَنْ مَاتَ
وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ
إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالْوَاقِفُ كَافِرٌ ، وَالنَّاصِبُ
مُشْرِكٌ (٢) .

(٦٢٨) ١٢ - أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ - فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ - قَالَ : حَدَّثَنَا

حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَمَاعَةَ (٣) ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ
الْحَسَنِ الْمِثْمِيِّ ، عَنْ سَمَاعَةَ وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ

(١) في بعض النسخ : « قبل أن يكون محمد صلى الله عليه وآله » .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، صالح بن أبي حماد هو أبو
الخير كان الفضل بن شاذان يرضيه ويمدحه ، وذكره الشيخ والنجاشي في أصحابنا
المصنفين ، وقال النجاشي : « كان أمره ملتبساً يعرف وينكر » .

(٣) كذا ، والصحيح : الحسن بن محمد بن سماعة .

السَّلامُ ، قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلامُ : ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

(٦٢٩) ١٣ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمِثْمِيِّ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَخْبُوبٍ ، عَنْ مُؤْمِنِ الطَّاقِ ، عَنْ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (٢) . قَالَ : يُحْيِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، يَعْنِي بِمَوْتِهَا كُفْرَ أَهْلِهَا ، وَالْكَافِرُ مَيِّتٌ (٣) .

(٦٣٠) ١٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْجَلُودِيُّ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْجَوْهَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ ، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ ،

(١) سورة الحديد : ١٦ .

وسنده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

(٢) سورة الحديد : ١٧ .

(٣) وسنده كالحسن - بل حسن - ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى سلام بن المستنير ، روى عنه كثيراً مؤمن الطاق ، وذكره الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام .

قَالَ : سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : أَفْضَلُ الْكَلَامِ قَوْلُ : لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ أَوَّلُ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَنْ أَوَّلُ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ :
أَنَا وَأَنَا نُورٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَأَوَّحْدُهُ وَأَسْبَحُهُ وَأَكْبَرُهُ
وَأَقْدَسُهُ وَأَمْجَدُهُ ، وَيَتْلُونِي نُورٌ شَاهِدٌ مِنِّي .

فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ الشَّاهِدُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ أَخِي ، وَصَفِيِّي ، وَوَزِيرِي ، وَخَلِيفَتِي ، وَوَصِيِّي ، وَإِمَامُ
أُمَّتِي ، وَصَاحِبُ حَوْضِي ، وَحَامِلُ لَوَائِي ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، فَمَنْ يَتْلُوهُ ؟ فَقَالَ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ ، ثُمَّ الْأَئِمَّةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) .

(٦٣١) ١٥ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْكِنَانِيِّ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ

(١) ورجال السند ممن أكثر المصنف قدس سره الرواية عنهم ، وهو لا يعدد الرواية
عمن لا يرتضيه .

السَّلامُ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! هَذَا الْكِتَابُ وَصِيَّتُكَ إِلَى النَّجِيبِ مِنْ أَهْلِكَ ، فَقَالَ : وَمَنِ النَّجِيبُ مِنْ أَهْلِي يَا جَبْرِئِيلُ ؟ فَقَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ عَلَى الْكِتَابِ خَوَاتِيمٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَدَفَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُفَّ خَاتِماً وَيَعْمَلَ بِمَا فِيهِ ، فَفَكَ عَلَيْهِ السَّلامُ خَاتِماً وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَفَكَ خَاتِماً وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَفَكَ خَاتِماً فَوَجَدَ فِيهِ : أَنْ اخْرُجْ بِقَوْمِكَ إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُمْ إِلَّا مَعَكَ ، وَاشْرِ نَفْسَكَ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَفَكَ خَاتِماً فَوَجَدَ فِيهِ : اصْمُتْ ، وَالزَّمْ مَنْزِلَكَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَفَكَ خَاتِماً فَوَجَدَ فِيهِ : حَدِّثِ النَّاسَ ، وَأَفْتِهِمْ ، وَلَا تَخَافَنَّ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ فَفَضَضْتُ خَاتِماً فَوَجَدْتُ فِيهِ : حَدِّثِ النَّاسَ ، وَأَفْتِهِمْ ، وَانْشُرْ عِلْمَ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَصَدِّقْ آبَاءَكَ الصَّالِحِينَ ، وَلَا تَخَافَنَّ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ فِي حِرْزِ

وَأَمَانٍ ، فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ أَدْفَعُهُ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَكَذَلِكَ يَدْفَعُهُ مُوسَى إِلَى الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ كَذَلِكَ أَبْدَأُ إِلَى يَوْمِ قِيَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) .

(٦٣٢) ١٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّعْدَآبَادِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبُرْقِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢) ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا نَزَلَ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ ، وَلَا يَنْزِلُ تَأْوِيلُهَا حَتَّى يَخْرُجَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَبْقَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا مُشْرِكٌ

(١) الكافي الشريف : ٢٨٠/١ ، عن أحمد ومحمد بن يحيى عن ابن أبي الخطاب عن أبي الحسن الكناني عن جعفر بن نجيب الكندي عن محمد بن أحمد بن عبد الله العمري عن أبيه عن جده عن الصادق عليه السلام * علل الشرائع : ١٧١ ، باب ١٣٥ ، عن أبيه عن الحميري عن أبي القاسم الهاشمي عن عبيد بن قيس الأنصاري عن الحسن بن سماعة عن جعفر بن سماعة عن الصادق عليه السلام * أمالي الطوسي : ٤٤١ ، حديث : ٩٩٠ .

وقد صرح الفقيه أبو الصلاح الحلبي في كتابه القيم تقرب المعارف : ٤٢٢ ، برواية الحديث عن الصادق عليه السلام بعدة طرق ، وفي الإرشاد برواية الشيعة له .
(٢) سورة التوبة : ٣٣ .

بِالْإِمَامِ ، إِلَّا كَرِهَ خُرُوجَهُ ، حَتَّى أَنْ لَوْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُشْرِكًا فِي بَطْنِ صَخْرَةٍ لَقَالَتْ : يَا مُؤْمِنُ ! فِي بَطْنِي كَافِرٌ ، فَاسْكِرْنِي وَاقْتُلْهُ (١) .

(٦٣٣) ١٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ وَأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى ، جَمِيعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ زِيَادِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ يُنَادِي مُنَادِيهِ : أَلَا لَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا ، وَحَمَلَ مَعَهُ حَجَرَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ وَقُرْبَعِيرٍ ، فَلَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا أَنْفَجَرَتْ مِنْهُ عُيُونٌ ، فَمَنْ كَانَ جَائِعًا شَبِعَ ، وَمَنْ كَانَ ظَمْآنَ رَوِيَ وَرَوَيْتَ دَوَابُّهُمْ ، حَتَّى يَنْزِلُوا النَّجَفَ مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ (٢) .

(٦٣٤) ١٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ

(١) وسنده معتبر صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى علي بن أبي حمزة منحرف الاعتقاد معتمد الرواية سيما ما رواه عن أبي بصير لشهرة كتبه ، وقد قاطعه الأصحاب بعد انحرافه ، والراوي عنه ههنا من كبار الأعظم .

(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، محمد بن سنان من الكبار ، راجع ملحق : ٨ ، وأبو الجارود منحرف الاعتقاد معتمد الرواية ، وفي بعض ما رواه يظهر استقامته .

اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوَّلُ مَنْ يَبَايِعُ الْقَائِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَبْرِئِيلُ يَنْزِلُ فِي صُورَةِ طَيْرٍ أبيضَ فَيَبَايِعُهُ ، ثُمَّ يَصْعَعُ رَجُلًا عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَرَجُلًا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ يَنَادِي بِصَوْتٍ طَلِقٍ تَسْمَعُهُ الْخَلَائِقُ : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (١) .

(٦٣٥) ١٩- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَيَأْتِي فِي مَسْجِدِكُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا - يَغْنِي مَسْجِدَ مَكَّةَ - يَعْلَمُ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّهُ لَمْ يَلِدْهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلَا أَجْدَادُهُمْ ، عَلَيْهِمُ السُّيُوفُ ، مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ سَيْفٍ (٢) كَلِمَةٌ تَفْتَحُ أَلْفَ كَلِمَةٍ ، فَيُبْعَثُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِيحًا فَتَنَادِي بِكُلِّ وَادٍ : هَذَا الْمَهْدِيُّ يَقْضِي بِقَضَاءِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَلَا يُرِيدُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ (٣) .

(٦٣٦) ٢٠- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو

(١) سورة النحل : ١ .

وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٢) في بعض النسخ : « مكتوب عليها » .

(٣) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الرَّحْمَنِ إِلَّا عَرَفَهُ صَالِحٌ هُوَ أَمْ طَالِحٌ ؛ لِأَنَّ فِيهِ آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ ، وَهِيَ بِسَبِيلِ مُقِيمٍ (١) .

(٦٣٧) ٢١- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : دَمَانِ فِي الْإِسْلَامِ حَلَالٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يَقْضِي فِيهِمَا أَحَدٌ بِحُكْمِ اللَّهِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَائِمَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَحْكُمُ فِيهِمَا بِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يُرِيدُ عَلَى ذَلِكَ بَيِّنَةٌ : الزَّانِي الْمُحْصَنُ يَرْجُمُهُ ، وَمَانِعُ الزَّكَاةِ يَضْرِبُ رَقَبَتَهُ (٢) .

(٦٣٨) ٢٢- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ظَهْرِ النَّجَفِ ، فَإِذَا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ النَّجَفِ رَكِبَ فَرَسًا أَذْهَمَ أَبْلَقَ ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ شِمْرَاخٌ (٣) ، ثُمَّ يَتَفَضُّ بِهِ فَرَسُهُ فَلَا يَبْقَى أَهْلُ بَلَدَةٍ إِلَّا وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ ، فَإِذَا نَشَرَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٢) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

(٣) الشمراخ : غرة الفرس .

عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْحَطَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ مَلَكًا كُلُّهُمْ
يَتَنَظَّرُ الْقَائِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
السَّفِينَةِ ، وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ أُلْقِيَ
فِي النَّارِ ، وَكَانُوا مَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ رُفِعَ ، وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ
مُسَوِّمِينَ وَمُرْدَفِينَ ، وَثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ مَلَكًا يَوْمَ بَذْرِ ، وَأَرْبَعَةُ
آلَافٍ مَلَكٍ الَّذِينَ هَبَطُوا يُرِيدُونَ الْقِتَالَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ ، فَصَعِدُوا فِي الْأَسْتِثْدَانِ ، وَهَبَطُوا وَقَدْ قُتِلَ
الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهُمْ شُعْتُ غُبَرٍ يَبْكُونَ عِنْدَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَا بَيْنَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ
مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ (١) .

(٦٣٩) ٢٣ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ ، قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى نَجَفِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا ظَهَرَ عَلَى
النَّجَفِ نَشَرَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَعَمُودُهَا مِنْ عُمْدِ
عَرْشِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَائِرُهَا مِنْ نَصْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا تُهْوَى بِهَا

(١) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .

إِلَى أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : قُلْتُ : أَوْ تَكُونُ مَعَهُ أَوْ يُؤْتَى بِهَا ؟ قَالَ : بَلْ يُؤْتَى بِهَا ،
يَأْتِيهِ بِهَا جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) .

(٦٤٠) ٢٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوْنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْكُوفِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ،
قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي
الْمُفْتَقِدِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَتَيْنَ مَا
تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾ إِنَّهُمْ لَيَفْتَقِدُونَ عَنْ فُرُشِهِمْ لَيْلًا
فَيَضْبَحُونَ بِمَكَّةَ ، وَبَعْضُهُمْ يَسِيرُ فِي السَّحَابِ يُعْرِفُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ
أَبِيهِ ، وَحَلَّتِيهِ وَنَسَبِهِ .

قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَيُّهُمْ أَعْظَمُ إِيْمَانًا ؟ قَالَ : الَّذِي
يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا (٢) .

(٦٤١) ٢٥ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ

(١) وسنده من أصح الأسانيد ، رجاله ثقات أجلاء عيون عظام .
(٢) وسنده حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، ومحمد بن سنان من الكبار ،
راجع ملحق : ٨ .

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِثْرِ
الْكُوفَةِ وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ ،
وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَلْوِيَةِ ، وَهُمْ حُكَّامُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، حَتَّى
يَسْتَخْرِجَ مِنْ قَبَائِهِ كِتَابًا مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ ذَهَبٍ : عَهْدٌ مَعَهُودٌ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَيُجْفَلُونَ عَنْهُ إِجْفَالُ الْغَنَمِ الْبُكْمِ ،
فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا الْوَزِيرُ وَأَحَدُ عَشَرَ نَقِيبًا ، كَمَا بَقُوا مَعَ مُوسَى بْنِ
عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَجُولُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا يَجِدُونَ عَنْهُ
مَذْهَبًا ، فَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَعْرِفُ الْكَلَامَ الَّذِي يَقُولُهُ لَهُمْ
فَيَكْفُرُونَ بِهِ (١) .

(٦٤٢) ٢٦ - حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جُمْهُورٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي هَرَّاسَةَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ
شِمْرِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : كَأَنِّي
بِأَصْحَابِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَحَاطُوا بِمَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ ، فَلَيْسَ

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ مُطِيعٌ لَهُمْ ، حَتَّى سِبَاعُ الْأَرْضِ وَسِبَاعُ الطَّيْرِ ،
يَطْلُبُ رِضَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى تَفْخَرُ الْأَرْضُ عَلَى الْأَرْضِ
وَتَقُولُ : مَرَّ بِي الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦٤٣) ٢٧- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَامِرٍ ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَامِرٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي
بَصِيرٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ قَوْلُ لُوطٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لِقَوْلِهِ : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ^(١) إِلَّا
تَمَنَّى لِقُوَّةِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَا ذَكَرَ إِلَّا شِدَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِنَّ
الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَإِنَّ قَلْبَهُ لَأَشَدُّ مِنْ زُبْرِ
الْحَدِيدِ ، وَلَوْ مَرُّوا بِجِبَالِ الْحَدِيدِ لَقَلَعُوهَا ، وَلَا يَكْفُونَ سُيُوفَهُمْ
حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ^(٢) .

(٦٤٤) ٢٨- حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

(١) سورة هود : ٨٠ .

(٢) وسنده معتبر صحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى علي بن أبي حمزة منحرف
الاعتقاد معتمد الرواية سيما ما رواه عن أبي بصير لشهرة كتبه ورواياته ، وقد قاطعه
الأصحاب بعد وقفه وانحرافه ، والراوي عنه ههنا من كبار الأعاضم .

يَحْيَى ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مَنِيعِ
ابْنِ الْحَجَّاجِ الْبَصْرِيِّ ، عَنْ مُجَاشِعٍ ، عَنْ مُعَلَّى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
فَيْضٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : كَانَتْ عَصَا مُوسَى لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَصَارَتْ إِلَى شُعَيْبٍ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، وَإِنَّهَا
لَعِنْدَنَا ، وَإِنَّ عَهْدِي بِهَا آفَاءٌ وَهِيَ خَضِرَاءُ كَهَيْئَتِهَا حِينَ انْتَزَعَتْ مِنْ
شَجَرَتِهَا ، وَإِنَّهَا لَتَنْطِقُ إِذَا اسْتُنْطِقَتْ ، أُعِدَّتْ لِقَائِمِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَصْنَعُ بِهَا مَا كَانَ يَصْنَعُ بِهَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِنَّهَا
تَصْنَعُ مَا تُؤْمَرُ ، وَإِنَّهَا حَيْثُ أُلْقِيَتْ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ بِلِسَانِهَا (١) .

(٦٤٥) ٢٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَا جِيلَوْنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ
ابْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ ، عَنْ بَشْرِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ
الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ
يَقُولُ : أَا تَذَرِي مَا كَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ،
قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُوقِدَتْ لَهُ النَّارُ أَتَاهُ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ بِثَوْبٍ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ ، فَلَمْ يَضُرَّهُ مَعَهَا حَرٌّ وَلَا

بَرُودٌ ، فَلَمَّا حَضَرَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْتُ جَعَلَهُ فِي تَمِيمَةٍ ^(١) وَعَلَّقَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ، وَعَلَّقَهُ إِسْحَاقُ عَلَى يَعْقُوبَ ، فَلَمَّا وُلِدَ يُوسُفُ عَلَّقَهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ فِي عَصْدِهِ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَهُ يُوسُفُ بِمِصْرَ مِنَ التَّمِيمَةِ وَجَدَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِيحَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ^(٢) فَهُوَ ذَلِكَ الْقَمِيصُ الَّذِي أُنْزِلَ مِنَ الْجَنَّةِ .

قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَإِلَى مَنْ صَارَ هَذَا الْقَمِيصُ ؟ قَالَ : إِلَى أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَعَ قَائِمِنَا إِذَا خَرَجَ ، ثُمَّ قَالَ : كُلُّ نَبِيٍّ وَرِثَ عِلْمًا أَوْ غَيْرَهُ فَقَدْ انْتَهَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ^(٣) .

(٦٤٦) ٣٠ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ أَبِي

(١) التميمية: عوذة تعلق على الإنسان .

(٢) سورة يوسف : ٩٤ .

(٣) الكافي الشريف : ٢٣٢/١ .

وسنده كالحسن ، رجاله ثقات أجلاء عيون ، سوى بشر وقد روى عنه صفوان وغيره من الكبار ، وأبو إسماعيل السراج قد أكثر عنه الثقة الجليل ابن بزيع ، وهو من أمارات الوثاقة وحسن الظاهر ، ورواياته في الكافي الشريف والكتب المعتمدة كثيرة ، وهو من رواية كامل الزيارات الذي قد التزم فيه بعدم الرواية عن شواذ الرجال ، واسمه عبد الله بن عثمان ، قال الوحيد البهبهاني قدس سره : « وذكر المحقق الشيخ محمد رحمه الله : وفي الظن أنه أخو حماد بن عثمان ، وفي بعض نسخ النجاشي في عبد الله بن عثمان أخي حماد أبي إسماعيل السراج ، غير أن الإعتماد عليها مشكل لعدم معلومية الصحة » .

بَصِيرٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّهُ إِذَا تَنَاهَتْ الْأُمُورُ إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ رَفَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ مُنْخَفِضٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَخَفَّضَ لَهُ كُلَّ مُزْتَفِعٍ مِنْهَا ، حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ رَاحَتِهِ ، فَأَيْكُمْ لَوْ كَانَتْ فِي رَاحَتِهِ شَعْرَةٌ لَمْ يُبْصِرْهَا .

(٦٤٧) ٣١ - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْرُورٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَامِرٍ ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيِّ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوُشَاءِ ، عَنْ مُثَنَّى الْحَنَاطِ ، عَنْ قُتَيْبَةَ الْأَعَشَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي يَغْفُورٍ ، عَنْ مَوْلَى لِبْنِي شَيْبَانَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : إِذَا قَامَ قَائِمُنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُءُوسِ الْعِبَادِ ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ ، وَكَمَلَتْ بِهَا أَخْلَاقَهُمْ (١) .

(٦٤٨) ٣٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ وَحَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ

(١) الكافي الشريف : ٢٥/١ ، .

وسنده إلى مولى بني شيبان حسن كالصحيح ، رجاله ثقات أجلاء عيون .

الطَّالِقَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
ابْنِ عَلِيٍّ الْمَرْوَزِيُّ ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ ^(٢) عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الرَّقَّامِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ
ابْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ ^(٣) ، قَالَ : كُنَّا فِي أَيَّامِ
عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) بِمَرْوَ ، فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَدْءِ مَقْدَمِنَا ، فَأَذَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ ، وَذَكَّرُوا كَثْرَةَ
اِخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا ، فَدَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْلَمْتُهُ
خَوْضَانَ النَّاسِ ، فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ
مُسْلِمٍ ! جَهْلَ الْقَوْمِ وَخُدَعُوا عَنْ أَذْيَانِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ
يَقْبُضْ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ الدِّينَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ
الْقُرْآنَ فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ ، بَيَّنَّ فِيهِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالْحُدُودَ
وَالْأَحْكَامَ ، وَجَمِيعَ مَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلًا ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٥) ، وَأَنْزَلَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ،

(١) في العيون: «أبو أحمد القاسم بن محمد بن علي الهروي».

(٢) في بعض النسخ: «أبو ماجد».

(٣) هو وأخوه لا يعرفان ولا يذكران إلا في طريق هذه الرواية ، ويعرف منها مرتبتهما في التشيع سيما عبد العزيز.

(٤) في بعض النسخ: «كنّا مع الرضا عليه السلام».

(٥) سورة الأنعام: ٣٨.

وَهِيَ آخِرُ عُمُرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) ، فَأَمُرُ الْإِمَامَةَ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ ، وَلَمْ يَمُضِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى بَيَّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ الْحَقِّ ، وَأَقَامَ لَهُمْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمًا وَإِمَامًا ، وَمَا تَرَكَ شَيْئًا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيَّنَّهُ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ، وَمَنْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ كَافِرٌ .

هَلْ تَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَمَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ فَيَجُوزُ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ أَجَلٌ قَدْرًا ، وَأَعْظَمُ شَأْنًا ، وَأَعْلَى مَكَانًا ، وَأَمْنَعُ جَانِبًا ، وَأَبْعَدُ غَوْرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ ، أَوْ يَنَالُوهَا بِأَرَائِهِمْ ، أَوْ يُقَيِّمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ .

إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ وَالْخُلَّةِ ، مَرْتَبَةً ثَالِثَةً ، وَفَضِيلَةً شَرَفَتْ بِهَا ، وَأَشَادَ بِهَا ذِكْرُهُ (٢) ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (٣) ،

(١) سورة المائدة : ٥ .

(٢) الإشادة : رفع الصوت بالشيء .

(٣) سورة البقرة : ١٢٤ .

فَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُرُوراً بِهَا : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ ؟ قَالَ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ ، ثُمَّ أَكْرَمَهَا
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ جَعَلَهَا فِي ذُرِّيَّتِهِ أَهْلَ الصَّفْوَةِ وَالطَّهَارَةِ ، فَقَالَ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ *
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١) ، فَلَمْ يَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ
يَرِثُهَا بَعْضُ عَنْ بَعْضٍ ، قَرَنَّا فَقَرْنَا ، حَتَّى وَرِثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ
وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، فَكَانَتْ لَهُ
خَاصَّةٌ فَقَلَّدَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءُ ،
الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَكِنَّا كُنَّا كُتْمًا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) سورة الأنبياء : ٧٣ و ٧٤ .

(٢) سورة آل عمران : ٦٨ .

(٣) سورة الروم : ٥٦ .

خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَنْ
أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ ؟

إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ ، إِنَّ الْإِمَامَةَ
خِلَافَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَقَامُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ ، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَصَلَاخُ الدُّنْيَا ،
وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي ، وَفَرْعُهُ السَّامِي ،
بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَتَوْفِيرُ
الْفَقِيءِ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ ، وَمَنْعُ الشُّعُورِ
وَالْأَطْرَافِ .

الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ ، وَيُقِيمُ حُدُودَ
اللَّهِ ، وَيَذُبُّ عَنْ دِينِ اللَّهِ ، وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ .

الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ لِلْعَالَمِ وَهِيَ فِي الْأَفْقِ ، بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا
الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ .

الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ ، وَالسَّرَاجُ الزَّاهِرُ ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ ،

وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَافِ الدُّجَى ، وَالْبَلَدُ الْقِفَارِ ^(١) ، وَلُجَجِ
الْبَحَارِ .

الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظِّمَاءِ ، وَالذَّلَالُ عَلَى الْهُدَى ،
وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى .

الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارِّ لِمَنْ اضْطَلَّ بِهِ ^(٢) ، وَالذَّلِيلُ فِي
الْمَهَالِكِ ^(٣) ، مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ .

الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ ، وَالْغَيْثُ الْهَاطِلُ ^(٤) ، وَالشَّمْسُ
الْمُضِيئَةُ ، وَالسَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ ، وَالْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ ، وَالْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ
وَالْغَدِيرُ وَالرَّوْضَةُ .

الْإِمَامُ الْأَمِينُ الرَّفِيقُ ، وَالْوَالِدُ ^(٥) الشَّفِيقُ ، وَالْأَخُ الشَّقِيقُ ،
وَمَفْرَعُ الْعِبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ ^(٦) .

الْإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ ، وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ ،

(١) القفر من الأرض: المفازة التي لا ماء فيها ولا نبات. وفي الكافي: «أجواز البلدان والقفار»، وفي العيون: «البيد: القفار»، والبدياء: الفلاة.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٣) في العيون: «المسالك».

(٤) الهاطل: المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

(٥) في العيون: «والوالد الرقيق».

(٦) الداهية: الأمر العظيم.

وَحَلِيفَتُهُ فِي بِلَادِهِ ، وَالْدَّاعِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالذَّابُّ عَنْ حُرْمِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

الْإِمَامُ هُوَ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ ، الْمُبْرَأُ مِنَ الْعُيُوبِ ،
مَخْصُوصٌ بِالْعِلْمِ ، مَوْسُومٌ بِالْحِلْمِ ، نِظَامُ الدِّينِ ، وَعِزُّ
الْمُسْلِمِينَ ، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ .

الْإِمَامُ وَاحِدٌ دَهْرِهِ ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ ، وَلَا
يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ ، وَلَا لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ .

مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا اكْتِسَابٍ ، بَلِ
اِخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ التَّوَهَّابِ ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ ،
أَوْ يُمَكِّنُهُ اخْتِيَارُهُ ؟

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، صَلَّتِ الْعُقُولُ ، وَتَاهَتِ الْحُلُومُ ، وَحَارَتِ
الْأَلْبَابُ ، وَحَسَرَتِ الْعُيُونُ ، وَتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ ، وَتَحَيَّرَتِ
الْحُكَمَاءُ ، وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ ، وَتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ ، وَجَهَلَتِ
الْأَلْبَاءُ ، وَكَلَّتِ الشُّعْرَاءُ ، وَعَجَزَتِ الْأَدْبَاءُ ، وَعَيَّيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ
وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ ، أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ ، فَأَقْرَّتْ بِالْعَجْزِ
وَالْتَفْصِيرِ ، وَكَيْفَ يُوصَفُ أَوْ يُنَعَتُ بِكُنْهِهِ ، أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ

أَمْرِهِ ، أَوْ يَقُومُ أَحَدٌ مَقَامَهُ ، أَوْ يُغْنِي غِنَاهُ ؟ لَا ! وَكَيْفَ ! وَأَنْتَ ! وَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمِ مِنْ أَيْدِي الْمُتَنَاولِينَ ، وَوَصَفِ الْوَاصِفِينَ .

فَأَيْنَ الْاِخْتِيَارُ مِنْ هَذَا ؟ وَأَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا ؟ وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا ؟ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَذَبَتْهُمْ - وَاللَّهِ - أَنْفُسُهُمْ وَمَسْتَتَهُمُ الْبَاطِلُ ، فَارْتَقُوا مُرْتَقَى صَعْباً دَخْضاً تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ ، وَرَامُوا إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ ، وَآرَاءٍ مُضِلَّةٍ ، فَلَمْ يَزِدَادُوا مِنْهُ إِلَّا بُعْداً ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ ، لَقَدْ رَامُوا صَعْباً ، وَقَالُوا إِفْكَاً ، وَضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ، وَوَقَعُوا فِي الْخَيْرَةِ ؛ إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ ، ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (١) ، رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِ رَسُولِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ ، وَالْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣) ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) سورة العنكبوت : ٣٨ .

(٢) سورة القصص : ٦٨ .

(٣) سورة الأحزاب : ٣٦ .

تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ *
 أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلَهُمْ
 أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا
 صَادِقِينَ ﴿١﴾ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
 قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢) ، أَمْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) أَمْ
 ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ
 الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ
 أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٤) ، أَمْ قَالُوا سَمِعْنَا
 وَعَصَيْنَا (٥) ، بَلْ هُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
 الْعَظِيمِ .

فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ وَالْإِمَامِ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ ، وَرَاعٍ لَا
 يَنْكُلُ (٦) ، مَعْدِنُ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ ، وَالنُّسْكِ (٧) وَالزَّهَادَةِ ،

(١) سورة القلم : ٣٦ - ٤١ .

(٢) سورة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ٢٤ .

(٣) راجع سورة التوبة : ٩٣ .

(٤) سورة الأنفال : ٢١ - ٢٣ .

(٥) سورة البقرة : ٩٣ .

(٦) « راعٍ لا يتكل » أي حافظ للأمة ، وفي بعض النسخ : « وداع » - بالدال -
 و : « لا ينكل » أي لا يضعف ولا يجبن .

(٧) في بعض النسخ : « والسناء » ، والصواب ما في الصلب ، كما في الكافي والعيون .

وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ، مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ وَهُوَ نَسْلُ الْمُطَهَّرَةِ
الْبُتُولِ ، لَا مَغْمَزَ فِيهِ فِي نَسَبٍ ، وَلَا يُدَانِيهِ دَنَسٌ ، لَهُ الْمَنْزِلَةُ
الْأَعْلَى ، لَا يَبْلُغُهَا ذُو حَسَبٍ فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَالذُّرُوءُ مِنْ
هَاشِمٍ ، وَالْعِثْرَةُ مِنْ آلِ الرَّسُولِ ، وَالرِّضَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

شَرَفُ الْأَشْرَافِ ، وَالْفَرْعُ مِنْ آلِ عَبْدِ مَنْافٍ ، نَامِي الْعِلْمِ (١) ،
كَامِلُ الْحِلْمِ ، مُضْطَلِعٌ بِالْإِمَامَةِ ، عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ ، مَفْرُوضُ
الطَّاعَةِ ، قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ ، حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ .

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُوفِّقُهُمُ اللَّهُ ، وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ
مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهُمْ ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ
أَهْلِ زَمَانِهِمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٢) ،
وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي طَالُوتَ : ﴿ إِنَّ

(١) في بعض النسخ : « باقر العلم » .

(٢) سورة يونس : ٣٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٩ .

اللَّهُ اضْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢) ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَثَمَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَعِثْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ (٣) صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ (٤) .

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأُمُورِ عِبَادِهِ يَشْرَحُ لِذَلِكَ صَدْرَهُ ، وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ ، وَأَلْهَمَهُ الْعِلْمَ الْإِلَهَامًا ، فَلَمْ يَغَيِّ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ ، وَلَا يُحِيرُ (٥) فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ ، فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ ، مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ ، قَدْ أَمِنَ الْخَطَأَ وَالزَّلَلَ وَالْعِثَارَ ، يَخُصُّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ لِتَكُونَ حُجَّتُهُ الْبَالِغَةُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَشَاهِدُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة النساء: ١١٣.

(٣) في بعض النسخ: «وورثته».

(٤) سورة النساء: ٥٣ و ٥٤.

(٥) من أحرار الجواب: أي لا يردّه ، وفي العيون: «ولا يحيد» أي لا يميل .

فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُوهُ ، أَوْ يَكُونُ خِيَارُهُمْ بِهِذِهِ
الصِّفَةِ فَيَقْدُمُوهُ ؟ تَعَدُّوا - وَبَيَّنَّ اللَّهُ - الْحَقَّ ، وَنَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الْهُدَىٰ وَالشِّفَاءُ فَتَبَذُّوهُ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَمَقَّتَهُمْ وَأَتَعَسَهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَتَعَسَاءَ لَهُمْ وَأَضَلَّ
أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٢) ، وَقَالَ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣) .

والحمد لله رب العالمين (٤)

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْمُعْصُومِينَ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

(١) سورة القصص : ٥٠ .

(٢) سورة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، والتعس - بالفتح - : الهلاك .

(٣) سورة غافر : ٣٥ .

(٤) وفي آخر النسخة المطبوعة ما لفظه : هذا آخر الجزء الثاني من كتاب كمال الدين
وكمال النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة ، تصنيف : الشيخ السعيد أبي جعفر محمد
ابن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وبه
كمل الكتاب وتمّ .

ملاحق الكتاب

ملاحق الكتاب

ملحق : ١ .

منهجية التحقيق

أقسام الحديث :

قسم أصحابنا المتأخرون الحديث إلى :

الصحيح : ما اتصل سندهُ رواه بعدل إمامي إلى المعصوم عليه السلام^(١) .

الحسن : ما اتصل سندهُ رواه بإمامي ممدوح مدحاً مقبولاً إلى المعصوم عليه السلام ، أو كان بعض رواه كذلك ، مع كون البقية منصوص على عدالتهم .

الموثق : هو ما كان في طريقه مَنْ نَصَّ الأصحابُ على توثيقه مع فساد عقيدته ، مع سلامة بقية سلسلة السند .

القوي : ما كان رواة السند إماميين مسكوتاً عن مدحهم وذمهم كلاً أو بعضاً ، مع تعديل أو مدح البقية^(٢) .

(١) قيل : وقيد « إمامي » زائد ، للإستغناء عنه بقيد « عدل » ، فإن فاسد المذهب لا يتصف بالعدالة حقيقة ، وفيه : نسلم أن فاسد العقيدة لا يتصف بالعدالة حقيقة ، لكن قد عبر الأصحاب عن بعض ممن ينتحل العقائد الفاسدة بالعدالة ، قال الكشي قدس سره : « وهؤلاء كلهم فطحية وهم من أجل العلماء والفقهاء والعدول » فتطلق العدالة في كلماتهم على منحرفي العقيدة ، ولعل للفطحية خصوصية في ذلك ، والله العالم .

(٢) ذكرى الشيعة : ٤٨/١ * المهذب البارع لابن فهد الحلي : ٦٦/١ * وصول الأخبار

ويطلق القوي - كثيراً - على الموثق ، لكن هذا الإسم بهذا القسم أجدر - كما قال الميرداماد قدس سره - وهو به أحق ، وهو الذي يقتضيه مشرب الفحص والتحقيق (١) .

قال الشهيد الأول قدس سره - في الذكرى بعد إيراد الموثق وذكر إطلاق اسم القوي عليه :- وقد يراد بالقوي مروي الإمامي غير المذموم ولا الممدوح ، أو مروي المشهور في التقدم غير الموثق (٢) .

قال ملا حبيب الله الكاشاني قدس سره في الدرة الفاخرة :

لو كان في الطريق عارف روى

وكان عن مدح و ذم انزوى

فذا قوي عند بعض واشتهر

خلافه ففيه أقسام آخر

الضعيف : ما لم يستجمع شروط أحد الأربعة المتقدمة ، بأن يشتمل

إلى أصول الأخبار : ٩٨ * مدارك الأحكام : ٤٧٩/٨ * منتقى الجمان : ٤/١ * الرواشح السماوية : ٧٣ * قوانين الأصول : ٤٨٣ * الفوائد الرجالية لشيخ مهدي الكجوري : ١٨٨ * نهاية الدراية للسيد الصدر : ٢٦٤ .

(١) كما يطلق على :

أ / ما كان جميع سنده من غير الإمامي ، لكن مع مدح الجميع بما لم يبلغ حد الوثاقة .

ب / ما تركب سنده من إمامي موثق ، وغير إمامي ممدوح .

ج / ما تركب منهما لكن مع مدح الجميع بما دون الوثاقة .

د / ما كان الجميع من غير الإمامي لكن مع توثيق بعض ومدح آخرين .

هـ / ما تركب سنده من إمامي ممدوح وغير إمامي موثق . راجع المصادر السابقة .

(٢) ذكرى الشيعة : ٤٨/١ ، ومقصوده من قوله « المشهور في التقدم » أي الجلالة ، وهو كل من أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنه .

في طريقه على : مجروح بالفسق ، أو بالكذب ، أو بالحكم عليه بالجهالة^(١) ، أو بأنه وضاع ، أو بشيء من أشباه ذلك .

قال الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره : إن الفاضل الأسترابادي قدس سره في « لب الباب » تفرد عن أهل الدراية بذكر ألفاظ آخر قد استعملت في كلمات أواخر الفقهاء ، وبعضها غير مستعمل في كلماتهم أيضاً .

فمنها : الحسن كالصحيح

ومنها : الموثق كالصحيح

ومنها : القوي كالصحيح ، وقد فسر به بما يكون كل واحد من رواته إماميين ويكون البعض مسكوتاً عنه مدحاً وذماً ، أو ممدوحاً بمدح غير بالغ إلى حد الحسن ، وكان واقعاً في الذكر بعد الثقات وبعد من يقال في حقه : إنه أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه .

ومنها : القوي كالموثق ، وقد فسر به بأنه ما كان بعض رواته مسكوتاً عن مدحه وذمه ، وواقعاً بعد من يقال في حقه : إنه ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه ، وكان الباقي ثقة ، وكان بعض الثقات غير إمامي أو كان بعض من هو إمامي ممدوحاً بمدح يكون تالياً لمرتبة الوثاقة وكان الباقي ثقة^(٢) .

(١) بتنصيب بعض الرجالين .

(٢) دراسات في علم الدراية : ٣٢ .

ونعبر عن بعض الأسانيد « بالحسن كالصحيح » فيما إذا زادت الأمارات والقرائن على

إذا عرفت ذلك فهذه مجموعة من الملاحظات :

الملاحظة الأولى :

قد نعبر في كثير من الموارد عن الموثق بالصحيح ، وذلك لأسباب :
١ / اختلاف الأصحاب في نسبة الرواة للمذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة .

فهذا الثقة الجليل سماعة بن مهران !! مشهور عنه بأنه واقفي ، مع أنه - تحقيقاً - لم يدرك الإمام الرضا عليه السلام ، ولم يعتقد بغيبة الإمام الكاظم عليه السلام ، والتفصيل في محله .

٢ / إن عدة من الرواة ممن ثبت اعتقادهم ببعض المذاهب والأفكار الباطلة قد نَظِمَ الأصحابُ حديثهم في الصحيح ، بل في أعلى درجات الصحة ، كروايات أبان بن عثمان وعبد الله بن بكير والأول من الناوسية ^(١) والثاني فطحي ، وقد أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهما ، كما أن روايات بني فضال والطاطرين لدى الأصحاب من الروايات الصحيحة الأعلى .

٣ / عدم تقيّد الأصحاب المتأخرون - في موارد كثيرة - بالالتزام

مدح الراوي ومعروفية ، ووقوعه بكثرة في الأسانيد والكتب .

(١) وهم من وقفوا على الصادق عليه السلام وقالوا : أنه حي لم يمت ، ومنشأ اتهامه بالناوسية قول ابن فضال : « كان أبان من أهل البصرة وكان يسكن الكوفة ، وكان من القادسية الناوسية » هكذا في النسخة المطبوعة ، وفي مجمع الرجال للشيخ عناية الله الفهائي : وكان من الناوسية ، وعن بعض النسخ وكان من القادسية ، قال السيد الخوئي قدس سره : والصحيح الثالث لرواية أبان عن أبي الحسن عليه السلام .

بحدود هذا التعريف ، فما أكثر الموارد التي قيّمها الفقهاء - المتأخرون عن العلامة الحلبي قدس سره - بكونها صحيحة مع أن في سندها من جزم بفساد عقيدته .

بل ما أكثر الموارد التي قدم فيها الفقهاء الحديث الموثق - اصطلاحاً - على كثير من الصحاح ، فإن روايات سماعة والساباطي وابن فضال وعثمان بن عيسى والطاطري وغيرهم من أعظم الرواة الذين قد نسب إليهم بعض العقائد الفاسدة مقدمة - قطعاً - على كثير من الصحاح حين المعارضة .

٤ / أن المناط في قبول الحديث هو صدق اللهجة لا غير ، وبذلك جزم سيد الفقهاء الخوئي قدس سره وكثير من الأعظم .

قال الشيخ الطوسي قدس سره : فأما من كان مخطئاً في بعض الأفعال أو فاسقاً بأفعال الجوارح ، وكان ثقة في روايته ، متحرزاً فيها ، فإن ذلك لا يوجب رد خبره ، ويجوز العمل به ، لأن العدالة المطلوبة في الرواية حاصلة فيه ، وإنما الفسق بأفعال الجوارح يمنع من قبول شهادته ، وليس بمانع من قبول خبره ، ولأجل ذلك قبلت الطائفة أخبار جماعة هذه صفتهم (١) .

وقال قدس سره : إن كثير من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول يتحلون المذاهب الفاسدة ، وإن كانت كتبهم معتمدة (٢) .

(١) عدة الأصول : ١/ ١٥٢ .

(٢) الفهرست : ٣٢ .

وقال : وقد عملت الطائفة بما رواه حفص بن غياث و غياث بن كلوب ونوح بن دراج والسكوني وغيرهم من العامة عن أئمتنا عليهم السلام ، فيما لم ينكروه ولم يكن عنده خلافه .

وقال : وقد عملت الطائفة بأخبار الفطحية مثل عبد الله بن بكير وغيره ، وأخبار الواقفية مثل سماعة بن مهران وعلي بن أبي حمزة وعثمان بن عيسى ، ومن بعد هؤلاء بما رواه بنو فضال وبنو سماعة والطاطري وغيرهم فيما لم يكن عنده خلافه (١) .

وعليه فلا فرق في الصحة بين كون الراوي إمامياً أو ينسب إلى بعض المذاهب الفاسدة ، فيما إذا نص الأصحاب على وثاقته .

٥ / أن تقسيم الحديث إلى خصوص هذه الأقسام الخمسة إصطلاح لم يكن معروفاً بين الأصحاب قديماً ، وأول من قَسَمَ الحديث إلى هذه الأقسام السيد أحمد بن طاووس قدس سره وتبعه على ذلك العلامة الحلي قدس سره .

نعم : ثمة تقسيم للحديث لدى القدماء بلحاظ ما يلي :

١ / الصفات العملية للراوي ، أي بلحاظ أمانته وصدق لهجته .

٢ / الصفات العلمية للراوي ، أي كفاءته ، من كونه ناقدًا للأخبار ضبطاً وثبتاً ، أو مخلطاً وغير ذلك .

٣ / صفات مضمون الخبر ، فيعبرون عن الراوي بأنه ثقة معتمد

الحديث إلا ما كان فيه من غلو وارتفاع، وإلا ما فيه من شذوذ، ويعبرون في موارد أخرى ثقة وحديثه يعرف وينكر.

٤ / الصفات الطارئة على الخبر، من الشهرة العملية وقبول الأصحاب واعتمادهم عليه، أو إعراضهم عنه أو هجرهم له (١).

هذا: وكثير ما نعبر عن بعض الأحاديث بكونها حسنة مع أن في سندها ممدوح منحرف الاعتقاد، فإن قلّ المدح نعبر عنها بالقوية، لنفس النكته، فتدبر.

الملاحظة الثانية:

قد نصّ الرجاليون على أن الوثاقة تثبت بأمور:

الأول: نص أحد المعصومين عليهم السلام.

الثاني: نص أحد الأعلام المتقدمين، كالبرقي وابن قولويه والكشي والصدوق والمفيد والنجاشي والشيخ، وأضرابهم.

كما تثبت بنص أحد الأعلام المتأخرين بشرط أن يكون من أخبر عن وثاقته معاصراً للمخبر أو قريب العصر منه، كما يتفق ذلك في توثيقات الشيخ منتجب الدين وابن شهر آشوب قدس سرهما.

الثالث: دعوى الإجماع من قبل الأقدمين، كالاتفاق الذي حكاه ابن طاووس بشأن إبراهيم بن هاشم من اتفاقهم على وثاقته.

هذا: وقد نص الفقهاء قاطبة على أن العدالة تثبت بأمارات من

(١) راجع: بحوث في مباني علم الرجال: ٧١.

أهمها حسن الظاهر ، سواء أوجب العلم بالعدالة أو الظن بها ، بل ذهب جماعة من الأعاضم إلى أن حسن الظاهر هو عين العدالة لأنه أمانة عليها (١) .

قال صاحب الفصول قدس سره : والظاهر أنهم يريدون بحسن الظاهر : أن لا يظهر منه كبيرة بعد الفحص عن حاله أو المعاشرة معه قدرأ يعتد به في وصفه بحسن الظاهر عرفاً ، وليس مرادهم مجرد عدم ظهور الفسق (٢) .

وقد أهمل عدة من الرجاليين هذه الأمانة ولم يعتنوا بها ، مع أن الوثاقة والعدالة في الأعم الأغلب لا تثبت إلا عن طريقها .

ومن الواضح : أن البيئة العلمية للرواة هي محل المعاشرة التي يستفاد منها حسن الظاهر ، فكون الراوي : إمامي ، وصاحب كتاب أو أصل ، وكثرة رواية الثقات والأجلاء عنه ، وكثرة رواياته عن الثقة والأجلاء ، وكونه كثير الرواية ، ومعمول برواياته ، ومن مشايخ الإجازة ، وترحم وترضي الأصحاب عليه ، ومن بيت علمي ، واكثر الصدوق والصفار والكليني وابن قولويه والشيخ الرواية عنه ، ومعروفية بين الرواة ، ولم يطعن عليه ... كل هذه الأمور العلمية

(١) راجع جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : ٢٨٨/١٣ ، فقد نقل عن الأستاذ الأكبر في حاشية المعالم الإجماع على أن المراد بالعدالة حسن الظاهر في كل مقام اشترط فيه .

(٢) الفصول الغروية في الأصول الفقهية : ٢٩٣ .

المرتبطة بصدق اللهجة في الرواة - والتي هي المحور - يجزم من خلالها بتحقق حسن الظاهر .

قال شيخنا التبريزي قدس سره : أن رواية الأجلاء عن شخص كثيراً ، وكثرة روايته عن الرجال يوجب كون الشخص من المعاريف ، وإذا لم ينقل في حقه ضعف يكون ذلك كاشفاً عن حسن ظاهره المحكوم معه بالعدالة والثقة ، لجريان العادة أنه لو كان في المعروف عيب يذكر في لسان البعض ، وعدم ذكر التوثيق الخاص في كلمات مثل النجاشي فلأنهم تعرضوا لذكر التوثيق فيمن وصل فيه التوثيق الخاص من سلفهم (١) .

وقد ذكر الوحيد البهبهاني قدس سره أمارات كثيرة من خلالها يستكشف حسن ظاهر الرواة ، نعم بعض هذه الأمارات بمفردها كاشفة عن ذلك ، كما كثار الأجلاء والأعظم الرواية عن بعض الرواة ، وكما كثار الترحم والترضي ، وبعضها الآخر يكون كاشفاً عن حسن الظاهر بعد ضمها إلى أمارات وقرائن أخرى .

وهذا باب عظيم مبارك ينتج عنه تصحيح واعتبار آلاف الروايات الموصوفة بالضعف وعدم الاعتبار .

وقال الشيخ حسن صاحب المعالم قدس سره : إن تحصيل العلم بعدالة كثير من الماضيين وبرأي جماعة من المزيكين أمر ممكن بغير شك ، من جهة القرائن الحالية والمقالية ، إلا أنها خفية المواقع متفرقة

(١) تنقيح مباني العروة : ٣/٥٠ كتاب الطهارة .

المواضع ، فلا يهتدي إلى جهاتها ولا يقدر على جمع أشتاتها إلا من عظم في طلب الإصابة جهده وكثر في تصفح الآثار كده ، ولم يخرج عن حكم الإخلاص عن تلك الأحوال قصده (١) .

وقال الشيخ البهائي قدس سره : قد يدخل في أسانيد بعض الأحاديث من ليس له ذكر في كتب الجرح والتعديل بمدح ولا قدح غير أن أعظم علمائنا المتقدمين قدس الله أرواحهم قد اعتنوا بشأنه وأكثروا الرواية عنه وأعيان مشايخنا المتأخرين طاب ثراهم قد حكموا بصحة روايات هو في سندها ، والظاهر أن هذا القدر كاف في حصول الظن بعدالته .

وقال الشيخ علي الخاقاني قدس سره تعليقاً على كلام الشيخ البهائي المتقدم : فإن لم يحصل الظن بعدالته فيحصل الظن بوثاقته من جهة الخبر أعني كونه موثقاً بصدقه ضابطاً في النقل متحرزاً عن الكذب ، وذلك كاف في الخبر إذ الشرط في قبوله عندنا هو هذا .

قال : والغرض أنه لا يقطع النظر عن الراوي بمجرد عدم النص عليه بجرح أو تعديل ، بل لا بد من الفحص عن حاله وطلب الأمارات الدالة عليه ، فلربما تبلغ حد القول ، وإن لم تبلغ حد التعديل والتوثيق (٢) .

وقد ذكر خريت هذا الفن - والذي نحن نسير على منواله - الوحيد البهبهاني قدس سره أمارات وقرائن كثيرة يستفاد منها المدح المعتقد به ،

(١) منتهى الجمان : ٢١/١ .

(٢) رجال الخاقاني : ٢٠٣ ، وهو من الكتب النافعة المفيدة .

كما أنها أمارات واضحة على حسن الظاهر^(١)، منها:

- ١ / اعتماد القميين عليه وروايتهم عنه لما عرفوا به من شدة الإنكار على من يروي عن الضعفاء فضلاً عنهم.
- ٢ / ذكر النجاشي قدس سره له مع عدم الطعن فيه.
- ٣ / رواية جماعة من الأصحاب لكتابه أو كتبه.
- ٤ / كونه من مشايخ الإجازة.
- ٥ / ترضي وترحم الأصحاب عليه عند ذكره.
- ٦ / كثرة رواية الثقات والأجلاء والأعظم عنه.
- ٧ / تعدد رواية الصدوق قدس سره عنه في كل كتبه وبالخصوص كتابه من لا يحضره الفقيه^(٢).

وغيرها من الأمارات الكاشفة عن حسن الظاهر المستلزم للعدالة

(١) بل بعضها أمارات قوية على العدالة والوثاقة وتحقيق حال الراوي لا حسن ظاهره فحسب.

(٢) فإنه قدس سره كان لا يروي عمّن لا يرتضيه أو لا يقبله استاذة ابن الوليد قدس سره ، قال قدس سره : « وأما خبر صلاة يوم غدیر خم والثواب المذكور فيه لمن صامه ، فإن شيخنا محمد بن الحسن كان لا يصححه ، وكان يقول : إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني وكان كذاباً غير ثقة ، وكل ما لم يصححه ذلك الشيخ قدس الله روحه ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح » ، ولم يصب ابن الوليد في الهمداني ، وبحسب تتبعي القليل لم أجد رواية واحدة رواها الشيخ الصدوق في كل كتبه عن الهمداني ، مما يدل على أنه قدس سره لا يعدد الرواية ويكثرها إلا عمّن يرتضيه ، نعم قد يروي بعض الروايات عن أناس ليسوا بمرضيين عنده احتجاجاً عليهم ، أو اطمئناناً بصحة رواياتهم .

والوثاقة .

وقد ذكر سيد الفقهاء الخوئي قدس سره عدة من هذه القرائن والأمارات وأشكل على عدم دلالتها على الوثاقة والعدالة ، ونحن معه في ذلك في الجملة ، لكن هذه الأمارات بمجموعها أو ببعضها مما يعتد بها في كشف حسن ظاهر صاحبها ، وحسن الظاهر مستلزم للعدالة والوثاقة .

فمن لم ينص الأصحاب على وثاقته ومدحه بالألفاظ ، وقد أكثر الأصحاب والأجلاء الرواية عنه ، وعنونه النجاشي والشيخ في أصحابنا المصنفين ولم يقدحوا فيه ، ونقلت رواياته في الكتب المعتمدة لدى الطائفة ، وروى عنه القميون بكثرة ، واحتج واستشهد به الصدوق في كل كتبه لا سيما في « من لا يحضره الفقيه » ، وعمل برواياته ، وكان من المعاريف في عالم الحديث والمحدثين ، الحكم على رواياته بالضعف مجازفة وأي مجازفة ، بل هو خلاف لما أسسوه في الفقه من كون حسن الظاهر من أمارات العدالة والوثاقة وإن لم يوجب العلم أو الظن بالعدالة (١) .

وقال حبيب الله الشريف الكاشاني في الدرة الفاخرة :

وبعض الألفاظ عن المدح كشف

كقولهم هذا إمامي عرف

(١) ومن الغريب جداً !! ذهاب السيد الخوئي قدس سره في بحث العدالة - في الأبواب الفقهية المختلفة - إلى كفاية عدم العلم بالفسق والسوء في تحقق حسن الظاهر المستند إلى المعاشرة .

وقولهم معتمد الكتاب
 وأنه شيخ من الأصحاب
 صاحب أصل وله كتاب
 وفاضل يسأله الأصحاب
 شيخ إجازة وبالرواية
 مضطلع وعندي ذي الدراية
 قريب أمر وسليم الجنب قد
 روى كثيراً وجليل معتمد
 وكونه من أولياء المرتضى
 إشعاره بالحسن أيضاً يرتضى
 وأهل قم لو رووا عنه فلا
 يشعر بالعدل بل الحسن جلا
 وعدة أخرى من الأوصاف
 دلت على الحسن بلا خلاف
 والحسن قد يكون في أعلى الدرج
 فاسلك به نهج الصحيح في النهج
 وبعض الأصحاب عن التعديل
 يجلب كآب من هشام الجليل
 فعدة من جملة الحسان
 من غفلة فهو من الأركان

كيف وهذا سند الإسناد
قطب الشيوخ وتد الأوتاد
فما روى من جملة الصحيح
لا كالصحيح هو في الصحيح

الملاحظة الثالثة :

ربما في بعض الموارد نجعل الحديث حسناً كالصحيح أو حسناً أو قوياً أو معتبراً مع أن في سنده بعض مَنْ ضَعَفه النجاشي أو الشيخ أو بعض الأعظم والأجلاء ، وذلك لوجود الأمارات الكثيرة الدالة على حسن ظاهره ، والتي من خلالها يجزم بأن تضعيف النجاشي وغيره ليس منشأه القدح في العدالة ، وإنما لأُمُور لا ترجع إلى صدق اللهجة ، كاتهامه - مثلاً - بالرواية عن الضعفاء واعتماد المراسيل والتخليط ، أو اتهامه بالغلو ، أو يكون منشأ تضعيفه مذهبه الفاسد وأفكاره المنحرفة .
فهذا الثقة الجليل محمد بن خالد البرقي رضي الله عنه قد ضعف حديثه النجاشي لكونه يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل ، وهذا لا يوجب القدح فيه ولا في حديثه المروي عن الثقات .

قال الوحيد البهبهاني رضي الله عنه : نرى الأكثر يفهمون منه « قولهم : ضعيف » القدح في نفس الرجل ، ويحكمون به بسببه ولا يخلو من ضعف ، لما سنذكر في داود بن كثير وسهل بن زياد وأحمد بن محمد بن خالد وغيرهم ، وفي إبراهيم بن يزيد جعل كثرة الإرسال ذمّاً وقدحاً ، وفي جعفر بن محمد بن خالد الرواية عن الضعفاء والمجاهيل

من عيوب الضعفاء .

وفي محمد بن الحسن بن عبد الله ، روى عنه البلوي والبلوي رجل ضعيف .

وفي جابر يروي عنه جماعة غمز فيهم ، إلى غير ذلك .

ومثل ما في أحمد بن عبد الله الجعفري والمعلی بن خنيس وعبد الكريم بن عمرو والحسن بن راشد وغيرهم ، فتأمل .

وبالجملة : كما أن تصحيحهم غير مقصور على العدالة ، فكذلك تضعيفهم غير مقصور على الفسق ، وهذا غير خفي على من تتبع وتأمل .

ولعل من أسباب الضعف عندهم : قلة الحافظة ، وسوء الضبط ، والرواية عن غير إجازة ، والرواية عن من لم يلقه ، واضطراب ألفاظ الرواية ، وإيراد الرواية التي ظاهرها الغلو أو التفويض أو الجبر أو التشبيه ، وغير ذلك كما في كتبنا المعتبرة ، بل هي مشحونة منها كالقرائن ، مع أن عادة المصنفين إيرادهم ما روه ، كما يظهر من طريقتهم مضافاً إلى ما ذكره في أول الفقيه وغيره ، وكذا من أسبابه رواية فاسدي العقيدة عنه وعكسه ، بل وربما كان مثل الرواية بالمعنى ونظائره سبباً .

وبالجملة : أسباب قدح القدماء كثيرة ، وغير خفي أن أمثال ما ذكر ليس منافياً للعدالة ... ثم اعلم أنه فرق بين ظاهر قولهم : ضعيف ،

وقولهم : ضعيف في الحديث ، فالحكم بالقدح منه أضعف (١) .

فقدح الأصحاب للرواة إذا لم يكن مفسراً لا ينصرف إلى القدح في العدالة ، لكون تضعيفهم للرواة - في الأعم الأغلب - لا بلحاظ القدح في العدالة والوثاقة ، والإستقراء ببابك .

وعادة ما يكون قدح الأصحاب المفسر والمبين هو الإتهام بالغلو ، وما كان غلوأ لدى المدرسة البغدادية وكذا عند بعض المدارس في قم المقدسة آنذاك هو الآن من أبجديات عقائد أهل الإيمان ، فهو علو - بحذف النقطة - لا غلو .

الملاحظة الرابعة :

قد يتفق في الأسانيد ذكر بعض الرواة الذين لا وجود لهم في رجال الخاصة ، أو عنونوا ولكن لم يُذكر فيهم قدح أو مدح ، وقد ذكرهم العامة فمدحهم وأثنوا عليهم وربما نصوا على تشيعهم ، فإن لم يشم منهم النصب فإن وثقهم العامة ومدحهم كان حديثهم موثقاً أو كالصحيح أو حسناً أو قوياً ، يختلف ذلك باختلاف الرواة والمدح الذي قيل فيهم .

القدماء وأصالة العدالة

قال سيد الفقهاء الخوئي قدس سره : « إن اعتماد ابن الوليد أو غيره من الأعلام المتقدمين - فضلاً عن المتأخرين - على رواية شخص والحكم بصحتها لا يكشف عن وثاقة الراوي أو حسنه ، وذلك لاحتمال أن الحاكم بالصحة يعتمد على أصالة العدالة ، ويرى حجية كل رواية يرويها مؤمن لم يظهر منه فسق ، وهذا لا يفيد من يعتبر وثاقة الراوي أو حسنه في حجية خبره .

وأما الصدوق فهو يتبع شيخه في التصحيح وعدمه ، كما صرح هو نفسه بذلك ، قال قدس سره : وأما خبر صلاة يوم غدیر خم والثواب المذكور فيه لمن صامه ، فإن شيخنا محمد بن الحسن كان لا يصححه ، وكان يقول : إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني وكان غير ثقة ، وكل ما لم يصححه ذلك الشيخ قدس الله روحه ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح .

وقال : كان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه سييء الرأي في محمد بن عبد الله المسمعي راوي هذا الحديث ، وإنني أخرجت هذا الخبر في هذا الكتاب ، لأنه كان في كتاب الرحمة وقد قرأته عليه فلم ينكره ورواه لي » (١) .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢٤/١ * معجم رجال الحديث : ٧١/١ .

وقال قدس سره في ترجمة أحمد بن إسماعيل بن سمكة القمي : « قال العلامة : لم ينص علماؤنا عليه بتعديل ، ولم يرو فيه جرح ، فالأقوى قبول روايته ، مع سلامتها من المعارض » .

قال : هذا الكلام صريح في اعتماد العلامة قدس سره على أصالة العدالة في كل إمامي لم يثبت فسقه !! كما نسب ذلك إلى جماعة من الفقهاء واستظهرناه سابقاً من عدة من الأكابر .

وأما ما ذكره الوحيد قدس سره في التعليقة ، من أن قبول العلامة لرواية أحمد مبني على ما ذكره قبل ذلك في ترجمته من المدح والجلالة والفضيلة فهو غريب !!! فإن المذكور سابقاً أنه من أهل الفضل والأدب والعلم ، وليس في ذلك أي إشعار بالحسن ، فضلاً عن العدالة !!! « (١) .

وفي موارد عديدة من المعجم لم يقبل - قدس سره - مدح كثير من الرواة لاحتمال اعتماد من صحح حديثه أو حسنه على أصالة العدالة ، بقوله : « فلعله - التوثيق وحسن الحال - مبني على أصالة العدالة ، وهذا الأصل غير ثابت عندنا » .

فصرّح قدس سره تكراراً ومراراً في أبحاثه العالية باحتمال اعتماد القدماء - كالصدوق وأستاذه قدس سرهما - على أصالة العدالة ، وجزم بأنه مسلك العلامة الحلبي قدس سره .

ومعنى أصالة العدالة - ويقابلها أصالة الفسق -: أن العدالة عبارة عن الإيمان مع عدم ظهور ما يوجب الفسق ، فيكون الأصل في كل مؤمن العدالة ، فإذا شككنا في مؤمن بكونه عادلاً أم لا ، فالأصل كونه عادلاً ، على غرار ما ذهب إليه العامة من القول بأصالة العدالة في الصحابة أجمعين (١) .

قلت :

ما احتمله قدس سره باعتماد القدماء على « أصالة العدالة » بالتفسير المتقدم مخالف لصريح كلماتهم الدالة على اعتمادهم على خصوص الثقات والممدوحين (٢) .

قال الشيخ الطوسي قدس سره : إنا وجدنا الطائفة ميزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار ، ووثقت الثقات منهم ، وضعفت الضعفاء ، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته ، ومن لا يعتمد على خبره ، ومدحوا الممدوح منهم ، وذموا المذموم ، وقالوا : فلان متهم في حديثه ، وفلان كذاب ، وفلان مخلط ، وفلان مخالف في المذهب والإعتقاد ، وفلان واقفي ، وفلان فطحي ، وغير ذلك من الطعون التي ذكروها وصنفوا في ذلك الكتب ، واستثنوا الرجال من جملة ما روه من التصانيف في

(١) وكأصالة الطهارة - مثلاً - في الأشياء ، فإذا شككنا في شيء بأنه طاهر أو نجس كان الأصل الطهارة ، حتى يقوم الدليل على خلافه .

(٢) ونسبة القول بذلك للفقهاء قديماً وحديثاً غير صحيحة كما سيأتي بيانه في خاتمة البحث .

فهارسهم ، حتى أن واحداً منهم إذا أنكر حديثاً نظر في إسناده وضعفه بروايته .

هذه عاداتهم على قديم الوقت وحديثه ، لا تنخرم ، فلو لا أن العمل بما يسلم من الطعن ويرويه من هو موثوق به جائز ، لما كان بينه وبين غيره فرق ، وكان يكون خبره مطروحاً مثل خبر غيره فلا يكون فائدة لشروعهم فيما شروعا فيه من التضعيف والتوثيق وترجيح الأخبار بعضها على بعض (١) .

وقال الشيخ الصدوق قدس سره : إلاكتاب المتخبات - لسعد بن عبد الله القمي - فإني لم أروها عن محمد بن الحسن إلا أجزاء قرأتها عليه وأعلمت على الأحاديث التي رواها محمد بن موسى الهمداني ، وقد رويت عنه كل ما في كتاب المتخبات مما أعرف طريقه من الرجال الثقات (٢) .

وقال قدس سره : أما خبر صلاة الغدير ، والثواب المذكور فيه لمن صام ، فإن شيخنا محمد بن الحسن كان لا يصححه ، ويقول : إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني ، وكان غير ثقة ، وكل ما لم يصححه هذا الشيخ ولم يحكم بصحته فهو عندنا متروك غير صحيح (٣) .

وهذا هو موضع استشهاد السيد الخوئي قدس سره ، وهو على

(١) عدة الأصول : ١/١٤١ .

(٢) الفهرست للطوسي : ١٣٦ ترجمة سعد بن عبد الله القمي رقم ٣١٦ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢/٩٠ .

عكس مدعاه أدل وأوضح ، لأن منشأ عدم العمل بروايات الهمداني لدى ابن الوليد قدس سره وتصحيحها لكون الهمداني غير ثقة عنده ، لا لكونه غير إمامي .

وقال الصدوق قدس سره - أيضاً - : وحذفت الإسناد منه فلئلا يثقل حمله ولا يصعب حفظه ، ولا يَمْلُهُ قارئه ، إذ كان ما أُبَيِّنُهُ في الكتب الأصولية موجوداً مبيناً على المشايخ العلماء الفقهاء الثقات رحمهم الله تعالى (١) .

وقال قدس سره : لم أسمع هذا الحديث إلا من أحمد بن زياد الهمداني رضي الله عنه بهمدان ، عند منصرفي من حج بيت الله الحرام ، وكان رجلاً ثقة ديناً فاضلاً رحمة الله عليه ورضوانه (٢) .

وقال الشيخ النجاشي قدس سره بعد أن ذكر من استثناهم ابن الوليد من كتاب نواذر الحكمة : قال أبو العباس بن نوح : قد أصاب شيخنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد في ذلك كله ، وتبعه أبو جعفر بن بابويه رحمه الله على ذلك ، إلا في محمد بن عيسى بن عبيد - لما استثنى من نواذر الحكمة - فلا أدري ما رآه فيه ، لأنه كان على ظاهر العدالة والثقة (٣) .

فكل هذه الكلمات وغيرها شاهد على اعتبار الوثاقة والعدالة في

(١) المفتح : ٦ .

(٢) كمال الدين : ٣٦٩ .

(٣) رجال النجاشي : ٣٤٨ ترجمة محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري .

قبول الرواية والعمل بها لدى جمهور الأصحاب ، ولذا - كما قال شيخ الطائفة - وثقوا من وثقوا وضعفوا من ضعفوا واستثنوا من استثنوا ، ولو كان دأبهم خلاف ذلك لاستثنوا خصوص الروايات لا الرواة ، فتصحيحهم للروايات لا يركن أصلاً لأصالة العدالة ، بل لا بد من إحراز وثاقة وعدالة الرواة ، وهذا الأمر واضح بالنسبة للصدوق وشيخه قدس سرهما ، فاحتمال أنهما قائلان بأصالة العدالة غير متصور في حقهما .

واعتماد الصدوق في توثيق الرواة على شيخه ابن الوليد ليس من التقليد في شيء ، لأن إخبارات ابن الوليد بتوثيقاته للرواة - على مسلك السيد الخوئي قدس سره - إخبارات حسية ، على أن الصدوق قد مدح من قبل الشيخ الطوسي بأنه كان عارفاً بالرجال .

العلامة الحلي وأصالة العدالة :

وأما ما جزم به قدس سره : من نسبة العمل بأصالة العدالة للعلامة الحلي قدس سره ، فهو من الغرائب أيضاً ، وذلك :
أولاً :

أن العلامة قدس سره في كتابه « خلاصة الأقوال » قد ذكر في القسم الأول من يعتمد على روايته أو يرجح عنده قبول قوله ، وفي القسم الثاني من ترك روايته أو توقف فيه .

وذكر في القسم الأول كل من نص الأصحاب على وثاقته ، أو من جزم بمدحه للأمارات ، وذكر في القسم الثاني كل من نص الأصحاب

على القدح فيه ، أو من أتهم بالغلو وفساد المذهب ، وترك عشرات بل مئات الرواة ممن لم يرد في حقهم مدح ولا ذم ، والإستقراء ببابك .

فلو كان ممن يقول بـ « أصالة العدالة » كما أدعى ذلك سيد الفقهاء الخوئي قدس سره ، لأورد في القسم الأول عشرات الرواة بل المئات ممن جزم بإماميته وعدم ظهور ما يوجب الفسق فيه .

ففي اسم « ابراهيم » لم يذكر من المعتمدين لديه إلا ثمانية وعشرين راوٍ ، وترك كثير من الرواة الذين ذكرهم وعنونهم الشيخ والنجاشي والطوسي والكشي في كتبهم الرجالية ، وكثير من هؤلاء الرواة ، ممن ورد بحقهم مدح بشكل مباشر وغيره ، فلم يذكر - مثلاً - في هذا العنوان :

١ / إبراهيم الأزرق الكوفي ، من أصحاب الباقر عليه السلام .

٢ / إبراهيم بن أبي حفصة من أصحاب السجاد عليه السلام .

٣ / إبراهيم بن أبي المثنى ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

٤ / إبراهيم بن ادريس ، من أصحاب الهادي عليه السلام .

٥ / إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، ذكره الشيخ والنجاشي .

٦ / إبراهيم بن حماد الكوفي ، وقد ذكره الشيخ والنجاشي .

٧ / إبراهيم بن خالد العطار ، وقد ذكره الشيخ والنجاشي .

٨ / إبراهيم بن داود اليعقوبي من أصحاب الجواد والهادي عليهما

السلام .

٩ / إبراهيم بن الزبرقان ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

١٠ / إبراهيم بن سفيان ، وقد اعتمد عليه الصدوق .

١١ / إبراهيم بن السندي ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

١٢ / إبراهيم بن شيبه الأصبهاني ، من أصحاب الجواد عليه السلام .

١٣ / إبراهيم بن عاصم ، وقد ذكره الكشي في جماعة الأجلاء .

١٤ / إبراهيم بن عوفي الأسدي ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

١٥ / إبراهيم بن عقبة ، من أصحاب الهادي والعسكري عليهما

السلام .

١٦ / إبراهيم بن الفضل المدني ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

١٧ / إبراهيم بن المثنى ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

١٨ / إبراهيم بن موسى الأنصاري ، من أصحاب الرضا عليه السلام .

١٩ / إبراهيم بن مهاجر ، من أصحاب الصادق عليه السلام .

٢٠ / إبراهيم بن ميمون بيع الهروي ، من أصحاب الصادق عليه

السلام .

فلو أنه كان يعمل بما يقال له « أصالة العدالة » لم يقتصر في رجاله

على ذكر ٢٨ راوياً ، بل لذكر عشرات ممن يسمى بـ « إبراهيم » ، إذ

المعنونون بهذا الأسم يبلغ ما يقرب من أربعمئة أو أكثر ، وكثير ممن لم

يذكرهم بين ممدوح ومن لم يقدح فيه أصلاً ، فالذين يعتمد عليهم هم

خصوص من نص الأصحاب على وثاقتهم وعدالتهم ، وأين هذا القول

من أصالة العدالة !!!

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ذكر جماعة كبيرة من الرواة ممن نص على وثاقتهم وعدالتهم في القسم الثاني من كتابه - وهم كل مَنْ ترك روايته أو توقف فيها - بمجرد الغمز فيه واتهامه ببعض المذاهب الفاسدة وإن ملئت رواياته الكتب المعتمدة ، وهذا يكشف على أنه من المتشددين في قبول الرواية والعمل بها ، لا أنه من المتسامحين في تصحيح الروايات ، من أولئك الذين وثقوا وذكروهم في القسم الثاني :

١ / إبراهيم بن عبد الحميد ، وثقه الشيخ في الفهرست ، وقال سعد ابن عبد الله : أنه أدرك الرضا عليه السلام ولم يسمع منه ، فتركت روايته لذلك ، وقال الفضل بن شاذان : أنه صالح .

٢ / إبراهيم بن أبي السمال ، وثقه النجاشي ، وقال العلامة : واقفي لا أعتمد على روايته .

٣ / إبراهيم بن صالح الأنماطي ، وثقه الشيخ والنجاشي .

٤ / إسماعيل بن سمك ، وثقه النجاشي وقال أنه واقفي ، قال العلامة : فلا أعتمد حينئذ على روايته .

٥ / إسحاق بن عمار بن حيان ، كان شيخاً من أصحابنا ثقة ، وكان فطحياً ، قال الشيخ : أنه ثقة وأصله معتمد عليه ، وكذا قال النجاشي ، قال العلامة : والأولى عندي التوقف فيما ينفرد به .

٦ / إسحاق بن جرير ، قال العلامة : كان ثقة روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، وكان واقفياً ، والأقوى عندي التوقف في روايته ينفرد بها .

٧ / أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار ، قال النجاشي : وجه ثقة ، صحيح الحديث معتمد عليه ، قال العلامة : وعندي فيه توقف .

٨ / أحمد بن أبي بشر السراج ، ثقة في الحديث واقفي المذهب .

٩ / أحمد بن أبي زاهر ، كان وجهاً بقم ، وحديثه ليس بذلك النقي ، وكان محمد بن يحيى العطار أخص أصحابه به .

١٠ / أحمد بن محمد بن علي بن عمر بن رياح بن قيس بن سالم القلاء السواق ، كان شديد العناد في الوقف ، وكان ثقة في الحديث ، قال العلامة : ولست أرى قبول روايته منفرداً .

وقس على ذلك ، فشرط العلامة الحلبي قدس سره في تعديل الرواة يفوق تعقيداً من تصحيحات السيد الخوئي قدس سره .

ثانياً :

أن نسبة القول بأصالة العدالة للعلامة قدس سره خلاف ما صرح به في موارد عديدة .

قال في ترجمة : زيد النرسي والزراد : ولما لم أجد لأصحابنا تعديلاً لهما ولا طعناً فيهما ، توقفت عن قبول روايتهما (١) .

وقال في ترجمة إسماعيل بن عمار : روى الكشي حديثاً في طريقه ضعف ، أن الصادق عليه السلام كان إذا رآهما - إسماعيل وأخوه

إسحاق :- « وقد يجمعهما لأقوام - يعني الدنيا والآخرة » وقد ذكرنا سند الحديث في الكتاب الكبير ، والأقوى عندي التوقف في روايته حتى تثبت عدالته (١) .

فمجرد رواية الكشي هذا المدح لإسماعيل لا يكفي في ثبوت عدالته لدى العلامة قدس سره ، مع أن اسماعيل بن عمار قد روى عنه الكبار والأعظم كابن فضال وابن مسكان ومهران بن أبي نصر وابن أبي عمير وهارون بن الجهم ، وغيرهم .

وقال في ترجمة أحمد بن حماد : روى الكشي أن الباقر عليه السلام كتب إليه : « قد مضى أبوك رضي الله عنه وعنك وهو عندنا على حال محمود ، ولن تبعد من تلك الحال » وروي عنه أشياء ردية تدل على ترك العمل بروايته ، وقد ذكرته في الكتاب الكبير ، والأولى عندي التوقف فيما يرويه (٢) !!!

وأما موضع استشهاد السيد الخوئي قدس سره ، وهو ما ذكره العلامة الحلي قدس سره في ترجمة ابن سمكة ، فلا دلالة فيه من حيث الظهور - فضلا عن الصراحة - على اعتماد العلامة قدس سره على أصالة العدالة في كل إمامي لم يثبت فسقه ، بل إنما اعتمد العلامة على قبول قول أحمد بن سمكة لحسن ظاهره الكاشف عن عدالته ، والذي استفاده من أمور ذكرها في صدر كلامه :

(١) الخلاصة : ٣١٧ .

(٢) الخلاصة : ٣٢٣ .

١ / من كونه ذو درجة عالية في الفضل والأدب والعلم .

٢ / وقراءة ابن العميد عليه ، والذي كان من وزراء الدولة البويهية ومن الأدباء أيضاً .

٣ / وتصنيفه لكتب عدة عديمة المثل ، ككتاب العباسي ، قال النجاشي : وهو كتاب عظيم ، وهو كتاب حسن ... وقال الشيخ الطوسي : لم يصنف مثله في هذا الفن .

٤ / وكون والده من خواص البرقي .

٥ / العمل برواياته مع سلامتها من المعارض .

فكل هذه الأمور مواد واضحة على حسن ظاهره ، مضافاً إلى عدم وجود ما يقدر فيه أصلاً ، وعدم العمل برواياته مطلقاً .

ولذا : طالما علل - العلامة قدس سره - توقفه في عدة من الرواة بعدم ظفره على تعديل الأصحاب له ، ولطالما - أيضاً - قال بعد إيراد عدة من القرائن المادحة للرواة بأنه لم يجد تعديلاً للأصحاب له ، مما يستفاد منه أنه يدور في التوثيق والتضعيف في الأعم الأغلب على تنصيب الأصحاب ، وإن خالف فعلى الأمارات الشاهدة على حسن ظاهر الراوي ، ولم نجد أنه وثق واعتمد على من أهمل من الرواة مع عدم وجود القرائن الواضحة الدالة على حسنه ، والإستقراء ببابك .

وثالثاً :

أن العلامة الحلي قدس سره قد فسّر العدالة في عدة من كتبه

بالمملكة ، فقال : « العدالة كيفية راسخة في النفس تبعث على ملازمة التقوى والمروة ، وتحصل بالإمتناع عن الكبائر وعن الإصرار على الصغائر أو الإكثار منها »^(١) ، وهي شرط عنده في قبول الرواية .

وذهب في بعض كلماته إلى عدم قبول رواية المجهول^(٢) ، بل قيل أنه أول من فسّر العدالة بالمملكة ، وإلى ذلك أشار صاحب الجواهر قدس سره بقوله : لم أعثر على هذا التعريف - أي تعريف العدالة بالمملكة - لغير العلامة^(٣) .

وعليه : فدعوى أن القدماء والعلامة الحلي يعتمدون في تصحيحهم للروايات على أصالة العدالة - بمعناها المتقدم - زعم لا شاهد ولا دليل عليه .

نعم - وكما قال شيخنا السند دام ظله - : التأمل والنظر في مجمل هذه النسبة يقضي بأن المراد من المحكي عن عبارات^(٤) القدماء ليس هو أصالة العدالة كما توهم في المسلم أو المؤمن ما لم يحرز الفسق ، بل المراد حجية حُسن الظاهر وظهور حال وسلوك المسلم والمؤمن في الوثاقة أو العدالة كأمانة كاشفة معتد بها ، شريطة عدم العلم بالفسق

(١) إرشاد الأذهان : ١٥٦/٢ * تحرير الأحكام : ٢٤٦/٥ * مختلف الشيعة : ٤٨٤/٨ .

(٢) مبادئ الأصول : ٢٠٦ ، قال : ولا تقبل رواية المجهول حاله ، خلافاً لأبي حنيفة ، لأن عدم الفسق شرط في الرواية ، وهو مجهول ، والجهل بالشرط يستلزم الجهل بالمشروط .

(٣) جواهر الكلام : ٢٩٤/١٣ .

(٤) الموهمة ، والتي ظن البعض أن مفادها أصالة العدالة .

وعدم إحرازه ولو بضم الأصل العدمي ، وهو مضمون عدة من الروايات المعتبرة الواردة في باب العدالة .

تتمة فقهية :

قلت : قد اختلف الفقهاء قديماً وحديثاً في تعريف العدالة إلى أقوال :

١ / أنها ملكة نفسانية باعثة على الإتيان بالواجبات وترك المحرمات ، وليس المقصود مجرد الملكة ، بل هي الملكة بلحاظ العمل والداعية إليه ، وهذا هو المشهور بين أصحابنا المتأخرين على ما في الحقائق ، وهو المنقول عن المختلف والقواعد والإرشاد والتحرير والمهذب ونهاية الأصول والمنية والدروس والذكرى والتنقيح والروضة والروض وجامع المقاصد والمعالم والرياض ، وعن الأردبيلي نسبته إلى المشهور في الفروع والأصول ، وعن الفاضل الهندي نسبته إلى المشهور بين الخاصة والعامة ، وعن التنقيح نسبته إلى الفقهاء مشعراً بالإجماع عليه ، وبه قال الشيخ الأعظم الأنصاري ووافقه عليه الرشتي والآخوند ومحمد تقي الشيرازي .

٢ / أنها الأعمال الخارجية من الواجبات واجتناب المحرمات الناشئة عن ملكة نفسانية ، وهو المنسوب للصدوق والمفيد في المقنعة والشيخ في النهاية والوسيلة .

والفرق بينه وبين السابق واضح ، إذ في الأول نفس الملكة هي

العدالة فهي الصفة الحاصلة في النفس ، وفي الثاني آثار الملكة ، وعلى هذا تكون أمراً عملياً لا ربط له بالصفات ، فالفرق إذن بين القولين : أن الأول يرى أن العدالة هي السبب ، والثاني يراها أنها المسبب .

وقد أرجع الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره القولين إلى واحد ، بتقريب : أن المراد بالملكة ليست هي الملكة الصرفة الكامنة في النفس ، وإنما مرادهم - كما ذكرنا - الملكة المقترنة بالعمل الخارجي .

٣ / الإستقامة العملية في جادة الشرع وعدم الانحراف عنها يميناً وشمالاً ، سواء كان منشأ ذلك عن ملكة نفسانية أم لا ، وهو المنقول عن المفيد وابن البراج وأبي الصلاح وابن إدريس والطبرسي والبهبهاني ، وعن المجلسي والسبزواري : أن هذا القول هو الأشهر في تفسير العدالة ، واختاره عدة من متأخري الأعصار والمعاصرين كالسيد الخوئي وعدة من تلامذته .

٤ / حسن الظاهر وظهور الصلاح فحسب ، بأن يكون الإنسان متصفاً بصفات ظاهرة في الحسن ، كملزمة الواجبات ، ومفارقة المحرمات ، وهو المنقول عن الشيخ في النهاية وابن إدريس والبهبهاني وصاحب المدارك والحدائق والذخيرة والجواهر والسيد عبد الله شبر ، وهو صريح صاحب الجواهر في رسالته العملية « نجاة العباد » ووافقه بعدم التعليق عليه المجدد الشيرازي ومحمد تقي الشيرازي والهمداني والنائيني ومحمد طه نجف ، وغيرهم ، وعزاه في الحدائق الى أكثر متأخري المتأخرين .

وليس حقيقة هذا القول أن حسن الظاهر أمانة على العدالة بل هو ذات العدالة ، والفرق بينه وبين السابق أخذ قيد الظاهر فيه دون السابق ، فالعدالة : السلوك الظاهر الحسن ، فهو سلوك بقيد الظاهر ، بخلاف الثاني فهو استقامة على جادة الشرع وإن كان باطنياً ، مع إمكان أرجاع القولين الى واحد ، فتدبر .

٥ / هي الإسلام أو الإيمان مع عدم احراز الفسق أو عمل يخالف الشريعة ، وهو المنقول والمنسوب لابن الجنيّد والمفيد في الأشراف والشيخ في الخلاف ، وفي النسبة تأمل على ما صرح به عدة من الأعظم كما سيأتي ، وبصحة النسبة تردد السيد الخوئي قدس سره (١) .

والفرق بينه وبين السابق : من ضرورة احراز حسن الظاهر في القول السابق ، عن طريق المعاشرة والمطالعة والمعاملة والمعايشة ، وكفاية عدم الإحراز في هذا القول ، وهو المعبر عنه في الكلمات : « بأصالة العدالة » ، ولازم ذلك الحكم بعدالة معظم المؤمنين إن لم يشاهد منهم المعصية ، بخلاف الأمر في القول السابق لا بد من احراز حسن الظاهر عبر المعاشرة وغيرها ، فالفرق بينهما كالفرق بين الشرط والمانع ، من ضرورة احراز الشرط لكونه أمراً وجودياً ، وكفاية عدم الإحراز في الموانع لكونها أموراً عدمية .

والمحكي عن التبيان والدروس والذكرى والمسالك والجعفرية والكفاية والمستند : أن الإسلام وعدم ظهور الفسق ليس قولاً في تفسير

(١) فقه الشيعة : ١٦٥ ، كتاب الإجتهد والتقليد .

العدالة وحقيقتها ، وإنما هو الحكم بها من باب الأصل ، فهو آلية احراز وليس هو قول قبال الأقوال .

قلت : قال صاحب الجواهر قدس سره : لم نتحقق القائل به ، لظهور من وقفنا على كلام من يُحكى عنه في المسلم الذي لم يظهر منه فسق ، لا أن الإسلام عدالة مع معلومية فساد الأصل المزبور ، وإن اشتهر في كلام الأصحاب أن الأصل في المسلم لا يخل بواجب ولا يفعل محرماً ، إلا أن ذلك لا يقتضي تحقق وصف العدالة به ، بل المراد منه حكماً تعديداً في نفسه ، لا في ما يترتب على ذلك لو كان واقعياً ... وأن التحقيق الذي تجتمع عليه الروايات وعليه عمل العلماء في جميع الأعصار والأمصار حسن الظاهر ، بمعنى الخلطة المطلعة على ما يظهر منه حسن من دون معرفة باطنه .

وعلق عليه شيخنا السند دام ظله : ونعم ما أفاد من أن غالب من نسب إليه أصالة العدالة ، هو بسبب إيهام العبائر ، فليس مرادهم تعريف العدالة بالإسلام والإيمان ، كما أن ليس مرادهم إحرازها بمجرد أصالة عدم الفسق ، بل مراد من نسب إليه هو كون حسن الظاهر أمانة على العدالة ، ولو بضميمة أصالة عدم موجب الفسق من دون لزوم تحري ما وراء ذلك ، وقد بسط صاحب جواهر الكلام في كتاب الصلاة في مبحث الجماعة هذه النكتة فلاحظ (١) .

وقال المولى النراقي قدس سره : أن القول بكون العدالة هي ظاهر

(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٠٨ .

الإسلام مع عدم ظهور الفسق مما لم يظهر قائل به ، ونسبته إلى من نسب إليه غير جيدة (١) .

وقال الشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره : أن القول بأن العدالة عبارة « عن الإسلام وعدم ظهور الفسق » غير ظاهر من كلام أحد من علمائنا وإن كان ربما نسب إلى بعضهم كما عرفت وعرفت ما فيه (٢) .

وقال قدس سره : ثم إنك عرفت غير مرة أن القول بأن العدالة « نفس ظهور الإسلام وعدم ظهور الفسق » مع كونه غير معقول - كما عرفت - غير مصرح في كلام أحد ، بل ولا ظاهر ولا مومىء إليه ، نعم يظهر من المحكي عن بعض كلمات جماعة : الإكتفاء في ثبوتها بالإسلام ، وعدم ظهور الفسق (٣) .

وقال المحقق الأشثاني قدس سره : ومن العجب من بعض الشيوخ المتأخرين حيث ادعى على ما هو ببالي صراحة كلام الشيخ في الخلاف في كون العدالة عنده عبارة عن نفس ظهور الإسلام وعدم ظهور الفسق ، ومنها ما حكى عن ابن الجنيد من : « أن كل المسلمين على العدالة حتى يظهر خلافها » ولا يخفى ظهورها أيضاً في كون الإسلام طريقاً إلى العدالة لا نفسها ، إلى غير ذلك من كلماتهم التي يقف عليها المتتبع فيها ، هذا مضافاً إلى ظهور الأخبار التي ركن إليها هؤلاء

(١) مستند الشيعة : ٧٠/١٨ .

(٢) رسائل فقهية : ٢٤ .

(٣) رسائل فقهية : ٣٥ .

فيما ذكرنا، فكيف يمكن أن ينسب إليهم القول بخلافها^(١).

وقال الشيخ الطوسي قدس سره: العدل الذي يجوز قبول شهادته للمسلمين وعليهم هو أن يكون ظاهره الإيمان، ثم يعرف بالستر والصلاح والعفاف والكف عن البطن والفرج واليد واللسان ويعرف باجتناّب الكبائر التي أوعد الله عليها النار، من شرب الخمر...^(٢).

وقال الشيخ المفيد قدس سره: العدل من كان موصوفاً بالدين والورع عن محارم الله تعالى^(٣).

فالتحقيق: أنه لا أحد من الأصحاب قديماً وحديثاً فسر العدالة بذلك - بالإسلام أو الإيمان مع عدم ظهور الفسق أو عمل يخالف الشريعة - وإن أوهمت عبائر بعض الفقهاء في بعض الأبواب الفقهية ذلك، ففي بعضها الآخر أفصح بخلافها^(٤)، فتدبر.

فما قاله سيد الفقهاء الخوئي قدس سره: نسب ذلك «أي: أصالة العدالة» إلى جماعة من الفقهاء، واستظهرناه سابقاً من عدة من الأكابر في ترجمة إبراهيم بن سلام^(٥).

قد تردد في نسبته إلى أحد في بحوثه الفقهية^(٦)، كما أنه لم يذكر في ترجمة إبراهيم بن سلام أحداً من الفقهاء القائلين بذلك، فراجع.

(١) كتاب القضاء: ١٩٥/١ طبعة جديدة.

(٢) النهاية في مجرد الفقه والفتوى: ٣٢٥.

(٣) المقنعة: ٧٢٥* مختلف الشيعة: ٤٨١/٨.

(٤) راجع مستند الشيعة: ٥١/١٨.

(٥) معجم رجال الحديث: ٥٧/٢.

(٦) فقه الشيعة: ١٦٥، كتاب الإجتهد والتقليد.

ملحق : ٣ .

أمارية رواية النقات والأجلاء على العدالة

ذهب الفقهاء قاطبة - قديماً وحديثاً - إلى أن من أبرز أمارات العدالة والوثاقة حسن الظاهر ، سواء أوجب العلم بالعدالة أم الظن بها ، بل ذهب جماعة من الأعاضم إلى أن حسن الظاهر هو عين العدالة لأنه أمارة عليها (١) .

ويحرز حسن الظاهر بالمعاشرة والمخالطة في مقدار من الزمان ، وفي كيفية احرازه ، قولان :

الأول : يكفي في تحقيقه وإحرازه عدم العلم بارتكاب الذنوب الكبيرة وترك الفرائض .

الثاني : لا بد في إحرازه من العلم بعدم ارتكاب الذنوب الكبيرة وترك الفرائض .

والفارق بين القولين : أنه إذا سئل عن شخص ، فتارة يكون الجواب : لا أعلم بأنه يرتكب الكبائر ، وأخرى يكون الجواب : أعلم بأنه لا يرتكب الكبائر ، فالقول الأول أخذ عدم العلم ، والقول الثاني أخذ

(١) وهو المنقول عن الشيخ في النهاية وابن إدريس والبهبهاني وصاحب المدارك والحدائق والذخيرة والجواهر والسيد عبد الله شبر ، وهو صريح صاحب الجواهر في رسالته العملية « نجات العباد » ووافقه بعدم التعليق عليه المجدد الشيرازي ومحمد تقي الشيرازي والهمداني والنايني ومحمد طه نجف ، وغيرهم ، وعزاه في الحدائق إلى أكثر متأخري المتأخرين .

فيه قيد العلم .

وقد اختار الأول سيد الفقهاء الخوئي قدس سره ، وصرّح في بحوثه الفقهية العالية بكفاية عدم العلم بالفسق والسوء في تحقق حسن الظاهر (١) .

واختار آخرون الثاني ، من اشتراط العلم بعدم تحقق الفسق والسوء والقدح ، والذي يمكن أن يستفاد ويحرز عبر عدة من القرائن التي من خلالها يعلم بحسن الظاهر الملازم للعدالة شرعاً ، فلا يكفي في تحقق حسن الظاهر - بعد المخالطة - كون الراوي مؤمناً أو مسلماً لم يحرز منه سوء بل لا بد من إثبات حالة سلوكية خاصة تحرز عدم الطعن والقدح فيه ، فيشكّل ذلك حسن ظاهره ، المستلزم لعدالته ووثاقته .

وسواء كان إحراز حسن الظاهر يكفي فيه عدم العلم أم العلم بالعدم ، لا يشترط في العشرة - على القول بها - أن تكون لنفس من يريد إثبات العدالة والوثاقة ، بل يكفي العلم بها وإن كانت بوسائط تنتهي إلى من يعاشر الراوي ويخالطه .

هذا : وقد أهمل عدة من الرجالين هذه الأمانة في التعرف على الثقات والعدول ، مع أنها من أجلّ وأكثر الأمارات التي من خلالها تعرف الوثاقة والعدالة ، بل هي في موارد التعارض متقدمة على التنصيص بالفسق والجرح في موارد كثيرة .

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى : ٢٨٥ ، كتاب الإجتihad .

ومن الواضح الجلي : أن البيئة العلمية للرواة هي محل المعاشرة والمخالطة التي يستفاد منها حسن الظاهر المرتبط بصدق اللهجة .

فكون الراوي : إمامياً ، وصاحب كتاب أو أصلاً ، وكثرة رواية الثقات والأجلاء عنه ، وكثرة رواياته عن الثقات والأجلاء ، وكونه كثير الرواية ، ومعمول برواياته ، ومن مشايخ الإجازة ، وترحم وترضي الأصحاب عليه ، ومن بيت علمي ، واكثر ابن الوليد والصدوق والكليني وابن قولويه والشيخ الرواية عنه ، ولم يطعن عليه ، وذُكر النجاشي والشيخ الطوسي له في أصحابنا المصنفين ، كل هذه الأمور العلمية المرتبطة بصدق اللهجة في الرواة - والتي هي المحور في قبول رواياتهم والعمل بها - يجزم من خلالها بتحقق حسن الظاهر ، إذ على فرض عدم إفادة هذه الأمور حسن الظاهر للراوي ، فأى قرائن يمكن من خلالها إثبات ذلك ؟!

قال خاتمة المحدثين النوري قدس سره : إنَّ عَدَّ الرجل من علماء الشيعة ، وحملة الشريعة ، وتلقي العلماء عنه ، وبذل الجهد ، وتحمل المشاق ، وشد الرحال في البلاد ، وجمع الكتب في أساميهم وأحوالهم وتصانيفهم ، دليل على حسن حاله وعلو مقامه (١) .

إذا عرفت ذلك فنقول : بحثنا ههنا في رواية الأجلاء والثقات عن شخص ما ، هل تدل على وثاقته أو مدحه وجواز الإعتماد والإعتداد به وبرواياته أم لا ؟

الذي عليه المشهور - ظاهراً - هو الإعتداد والإعتماد على روايات من روى عنه الأجلاء والثقات ، وذهب بعضهم إلى دلالة على الوثاقة أيضاً ، وذهب آخرون على دلالة على المدح المعتبر به .

وجزم سيد الفقهاء الخوئي قدس سره بضرر قاطع على أن رواية الأجلاء لا تدل على الوثاقة ولا على الحسن والمدح !!! فمن لم يوثق وروى عنه الأجلاء والعيون والأعظم والحفاظ وأكثروا الرواية عنه ، حديثه ضعيف ، كرواية من نُص على تضعيفه أو قيل في حقه أنه مخلط أو مدلس أو كذاب ، أو ما شابه ذلك .

ولطالما صرح قدس سره بهذه القضية في معجم رجاله تكراراً ومراراً ، وما أكثر الروايات التي أسقطها ولم يعمل بها في بحوثه الفقهية العالية ، لكون بعض رجالها لم يوثق صريحاً مع رواية وإكثار الأجلاء والعيون والأعظم عنه .

أقول :

الرواية عن مَنْ لم ينص على وثاقته ، لا تخلو من حالات :

- ١ / رواية الثقة عنه من دون إكثار .
- ٢ / رواية الثقة عنه مع الإكثار ، كأن يروي أكثر رواياته وبعض كتبه .
- ٣ / رواية عظيم القدر - كالصدوق مثلاً - عنه من دون إكثار .
- ٤ / رواية عظيم القدر عنه مع الإكثار .
- ٥ / رواية الثقات عنه من دون إكثار .

٦ / رواية الثقات عنه مع الإكثار .

٧ / رواية جملة من عظماء القدر وحفاظ الشريعة وسدنة المذهب عنه من دون إكثار .

٨ / رواية جملة من عظماء القدر وحفاظ الشريعة مع الإكثار .

٩ / رواية جميع الأجلاء والعظام عنه في كل الكتب المعتبرة بلا إكثار ، كأن تُروى عنه أربع أو خمس روايات وتذكر في كل الكتب المعتبرة لدى الطائفة .

١٠ / رواية جميع الأجلاء والعظام عنه في كل الكتب المعتبرة مع الإكثار .

١١ / إكثار الرواية عنه من قبل الأعاضم والحفاظ الكبار مع نص النجاشي وابن الغضائري - وغيرهما - على تضعيفه أو قدحه وتليينه ، كما هو الحال في محمد بن سنان وأبي سمينة وسهل بن زياد وغيرهم .
وبتقسيم آخر :

الرواية عن شخص ما أو الإكثار منها ، تارة في خصوص القضايا المرتبطة بالآداب ، وأخرى في السنن المندوبة والممارسات المكروهة ، وثالثة في الواجبات والمحرمات ، ورابعة في قضايا العقيدة وشؤونها ، وخامسة في كل قضايا الدين وشؤونه .

والذي يمكن أن يقال وبضرس قاطع - خلافاً لسيد الفقهاء الخوئي قدس سره - : إن إكثار الثقة الرواية عن شخص اعتماداً فوق

مرتبة التنصيب على وثاقته ، ومنه تعرف حكم من أكثر عنه الثقات أو أجلاء القدر أو عظماء الطائفة ، وذلك لوجوه :

الوجه الأول :

إن الإكثار من الرواية في أصول الدين ومسائل العقيدة وأحكام الشريعة عن شخص ما ، من أمارات ومصاديق حسن الظاهر المستلزم للعدالة والوثاقة .

فلا يقال - جزماً - لمن يكثر الثقة أو الثقات والأجلاء والأعاضم الرواية عنه في أصول الدين وفروعه أن ظاهره ليس بأنيق ، وأن هذا لا يدل على حسن ظاهره ، سيما فيما يرتبط بصدق اللهجة وشؤونها .

فإذا أحرزنا حسن الظاهر فهو ملازم - بلا خلاف أصلاً - للعدالة والوثاقة وصدق اللهجة ، وعند بعض الأعاضم أنه عين العدالة والوثاقة .

قال إمام المحدثين الحاج النوري قدس سره : « وأما الشهادة الفعلية واستظهار حسن الظاهر منها ، بل الوثاقة ابتداءً منها - نظير الوثوق بعدالة الإمام من جهة صلاة العدول معه ^(١) - : فأحسنها وأتقنها وأجلها فائدة في المقام رواية الأجلاء عن أحد ، فإن التتبع والإستقراء في حال المشايخ الأجلة يشهد بأن روايتهم عن أحد واجتماعهم في الأخذ عنه قرينة واضحة على وثاقته ^(٢) ، وما كانوا يجتمعون على

(١) فالصلاة خلفه من أمارات العدالة ، وإكثار الرواية عنه في الجملة من أمارات صدق لهجته .

(٢) قرينة واضحة على حسن ظاهره ، المستلزم لصدق لهجته .

الرواية إلا عمّن كان أجلهم ، وإن روى أحدهم عن ضعيف في مقام شهره ونوهوا باسمه ، ورموه بنبال الضعف ، وربما يوثقونه ثم يقولون : إلا أنه يروي عن الضعفاء ، بحيث يستفاد منه أن الطريقة على خلافه فيحتاج النادر إلى التنبيه ، فإذا كثرت الرواية من الأجلة الثقات عن أحد فدلالته على الوثاقة واضحة .

قال : ولنذكر بعض الشواهد من كلماتهم :

قال النجاشي في ترجمة عبد الله بن سنان بعد ذكر كتبه : روى هذه الكتب عنه جماعات من أصحابنا ، لعظمه في الطائفة وثقته وجلالته .
قال : قال الشيخ المحقق الأستاذ طاب ثراه : يستفاد من هذه العبارة أن إكثار الرواية ، وكثرة الرواة عن شخص مما يدل على الوثاقة ، وهو كذلك بعد الفحص التام ... » (١) .

وعلق عليه بعض المعاصرين - تبعاً للسيد الخوئي قدس سره - :
أن غاية ما يستفاد منه هو أن رواية الثقة عن رجل دليل على اعتماده عليه ، وأين هذا من التوثيق أو الشهادة بالمدح أو الحسن ، ثم إنه لو صحت هذه الدعوى لما بقيت لنا رواية ضعيفة في كتب الثقات من أصحابنا المحدثين ، وللزم التسلسل في الوثاقة من صاحب الكتاب إلى شيخه حتى يصل إلى المعصوم عليه السلام ، مع أننا نرى أنهم كثيراً ما يروون عن الرواة مع تصريحهم بجرحهم وقدحهم وضعفهم (٢) .

(١) خاتمة المستدرک : ٩٨/٧ * مستدرکات مقباس الهداية : ١٦٨/٦ .

(٢) مستدرکات مقباس الهداية : ١٦٨/٦ .

ثم أن هذه الكثرة التي ادعاها ليست بصحيحة ، فلا نجد من أكثر النجاشي - مثلاً - الرواية

أقول : إكثارُ الأجلة الثقات العظام الرواية عن أحد محققٍ - قطعاً - لأبرز مصاديق حسن الظاهر المرتبط بصدق اللهجة ، ولا يشترط في الحكم بعدالة شخص أو مدحه التصريح بذلك لفظاً ، بل الإعتماد عليه - كالصلاة خلفه أو العمل برواياته أو الإكثار منها - عملاً كاف في ذلك . نعم مجرد الرواية عنه من دون إكثار لا تفيد قطعاً ذلك ، وما نُقل من نقوض على هذه القاعدة العقلائية الإجتماعية البديهية أجنبي عن المقام .

ولم نجد أن مجموعة من الأجلة - جميعاً - نصوا على تضعيف أحدٍ من الرواة ثم أكثروا الرواية عنه ، إلا فيما يرتبط بفساد العقيدة والتوقف في الاعتقاد بالأئمة عليهم السلام ، ومع ذلك حتى في مثل هذه الحالة توقفوا في الرواية عنه واكتفوا بالروايات التي تحملوها عنه قبل الإنحراف العقائدي كما هو الحال في البطائني والعبرتائي وغيرهما .

بل نقول - بلا مجازفة - : إن إكثار الثقة الجليل الحافظ عن أحد من الرواة كاشف أيضاً على ذلك ، إذ الثقة قد يروي عن الضعيف ، لكنه لا يكثر من الرواية عنه في القضايا المرتبطة بهذه النشأة ، فكيف يكثر عنه فيما يرتبط بأصول الدين وفروعه .

ولو تعاملنا مع « علم الرجال وتقييم الرواة » على أنه علم أشبه وأقرب بالعلوم الرياضية لا الإجتماعية ^(١) ، لأمكن القول بأن إكثار

عنه وصريحٌ بقدحه وضعفه ، والإستقراء ببابك .

(١) ومشكلة الكثير - ومنهم عدة من الأعظم - أنهم تعاملوا مع علم الرجال على أنه

الأعاضم والأجلة الرواية عن رجل تدل على وثاقته أيضاً، بقرينة ما يأتي من أنهم كانوا يطعنون فيمن يروي عن الضعاف فكيف يجمعوا على الرواية عنه ، وهذا ما أشار إليه الإمام الحاج النوري قدس سره بقوله السابق : « وما كانوا يجتمعون على الرواية إلا عمن كان أجلهم ، وإن روى أحدهم عن ضعيف في مقام شهره ونوهوا باسمه ، ورموه بنبال الضعف » ، وسيأتي في الوجه الثاني .

وإكثار الرواية وإن كان ليس هو قولاً بالوثاقة والعدالة صريحاً ، ولكنه مستلزم لحسن الظاهر ، وحسن الظاهر من أمارات العدالة .

الوجه الثاني :

تجنب الثقات - فضلاً عن الأجلاء العظام وكبار الحفاظ - الرواية ولو قليلاً عن الضعفاء ، وهذا هو ديدن أصحابنا رحمهم الله ، وإذا روى أحدهم أو أكثر الرواية عن الضعفاء نوه باسمه ، فيقال عنه بأنه يروي عن الضعفاء ^(١) ، فلو كان دأب الأصحاب الرواية عن الضعفاء والمجهولين لما كان ثمة مبرر وفائدة من تخصيص ذلك ببعضهم دون البعض الآخر .

علم كالعلوم الرياضية ، لا بد فيه من التنصيب على وثاقة الرواة ، مع أنهم في حياتهم الإجتماعية والدينية يكتفون بحسن الظاهر على العدالة والوثاقة وصدق اللهجة .

(١) كما هو الحال في الثقة الأجلاء : الحسن بن محمد بن جمهور وأحمد بن محمد البرقي وأحمد بن محمد بن جعفر الصولي وعلي بن أي سهل ، ومحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري ومحمد بن مسعود العياشي ومحمد بن عمر الكشي ومحمد بن جعفر الأسدي ونصر بن مزاحم ، وغيرهم .

ويشهد لذلك - أيضاً - ما قاله النجاشي - في ترجمة الجليل جعفر ابن محمد بن مالك الفزاري رحمه الله -: « كان ضعيفاً في حديثه ، قال أحمد بن الحسين : كان يضع الحديث وضعاً ويروي في المجاهيل !!! وسمعت من قال : كان أيضاً فاسد المذهب والرواية ، ولا أدري كيف روى عنه شيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همام ، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الزراري رحمها الله ، وليس هذا موضع ذكره » .

فظاهر - بل صريح - كلامه قدس سره أن الرواية عن الضعفاء عند الأصحاب أمر غريب ، وأن دأبهم تجنب الرواية عن الضعفاء ، وإذا روى الثقة الجليل عن الضعيف - ولو في نظر بعضهم ^(١) - كان موضعاً للتعجب والاستغراب .

ومما يؤيد بل يدل على ذلك أيضاً ذهاب عدة من الأعظم - ومنهم سيد الفقهاء الخوئي قدس سره - إلى وثاقة وجلالة وعلو مرتبة مشايخ النجاشي قدس سره إستناداً لمجموعة من القرائن والكلمات ذكرها النجاشي في كتابه الشريف .

كقوله السابق حينما ساق ترجمة الجليل جعفر بن محمد بن مالك الفزاري رحمه الله .

وما قاله في حق الجليل أحمد بن محمد بن عبيد الله بن عياش الجوهري رحمه الله : رأيت هذا الشيخ ، وكان صديقاً لي ولوالدي ،

(١) فإن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري من الأجلاء الكبار ، إن لم يكن من الأولياء .

وسمعت منه شيئاً كثيراً ، ورأيت شيوخنا يضعفونه فلم أرو عنه شيئاً ،
وتجنبته ، وكان من أهل العلم والأدب القوي ، وطيب الشعر ، وحسن
الخط رحمه الله وسامحه .

وما قاله في حق الحافظ الجليل أبي المفضل الشيباني رضي الله
عنه : كان في أول أمره ثباتاً ثم خلط ، ورأيت جل أصحابنا يلمزونه
ويضعفونه ، له كتب كثيرة ... رأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيراً ، ثم
توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه (١) .

قال الإمام النوري قدس سره : « وَمَنْ هَذَا كَلَامُهُ ، وَهَذِهِ طَرِيقَتُهُ فِي
نَقْدِ الرِّجَالِ وَانْتِقَادِ الطَّرِيقِ ، وَالتَّجَنُّبِ عَنِ الضَّعْفَاءِ وَالْمَجَاهِيلِ ،
وَالْتَعْجَبِ مِنْ ثِقَةٍ يَرْوِي عَنْ ضَعِيفٍ ، لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَرْوِيَ عَنْ ضَعِيفٍ أَوْ
مَجْهُولٍ ، وَيَدْخُلُهُمَا فِي الطَّرِيقِ ، خُصُوصاً مَعَ الْإِكْثَارِ وَعَدَمِ التَّنْبِيهِ عَلَى
مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّعْفِ أَوِ الْجَهَالَةِ ، فَإِنَّهُ إِغْرَاءٌ بِالْبَاطِلِ ، وَتَنَاقُضٌ أَوْ
اضْطِرَابٌ فِي الطَّرِيقَةِ ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ مَشَايخُهُ الَّذِينَ يَرْوِي عَنْهُمْ ثِقَةً
جَمِيعاً » .

(١) وقد ذكرنا أن منشأ روايته مع الوساطة لاحراز روايته عن أبي المفضل وقت الضبط
والثبوت ، إذ أن أبا المفضل مات وعمر النجاشي ١٥ سنة .
قال الإمام النووي نقلاً عن بعض الأجلاء : ولعل المراد بالإستثناء ما ترويه الوساطة عنه
حال الإستقامة والثبوت ، والإعتماد على الوساطة بناءً على أن عدالته تمنع عن روايته
عنه ما ليس كذلك ، وعلى التقديرين يفهم منه عدالة الوساطة بينه وبين أبي المفضل ،
 وعدالة الوسائط بينه وبين غيره من الضعفاء مطلقاً .
وقال الوحيد البهبهاني في تفسير روايته بالوساطة : مجرد تورع واحتياط عن اتهامه
بالرواية عن المتهمين ، ووقوعه فيه كما وقعوا فيه .

قلت : فإذا كان حال النجاشي قدس سره هو هكذا يجتنب الرواية عن المقدوح فيهم ولو لم يكونوا ضعفاء في نظره ، فما حالك بأرباب المذهب وسدنة هذا الدين ، الذين لا يقاس - قطعاً - النجاشي قدس سره بهم علماً وفقهاً وحفظاً وعظمة ، كأصحاب الإجماع الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم ، وكالحميري والصفار وسعد بن عبد الله القمي والطار والكليني وابن الوليد وابن بابويه وشيخ الحفاظ الصدوق والطوسي ، وغيرهم .

الوجه الثالث :

ذم الأصحاب لكل من يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل ولا يبالي عمّن يأخذ ، وهذا ما تسالم عليه علماء الدراية والرجال من كون ذلك أحد أسباب الذم للراوي .

فهذا شيخ القميين وزعيم الطائفة أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، أخرج الثقة الثبت الحافظ أحمد بن محمد البرقي من قم المقدسة لروايته عن الضعفاء والمجهولين .

وعليه : فالتجنب - الملاحظ بوضوح لدى الأصحاب - عن الرواية عن الضعفاء والمجهولين ، والغمز في الثقة أو الأجلاء العظام لروايتهم عن الضعفاء ، لا ينسجم - قطعاً - مع القول بأن إكثار الرواية لا يعد من أمارات العدالة والوثاقة والمدح والثناء وحسن الظاهر .

فقول الرجاليين وأصحاب الجرح والتعديل في مقام التضعيف أنه يروي عن الضعفاء ، في قوة التوثيق لكل من يروي الثقات

والأجلاء عنه بكثرة .

وقد سلم سيد الفقهاء الخوئي قدس سره بزم الأصحاب من يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل ، فقال : « بأن الرواية عن الضعاف كثيراً كان يُعدّ قدحاً في الراوي فيقولون إن فلاناً : يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل ، ومع ذلك إنه لم يكن مثبتاً في أمر الرواية ، فيروي كل ما سمعه عن أي شخص كان ، وأما الرواية عن ضعيف أو ضعيفين في موارد خاصة فهذا لا يكون قدحاً ولا يوجد في الرواة من لم يرو عن ضعيف أو مجهول أو مهمل إلا نادراً » (١) .

وعلق عليه شيخنا السند دام ظله : « إذا كانت الرواية عن الضعاف كثيراً يعدّ قدحاً فكيف لا يكون العكس مدحاً ، وهو رواية الأجلاء كثيراً عن راوٍ بعينه ، وإذا كانت الرواية في موارد خاصة قليلة لا تعدّ قدحاً فالرواية كثيراً في موارد عامة تعدّ قدحاً لو كانت عن ضعيف .

قال : فالسيد الخوئي قدس سره يسلم ويقر بأن رواية الأجلاء بكثرة عن شخص يدل على وثاقته ، مع أنه لم يلتزم هذا المبنى عملاً في الرجال ، فضلاً عن أن يجعل هذا التوثيق مقدماً على آراء النجاشي وفتاويه ، مع أن هذا التوثيق منبغ لا ريب في كونه حسياً بخلاف آراء النجاشي وأشياخه » .

الوجه الرابع :

ما قاله شيخنا السند دام ظله : « إن فقهاء الرواة وكبارهم يفتنون

ويتنبهون إلى أن الإكثار من روايات راوٍ في الأبواب الفقهية أو أبواب المعارف يوجب الإعتقاد عليه في تشييد ورسم قواعد الدين والشريعة وأصول تلك الأبواب ، فالأمر يتجاوز عن مجرد الوثاقة في اللسان والصدق في اللهجة ، بل يترقى ويتصاعد إلى الإعتقاد عليه في بناء معالم الدين وأخذها ، وهو يزيد في الخطورة على مجرد اعتبار الرواية الواحدة وخبر الواحد إلى درجة البحث في اعتبار من يؤخذ عنه الدين والآثار للوصول إلى معالمه وأركانه ، أي أن هذه الموقعية ليست موقعية الراوي العادل الثقة ، بل موقعية من يكون علماً في الدين ورئيساً من رؤساء المذهب ومن الأركان لا مجرد رواية عادل وثقة .

قلت : ولذا ورد في الروايات قول عدة من الثقات والأجلاء للائمة عليهم السلام « عَمَّنْ أَخَذَ مَعَالِمَ دِينِي » (١) .

وقال الشيخ جعفر السبحاني دام ظله : إن كثرة تخريج الثقات عن شخص دليل على وثاقته لوجهين :

الأول : ما عرفت أن كثرة الرواية عن الضعاف كانت تعد من أسباب الضعف ، حتى آل أمر أحمد بن محمد بن خالد ، وسهل بن زياد الأدمي إلى الإقصاء من قم .

الثاني : إن كثرة النقل عن شخص آية كون المروي عنه ثقة ، وإلا عاد النقل لغواً ومرغوباً عنه ، وهذا بخلاف قلة النقل ، فإنه مع كونه أمراً

(١) وسائل الشيعة : كتاب القضاء ، أبواب صفات القاضي باب ١١ ، حديث : ٢٧ ، ٣٣ .

يحيى ، عن أبيه ، عنه ، بكتبه .

قال السيد الخوئي قدس سره : الذي يظهر من مجموع الكلمات ، أن الأساس في تضعيف الرجل هو ابن الوليد ، وقد تبعه على ذلك الصدوق ، وابن نوح وغيرهما ، وهذا يكفي في الحكم بضعفه (١) .

قلت : تضعيف ابن الوليد له مفسر بالغلو ، وقد ذكر النجاشي بأن له كتاب في الرد على الغلاة ، والغلو المتهم به هو علو بحذف النقطة ، ولذا لم يجزم الشيخ النجاشي في ترجمته بضعفه وإنما نسبه إلى ابن الوليد . ومما يؤيد - بل يدل - على أن الصدوق لا يروي إلا عمّن يرتضيه أنه لم يرو في كل كتبه عن محمد بن موسى الهمداني ، والإستقراء ببابك .

الوجه السادس :

أن إكثار رواية الأجلاء عن شخص من أمارات كونه من المعاريف وكونه كذلك - مع عدم وجود الطعن والذم - من أقوى أمارات حسن الظاهر .

قال شيخنا التبريزي قدس سره : أن رواية الأجلاء عن شخص كثيراً ، وكثرة روايته عن الرجال يوجب كون الشخص من المعاريف ، وإذا لم ينقل في حقه ضعف يكون ذلك كاشفاً عن حسن ظاهره المحكوم معه بالعدالة والثقة ، لجريان العادة أنه لو كان في المعروف عيب يذكر في لسان البعض ، وعدم ذكر التوثيق الخاص في كلمات مثل

النجاشي فلأنهم تعرضوا لذكر التوثيق فيمن وصل فيه التوثيق الخاص من سلفهم (١) .

قلت : وما أكثر الأجلاء والثقات ممن أهمل النجاشي وكذا الشيخ - كثيراً - توثيقهم وتعديلهم بل مدحهم والثناء عليهم .

نقوض واعتراضات :

قد ذهب السيد الخوئي قدس سره إلى أن إكثار الثقة أو الثقات أو الأجلاء الكبار الرواية عن شخص لا يدل على وثاقته ، وكذا لا يدل على مدحه !!!

قال قدس سره : « وقد أفرط المحدث النوري في المقام ، فجعل رواية مطلق الثقة عن أحد كاشفاً عن وثاقته واعتباره (٢) ، ومن هنا أستدرك على صاحب الوسائل جماعة كثيرة لرواية الثقات ، كالحسين ابن سعيد ، ومحمد بن أبي الصهباء ، والتلعكبري ، والشيخ المفيد ، والغضائري ، وأمثالهم .

وهذا غريب جداً ، فإن غاية ما يمكن أن يتوهم أن تكون رواية ثقة عن رجل دليلاً على اعتماده عليه ، وأين هذا من التوثيق أو الشهادة على حسنه ومدحه ، لعل الراوي كان يعتمد على رواية كل إمامي لم يظهر منه فسق ، ولو صحت هذه الدعوى لم تبق رواية ضعيفة في كتب

(١) تنقيح مباني العروة : ٣/٥٠ كتاب الطهارة .

(٢) وقد تقدم أن الحاج النوري قدس سره لم يجعل مطلق رواية الثقة من أمارات العدالة والوثاقة .

الثقات من المحدثين ، سواء في ذلك الكتب الأربعة وغيرها ، فإن صاحب الكتاب المفروض وثاقته إذا روى عن شيخه يحكم بوثاقة شيخه ، وهو يروي عن شخص آخر فيحكم بوثاقته أيضاً^(١) .

وهكذا إلى أن ينتهي إلى المعصومين عليهم السلام ، وكيف تصح هذه الدعوى ، وقد عرفت أن صفوان وابن أبي عمير والبزنطي وأضرابهم قد رَوَوْا عن الضعفاء ، فما ظنك بغيرهم^(٢) ؟!

هذا مع أن الرواية عن أحد لا تدل على اعتماد الراوي على المروي عنه ، فهذا أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الضبي أبو نصر روى عنه الشيخ الصدوق في كتاب العلل والمعاني والعيون وقال فيه ما لقيت أنصب منه ، وبلغ من نصبه أنه كان يقول : « اللهم صلى على محمد فرداً » ويمتنع من الصلاة على آلِهِ^(٣) .

ويمكن تلخيص ما ذكره قدس سره من رفضه لهذه القاعدة في أمور ذكرها في كلامه وهي :

الأمر الأول : أن إكثار الثقة عن أحد الرواة يدل على اعتماده عليه ، وهذا لا يلزم التوثيق أو الشهادة على حسنه ومدحه ، إذ لعل الراوي كان يعتمد على رواية كل إمامي لم يظهر منه فسق ، فمنشأ الإيعتماد عليه

(١) وهذه الدعوى لا يمكن تصور أن الحاج النوري - إمام المحدثين - يقبلها .
(٢) لا يوجد من ضعفه ابن أبي عمير أو صفوان أو البزنطي وأكثروا عنه ، نعم رَوَوْا عن من ضعفه أعلام المدرسة البغدادية - مثلاً - ، وليس موضوع البحث فيمن روى عنه الثقات مطلقاً - ولو رواية واحدة - وإنما من أكثر عنه الثقة أو الثقات .
(٣) معجم رجال الحديث : ١ / ٧٠ .

ليس لكونه ثقة أو ممدوح في نظر الراوي وإنما لاعتماده على أصالة العدالة.

قلت : قد احتمل سيد الفقهاء الخوئي قدس سره بناء قدماء الأصحاب على أصالة العدالة ، وجزم بعمل العلامة الحلي قدس سره بها ، وقد ذكرنا في ملحق : ٢ ، بأن ما أحتمله بالنسبة لقدماء الأصحاب لا شاهد عليه أصلاً ، وكلماتهم ناصة على خلافه ، وكذا ما نسبته إلى العلامة الحلي من قوله بأصالة العدالة ، فإن كلماته خلاف ذلك ، نكتفي بذكر مثال واحد ، ومن أراد المزيد من التفصيل فليراجع الملحق المزبور .

قال العلامة الحلي قدس سره في ترجمة : زيد النرسي والزراد : ولمّا لم أجد لأصحابنا تعديلاً لهما ولا طعناً فيهما ، توقفت عن قبول روايتهما (١) .

فلو كان العلامة قائلاً بما يسمى « أصالة العدالة » لما توقف في قبول رواية زيد النرسي والزراد ، مع وجود أمارات كثيرة على مدحهما .

وقد صرح قدس سره في عدة من كتبه على أن العدالة هي الملكة الراسخة في النفس والتي تبعث على ملازمة التقوى والمروة (٢) ، وهي شرط في قبول الرواية ، وذهب في بعض كلماته إلى عدم قبول رواية

(١) خلاصة الأقوال : ٣٤٨ .

(٢) إرشاد الأذهان : ١٥٦/٢ * تحرير الأحكام : ٢٤٦/٥ * مختلف الشيعة : ٤٨٤/٨ .

المجهول^(١) ، بل هو أول من فسّر العدالة بالملكة ، وإلى ذلك أشار صاحب الجواهر قدس سره بقوله : لم أعثر على هذا التعريف - أي تعريف العدالة بالملكة - لغير العلامة^(٢) .

ومما يقطع من خلاله بأن العلامة قدس سره لا يركن - أصلاً - لأصالة العدالة : أنه لم يوثق ويعتمد على كثير من رواة الأحاديث ممن لم يرد في حقهم تعديل ولا جرح وأدرجهم في القسم الثاني من كتابه ، أو لم يذكرهم أصلاً ، مع أنهم معنونون في رجال النجاشي وكتب الشيخ .

وعليه : فدعوى أن القدماء والعلامة الحلي يعتمدون في تصحيحهم للروايات على أصالة العدالة مزعمة لا شاهد ولا دليل عليها .

فإكثار الراوية عن راوٍ معين اعتماد عليه - كما أفاد السيد الخوئي قدس سره - ، وهو كاشف على وثاقة المروي عنه ومدحه ، بل يمكن القول بأن الإعتداد في الرواية على أحد الرواة من أعلى مراتب الوثاقة والعدالة ، لأن الإكثار - كما قال شيخنا السند دام ظله - من الرواية في الأبواب الفقهية أو أبواب المعارف يوجب الإعتداد عليه في تشييد ورسم قواعد الدين والشريعة وأصول تلك الأبواب ، فالأمر يتجاوز عن مجرد الوثاقة في اللسان والصدق في اللهجة ، بل يترقى ويتصاعد

(١) مبادئ الأصول : ٢٠٦ .

(٢) جواهر الكلام : ٢٩٤ / ١٣ .

إلى الإعتماد عليه في بناء معالم الدين وأخذها .

وعلى فرض أن بعضهم قائل وعامل بها - مع أن كلماتهم صريحة في العدم - فإن جلالتهم وحرصهم على حفظ الدين وإيصاله لمن بعدهم قاضية بأن عملهم بهذه القاعدة في موارد قليلة ، لا الإعتماد عليها في كل مسائل الدين وشئون الشريعة .

فقد يروي عظماء الطائفة - كابن أبي عمير وصفوان والحميري وابن أبي الخطاب والبزنطي والصفار وسعد القمي والكليني وابن الوليد وشيخ الحفاظ الصدوق وغيرهم - عن الضعيف ، ولكنهم لا يكثرون الرواية عنه من دون الإشارة إلى ضعفه أو جهالته ، وهم سدنة هذا الدين وأمناء الله على حاله وحرامه .

قال شيخنا السند دام ظله : « إن الإشكال في اعتماد أجلاء الرواة وأصحاب الإجماع على شخص إذا كان يسقط دلالة واعتباره وأماريته على التوثيق بسبب احتمال اعتمادهم على أصالة العدالة أو على حسن الظاهر ونحوها من المباني المخدوشة ، فلماذا لا يحتمل ذلك في جرح النجاشي وابن الغضائري والفضل بن شاذان والكشي وتضعيفهم » .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن الإعتماد في الرواية وإن كان ليس هو عين الوثاقة والمدح - كما صرح سيد الفقهاء الخوئي قدس سره - ولكنه يستلزم ذلك قطعاً ، إذ لا يشترط في الحكم بعدالة شخص أو وثاقته أو مدحه التصريح بذلك لفظاً والإقتصار على خصوص الشهادة اللفظية ، بل احراز العدالة والوثاقة والمدح في الأعم الأغلب ناشيء من

الشهادات الفعلية ، كالصلاة خلفه وقبول شهادته فيما يشترط فيه العدالة .

والإعتماد والإكثار من الرواية في أصول الدين وتفاصيل الشريعة محقق جزماً لحسن الظاهر المرتبط بصدق اللهجة ، وحسن الظاهر باتفاق الكل من أمارات العدالة والثقة والمدح المعتبر به ، نعم - كما قلنا - مجرد الرواية عنه من دون إكثار لا تفيد ذلك .

بل يمكن القول - وبضرس قاطع - أن الإكثار من الرواية في ما يخص أصول الدين وفروعه الراسمة لمنظومة الدين وأحكام الشريعة اعتماداً فوق مرتبة الوثاقة وصدق اللهجة ، فليس هو حسن ظاهر فحسب ، بل تحقيق لحال وجلالة المروي عنه .

الأمر الثاني : لو صحت هذه الدعوى لم تبق رواية ضعيفة في كتب الثقات من المحدثين ، فإن صاحب الكتاب المفروض وثاقته إذا روى عن شيخه يحكم بوثاقة شيخه ، وهو يروي عن شخص آخر فيحكم بوثاقته أيضاً ، وهكذا .

وفيه : ليس البحث في أن مجرد الرواية عن شخص موجهة لمدحه وجواز الإعتماد عليه ، وإنما البحث في إكثار الثقة أو الجليل القدر أو الثقات أو الأجلة العظماء في الرواية عن شخص في الأمور الراسمة لهيكله الدين وشؤون الشريعة وأحكامها .

فلو افترضنا أن شيخ الحفاظ الصدوق قدس سره قد أكثر الرواية

عن أحد الرواة وعمل بها، من دون أن يشير إلى ضعفه أو جهالته، فهذا يدل على حسن ظاهره الملازم لصدق لهجته، فإذا أكثر شيخه هذا عن راوٍ ما يمكن الحكم بحسنه، بل بوثاقته على تردد.

فقد أكثر الصدوق قدس سره الرواية عن المفسر الإسترابادي مع الترضي والترحم عليه كثيراً، فيحكم بوثاقته وجلالته لأمرين: كثرة الترضي والترحم عليه، وكثرة الرواية والإعتماد عليه، ولأمرين آخرين يرتبطان بالشيخ الصدوق قدس سره: من أنه كان عارفاً بالرجال، وأن شيوخ الطائفة الكبار حدثوا عنه وهو حدث السن.

وقد روى المفسر الإسترابادي تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن شخصين إماميين مجهولين - لدينا ولدى أعظم البغداديين من علماء الرجال - فيمكن استكشاف مدحهما بل توثيقهما على تردد - من خلال رواية واعتماد المفسر الإسترابادي عليهما، وذلك بروايته لتفسير الإمام العسكري عليه السلام بأكملة عنهما.

قال شيخنا السند دام ظله: «إن الإعتماد على قرينة رواية الثقة لا يستلزم توثيق كل الرواة وانعدام الرواية الضعيفة في كتب الحديث، وذلك لأن هذه القرينة ليست مستقلة في الاعتبار^(١)، وإنما هي جزء من مجموع القرائن تراكم وتنضم إلى بعضها البعض كي تصل بدرجة الاعتبار إلى الإطمئنان، فلا يعتمد عليها بمفردها كي يستلزم توثيق

(١) والذي نراه أن إكثار الثقة والجليل القدر الرواية عن راوٍ مع عدم الطعن فيه أصلاً من الأمارات والشواهد المستقلة على الوثاقة وحسن الحال والمَدح المَعْتَد به.

جميع الرواة ، إذ في كثير منهم لم تتوفر قرائن أخرى ضميمية تصل إلى درجة الإطمئنان بالوثاقة .»

قلت : وظاهر كلامه - دام ظله - فيما إذا كانت رواية الثقة والجليل القدر قليلة ، لا فيما إذا كانت كثيرة وفي كل محاور الدين والشريعة .

الأمر الثالث : أن من قيل في حقه أنه لا يروي إلا عن الثقات ويتجنب الضعفاء كصفوان بن يحيى ومحمد بن أبي عمير وأحمد بن محمد البنزطي وأضرابهم قد رووا عن الضعفاء ، فما ظنك بغيرهم .

وفيه :

ليس ثمة راوٍ أكثر الرواية عنه هؤلاء الثلاثة العظام أجمع على ضعفه وفسقه ، كما ليس ثمة راوٍ أكثر الرواية عنه ابن أبي عمير - مثلاً - أجمع أيضاً على ضعفه ، والإستقراء ببابك .

نعم لو صرح ابن أبي عمير أو غيره من الأعاظم بضعف أحد الرواة وأكثروا الرواية عنه لأمكن القول بأن إكثار الأصحاب الرواية عن الشخص لا تدل على حسن الحال والعدالة وصدق اللهجة (١) .

وتضعيف المدرسة البغدادية لبعض الرواة لا يلزم منه تضعيف سائر المدارس الأخرى له وبالعكس ، بل يستفاد من خلال كثرة رواية المعاصرين العظام أن من جرحه النجاشي أو الطوسي أو الفضل بن

(١) وقد يصرح الجليل بضعف أحد الرواة وينسب التضعيف إلى غيره مع كثرة الرواية عنه والعمل برواياته ، وهذا يعطي أنه غير مائل ومرتبض لتضعيفه وقدحه ، أو أن مصب الجرح والتضعيف أمور لا ربط لها بالوثاقة وصدق اللهجة .

شاذان أو الكشي - قدس الله سرهم - إنما هو لأمو لا ترجع إلى العدالة والوثاقة وصدق اللهجة ، وإنما لأمو أخرى كتهمة الغلو وعدم الضبط والخلط وما شابه ذلك ، والإستقراء ببابك (١) .

فلو افترض أن ثمة راو أجمع الكل على ضعفه ، كما أجمعوا على الإكثار من الرواية عنه في أصول الدين وتفصيل الشريعة ، لأمكن القول - بل يجزم - بكون منشأ التضعيف والقده أموراً لا ربط لها بالوثاقة والعدالة وصدق اللهجة ، فتدبر .

قال شيخنا السند دام ظله : « إن موارد النقض التي ذكرها السيد الخوئي قدس سره بأن أصحاب الإجماع والأجلاء الثقات رووا عن الضعفاء جلها بل كلها ليست من الضعاف المتفق على تضعيفهم ، إلا على مبنى من يجعل من تضعيف وجرح النجاشي ناموساً لا يخرم .

وبعبارة أخرى : إن الموارد المستشهد بها للنقض بالرواية عن الضعفاء إنما هو ضعف حالهم باعتقاد النجاشي ورأيه ، وليس ضعف بحسب الواقع ونفس الأمر ، بل هذا شاهد وبرهان على اختلاف منهج التقليد لآراء وأقوال النجاشي مع منهج الاجتهاد الرجالي بالإستدلال بالشهادات العلمية لأجلاء وكبار الرواة .

(١) ولذا صرح الوحيد البهبهاني قدس سره وغيره من أعلام هذا الفن بأن الضعيف ليس بمعنى الكذب وغير الثقة في لسانه ، بل هو بمعنى المتساهل أو المهمل في الضبط والتدقيق والتميز والتحصيل ، والذي يكون ليناً في حديثه أي لا يكون ثباتاً ، وعليه فتضعيف الرواة في موارد كثيرة جداً - سيما من روى عنه الأجلاء والعيون - لا يتصادم مع توثيقهم وعدالتهم وصدق لهجتهم .

قال : ثم أنه كيف يُرجَّح نظر النجاشي وابن الغضائري واعتقادهم ورأيهم وفتواهم على رأي أصحاب الإجماع وأجلاء الرواة مع أن أولئك معاصرون لبقية الرواة وأقرب عهداً وأكثر إحاطة ، ومستند آرائهم هو الحس ، بينما النجاشي وابن الغضائري ونحوهما متأخرون عهداً ، وآراؤهم وفتاواهم ليست إخبارات مسندة ، ودعوى كون مستندهم التواتر أو الإستفاضة يرده مخالفة كبار الرواة في الرأي والجرح والتعديل لهم .

الأمر الرابع : أن الرواية عن أحد لا تدل على اعتماد الراوي على المروي عنه ، فهذا أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الضبي أبو نصر روى عنه الشيخ الصدوق في كتاب العلل والمعاني والعيون وقال فيه ما لقيت أنصب منه ، وبلغ من نصبه أنه كان يقول : « اللهم صلى على محمد فرداً » ويمتنع من الصلاة على آله .

وفيه :

أولاً : أن الشيخ الصدوق قدس سره قد أشار إلى ضعفه وقال بأنه أنصب من لقي ، وكلامنا في من لم ينص عليه بجرح ولا تعديل ، فهذه المادة الرجالية لنا لا علينا .

وثانياً : أن الكلام فيمن أكثر الرواية عنه ولم ينص على قدحه ، لا من روى عنه رواية أو ثلاث أو أربع روايات لا أكثر .

وثالثاً : أن ما رواه الصدوق عن الضبي هذا مخالف للنصب وموافق لأهل الحق ، فهو من قبيل الإحتجاج عليه وعلى شاكلته .

قال الشيخ الصدوق قدس سره: حدثنا أبو نصر أحمد بن الحسين ابن أحمد بن عبيد النيسابوري المرواني بنيسابور، وما لقيت أنصب منه، قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران السراج، قال: حدثنا الحسن بن عرفة العبدى، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، عن محمد بن إسرائيل، عن أبي صالح، عن أبي ذر رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، نسب الله يمينه العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة، حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمننا بنصفين فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً في صلب أبي طالب، وجعل في النبوة والبركة، وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشق لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، والله الأعلى وهذا علي (١).

وقال: حدثنا أبو نصر أحمد بن الحسين وما لقيت أنصب منه وبلغ من نصبه أنه كان يقول: اللهم صلى على محمد فرداً، ويمتنع من الصلاة على آله، قال: سمعت أبا بكر الحاملي الفراء في سكة حرب نيسابور وكان من أصحاب الحديث، يقول: أودعني بعض الناس وديعة فدفتها

(١) علل الشرائع: ١٣٥ * معاني الأخبار: ٥٦.

ونسيت موضعها ، فتحيرت ، فلما أتى على ذلك مدة جاءني صاحب الوديعه يطالبني بها فلم أعرف موضعها وتحيرت واتهمني صاحب الوديعه فخرجت من بيتي مغموماً متحيراً ، ورأيت جماعة من الناس يتوجهون إلى مشهد الرضا عليه السلام ، فخرجت معهم إلى المشهد وزرت ودعوت الله عز وجل أن يبين لي موضع الوديعه ، فرأيت هناك فيما يرى النائم كأن أت أتانني فقال لي : دفنت الوديعه في موضع كذا وكذا ، فرجعت إلى صاحب الوديعه فأرشدته إلى ذلك الموضع الذي رأيته في المنام ، وأنا غير مصدق بما رأيته ، فقصد صاحب الوديعه ذلك المكان ، فحفره واستخرج الوديعه بختم صاحبها ، فكان الرجل بعد ذلك يحدث الناس بهذا الحديث ، ويحثهم على زيارة هذا المشهد على ساكنه التحية والسلام (١) .

وروى رواية ثالثة عنه دالة على صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن الحسين ، حدثنا أبو القاسم محمد ابن عبيد بن بابويه الرجل الصالح ، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم ، حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر أبو السيد المحجوب إمام عصره بمكة حدثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء

فلم يرو عنه إلا ثلاث أو أربع روايات ، وهي خلاف معتقده ، وقد

أشار إلى ضعفه ونصبه (١) ، ومحل الكلام في من يكثر الرواية عنه في
شئون الدين وتفاصيل الشريعة مع عدم الطعن عليه .

(١) وإنما أشار إلى ضعفه ونصبه للإطمئنان أكثر فأكثر بصدور الرواية ، لأنها مخالفة
لمعتقده ، فتدبر .

ملحق : ٤ .

أمارية الترحم والترضي على العدالة

قال سيد الفقهاء الخوئي قدس سره : واستدل على حسن من ترحم عليه أحد الأعلام بأن الترحم عناية خاصة بالمترحم عليه ، فيكشف ذلك عن حسنه لا محالة .

والجواب : إن الترحم هو طلب الرحمة من الله تعالى ، فهو دعاء مطلوب ومستحب في حق كل مؤمن ، وقد أمرنا بطلب المغفرة لجميع لمؤمنين وللوالدين بخصوصهما .

وقد ترحم الصادق عليه السلام لكل من زار الحسين عليه السلام ، بل إنه سلام الله عليه قد ترحم لأشخاص خاصة معروفين بالفسق لما فيهم ما يقتضي ذلك ، كالسيد اسماعيل الحميري وغيره ، فكيف يكون ترحم الشيخ الصدوق أو الكليني وأمثالهما كاشفاً عن حسن المترحم عليه ؟ وهذا النجاشي قد ترحم على محمد بن عبدالله بن محمد بن عبيد الله البهلول بعد أن ذكر أنه رأى شيوخه يضعفونه وأنه لأجل ذلك لم يرو عنه شيئاً وتجنبه (١) .

ويلاحظ على ما قاله قدس سره :

أولاً : ثمة ثلاثة عناوين : الترضي ، والترحم ، والغفران .

فالترضي : هو طلب الرضوان للمترضي عليه .

(١) معجم رجال الحديث : ١ / ٧٤ .

والترحم : طلب الرحمة للمترحم عليه .

والغفران : طلب المغفرة .

وهذه العناوين ليست على مرتبة واحدة ، بل بينهما تفاوت ، فطلب الغفران يكون لمن ارتكب الذنوب ، وطلب الرحمة أعم من ذلك ، أما طلب الرضوان فلا تطلب لمن يرتكب الذنوب ظاهراً شاهراً ، ولذا لا نجد من يترضى على الفساق ومجهولي العدالة ، بل الترضي في كلمات الخاصة - وكذا العامة - مستعمل في خصوص من له شأن عظيم في هذه الأمة .

ولذا لا نجد من يحترم نفسه وعقله يترضى على من يتجاهر بالفسق أو من يجهل عدالته ونزاهته ، بل ذلك مخصوص بالمقدسين من الصحابة والتابعين والعلماء الربانيين ، كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وشهداء الطف والنواب الأربعة والشاه عبد العظيم وغيرهم من رموز الإسلام وأحبار الدين ، ولذا نجد العامة يترضون على كل الصحابة بلا استثناء لقولهم بعدالتهم جميعاً .

وبما أن الصدوق قدس سره وهو العالم بمداليل الألفاظ والعارف أيضاً بالرجال - كما قال في حقه الشيخ الطوسي - لا يمكن أن يترضى إلا على المقدسين ، ولذا لا نجده يترضى إلا على : بعض الصحابة العظام وشهداء الطف والنواب الأربعة ، وعدة كثيرة من مشايخه ، وهذا التبعض في الترضي ليس عبطاً^(١) .

(١) إذ أن الصدوق لم يترحم على كل أسانذته ، بل ترحم على بعض وترك البعض بلا

ومما يؤيد بل يدل على أن الترضي لا يكون إلا على الثقات العدول
أن النجاشي قدس سره لم يترض إلا على الكبار الثقات العدول ، الذين
لهم شأن عظيم في هذه الأمة ، فقد ترضى على :

١ / الثقة العين الثبت الحسن بن علي بن فضال .

٢ / الثقة العين الثبت الحسين بن سعيد الاهوازي .

٣ / الشهيد زيد بن علي عليهما السلام .

٤ / مؤمن قريش أبي طالب عليه السلام .

٥ / شيخ الطائفة المفيد قدس سره .

٦ / عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

٧ / أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام .

٨ / علي بن محمد بن العباس بن فسانجس ، قال : وكان مجرداً في
مذهب الامامية وكان قبل ذلك معتزلياً وعاد وهو أشهر من أن يشرح
أمره .

٩ / علم الهدى السيد المرتضى قدس سره .

١٠ / أبو الحسين بن المهلوس العلوي الموسوي ، قال : ما رأي في
زمانه مثله .

١١ / شيخ الطائفة وصدوق الأمة علي بن الحسين الصدوق قدس

سرّه .

ترحم وترضي ، فلو أنه ترحم على الكل لكان ذلك قرينة على عدم المدح والثناء .

- وكل من ترضى عليه قدس سره ثقة جليل عين عدل .
- كما ترضى الشيخ الطوسي قدس سره في « الفهرست » على :
- ١ / الشيخ المفيد .
 - ٢ / أبان بن تغلب .
 - ٣ / شيخ الطائفة أبو غالب الزراري .
 - ٤ / الثقة العين أبو هاشم الجعفري .
 - ٥ / أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .
 - ٦ / الثقة العين الحسن بن سعيد بن حماد الاهوازي .
 - ٧ / المتكلم المعروف علي بن اسماعيل بن ميثم التمار رضي الله عنه ، قال : وعلي هذا أول من تكلم على مذهب الامامية .
 - ٨ / الثقة العين علي بن يقطين .
 - ٩ / الشيخ الفقيه المعتمد علي بن بابويه والد الشيخ الصدوق .
 - ١٠ / الثقة علي بن حاتم القزويني .
 - ١١ / علم الهدى السيد المرتضى
 - ١٢ / كاتب الأمير عليه السلام ، أبي رافع رضي الله عنه .
 - ١٣ / محمد بن أبي بكر .
 - ١٤ / يحيى بن زيد الشهيد .
 - ١٥ / يحيى بن الحسن العلوي .

وترضى في كتابه الكبير « تهذيب الأحكام » على :

- ١ / أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .
- ٢ / الشيخ الثقة الوكيل محمد بن جعفر الاسدي .
- ٣ / جعفر وعقيل والعباس واخوة الأمير عليه السلام .
- ٤ / ابن عباس .
- ٥ / محمد بن الحنفية .
- ٦ / ثقة الاسلام الكليني .
- ٧ / حميدة والددة الامام الكاظم عليه السلام .
- ٨ / شيخ القميين ابن الوليد .
- ٩ / النائب الثالث الحسين بن روح رضي الله عنه .
- ١٠ / عبد الله بن جعفر .
- ١١ / سيد الشهداء حمزة .
- ١٢ / سليم بن قيس الهلالي .
- وكلهم ثقات .
- وترضى في « الأمالي » على :
- ١ / ابن قولويه .
- ٢ / جعفر بن أبي طالب عليه السلام .
- ٣ / العباس بن عبد المطلب .

- ٤ / أسماء بنت عقيل بن ابي طالب .
 - ٥ / أم المؤمنين أم سلمة .
 - ٦ / عبد العظيم الحسني .
 - ٧ / عمار بن ياسر .
 - ٨ / أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد .
 - ٩ / ميثم التمار .
 - ١٠ / سلمان الفارسي رضي الله عنه .
 - ١١ / أم المؤمنين خديجة عليها السلام .
 - ١٢ / أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .
 - ١٣ / الشريف الصالح الثقة العين أبو محمد الحسن بن حمزة الحسيني .
 - ١٤ / عبد الله بن عباس .
 - ١٥ / دعبل بن علي الخزاعي .
 - ١٦ / أبي عبد الله الثقة جعفر بن محمد بن جعفر العلوي الحسني .
 - ١٧ / أبي سعيد الخدري .
 - ١٨ / جابر بن عبد الله الانصاري .
 - ١٩ / زيد بن علي الشهيد .
- وكلهم ثقات أجلاء بلا خلاف ، سوى أحمد بن محمد بن الحسن

ابن الوليد وهو ممن أكثر الصدوق الترضي والترحم عليه .

وترضى في « الغيبة » على :

١ / الشريف المرتضى قدس سره .

٢ / النائب الأول أبو جعفر العمري .

٣ / سلمان المحمدي .

٤ / الشريف الرضي .

٥ / الثقة محمد بن جعفر الأسدي .

٦ / الحسين بن روح .

٧ / محمد بن أحمد بن العباس بن نوح ، ترضى عليه حفيده شيخ

النجاشي ابن نوح .

٨ / علي بن الحسين والد الصدوق .

٩ / محمد بن الوليد شيخ الصدوق .

١٠ / أبي غالب الزراري .

١١ / أبي جعفر الزنجوزجي .

١٢ / محمود بن ابراهيم بن اسحاق ، وهو شيخ للصدوق .

١٣ / أم كلثوم بن النائب .

١٤ / محمد بن عثمان النائب الثاني .

١٥ / علوية الصفار والحسين بن أحمد بن ادريس ترضى عنهما اخ

الشيخ الصدوق .

- ١٦ / أبي علي بن همام شيخ الطائفة ترضى عليه التلعكبري
- ١٧ / الشريف أبي محمد الحسن بن أحمد بن القاسم المحمدي .
- ١٨ / علي السمرى النائب الرابع رضى الله عنه .
- وترضى الشيخ المفيد قدس سره في كتابه الإرشاد على :
- ١ / عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
- ٢ / العباس بن عبد المطلب
- ٣ / خزيمه ذي الشهادتين
- ٤ / أبي ذر .
- ٥ / حمزة بن عبد المطلب .
- ٦ / قيس بن سعد بن عبادة .
- ٧ / زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .
- ٨ / عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .
- ٩ / سلمان المحمدي عليه السلام .
- ١٠ / مسلم بن عقيل بن عبد المطلب .
- ١١ / عون بن عبد الله بن جعفر من شهداء الطف .
- ١٢ / محمد بن عبد الله بن جعفر من شهداء الطف .
- ١٣ / عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب من شهداء الطف .

١٤ / عثمان بن علي عليه السلام من شهداء الطف .

١٥ / محمد بن الحنفية .

١٦ / زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

١٧ / عبد الله بن الباقر عليه السلام

١٨ / اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام

١٩ / العباس بن جعفر الصادق عليه السلام .

٢٠ / أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام .

ف نجد أن الترضي قد صدر من هؤلاء الأعلام للعظماء والثقة والعدول ، والصدوق قدس سره كما يلاحظ المتتبع من العلماء المتبئين الذين لا يلقون الكلام على عواهنه ، فترضيه لا يكون إلا لمن قد تجاوز قنطرة الوثاقة والعدالة والعظمة ، فهو على غرار ما نعبّر عنه في هذه الأيام عن العظماء المتوفين « قدس سرهم » .

وعليه : ف دليل سيد الفقهاء قدس سره أخص من المدعى ، فهو وإن أمكن قبوله في الترحم لا يمكن قبوله في الترضي لاختلافهما من حيث المرتبة ، واللغة والعرف والعادة تقضي بهذا الاختلاف ، فثمة بداهة بين من يقال فيه « رضي الله عنه » أو « رحمه الله » ، ودليله قدس سره إنما يختص بالترحم لا الترضي ، فلا بد من دليل قاطع على أن ترضي العارف بمداليل الالفاظ ليس بدليل على الوثاقة والعدالة والمدح المعتبر به .

وثانياً : أن الترحم إنما لا يستفاد منه الحسن والمدح إذا كان بشكل عابر أو مرة واحدة ، بخلاف ما إذا أكثر الثقة الجليل من الترحم على أساتذته ، كما هو دأب الصدوق قدس سره فقد أسرف في الترحم على أساتذته ، وهو العارف بالرجال كما قال الشيخ الطوسي ، وهذا كاشف عن مدى قدسية ونزاهة مشايخه عنده كما لا يخفى ، فقد ترحم على بعض أساتذته الذي لم يذكر فيه توثيق خاص أكثر من ألف مرة !!!

فصحيح أن الترحم من حيث اللغة والعرف لا يقتضي العدالة بما هو هو ، ولكن المبالغة والإهتمام بالترحم لأحد الرواة والمشايخ ، القول بعدم اقتضاء ذلك للمدح والحسن مجازفة .

هذا في الترحم فكيف بالإسراف في الترضي على أحد المشايخ والرواة ، وعليه فإذا صدر الترحم على أحد الرواة من قبل تلميذه الثقة الجليل مرة واحدة أو مرتين يمكن التوقف في كون ذلك مدحاً له ، أما إذا أكثر الثقة الجليل - كشيخ الطائفة الصدوق قدس سره المتشدد من الأخذ من الرجال - من الترحم على أحد المشايخ بحيث أنه لا يذكره إلا ويترحم عليه ، فهذه عناية خاصة تستلزم المدح والثناء والذكر الحسن .

مناقشة دليل سيد الفقهاء الخوئي قدس سره :

وترحم الصادق عليه السلام لزوار الحسين خارج عن موضوع البحث ، فليس الكلام في الترحم الجماعي ، إذ قد يصدر الترحم الجماعي عن العارف بمداليل الألفاظ ولا يقتضي ذلك مدح الكل ، فمن قال « رحم الله أهل البحرين » لا يقتضي ذلك مدح الكل ، وهذا

واضح وما أكثره في القرآن والسنة والكلمات .

مع أن طلب الرحمة لزوار الحسين عليه السلام لخصوص الزيارة ،
بخلاف الترحم على الشخص بلا ذكر المتعلق ، فتدبر .
وأما ترحم الإمام عليه السلام على السيد الحميري فقد كان بعد
توبته .

فعن عباد بن صهيب قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر
السيد فدعا له فقال له : يا بن رسول الله أتدعو له وهو يشرب الخمر ،
ويشتم أبا بكر وعمر ، ويؤمن بالرجعة ، فقال : حدثني أبي عن أبيه عن
علي بن الحسين : أن محبي آل محمد صلى الله عليه وآله لا يموتون إلا
تائبين ، وأنه قد تاب ثم رفع رأسه وأخرج من مصلى عليه كتاباً من
السيد يتوب فيه مما كان عليه ، وفي آخر الكتاب : يا راكباً نحو المدينة
جسرة ... إلى آخر الايات .

بل اعترض عباد بن صهيب على الصادق عليه السلام بدعائه للسيد
الحميري شاهد على أن الدعاء بطلب الرحمة تتنافى مع الفسق ، وكل
التهم التي قيلت بحقه غير صحيحة ، راجع الغدير في ترجمته ، ومثله لا
يترحم عليه بل يصلى عليه .

وفي رواية ضعيفة سنداً - ولعله يوثق بصدورها - وهي موضع دليل
سيد الفقهاء !!!^(١) - عن فضيل الرسان قال : دخلت على أبي عبد الله

(١) لعدم وثاقة فضيل الرسان ، واسحاق بن محمد البصري وجهالة علي بن اسماعيل

بعد ما قتل زيد بن علي ، فأدخلت بيتاً جوف بيت ، فقال لي يا فضيل !
 قتل عمي زيد بن علي ؟! قلت : نعم جعلت فداك ، قال : رحمه الله أما
 كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما إنه لو ظفر لوفى ، أما
 إنه لو ملك لعرف كيف يضعها ، قلت : يا سيدي ألا أنشدك شعراً ؟ قال :
 أمهل ، ثم أمر بستور فسدلت وبأبواب ففتحت ، ثم قال : أنشد ،
 فأنشدته :

لام عمرو باللوى مربع **** طامسة أعلامها بلقع
 عجت من قوم أتوا أحمد **** بخطة ليس لها مدفع
 إلى آخر قصيدة السيد .

قال : فسمعت نحيباً من وراء الستر ، وقال : ومن قال هذا الشعر ؟
 قلت : السيد الحميري ، فقال : رحمه الله ، قلت : إني رأيته يشرب النبيذ ،
 فقال : رحمه الله ، قلت : إني رأيته يشرب نبيذ الرستاق ، قال : تعني
 الخمر ؟ قلت : نعم ، قال : رحمه الله ، وما ذلك عزيز على أن يغفر
 لمحِب علي .

فقراءة الرواية لا يمكن أن يستفاد منها أصلاً عدم دلالة الترحم على
 المدح ، بل هي من المؤيدات لاستفادة الحسن والمدح من الترحم ،
 وإلا لما كان ثمة اعتراض للفضيل .

والخلاف في نصر بن الصباح رحمه الله ، فكل من في السند لم يوثق أصلاً ، وهم على
 مذاق سيد الفقهاء الخوئي قدس سره ليسوا بثقات .

وعلى فرض التسليم بالرواية فهي خارجة عن الموضوع ، لكون متعلق الترحم خاص برثاء السيد الحميري للحسين عليه السلام ، وكون الترحم على السيد الحميري بعد التوبة كما في الرواية السابقة ، كما أن علم الإمام بأن السيد الحميري من الجنة كاف في الترحم عليه وإن لم يتب بعد ، بل الروايات تشير أن الصادق عليه السلام كان سييء الرأي فيه حتى جاء إليه شاكياً فجلس معه واهتدى به بعد ذلك (١) .

قال المحقق الأبطحي قدس سره : عده ابن شهر آشوب في المجاهرين من شعرائهم من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، وقد رجع عما كان عليه في بدء أمره خارجياً ، ثم كيسانياً إلى الامامية فصار موالياً ، شديد الحب لأهل البيت عليهم السلام ، مدافعاً محامياً ، ذاباً عن حريم الامامة مجاهراً في شعره بالولاية حتى سماه الامام الصادق عليه السلام سيد الشعراء ، وكان عظيم الشأن ، جليل القدر والمنزلة ، بل قال العلامة في الخلاصة في الممدوحين من رواة الشيعة مدحاً له : ثقة ، جليل القدر ، عظيم الشأن والمنزلة ، رحمه الله تعالى ، ونحوه غيره من أصحاب الجرح والتعديل (٢) .

وترحم النجاشي على ابن عياش رحمه الله - وليس محمد بن عبد الله أبو المفضل الشيباني رضي الله عنه - إنما هو لمرة واحدة مع أنه طلب المسامحة له أيضاً ، وقد ذكره في موارد كثيرة في رجاله ولم

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٣ .

(٢) تهذيب المقال : ١١٨/٣ .

يترحم عليه ، كما أنه لم يجزم بضعفه وقد مدحه ، وإنما نسب ذلك إلى مشايخه ، وضعفه إنما كان بسبب اضطرابه في آخر عمره وعدم ضبطه ، لا لفسق فيه (١) .

ثم أنه لم نجد من ترضى النجاشي والطوسي عليه وضعفاه ، كما لم نجد من أكثر الترحم عليه وضعفاه ، والإستقراء ببابك .

(١) فقد نترضى على أتقى الناس وأورعهم ولكن لا نقبل منه الحديث لعدم ضبطه .

ملحق : هـ .

رواة نواذر الحكمة

قد ذهب الأعلام والحفاظ إلى تضعيف كل من استثناه ابن الوليد وتلميذه الصدوق قدس سرهما من كتاب « نواذر الحكمة » للحافظ العين محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري ، إلا من قام الدليل على عدم ضعفه ، كما هو الحال في محمد بن عيسى اليقطيني .

كما ذهب بعضهم - أيضاً - إلى مدح حال من لم يُسْتَثْن من الكتاب المزبور ، بل حكموا بوثاقته وجلالته .

قال الشيخ النجاشي قدس سره - في ترجمة محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري - : كان ثقة في الحديث ، إلا أن أصحابنا قالوا : كان يروي عن الضعفاء ، ويعتمد المراسيل ، ولا يبالي عمّن أخذ ، وما عليه في نفسه مطعن في شيء ، وكان محمد بن الحسن بن الوليد يستثني من رواية محمد بن أحمد بن يحيى ما رواه عن محمد بن موسى الهمداني ، أو ما رواه عن رجل ، أو يقول بعض أصحابنا ، أو عن محمد بن يحيى المعاذي ، أو عن الجاموراني ، أو عن السيارى

قال أبو العباس بن نوح : وقد أصاب شيخنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد في ذلك كله ، وتبعه أبو جعفر بن بابويه رحمه الله على ذلك إلا في محمد بن عيسى بن عبيد ، فلا أدري ما رابه فيه ، لأنه كان على ظاهر العدالة والثقة (١) .

(١) رجال النجاشي : ٣٤٨ ، رقم : ٩٣٩ .

وقال الشيخ الطوسي قدس سره : إنا وجدنا الطائفة ميّزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار ، فوثقت الثقات منهم ، وضعفت الضعفاء ، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته ، ومن لا يعتمد على خبره ، ومدحوا الممدوح منهم ، وذموا المذموم ، وقالوا : فلان متهم في حديثه ، وفلان كذاب ، وفلان مخلّط ، وفلان مخالف في المذهب والإعتقاد ، وفلان واقفي ، وفلان فطحي ، وغير ذلك من الطعون التي ذكروها وصنفوا في ذلك الكتب ، واستثنوا الرجال من جملة ما روه من التصانيف في فهارسهم ، حتى أن واحداً منهم إذا أنكر حديثاً نظر في إسناده وضعفه بروايته ، هذه عادتهم - على قديم الوقت وحديثه - لا تنخرم (١) .

فقوله قدس سره « واستثنوا الرجال ... » إشارة إلى ما قام به الشيخ ابن الوليد وتبعه على ذلك الشيخ الصدوق ، وكلاهما عبّر عنهما بأنهما كانا عارفين بالرجال ، ولذا قام قدس سره بتضعيف عدة من الرواة في كتابيه : التهذيب والإستبصار ، تبعاً لهما ، وضعف الثقة الجليل العين اليقطيني تبعاً لابن الوليد وتلميذه الصدوق قدس سرهما ، وقال : محمد ابن عيسى بن عبيد اليقطيني ، ضعيف ، استثناه أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه عن رجال نواذر الحكمة ، وقال : لا أروي ما يختص برواياته (٢) .

فيقع الكلام في جهتين :

الأولى : تضعيف من استثناه ابن الوليد .

(١) عدة الأصول : ١/١٤١ .

(٢) الفهرست : ٢١٦ ، رقم : ٦١١ .

والثانية : مدح أو وثاقة من لم يستثن من الرواة .

وكلامنا ههنا في الجهة الثانية ، من وثاقة أو حسن حال من لم يستثنه ابن الوليد من رواية كتاب نواذر الحكمة .

فقد ذهب سيد الفقهاء الخوئي قدس سره إلى عدم دلالة على المدح والتوثيق ، لأمرين :

الأول : ما احتمله - و ذكره كثيراً وهو اشكاله التقليدي - من أن اعتماد ابن الوليد أو غيره من الأعلام المتقدمين فضلاً عن المتأخرين على رواية شخص والحكم بصحتها لا يكشف عن وثاقة الراوي أو حسنه ، وذلك لاحتمال أن الحاكم بالصحة يعتمد على أصالة العدالة ، ويرى حجية كل رواية يرويها مؤمن لم يظهر منه فسق ، وهذا لا يفيد من يعتبر وثاقة الراوي أو حسنه في حجية خبره .

والثاني : أن تصحيح ابن الوليد وأضرابه من القدماء الذين قد يصرحون بصحة رواية ما أو يعتمدون عليها من دون تعرض لوثاقة رواتها (١) .

ويرد على الأول : ما تقدم في الملحق : ٢ ، أن احتمال عمل الأصحاب بأصالة العدالة غير متصور في حقهم ، فراجع .

وعلى الثاني : لو كان تصحيحهم للروايات في الأعم الأغلب راجع لوثوقهم بصدورها مع غض النظر عن ضعف أو وثاقة راوتها ، لما كان

ثمة وجه لاستثناء خصوص الرجال من كتاب نواذر الحكمة، بل لا بد من استثناء الروايات لا روايتها، كيف! وأكثر الروايات المروية في الكتب المعتمدة عن محمد بن عيسى اليقطيني ومحمد بن سنان وسهل ابن زياد وأحمد بن هلال ومحمد بن علي أبو سميئة وأحمد بن الحسين بن سعيد وجعفر بن محمد بن الملك والحسن اللؤلؤي، المستثنون من كتاب نواذر الحكمة مما يقطع بصحتها وصدورها عن الأئمة عليهم السلام، فاستثناء الرواة شاهد على أن ذلك لخصوصية فيهم لا في الروايات - بنظر ابن الوليد - فتدبر.

مضافاً إلى أنه في موارد كثيرة صرح الأصحاب بالصحة مع تعرضهم لوثاقة روايتها.

قال الشيخ الصدوق قدس سره: ورويت عنه - سعد بن عبد الله القمي - كل ما في المنتخبات مما أعرف طريقة من الرجال الثقات (١).

وقال قدس سره في أول كتاب المقنع: «وحذفت الإسناد منه لثلاث أثقل حملة، ولا يصعب حفظه، ولا يمله قاريه، إذ كان ما أبينه في الكتب الأصولية موجوداً مبيناً على المشايخ العلماء الفقهاء الثقات رحمهم الله تعالى».

وقد مر كلام شيخ الطائفة الطوسي في أن الطائفة قد ميّزت الرجال الناقلة للأخبار فوثقت الثقات منهم وضعفت الضعفاء وفرقوا بين من

(١) الفهرست للشيخ الطوسي: ١٣٥، رقم: ٣١٦.

يعتمد على حديثه ومن لا يعتمد ... إلى آخر كلامه قدس سره فراجع .
وعليه : فيمكن الحكم على من لم يستثن من نواذر الحكمة من الرواة والرجال - سيما مع كثرة رواية الأشعري عنه - بحسن ظاهره ، وهو مستلزم وأمانة على الوثاقة والعدالة وصدق اللهجة .

بل يمكن القول بأن من لم يستثن من نواذر الحكمة يقطع بوثاقته وعدالته وصدق لهجته وضبطه وعدم الطعن عليه سيما فيما إذا أكثر الأشعري الرواية عنه ، بلحاظ أن بعض من أستثنى يعد من أركان الرواية وحفاظ الأئمة عليهم السلام ، كما هو الشأن في محمد بن عيسى اليقطيني ، وكذا الأمر في سهل بن زياد ومحمد بن سنان وأبي سمينة على التحقيق ، فتدبر .

قال سيد الفقهاء الخوئي قدس سره : قد ذكر البهبهاني أن في اقتصار ابن الوليد في الإستثناء على جماعة مخصوصين نوع شهادة على توثيق غيرهم ممن يروي محمد بن أحمد بن يحيى عنهم .

قال : لكن هذه الدعوى كما ترى ظاهرة الضعف ، ضرورة أن ابن الوليد إنما ذكر أنه لا يعمل من روايات الأشعري ما يرويه عن هؤلاء الجماعة لثبوت ضعفهم لديه ، وأما غيرهم ممن يروي عنهم فغير ثابت الضعف ، ولذا لم يستثنهم ، لا أنهم موثقون ، وكم فرق بين الأمرين ، فليس في عدم التعرض لاستثناء غيرهم إشعار بالشهادة على وثاقتهم ، فضلا عن الدلالة كما لا يخفى (١) .

(١) موسوعة الإمام الخوئي قدس سره : ١٧٢/١٢ .

وجوابه: أن المفهوم من كلام الثقة الجليل ابن نوح -المتقدم- «وقد أصاب شخيना أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد في ذلك كله، وتبعه أبو جعفر بن بابويه رحمه الله على ذلك إلا في محمد بن عيسى بن عبيد، فلا أدري ما رابه فيه، لأنه كان على ظاهر العدالة والثقة» أن بقية الرواة ممن لم يستثن ممن أحرزت وثاقتهم، فيندرجون في أنهم «على ظاهر العدالة والثقة»، والذي هو منشأ ادخال محمد بن عيسى بن عبيد مرة ثانية في زمرة المستثنى منه.

وبقول مختصر: أن الذي يفهم من كلام ابن نوح، أن استثناء ابن الوليد لعدة من الرواة من كتاب نواذر الحكمة لأنهم لم يكونوا على ظاهر العدالة والثقة، وقبول روايات محمد بن عيسى اليعقوبي لدى الصدوق وعدم متابعتة لشيخه ابن الوليد لكون اليعقوبي على ظاهر العدالة والثقة، فتدبر.

وقال شيخنا السند دام ظله: والصحيح أنه لا دلالة لعدم الإستثناء على التوثيق، لأن الإستثناء في هذا المقام وغيره من ديدن القميين، وهو على نمط غربلة الأحاديث وتنقيتها عن المدسوس والموضوع والمدلس، إذ من البين الجلي أنهم لم يكونوا متقيدين بخصوص رواية الثقات، ولا بخصوص الروايات المعتبرة، فكم من راوي قمي كأحمد ابن محمد الأشعري والصفار وسعد بن عبد الله وزكريا بن آدم وعلي ابن إبراهيم ومحمد بن يحيى وعلي بن بابويه وابن قولويه وابن الوليد وغيرهم من نجوم وجهاء الرواة الفقهاء والمحدثين القميين يظفر

المتتبع على العديد من الموارد التي يروون فيها عن الضعاف أو الحسان ونحوها ، فذلك برهان على أن مرادهم من الإستثناء عدم الرواية هو لتحرجهم عن رواية الحديث الموضوع ، أو الذي عليه علامات الدس أو قرائن التدليس والجعل ، نظير ما صنع محمد بن الحسن بن الوليد في تركه لرواية أصلي زيد الزراد وزيد النرسي ، لدعواه أن هذين الأصلين مما قد وضعهما محمد بن موسى الهمداني السمان - وإن حقق خطأ ابن الوليد في ذلك لوجود السند الصحيح لابن أبي عمير في الكتب الأربعة - فتحرّج عن رواية الأصلين وكذا تبعه تلميذه الصدوق ، وكذا ما صنعه أحمد بن محمد الأشعري وغيره من القميين من إخراج البرقي وسهل بن زياد وغيرهم من الأجلاء لروايتهم عن الضعاف ، ليس بمعنى المتبادر من ظاهر اللفظ ، بل مرادهم ترك الرواية المحفوفة بقرائن الدس والوضع والجعل عن الضعاف أو عن راوي وضاع ... (١) .

ونقول : ما قاله - دام ظله الشريف - لا إشكال فيه ، وأن استثناء ابن الوليد والصدوق قدس سرهما لبعض رواة كتاب نواذر الحكمة « على نمط غرلة الأحاديث وتنقيتها عن المدسوس والموضوع والمدلس » ، ويشهد له أنه استثنى « ما رواه عن رجل » « أو يقول بعض أصحابنا » .
إلا أن استثناء ابن الوليد أعم وأوسع من ذلك ، فيشمل ما قاله دام

ظله الشريف ، واستثناء خصوص الرواة الضعاف في نظره ، سواء كان منشأ الضعف فيهم لفسقهم وعدم عدالتهم أو لروايتهم ما هو باطل في نظره الشريف قدس سره .

ولو كان الإستثناء في خصوص « غربلة الأحاديث وتنقيتها عن المدسوس والموضوع والمدلس » لما عبّر ابن نوح قدس سره بادراج اليقطيني بقوله « لأنه كان على ظاهر العدالة والثقة » ، ولأدرج أيضاً روايات سهل بن زياد - الذي تصل أحاديثه في الكتب الأربعة إلى ما يزيد على الألفين - ، وكذا الأمر في محمد بن سنان ومحمد بن علي بن أبي سمينة وأحمد بن هلال العبرتائي ، ومنه تعرف أن الإستثناء من أجل تنقية أحاديث « نواذر الحكمة » من المدسوس والموضوع والمدلس ، وما رواه الضعفاء الذين تندرج أحاديثهم في المدسوس والموضوع والمدلس .

مضافاً : أن الإستثناء لو كان لخصوص تنقية الأحاديث عن المدسوس والموضوع والمدلس ، لكان الأولى استثناء الروايات لا الرواة ، فتدبر .

ملحق : ٦ .

مشايخ الإجازة

قال المحقق القمي قدس سره : ومنها - أي ألفاظ المدح والتعديل - كون الراوي من مشايخ الإجازة ، فقليل : إنه توثيق ، وقيل : إنه في أعلى درجات الوثاقة ، وقيل : إن مشايخ الإجازة لا يحتاجون إلى التنصيص على تزكيتهم ، وربما نسب كون ذلك توثيقاً إلى كثير من المتأخرين (١) .

وقال إمام المحدثين الحاج النوري قدس سره : إن كون الرجل من مشايخ الإجازة ، من أمارات الوثاقة كما عليه جمع من المحققين .

قال السيد المحقق الكاظمي قدس سره في عدته : ما كان العلماء وحملة الأخبار لا سيما الأجلاء ، ومن يتحاشى في الرواية عن غير الثقات - فضلاً عن الاستجازة - ليطلبوا الإجازة في روايتها ، إلا من شيخ الطائفة وفقهها ومحدثها وثقتها ، ومن يسكنون إليه ويعتمدون عليه .

وبالجملة فلشيخ الإجازة مقام ليس للراوي ، ومن هنا قال المحقق البحراني فيما حكى الأستاذ : وإن مشايخ الإجازة في أعلى درجات الوثاقة والجلالة .

وعن صاحب المعراج (٢) : لا ينبغي أن يرتاب في عدالتهم .

(١) فوائين الأصول : ٤٨٥ .

(٢) وهو المحقق الشيخ سليمان الماحوزي قدس سره ، وهو المقصود من المحقق البحراني في كلام الوحيد البهبهاني قدس سره .

وعن الشهيد الثاني: إن مشايخ الإجازة لا يحتاجون إلى التنصيص على تركيتهم، ولذلك صحح العلامة وغيره كثيراً من الأخبار، مع وقوع من لم يوثقه أهل الرجال من مشايخ الإجازة في السند.

وبالجملة: فالتعديل بهذه الطريقة طريقة كثير من المتأخرين، كما قال صاحب المعراج، انتهى المحقق الكاظمي.

وقال المحقق الشيخ محمد في شرح الإستبصار: عادة المصنفين عدم توثيق الشيوخ، أو كونه شيخاً للإجازة يخرجهم عن وجوب النظر في حاله لتصحيح السند، فلا يضر ضعفه أو جهالته بصحته إذا سلم غيره من الرجال.

وفي منتهى المقال: قال الجماعة: إن مشايخ الإجازة لا تضر مجهوليتهم، لأن أحاديثهم مأخوذة من الأصول المعلومة، وذكرهم لمجرد اتصال السند أو للتيمن، ويظهر من بعضهم التفصيل بينهم، فمن كان منهم شيخ إجازة بالنسبة إلى كتاب أو كتب لم يثبت انتسابها إلى مؤلفها من غير اخباره، فلا بد من وثاقته عند المجاز له، فإن الإجازة كما قيل: إخبار إجمالي بأمور مضبوطة مأمون عليها من التحريف والغلط، فيكون ضامناً صحة ما أجاز به، فلا يعتمد عليه إلا بعد وثاقته، انتهى، وفيه نظر.

قال: ومن كان منهم شيخ إجازة بالنسبة إلى ما ثبت انتسابه إلى مؤلفه بالتواتر أو بالشياع أو البينة أو غيرها، فلا يحتاج إلى وثاقته، وعلى التقدير لا نحتاج إلى النظر إلى حال المشايخ المتقدمة أصحاب العدد،

أما على القول الأول والثاني فظاهر، وكذا على الثالث، لكون ابن عيسى والبرقي وسهل من المشايخ المعروفين والمؤلفين المشهورين، الذين لم يكن تخفى مؤلفاتهم على مثل الكليني مع قرب عصره من عصرهم، وكثرة الرواة عنهم، وهذا ظاهر للناقد البصير.

ومما ذكرنا يظهر وجه عمل شيخ الطائفة في التهذيب والإستبصار، فإنه رحمه الله كثيراً ما يطعن في السند عند التعارض، ويضعف بعض رجاله، ولكن كل ما ذكر من القدح إنما هو في رجال أرباب الكتب التي نقل منها، ولم يقدح أبداً في رجال أوائل السند وطريقه إليها ممن ذكره في المشيخة والفهرست، فزعم بعضهم أن ذلك لكون الأصول والكتب عنده مشهورة بل متواترة، وإنما يذكر الأسانيد لمجرد اتصال السند، ونحن لا ننكر ذلك، ولكن الظاهر أن الوجه هو ما تقدم عن العدة (١) المؤيد بما شرحناه في حال النجاشي فلاحظ (٢).

قلت : والمراد من مشايخ الإجازة : هم أولئك المشايخ والرواة

(١) أي عدة الكليني في كتابه الشريف، فعادة ما يقول : عدة من أصحابنا، قال الحاج النوري قدس سره : وقد أطال الأصحاب الكلام في هؤلاء العدد في تشخيصهم وتمييز ما أبهم منهم، وفي جرحهم وتعديلهم، ولا أرى كثير فائدة ووجه عدم الفائدة واضح، لأنهم قديماً وحديثاً، إذا رأوا في كلام أحد من العلماء : عند الأصحاب، أو عند أصحابنا، أو قال بعض الأصحاب، ونظائر ذلك، لا يشكون في أن المراد بهم الفقهاء العدول، والعلماء الثقات الذين يحتج بقولهم في مقام تحصيل الإجماع أو الشهرة أو غير ذلك ... فكيف صارت هذه الكلمة في كلام ثقة الإسلام غير دالة على توثيق الجماعة، فضلاً عن فقاهتهم ؟ وما العلة في إخراج مصطلحه عن مصطلحهم ...

(٢) خاتمة المستدرک : ٥١٠/٣، ٥١١.

الذين يُستجازون في نقل ورواية الكتب والأحاديث ، سواء مع قراءتها عليهم من أولها إلى آخرها أم مجرد الإجازة لهم بالنقل والرواية ، فيربطون بإجازاتهم بين المتقدم عليهم والمتأخر عنهم .

وقد كان دأب الأصحاب عدم رواية الكتب من دون إجازة وإن كانت معروفة ومشهورة ويقطع بنسبتها إلى مؤلفيها ، والشواهد على ذلك كثيرة ، منها - مثلاً - ما وقع لعلي بن الحسن بن فضال ، فإنه يروي عن أبيه بواسطة أخويه ، وقد كان عمره ثمانية عشر سنة يوم مات أبوه ، فلم يجز لنفسه أن يروي كتب وروايات أبيه مباشرة - مع علمه وقطعه بكتبه ورواياته - لعدم إجازة أبيه له بروايتها ، وأجاز ذلك لأخويه ، وهو أتقن وأحفظ وأوثق منهما .

ولذا كان الأصحاب يفرقون بين الرواية عن الراوي والنقل من كتابه ، فيعبرون تارة : روى فلان ، وحدثني فلان ، وأخرى : وجدت في كتابه وبخطه .

وعليه : فتارة يقرأ الشيخ الكتاب من أوله إلى آخره لمجموعة من تلاميذه ثم بعد ذلك يجيز لهم روايته للآخرين ، وأخرى يجيز لهم روايته من دون أن يقرأه عليهم .

فعن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري - شيخ الطائفة ووجه الأصحاب بقم المقدسة - قال : خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث ، فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء ، فسألته أن يخرج إليّ كتاب العلاء بن رزين القلاء وأبان بن عثمان الأحمر ، فأخرجهما إليّ فقلت له : أحب أن

تجيزهما لي ، فقال لي : رحمك الله ، وما عجلتك ، اذهب فاكتبهما واسمع من بعد ، فقلت : لا آمن الحدثان ، فقال : لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه ، فإنني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شخص كل يقول : حدثني جعفر بن محمد ^(١) .

ومنه تعرف أن دأب الأصحاب ورواة الأحاديث في نقل الكتب يمر بمراحل :

١ / أخذ الكتاب من الشيخ واستنساخه .

٢ / سماع الكتاب بعد الاستنساخ من الشيخ المجيز .

٣ / إجازة الشيخ لتلاميذه رواية الكتاب بعد قراءته عليهم .

ولا فرق في ذلك بين رواية الكتب المشهورة أو غيرها ، إلا أن الكتب المشهورة تمتاز بأمر رابع ، وهو صحة أن يُجيزه الشيخ لتلاميذه من دون أن يستنسخوه - لشهرة نسخته في المدارس العلمية - .

ولقد كان دأب الأصحاب إلى زمان الشيخ الصدوق قدس سره عدم الإكتفاء بخصوص الأمر الرابع - إلا نادراً - حتى بالنسبة للكتب المشهورة ، ثم بعد ذلك أخذ هذا الأمر بالتوسع أكثر فأكثر لروافد كثيرة منهما توسع عملية الاستنساخ في المدارس العلمية ، فنجد أن كل مدرسة من المدارس الروائية قد نشطت فيها عملية استنساخ الكتب سيما كتب مشاهير الطائفة وعلمائها الكبار ، على غرار ما نراه اليوم من

(١) رجال النجاشي : ٣٩ ، رقم : ٨٠ .

توسع وتنامي عملية طباعة الكتب والمؤلفات .

وبتبع شهرة النسخ وتنامي حركة الإستنساخ في المدارس العلمية المختلفة نشطت بالتبع عملية إجازة المشايخ لتلاميذهم لكتب العلماء والمحدثين من دون مناولة النسخ الخطية اعتماداً على النسخة المعروفة والمشهورة في هذه المدرسة أو تلك .

إذا عرفت ذلك ، فنقول : إن مشايخ الإجازة قديماً وحديثاً على مراتب ودرجات وأنحاء ، ومن الظلم - الواضح - الحكم عليها بأجمعها بحكم واحد فارد ، بل تتعدد الأحكام - قطعاً - باختلاف المراتب والدرجات ، وإليك بيان أقسام هذه المراتب والحالات :

القسم الأول : بلحاظ سعة الإجازة .

١ / أن يكون شيخ إجازة لخصوص كتبه ومؤلفاته ورواياته ، بأن يستجيز منه الرواة والعلماء خصوص كتبه ورواياته ، ولا يجعلوه جسراً لسائر الكتب والمصنفات .

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى عدم دلالة على الوثاقة والضبط ، بل حاله حال سائر الرواة من الوثاقة والضبط فيشترط فيه ما يشترط فيهم ، ولا يدل استجازة الثقة على كونه ثقة حتى عنده ، إذ لا تزيد الإجازة على رواية الثقة عنه ، فكما أنها لا تدل على وثاقة المروي عنه فهكذا الإجازة ، فيجب إحراز وثاقة المجيز من طريق آخر ^(١) .

(١) كليات في علم الرجال : ٣٣٧ .

والصحيح التفصيل في مثل هذا المورد وأن اطلاق الكلام فيه بعدم اقتضائه المدح أو الوثاقة والعدالة مطلقاً في غير محله .

٢ / أن يكون شيخ إجازة لكتبه ومؤلفاته ولكتب ومؤلفات بعض أو كل أساتذته ومشايخه .

٣ / أن يكون شيخ إجازة لكتبه ومؤلفاته وكتب ومؤلفاته مشايخه ومجموعة من كتب ومؤلفات عدة من حفاظ الشريعة وسدنة المذهب .

٣ / أن يكون شيخ إجازة لكل كتب ومصنفات الخاصة من الحفاظ والمحدثين .

كأن يقول الشيخ لتلاميذه : أجزت لكم بأن تروا عني بهذه الطرق - ويذكرها - كل مصنفات وروايات ثقة الإسلام الكليني وصدوق الأمة محمد بن علي بن بابويه والشيخ الأقدم ابن قولويه ومعلم الأمة الشيخ المفيد وشيخ الطائفة الطوسي ... ثم يذكر كل مصنفات الأصحاب .

القسم الثاني : بلحاظ شهرة الكتب والروايات المجازة .

١ / فتارة يكون الراوي شيخ إجازة للكتب المشهورة بين الطائفة ، والتي لا تحتاج إلى دليل لاثبات انتسابها لمؤلفيها ، كحال كثير من الكتب في زمن ثقة الإسلام الكليني والصدوق وشيخ الطائفة الطوسي .

٢ / وأخرى يكون شيخ إجازة لكل الكتب المشهورة وغيرها .

قال صاحب الفصول قدس سره : ومنها - أي ألفاظ المدح والتعديل - كونه من مشايخ الإجازة لعدم أهلية الفاسق لهذا المنصب ،

وربما يشكل بجواز أن يكون الغرض اتصال السند في كتاب معروف ، أو يكون رواياته في مقام معتمدة بأمارات يوجب الوثوق بها أو يكون الغرض مجرد جمع الأخبار والعمل عند الاعتضاد والاحتمال الأخير لا يخلو من بعد ، ومن هنا يتقوى ما قيل : من أن مشايخ الإجازة إما ثقات ، أو لا حاجة في السند إليهم ^(١) .

القسم الثالث : بلحاظ عدد المستجيزين وفضلهم .

- ١ / فتارة يكون المستجيز من الشيخ أحد الثقات .
- ٢ / وأخرى يكون المستجيز من الشيخ مجموعة من الثقات .
- ٣ / وثالثة يكون المستجيز من الشيخ بعض الأجلاء والأعاضم الكبار .

- ٤ / ورابعة يكون المستجيز من الشيخ عدة كثيرة من الأعاضم .
- وبتعبير آخر : هناك من يرغب البعض بالإستجازة منه ، وهناك من يرغب الكثير ، وهناك من يرغب الكل بالإستجازة منه كما هو حال أحمد بن محمد بن يحيى العطار وأحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد ، ونظائرهما .

وبتعبير ثالث : هناك من يستجيز منه ثقة وعدول الطائفة ، وهناك من يستجيز منه أعيان ووجوه الطائفة ، وهناك من يستجيز منه كبار الأعاضم والحفاظ .

(١) الفصول الغروية : ٣٠٤ .

القسم الرابع : بلحاظ تشده وتساهل المستجيزين في الرواية .

فتارة يكون المستجيز مَمَّن عرف بأنه لا يروي عن الضعفاء ، كما لا يرغب في الرواية عَمَّن يروي عن الضعفاء وإن كان ثقة ، كما هو الحال في عدة من الحفاظ والأعاضم كشيخ الطائفة أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، فإنه لا يروي - فقط - عن الضعفاء ، بل كان لا يروي عَمَّن يروي عن الضعفاء وإن كان من الأجلاء ، وقصته مع الحافظ الثقة الثبت أحمد بن محمد البرقي مشهورة ، وكان يُخرج من قم المقدسة كل من يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل ويتهم بالغلو والتخليط .

قال الوحيد البهبهاني قدس سره : إذا كان المستجيز مَمَّن يطعن على الرجال في رواياتهم عن المجاهيل والضعفاء وغير الموثقين ، فدلالة استجازه على الوثاقة في غاية الظهور ، سَيِّما إذا كان المجيز من المشاهير (١) .

وقال الشيخ مهدي الكجوري قدس سره : الظاهر من كون الشخص من مشايخ الإجازة كمالاً الوثوق به في ضبط الحديث وحفظه ، وأما كونه عدلاً إمامياً فلا ، نعم يستفاد ذلك من القرائن ككون المجيز من المشاهير ، أو كون المستجيز مَمَّن لا يجوز الأخذ من غير العدل الإمامي ونحو ذلك (٢) .

(١) الفوائد الرجالية : ٤٥ .

(٢) الفوائد الرجالية : ١٠٢ .

القسم الخامس : بلعاف مصر المجيزين والمستجيزين .

١ / فتارة يكون المجيز والمستجيز قبل عصر الشيخ الصدوق قدس سره .

٢ / وأخرى ما بعد عصره إلى زمان الفقيه ابن إدريس الحلبي قدس سره .

٣ / وثالثة ما بعد عصره إلى زمان إمام المحدثين الحاج النوري قدس سره ، وكذا إلى زماننا هذا .

إذا عرفت ذلك فنقول : إن شيخوخة الإجازة - فيما إذا كان المستجيز من الثقات - من أمارات حسن الظاهر قطعاً ، وتختلف كاشفية هذه الأمانة للوثاقة والعدالة والجلالة بحسب اختلاف المراتب والدرجات المتقدمة لأحوال الإجازات الروائية .

فتارة يظن من خلالها بالعدالة والوثاقة ، وأخرى يقطع من خلالها بالعدالة والوثاقة ، وثالثة يظن من خلالها بالمدح المعتقد به ، ورابعة يقطع من خلالها بالمدح والثناء المعتقد به ، وخامسة يقطع من خلالها بأن شيخ الإجازة من أعظم المحدثين وأوعية الحفظ والرواية ، يختلف ذلك باختلاف المراتب والدرجات التي تقدم ذكرها .

فإقدام الثقة على الإستجازة من شيخه الروائي ولو لخصوص كتبه ورواياته يعطي تصوراً وانطباعاً حسناً لهذا الشيخ ، فإن كان كتابه المجاز - مثلاً - فيه روايات كثيرة ، ودون المستجيز هذه الروايات في كتبه

واستشهد بها واعتمد عليها ، وكانت هذه الروايات مرتبطة في كل مفاصل الدين وتفاصيل الشريعة ، فهذا اعتماد عليه وهو فوق مرتبة الحكم بكونه ثقة أو عدلاً ، وقد تقدم أن إكثار الثقة الضبط الرواية عن بعض مشايخه من أمارات حسن الظاهر المستلزم للوثاقة والعدالة ، فراجع ملحق رقم : ٣ ، هذا ناهيك عما إذا كان المستجيز من أعظم الطائفة وسدنة المذهب .

ومن الواضح أن سائر علماء الدين وحفظة الشريعة في عصرنا هذا والذي قبله لا يستجيزون - في الأعم الأغلب - ممن هو دونهم في العلم والفضل والمعرفة ، ومن المقطوع به أنهم لا يستجيزون ممن لا يرون عدالته ونزاهته وصلاحه ، وكتب الإجازات شاهدة على ذلك .

وكل من جزم أو تأمل أو توقف في عدم أمارية مشيخة الإجازة على المدح أو الوثاقة أو العدالة لا نجده - قطعاً - استجاز من هو دونه في الورع والزهد والصلاح ، والإستقراء ببابك ، فلاحظ - مثلاً - مشيخة السيد الخوئي قدس سره في الرواية ، أو مشيخة إمام المحدثين الحاج النوري قدس سره - وهم أكثر من أن يحصون - فإنك لا تجد فيهم شيخاً متهماً في دينه أو مظنوناً في عدالته وزهده وصلاحه ، وهذه الحالة سارية لكل مراتب وطبقات الأعلام والحفاظ ، بلا فرق بين المتقدمين والمتأخرين ، بل قد تقدم من أن الأصحاب كانوا يمتنعون عن الرواية عمّن يروي عن الضعفاء ، فكيف يستجيزون منه رواية الكتب والمصنفات ويمكنونه من خلال استجازتهم له بهذا المقام والموقعية .

قال إمام المحدثين الحاج النوري قدس سره : أنه وإن لم نقل بأن شيخوخة الإجازة بمجرد ما من أمارات الوثاقة ولم ندع تواتر الكتب أو أكثرها عن المشايخ ، إلا أنه يمكن الحكم بوثاقة نقل هؤلاء المشايخ الذين اعتمد عليهم الشيخ والنجاشي في طرقهم إلى أرباب الكتب لبعده اتخاذ أولئك الأجلاء الرجل الضعيف أو المجهول شيخاً يكثرون الرواية عنه ويظهرون الإعناء به ، فعدم ذكرهم في كتب الرجال أو ذكرهم فيها بالجهالة لا يدل على عدم صحة الإعتماد على الخبر الذي وقعوا في مستنده ، كيف ! ولولا صحة الإعتماد عليهم لكان الرواية من قبلهم تضعيفا لحالهم وطعنا فيهم حاشاهم .

وقال محيي الدين الغريفي قدس سره : ويرجع ذلك - أي وثاقة مشايخ الإجازة - إلى وجه اعتباري ، وهو أن الشيخ لا يُزَكَّن إليه في الإجازة إلا إذا كان ثقة ، أو حسن الظاهر ممدوحاً ، فيحصل من وصفه بالشيخوخة وثوق باعتباره ، ولذا قال المحقق الهمداني قدس سره : « ولا شبهة في أن قول بعض المزكّين : بأن فلاناً ثقة ، أو غير ذلك من الألفاظ التي اكتفوا بها في تعديل الرواة لا يؤثر في الوثوق أزيد مما يحصل من إخبارهم بكونه من مشايخ الإجازة » .

وقال العلامة الفاني قدس سره : مشايخ الإجازة :

تارة : يكون الشيخ مجرد مخبر لجزء يسير من الروايات أو لكتاب واحد - مثلاً - مع مجهولية حاله تماماً .

وأخرى : يكون الشيخ مع خلال إجازته ممن صدق عليه أنه ناشر

لتعاليم أهل البيت عليهم السلام لكثرة حوالاته على الكتب والروايات عن الثقات والأجلاء، وغيرهم.

ففي النوع الأول لا نلتزم بوثاقة الشيخ، بينما نلتزم بها في المقام الثاني، ومن هنا قبلنا وعملنا بروايات سهل بن زياد.

والوجه فيه : أننا لا نتعقل أن يكون الرجل ناشراً لأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وصاحب مكتب إسلامي لبث الوعي الديني وتنشيط معالم الإسلام وأن يكون في المقابل كذاباً أو وضاعاً.

وهذه الملازمة تدرك بسهولة لو لوحظ الحاضر وما فيه إذ أنه خير دليل على الماضي خصوصاً في مثل هذه الموارد (١).

وقال أبو المعالي الكلباسي : لا ينبغي الإشكال في أن الظاهر عدالة الشيخ المجيز لو كان مرجعاً للمحدثين في الإجازة والاستجازة، حيث إن الظاهر أن رجوع المحدثين إليه في الإجازة، واشتباره بينهم بالاستجازة منه كان من جهة اعتمادهم على عدالته، وإن فرض كون الكتاب المستجاز لروايته متواتراً عند بعضهم، فكأن الإجازة من جهة اتصال السند، فكان في المستجيزين جماعة من المعتمدين - وإن لم نعرفهم بأعيانهم - كانت استجازتهم من جهة الإعتماد على المجيز قطعاً، ولا أقل من ظهور ذلك.

فالظاهر في هذه الصورة أن الاشتهار بالإجازة كان من جهة الوثاقة،

(١) بحوث في فقه الرجال : ١٥٩.

مع أنه لا أقل من ظهور كون جماعة من المستجيزين معتمدين كانت استجازتهم من جهة الإعتماد، فيتأتى لنا الظن بالوثاقة، وفيه الكفاية (١).

السيد الخوئي قدس سره وشيخوخة الإجازة :

هذا: وقد ذهب السيد الخوئي قدس سره إلى أن شيخوخة الإجازة لا تكشف عن وثاقة الشيخ، كما لا تكشف - أيضاً - عن حسنه، واستشهد لذلك بأمور:

الأول: أن مشايخ الإجازة على تقدير تسليم وثاقبتهم لا يزيدون في الجلالة وعظمة الرتبة عن أصحاب الإجماع وأمثالهم، ممن عرفوا بصدق الحديث والوثاقة، فكيف يتعرض في كتب الرجال والفقهاء لوثاقبتهم ولا يتعرض لوثاقة مشايخ الإجازة لوضوحها وعدم الحاجة إلى التعرض لها.

وفيه: أن أكثر مشايخ الإجازة قد تعرض لهم الرجاليون - كالنجاشي والشيخ - ووثقوهم، وإنما الكلام في من أهملوه من مشايخ الإجازة، وهو لا يقدح فيهم، فما أكثر الرواة الذين أهمل الشيخ والنجاشي وغيرهما توثيقهم وهم من الثقات والأجلاء الكبار بل من الأولياء (٢)، فليس كل من هو ثقة يلزم على الرجاليين توثيقه في مصنفاتهم، كما أن

(١) الرسائل الرجالية: ١٤٤/٤.

(٢) كما هو الحال في لبث بن البختری المرادي، فإنه من الحواريين، ومع ذلك أهمل الشيخ والنجاشي توثيقه.

إهمالهم لبعض الرواة وعدم توثيقهم لهم لا يقدح فيهم فيما إذا استفيد وثاقتهم من أمارات أخرى .

الثاني : إن الراوي قد يروي رواية عن أحد بسماعه الرواية منه ، وقد يرويها عنه بقراءتها عليه ، وقد يرويها عنه لوجودها في كتاب قد أجازة شيخه أن يروي ذلك الكتاب عنه من دون سماع ولا قراءة ، فالراوي يروي تلك الرواية عن شيخه ، فيقول : حدثني فلان ، فيذكر الرواية .

فائدة الإجازة هي صحة الحكاية عن الشيخ وصدقها ، فلو قلنا : بأن رواية الثقة عن شخص كاشفة عن وثاقته أو حسنه فهو ، وإلا فلا تثبت وثاقة الشيخ بمجرد الإستجازة والإجازة ، وقد عرفت أن رواية ثقة عن شخص لا تبدل على وثاقته ولا على حسنه .

وفيه : قد تقدم أن إكثار الثقة عن بعض الرواة من أمارات حسن الظاهر المستلزم للوثاقة وصدق اللهجة ، على أن هذا الإستشهاد منه قدس سره أخص من المدعى ، لأن مشايخ الإجازة كما تقدم على درجات ومراتب ، فهذا الإستشهاد - إن قبل - إنما هو في خصوص إجازة بعض الروايات القليلة ، ولا يشمل مشايخ الإجازة المعروفين والمشهورين الذين أصبحوا قناطر لكل كتب وروايات الخاصة ، هذا مع أن شيخوخة الإجازة لدى الأصحاب - وغيرهم - منصب يوصف به المشتغل برواية الأحاديث ولا يطلق على كل من روى وحدث ، فهو وسام خاص يلقبه به الحفاظ والمحدثون .

الثالث : أن الحسن بن محمد بن يحيى ، والحسين بن حمدان

الحضيني من مشايخ الإجازة، وقد ضعفهما النجاشي^(١).
وفيه :

١ / أن النجاشي قدس سره، لم يضعف الحسن بن محمد بن يحيى ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن أخي طاهر، قال: روى عن المجاهيل أحاديث منكورة، رأيت أصحابنا يضعفونه.

وقال الشيخ الطوسي: روى عنه التلعكبري وسمع منه وله منه إجازة، أخبرنا عنه أبو الحسين بن أبي جعفر النسابة وأبو علي بن شاذان من العامة.

وقال ابن الغضائري: كان كذاباً!!! يضع الحديث مجاهرة، ويدعي رجالاً غرباء لا يعرفون، ويعتمد المجاهيل ولا يذكرهم، وما تطيب الأنفس من روايته إلا ما رواه من كتب جده التي رواها عنه غيره، وعن علي بن أحمد بن العقيقي من كتبه المصنفة المشهورة.

وقد روى عنه الصدوق قدس سره مترحماً ومترضياً عليه، كما أكثر الرواية عنه الشيخ المفيد، ووصفه بالشريف، وهي وإن كانت صفة لكل من انتسب إلى هاشم، لكن ذكرها عند تسمية بعض الهاشميين فيها عناية خاصة ونظرة إيجابية للمذكور، فلا يعبر شيخ الطائفة المفيد قدس سره - وغيره من الأجلاء - عن مجهول العدالة أو مقدوحها

(١) معجم رجال الحديث : ٧٣/١.

بالشريف .

وأما كلام النجاشي قدس سره فليس فيه جزم بتضعيفه ، ولو كان ضعيفاً عنده لجزم بذلك بدل أن ينسب الضعف إلى الأصحاب .

فإذن لا يمكن الالتزام بأن النجاشي ضعف ابن أخي طاهر ، وإنما نسب تضعيفه إلى الأصحاب ، والظاهر أنه يقصد ابن الغضائري وغيره من أعلام المدرسة البغدادية ، وهو عين قدح العامة لابن أخي طاهر .

وأما الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلائي ، فلم يجزم النجاشي - كذلك - بتضعيفه ، وإنما قال : كان فاسد المذهب ، وذكره الشيخ في من لم يرو عن الأئمة عليهم السلام وقال : روى عنه التلعكبري ، وقال ابن حجر : الحسين بن حمدان ، أحد المصنفين في فقه الإمامية ، ذكره الطوسي والنجاشي وغيرهما وله من التأليف ... وروى عنه أبو العباس بن عقدة وأثنى عليه وقيل إنه كان يؤم سيف الدولة وله أشعار في مدح أهل البيت ، وذكر ابن النجاشي : أنه خلط وصنف في مذهب النصيرية واحتج لهم (١) .

فالحصيلة أن النجاشي لم يجزم بتضعيف ابن أخي طاهر والحسين ابن حمدان ، وعلى فرض أنه قدح فيهما وضعفهما ، فهذا النقض غير تام إذ غير عزيز في أن بعض الحفاظ والرجاليين يضعف بعض الرواة ويأتي آخرون ويوثقونهم (٢) ، نعم لو كان الموثق والراوي عنه واحد

(١) لسان الميزان : ٢٧٩/٢ .

(٢) فقد حكم السيد الخوئي بوثاقة كل من ورد في تفسير القمي ، مع أن عدة منهم قد

لتم النقض ظاهراً، وعلى فرض صحة النقض فإنه معلل في الأول بالرواية عن المجهولين، وعن الثاني بانحرافه عقائدياً، وكلا الأمرين لا ربط لهما بصدق اللهجة .

وقال شيخنا السند دام ظله : إن قرائن التوثيق ليست من قبيل اللوازم التكوينية غير المنفكة عن العدالة والوثاقة، بل قد يتخلف الواقع عنها، فمثل ما ذكر في معتبرة ابن أبي يعفور في العدالة واحرازها « أن يكون آتياً لصلاة الجماعة ، لا يؤذي أحداً ولا يغتاب ويؤدي الأمانة » إلى غير ذلك مما ذكر فيها لا يلزم - تكويناً بنحو الملازمة التكوينية - العدالة ، إذ قد يكون واجداً لتلك الصفات ولكن في باطن حاله مقيماً على الكبائر، فليس إذن المتوخى من طرق التوثيق كونها علل تكوينية، أو معلولات ملازمة للوثاقة والعدالة، وإنما الغرض منها الإعتداد بها في السيرة المتشعبة أو العقلائية كقرائن ظنية تورث الإطمئنان النوعي بهما (١) .

وقال السيد المجاهد قدس سره : إذا كان الراوي من مشايخ الإجازة فهل يجوز أن يحكم بعدالته بمجرد ذلك، أو لا، بل يكون كغيره ممن لم يثبت عدالته، فيه إشكال من أن شيخوخة الإجازة ليست هي العدالة ولا العدالة جزء من مفهومها ولا هي لازمة لمعناها لا عقلاً،

تعرض لهم النجاشي وغيره وضعفهم، وتضعيفهم - لدى سيد الفقهاء - لا يقدح في أمارية أن كل من يروي عنه القمي في تفسيره ثقة .
(١) بحوث في مباني علم الرجال : ١٥٨ .

لجواز كون الرجل شيخ الإجازة مع كونه فاسقاً ومرتكباً للكبائر ، ولا شرعاً لعدم ورود نص من الشرع على لزوم الحكم بعدالة شيخ الإجازة ، ولا عادة لعدم معلومية أن كل شيخ من مشايخ الإجازة يستحيل في العادة صدور الفسق منه (١) .

قلت : أن شيخوخة الإجازة ليست هي العدالة ولا جزء منها ، إلا أنها في أكثر أنماطها ومراتبها ودرجاتها وأقسامها المتقدمة محققة لحسن الظاهر ، وهو ملازم للعدالة ، بل ذهب عدة من الأعلام أن حسن الظاهر هو عين العدالة .

ثم واصل السيد المجاهد قدس سره كلامه ، قال : والتحقيق أن يقال : إن كان ثبوت عدالة الراوي يكتفى فيه بالظن أو أنه من الأمور الاجتهادية كالمسائل الفقهية واللغوية كما هو التحقيق ، فالمعتمد أنه يجوز الحكم بالعدالة بذلك لحصول الظن منه بها ، وكذا يجوز الحكم بها بقول عدل من أهل الرجال فلان شيخ الإجازة ، لحصول الظن منه بها ، وإن لم تكن العبارة دالة على إرادة التعديل لا مطابقة ولا تضمناً ولا التزاماً معتبراً في اللغات .

وإن يكن ذلك من الأمور الاجتهادية ولا يكتفى فيه بالظن من حيث إنه ظن ، بل لا بدّ من ثبوت العدالة بالعلم أو بسبب من الأسباب الشرعية كشهادة العدلين لكونه من الموضوعات الصرفة والأصل فيها ذلك ، فلا

(١) مفاتيح الأصول : ٣٧٣ .

يجوز الحكم بالعدالة لذلك لأنه لا يفيد العلم به ولم يثبت كونه من الأسباب الشرعية كالبينة، وكذا لا يجوز الحكم بذلك بقول عدل أو عدلين من أهل الرجال فلان شيخ إجازة لأنه لا يفيد العلم به، ولم يثبت كونه من الأسباب الشرعية... (١).

قلت : شيخوخة الإجازة - بأكثر مراتبها المتقدمة - من أمارات حسن الظاهر - كما تقدم ذكره -، وحسن الظاهر أمانة شرعية على الوثاقة والعدالة بلا خلاف .

ملحق : ٧ .

جلالة عمرو بن شمر الجعفي

قد نص الرجاليون على أن الوثيقة تثبت بأمور :

الأول : نص أحد المعصومين عليهم السلام .

الثاني : نص أحد الأعلام المتقدمين ، كالبرقي وابن قولويه والكشي والصدوق والمفيد والنجاشي والشيخ ، وأضرابهم .

كما تثبت بنص أحد الأعلام المتأخرين بشرط أن يكون من أخبر عن وثاقته معاصراً للمخبر أو قريب العصر منه ، كما يتفق ذلك في توثيقات الشيخ منتجب الدين قدس سره ، أو ابن شهر آشوب قدس سره .

الثالث : دعوى الإجماع من قبل الأقدمين ، كالاتفاق الذي حكاه ابن طاووس بشأن إبراهيم بن هاشم من اتفاقهم على وثاقته .

قلت : وقد ذكر الفقهاء قاطبة أن العدالة وهي مرتبة أعلى من الوثيقة ، تثبت بأمور :

الأول : العلم الوجداني الحاصل بالإختبار والممارسة ، أو الوثوق والإطمئنان الحاصل بالشياع ، وكذا الحاصل من المناشئ المعتمد بها عقلاً .

الثاني : شهادة عدلين ، أو عدل واحد ، أو ثقة على الخلاف الموجود بين الأعلام والأعاضم .

الثالث : حسن الظاهر ، سواء أوجب العلم بالعدالة أو الظن بها ، بل ذهب جماعة من الأعاضم إلى أن حسن الظاهر هو عين العدالة لا أنه أمانة عليها .

وقد ذكرنا في بعض الأبحاث الفقهية أن عدة من الأعاضم لم يشترطوا العشرة لإحراز حسن الظاهر ، وعلى القول بإشتراطها لا يلزم أن تكون لنفس من يريد اثبات الوثاقة ، بل يكفي العلم الوجداني بها وإن كانت بوسائط تنتهي إلى من يعاشر الراوي .

ومن الواضح الجلي أن : البيئة العلمية للرواة هي محل المعاشرة التي يستفاد منها حسن الظاهر ، فكون الراوي : إمامي ، وصاحب كتاب أو أصل ، وكثرة رواية الثقات والأجلاء عنه ، وكثرة رواياته عن الثقة والأجلاء ، وكونه كثير الرواية ، ومعمول برواياته ، ومن مشايخ الإجازة ، وترحم وترضي الأصحاب عليه ، ومن بيت علمي ، واكثر الصدوق والكليني وابن قولويه والشيخ الرواية عنه ، ولم يطعن عليه ، كل هذه الأمور العلمية المرتبطة بصدق اللهجة في الرواة - والتي هي المحور - يجزم من خلالها بتحقق حسن الظاهر ، إذ على فرض عدم إفادتها حسن الظاهر للراوي ، فأي قرائن يمكن من خلالها إثبات ذلك ؟!

وقد ذكرنا في بعض الأبحاث الفقهية : أن سيد الفقهاء الخوئي قدس سره في بحث الرجال وفي الفقه حينما يتعرض إلى وثاقة الرواة يصرح بشكل قاطع : أن وثاقة الرواة لا يكفي فيها عدم إحراز الفسق والسوء ،

بل لا بد من احراز جنة ثبوتية في الراوي وفي سلوكياته حتى يحكم عليه بحسن الظاهر الملازم للعدالة شرعاً، بينما في بحث العدالة يصّر على عدم اشتراط العشرة، ويكفي في تحقق حسن الظاهر عدم العلم بالفسق والسوء .

فيفرق قدس سره في المقامين - من حيث الحكم - فيكتفي بالعنوان العدمي - في بحثه الفقهي -، وهو عدم العلم بالفسق والسوء والقبح، ويصّر في بحث الرجال على العنوان الوجودي، وهو العلم بعدم الفسق والسوء والقبح، والذي يمكن أن يستفاد ويحرز عبر القرائن التي من خلال الوقوف عليها يعلم بحسن الظاهر الملازم للعدالة شرعاً، فلا يكفي كون الراوي مؤمناً أو مسلماً لم يحرز منه سوء، بل لا بد من اثبات حالة سلوكية خاصة تحرز عدم الطعن والقبح فيه، فيكون بذلك حسن الظاهر، المستلزم للعدالة .

وسواء كان إحراز حسن الظاهر يكفي فيه عدم العلم أو العلم بالعدم - كما هو الصحيح مطلقاً - فما ذكرناه من قرائن من كون الراوي صاحب أصل أو كتاب، وكثرة رواية الأجلاء والثقات عنه أمور محققة جزمياً للعلم بحسن الظاهر، وهذا هو المطلوب في هذا الملحق وفي بحث الرجال بأكمله .

إذا عرفت ذلك فنقول :

قد وقع الخلاف في عمرو بن شمر، والذي يمكن أن يستفاد من حيث القرائن والأمارات أنه من الأجلاء الكبار، لقرائن كثيرة محققة

لحسن ظاهره ، وهي بأجمعها من أعظم شواهد العدالة ، وأجل أمارات الوثاقة والجلالة ، فنقول :

هو عمرو بن شمر بن يزيد ، أبو عبد الله الجعفي .

ولادته ووفاته :

لم يذكر التاريخ سنة ولادته ، ولعلها في بداية النصف الثاني من القرن الأول ، باعتبار أنه كان إمام مسجد جعفي ستين سنة ^(١) ، ويحتمل أنه كان فوق العشرين لما شرع وابتدأ الصلاة جماعة بالناس سنة ٩٧ ، ومات سنة سبع وخمسين ومائة ^(٢) .

عاصر من الأئمة : زين العابدين والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام ، ومات في عهد الكاظم عليه السلام .

روى عن الباقر والصادق عليهما السلام ، ولم يرو - على الظاهر - عن الإمام زين العابدين والكاظم عليهما السلام .

وروى - أيضاً - عن : أبان بن محمد ، وإبراهيم بن عبد الأعلى ، وإسماعيل السدي ، وحارثة بن نويرة بن الحارث الطائي ، وحفص بن أبي حفص وزيد السلمي ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وسليمان بن مهران الأعمش ، وشريك ، وشمر بن يزيد والده ، والصلت بن زهير النهدي ، وعبد الرحمن بن سابط ، وعبد السلام بن عبد الله بن جابر ، وعروة بن عبد الله أبو مهمل الجعفي الكوفي ، وعطاء بن السائب ،

(١) الطبقات لابن سعد : ٣٨٠/٦ .

(٢) كتاب المجروحين لابن حبان : ٧٥/٢ .

وعمار بن صخر السلمي ، وعمار بن غزية ، وعروة بن عبد الله ،
وعمر بن أنس ، وعمر بن قيس الملائي ، وعمران بن مسلم ، وفضيل
بن خديج ، ومبارك بن فضالة ، ومحمد بن سوقة ، ومنصور - لعله ابن
المعتمر - ، وليث بن أبي سليم ، ويزيد بن مرة ، ويعقوب بن ميثم التمار ،
وأبي أراك ، وأبي إسحاق - ولعله السبيعي ، وأبي حرب بن أبي الأسود
الدؤلي ، وأبي طلق ، ويقال له عدي بن حنظله ، وأبي مخنف ،
وغيرهم .

وأكثر روايته كانت عن جابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه .

أقوال الرجالين فيه :

عده البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام ، قائلا : عمرو بن
شمر الجعفي ، عربي ، كوفي (١) .

وقال ابن الغضائري : عمرو بن شمر ، أبو عبد الله الجعفي ، روى
عن أبي عبد الله عليه السلام وجابر ، ضعيف (٢) .

وقال النجاشي : عمرو بن شمر ، روى عن أبي عبد الله عليه
السلام ، ضعيف جداً!!! زيد أحاديث في كتب جابر الجعفي ينسب
بعضها إليه ، والأمر ملتبس (٣) .

وبناءً على كلامه قدس سره توقف كثير من الفقهاء عن العمل

(١) معجم رجال الحديث : رقم ٨٩٣٨ .

(٢) رجال ابن الغضائري : ٧٤ رقم ٧٨ .

(٣) رجال النجاشي : رقم ٧٦٥ .

بروايات عمرو بن شمر ، وسيأتي أن منشأ تضعيفه إما الغلو المزعوم ، أو تأثراً بما قاله العامة فيه ، أو كليهما .

وقال الشيخ الطوسي : عمرو بن شمر ، له كتاب ، رويناه بالإسناد عن حميد ، عن ابراهيم بن سليمان الخزاز ، عن أبي إسحاق ، عنه (١) .
وذكره في الرجال في أصحاب الباقر عليه السلام ، وفي أصحاب الصادق عليه السلام ، ولم يقدح فيه في كل كتبه ، بل عمل برواياته في كتبه الفقهية ، واستشهد به في سائر كتبه .

وقال الوحيد البهبهاني قدس سره : قال جدي العلامة : « أعلم أن علي بن إبراهيم روى أخباراً كثيرة في تفسيره عن عمرو بن شمر عن جابر ، وكذا باقي الأصحاب ، وكان ذلك لما رأوها موافقاً لباقي أخبار الأئمة عليهم السلام اعتبروها ، والمصنف - يعني الصدوق - روى عنه أخباراً كثيراً وقال : « أعتقد أنها حجة بيني وبين ربي » ولم نطلع على رواية تدل على ضعفه وذمه ، بخلاف باقي أصحاب جابر » (٢) .

تحقيق حاله :

قد ذهب خاتمة المحدثين الإمام النوري - قدس سره - إلى وثاقة عمرو بن شمر في كتابه القيم « خاتمة المستدرک » ، وساق مجموعة من المواد الرجالية التي بمجموعها يطمئن بصحة ما اختاره قدس سره .

(١) الفهرست : ٣٢٠ رقم ٤٩٦ .

(٢) تعليقه على منهج المقال : ٢٦٥ ، وراجع روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه : ٧٧/١٤ .

ونحن في هذا المختصر النافع نوافق ما اختاره هذا الإمام العظيم الذي قضى عمره الشريف في البحث عن الروايات والأسانيد وعرف صحيحها من سقيمها وحقها من باطلها ، ونستدل على وثاقته وجلالته بمجموعة من المواد التي من خلالها نجزم بوثاقته وعلو قدره ، والتي تشكل بمجموعها حسن الظاهر الملازم للعدالة فضلا عن صدق اللهجة ، وأن ما قاله النجاشي في حقه مجانب للصواب ، ومفسر بما لا يتنافى مع العدالة وصدق اللهجة .

المادة الأولى :

أنه قد روى عنه أكثر من خمسين ثقةً وجليلاً ، والرواة الذين رُوي عنهم هذا القدر الهائل من الثقات عزيز .

فقد روى عنه : ابراهيم بن عمر اليماني ، أحمد بن النضر الخزاز ، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي ، وإسماعيل بن مهران ، وجميل ابن دراج ، وحرير بن عبد الله السجستاني ، والحسن اللؤلؤي ، والحسن ابن زياد الكوفي ، والحسن بن محبوب ، والحسين بن علوان ، وحماد بن عيسى ، وسيف بن عميرة ، وعبد الرحمن بن أبي هاشم ، وعبد الله ابن حماد الأنصاري ، وعبد الله بن المغيرة ، وعثمان ابن عيسى الكلابي ، وعلي بن الحكم ، وعلي بن سيف ، وعلي بن النعمان ، وعلي بن مهزيار ، وعمرو بن ثابت ، وعمرو بن عثمان الخزاز ، والمثنى الحنات ، ومحمد بن خالد البرقي ، ومحمد بن سنان ، ونصر بن مزاحم ، والنضر ابن سويد ، وهشام الكلبي ، ويونس بن عبد

الرحمان .

وكثير من هؤلاء الرواة أعظم الطائفة الكبار ، المتحرزين عن الرواية عن الضعفاء والمشنعين على من يروي عن الضعفاء -وبعضهم من أصحاب الإجماع الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم -كعبد الله بن المغيرة وأحمد بن النضر وسيف بن عمير ويونس ابن عبد الرحمن والحسن بن محبوب وعثمان بن عيسى وحماد بن عيسى وإبراهيم بن عمر اليماني وعلي بن النعمان ، وغيرهم .

فكيف يحتمل -فضلاً عن الجزم -في حقه الضعف بالكذب والوضع ، وكيف يجزم بضعفه مع اعتماد هؤلاء عليه ، وفيهم مثل يونس وجميل بن دراج وعبد الله بن المغيرة ، وحماد بن عيسى الذي بلغ من تقواه وثبته واحتياطه أنه كان يقول : سمعت من أبي عبد الله عليه السلام سبعين حديثاً ، فلم أزل أدخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين » ، وغيرهم من أعظم الرواة الذين وصفهم الأصحاب بأن أحاديثهم نقية صحيحة .

فلو كان الرواة عن عمرو بن شمر من الرواة الثقات الذين ليسوا في منزلة أولئك لأمكن الجزم باعتبار حاله ، كيف والراوون عنه فقهاء الشريعة وأعظم الطائفة في حفظ روايات الأئمة عليهم السلام .

مع الأخذ بعين الاعتبار : أن الأصحاب - وفيهم عدة ممن روى عن عمرو بن شمر - دأبهم القدح في من يروي عن الضعفاء والمقدوحين ، ونصوصهم في ذلك ظاهرة .

وقد ذكر بعض الأعاضم : أن رواية جماعة من الأصحاب عن شخص أو رواية كتابه من أمارات الإعتماد والإعتداد به ^(١) ، بعد أن تأمل بعضهم في كونه من أمارات العدالة .

كما أن رواية الجليل أو الأجلاء عنه من أمارات القوة دون الوثاقة ^(٢) .

ثم ساق كلام المولى الوحيد البهبهاني قدس سره : لو كانت رواية جماعة من الأصحاب تشير إلى الوثاقة ، فرواية أجلائهم بطريق أولى ^(٣) .

وخلاصة القضية : ما قاله إمام الفصل في هذا التخصص الحاج النوري قدس سره : « وأما الشهادة الفعلية واستظهار حسن الظاهر منها ، بل الوثاقة ابتداءً منها - نظير الوثوق بعدالة الإمام من جهة صلاة العدول معه - فأحسنها وأتقنها وأجلها فائدة في المقام رواية الأجلاء عن أحد ، فإن التتبع والاستقراء في حال المشايخ الأجلة يشهد بأن روايتهم عن أحد واجتماعهم في الأخذ عنه قرينة واضحة على وثاقته ^(٤) ، وما كانوا يجتمعون على الرواية إلا عمّن كان أجلهم ، وإن روى أحدهم عن ضعيف في مقام شهره ونوهوا باسمه ، ورموه بنبال الضعف ، وربما

(١) لكشف ذلك عن حسن ظاهره المرتبط بصدق لهجته ، فتأمل البعض وتوقف الآخر في غير محله ، فتدبر .

(٢) مقباس الهداية : ٢/٢٦٣ .

(٣) نفس المصدر : ٢/٢٦٣ .

(٤) قرينة واضحة على حسن ظاهره ، المستلزم لصدق لهجته .

يوثقونه ثم يقولون : إلا أنه يروي عن الضعفاء ، بحيث يستفاد منه أن الطريقة على خلافه فيحتاج النادر إلى التنبيه ، فإذا كثرت الرواية من الأجلة الثقات عن أحد فدلائلها على الوثاقة واضحة ^(١) ، ثم ترقى قدس سره في المقام وعدّ رواية مطلق الثقة عن شخص كاشفاً عن وثاقة المروي عنه واعتباره .

وعلق عليه بعض المعاصرين : أن غاية ما يستفاد منه هو أن رواية الثقة عن رجل دليل على اعتماده عليه ، وأين هذا من التوثيق أو الشهادة بالمدح أو الحسن ، ثم إنه لو صحت هذه الدعوى لما بقيت لنا رواية ضعيفة في كتب الثقات من أصحابنا المحدثين ، وللزم التسلسل في الوثاقة من صاحب الكتاب إلى شيخه حتى يصل إلى المعصوم عليه السلام ، مع أنا نرى أنهم كثيراً ما يروون عن الرواة مع تصريحهم بجرحهم وقدحهم وضعفهم ^(٢) .

أقول : إكثار الأجلة الثقات العظام الرواية عن أحد محقق - قطعاً - لأبرز مصاديق حسن الظاهر المرتبط بصدق اللهجة ، ولا يشترط في الحكم بعدالة شخص أو مدحه التصريح بذلك لفظاً ، بل الإعتماد عليه - كالصلاة خلفه أو العمل برواياته أو الإكثار منها - عملاً كاف في ذلك . نعم مجرد الرواية عنه من دون إكثار لا تفيد قطعاً ذلك ، وما نقل من نقوض على هذه القاعدة العقلائية الاجتماعية البديهية أجنبي عن

(١) مستدركات مقباس الهداية : ١٦٨/٦ .

(٢) مستدركات مقباس الهداية : ١٦٨/٦ .

المقام ، ولم نجد أن مجموعة من الأجلة - جميعاً - نصوا على تضعيف أحد من الرواة ثم أكثروا الرواية عنه ، إلا فيما يرتبط بفساد العقيدة والتوقف في الاعتقاد بالأئمة عليهم السلام ، ومع ذلك حتى في مثل هذه الحالة توقفوا في الرواية عنه واكتفوا بالروايات التي تحملوها عنه قبل الإنحراف العقائدي كما هو الحال في البطائني والعبر تائي وغيرهما .

بل نقول - بلا مجازفة - إن إكثار الثقة الجليل الحافظ عن أحد من الرواة كاشف أيضاً على ذلك ، إذ الثقة قد يروي عن الضعيف ، لكنه لا يكثر من الرواية عنه في القضايا المرتبطة بهذه النشأة ، فكيف يكثر عنه فيما يرتبط بأصول الدين وفروعه .

ولو تعاملنا مع « علم الرجال وتقييم الرواة » على أنه علم أشبه وأقرب بالعلوم الرياضية لا الاجتماعية ^(١) ، لأمكن القول بأن إكثار الأجلة من الأصحاب الرواية عن رجل تدل على وثاقته أيضاً ، بقرينة ما مر من أنهم كانوا يطعنون فيمن يروي عن الضعاف فكيف يجمعوا عن الرواية عنهم ، وهذا ما أشار إليه الحاج النوري قدس سره بقوله السابق « وما كانوا يجتمعون على الرواية إلا عمّن كان أجملهم ، وإن روى أحدهم عن ضعيف في مقام شهره ونوهوا باسمه ^(٢) » ، ورموه بنبال

(١) ومشكلة الكثير - ومنهم عدة من الأعاظم - أنهم تعاملوا مع علم الرجال على أنه علم كالعلوم الرياضية ، لا بد فيه من التنصيب على وثاقة الرواة ، مع أنهم في حياتهم الاجتماعية والدينية يكتفون بحسن الظاهر على العدالة والوثاقة وصدق اللهجة .

(٢) راجع ترجمة الثقات الأجلة : الحسن بن محمد بن جمهور ، أحمد بن محمد بن

الضعف» .

وعليه : فلا بد من النظر في حال الرواة ، هل أن الأجلة رويوا عنه بكثرة أم لا ؟ وعلى الأول هل أن ديدنهم القدح في من يروي عن الضعفاء أم لا ؟ ومنه تعرف أن إطلاق القول بأن رواية الأجلة لا تفيد الوثاقة - في الجملة - أو المدح واضحة البطلان .

وقد قال بعض المعاصرين : مما يؤيد عدم دلالة رواية الأجلة على الوثاقة أن صالح بن الحكم النيلي ضعفه النجاشي مع رواية الأجلة عنه كعبد الله بن بكير وجميل بن دراج وحماد بن عيسى وصفوان وجعفر بن بشير^(١) ، كما روى عنه علي بن الحكم .

ففيه : أنه - مع التنزل - قياس مع الفارق الشاسع ، فإن روايات صالح ابن الحكم لا تتجاوز في الكتب المعتبرة عشر روايات ، فكيف يقاس بعمر بن شمر الذي ما من كتاب روائي إلا وله فيه أحاديث كثيرة ، وقد روى عنه ثقة الاسلام الكليني عن طريق أكثر من عشرين من الثقات والأجلة .

كما أن : النجاشي قدس سره ضعف صالح بن الحكم بلا تفسير ، وقد قال أن له كتاب رواه جماعة .

خالد ، أحمد بن محمد بن جعفر الصولي ، علي بن أبي سهل ، محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري ، محمد بن مسعود العياشي ، محمد بن عبد العزيز الكشي ، محمد بن جعفر الأسدي ، نصر بن مزاحم ، وغيرهم .

(١) أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق : ٣١٠/٢ ، تقرير بحوث آية الله الشيخ مسلم الداوري دام ظله ، للمرحوم العلامة محمد علي المعلم رحمة الله عليه .

قال الوحيد البهبهاني قدس سره: وما في بعض التراجم مثل صالح بن الحكم، من تضعيفه مع ذكره ذلك^(١) غير عزيز ولا يضر، إذ لعله ظهر ضعفه عليه من الخارج، وإن كان الجماعة معتمدين عليه، والتخلف في الأمارات الظنية غير عزيز، ولا مضر^(٢).

فقوله قدس سره في ذيل كلامه « والتخلف في الأمارات الظنية غير عزيز ولا مضر » لابد وأن يكتب في علم الرجال بماء الذهب.

مضافاً: إلى أن إكثار رواية الأجلة والفقهاء والعلماء الثقات عن شخص محققاً قطعاً لحسن ظاهره، الملازم والكاشف عن عدالته ووثاقته وصدق لهجته.

فإذا كان ثمة نص من بعض الثقات والعلماء على ضعفه وعدم عدالته ووثاقته، فيحصل التعارض، فإن كان القدر غير مفسر فلا ينظر إليه، ووجوده كعدمه^(٣).

وإن كان مفسراً فتارة يكون تضعيفه مرتبطاً بعدالته ونزاهته ووثاقته، وأخرى بضبطه واعتقاده وسائر الأمور المرتبطة بفيئات وأشكال الشؤون المرتبطة بالرواية والحديث، كالروايات عن الضعفاء والمجهولين وكثرة الإرسال - وما شابه ذلك -.

فإن كان الأول فيقع التعارض بين: حسن الظاهر، وقول الثقة أو

(١) كرواية الأجلاء عنه.

(٢) الفوائد الرجالية للبهبهاني: ٤٧ * تعليقه على منهج للبهبهاني: ٢٦.

(٣) ولذا قالوا: بأن الجرح مقدم على التعديل فيما إذا كان مفسر ومبين.

العدل ، وتقديم أماريّة قول الثقة أو العدل على أماريّة حسن الظاهر مطلقاً لا أحد يقول بها ، بل ذهب الكثير - إن لم يكن الأكثر - إلى تقديم أماريّة حسن الظاهر على قول الثقة ، ولعل الصحيح التفصيل في الجملة .

المادة الثانية :

أن عمرو بن شمر كثير الرواية جداً عن المعصومين مباشرة وبالواسطة ، وقد نقلت رواياته في الكتب الأربعة وغيرها من الكتب المعتبرة ككامل الزيارات وتفسير علي بن إبراهيم القمي ، كما أن رواياته على نحو الخصوص في الكافي الشريف كثيرة ، ومن كان حاله هكذا فيمكن أن يعتمد على رواياته وأقواله ، وتفضيله على من هو دونه ، وذلك :

١ / لما اشتهر عنهم عليهم السلام : « اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا » ^(١) ، وقولهم « اعرفوا منازل شيعة علي عليه السلام على قدر روايتهم ومعرفتهم » ^(٢) ، وقولهم « اعرفوا منازل شيعتنا عندنا على حسب روايتهم وفهمهم عنا » ^(٣) وقولهم « اعرفوا منازل الرجال منا على قدر روايتهم عنا » ^(٤) ، فظاهر هذه الروايات أن كثرة الرواية عنهم

(١) الكافي الشريف : ٥٠/١ .

(٢) الأصول الستة عشر ، أصل زيد الزراد : ٣ .

(٣) رجال الكشي : ٦/١ .

(٤) رجال الكشي : ٥/١ .

مدحاً عظيماً.

إن قلت : أن الرواية ليست بصدد اعطاء ضابطة الجلالة والوثاقة على ضوء كثرة الرواية مطلقاً، ومن أي صدرت ، بل أن وثاقة الراوي وحجية قوله مفروضة مسبقاً في الرواية ، وإلا لأمكن أن يكتب المرء من الكتب ما شاء وينسبها إلى الأئمة عليهم السلام وتثبت بذلك وثاقته (١) .

قلت : هذا الكلام وجيه لو كان راوي أحاديثهم عليهم السلام نكرة لا يعرف ، ولم يرو عنه الثقات ، أما من روى عنه الكثير من الأجلة والعظام من أصحابنا ممن عاصر الأئمة عليهم السلام وأكثروا من الرواية عنه كما هو حال عمرو بن شمر فتطبق عليه هذه الروايات ويكون من أبرز مصاديقها .

٢ / ولديدن الأصحاب من عصر الأئمة عليهم السلام على التشدد في الرواية والإحتياط بالأخذ عن كل من هبّ ودب ، سيما في عصر الغيبة الصغرى وبداية الكبرى ، يشهد لذلك كلماتهم وما سطره في كتبهم المعتمدة الواصلة إلينا ، ولذا استثنوا بعض الروايات من بعض الكتب ، وشنعوا على من يروي عن الضعفاء ، وقدحوا فيمن يعتمد المراسيل ، ولا يبالي عمن أخذ ، كل ذلك كاشف على أن من أكثروا عنه ودونوا رواياته في كتبهم المعتمدة بعيد عن القدح والتجريح .

(١) بحوث في فقه الرجال تقرير أبحاث المحقق آية الله العظمى السيد علي الفاني قدس سره .

٣ / ولما صرح به ثقة الإسلام الكليني قدس سره في ديباجة كتابه الشريف بقوله : « إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين ، ما يكتفي به المتعلم ، ويرجع إليه المسترشد ، يأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به ، بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام ، والسنن القائمة التي عليها العمل ، وبها يؤدي فرض الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ... وأرجو أن يكون بحيث توخيت » .

وما قاله الفقيه جعفر بن محمد بن قولويه في كتابه الشريف « كامل الزيارات » : « وقد علمنا أننا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره ، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته ، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذاذ من الرجال ، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث » (١) .

وروايات عمرو بن شمر في الكافي الشريف كثيرة جداً ، وهي متعددة في كامل الزيارات ، فتشمله هذه العبائر بلا ريب ، نعم لو كانت رواياته في هذين الكتابين قليلة : كالواحدة والإثنين والثلاث ، لأمكن التأمل والتوقف ، فتدبر جيداً .

المادة الثالثة :

أن عمرو بن شمر قد اعتمد شيخ الأمة وصدوقها على كتابه في

« من لا يحضره الفقيه » وقد ذكر في مستهل كتابه الشريف « ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما روه ، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي - تقدره ذكره وتعال قدرته - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة ، عليها المعول وإليها المرجع ... » ، وهذه العبارة من الصدوق قدس سره والذي مدحه الشيخ الطوسي قدس سره بأنه « كان عارفاً بالرجال » تنخيص واضح على أن كل من روى عنه من أصحاب الكتب التي عبر عنها بأنها كتب مشهورة معتمد عنده .

ودعوى : أن الصحة عند القدماء ^(١) ومنهم الصدوق غير الصحة عند المتأخرين ، إذ الصحة عند المتأخرين هو كون الراوي عدلاً إمامياً ، والصحة عند القدماء لا تدل على مدح الراوي ، فضلاً عن عدالته ووثاقته .

يدفعها : قول الشيخ الطوسي قدس سره : إنا وجدنا الطائفة ميّزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار ، ووثقت الثقات منهم ، وضعفت الضعفاء ، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته ، ومن لا يعتمد على خبره ، ومدحوا الممدوح منه ، وذموا المذموم ، وقالوا : فلان متهم في حديثه ، وفلان كذاب ، وفلان مخلط ، وفلان مخالف في المذهب والإعتقاد ، وفلان واقفي ، وفلان فطحي ، وغير ذلك من الطعون التي ذكروها ،

(١) والمقصود من المتأخرين هم الذين صنفوا أحاديث أهل البيت عليهم السلام إلى الأقسام الأربعة « الصحيح ، والحسن ، والموثق أو القوي ، والضعيف » ، وهم العلامة الحلي وشيخه ابن طاووس ومن جاء بعدهما .

وصنفوا في ذلك الكتب ، واستثنوا الرجال من جملة ما رووه من التصانيف في فهارسهم ، حتى إن واحدا منهم إذا أنكر حديثاً نظر في إسناده وضعفه برواته « (١) .

وقول النجاشي في ترجمة محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري ، واستثناء ابن الوليد مجموعة من رواة كتابه الضعفاء : وقد تبعه أبو جعفر ابن بابويه رحمه الله على ذلك إلا في محمد بن عيسى بن عبيد ، فلا أدري ما رآه فيه ، لأنه كان على ظاهر العدالة والثقة (٢) .

فلو كانت الصحة عند القدماء خصوص الموثوق بصدوره بلا لحاظ حال الراوي من حيث المدح والقدح لكان الأولى استثناء الروايات لا الرواة ، وراجع ملحق رقم : ٣.

المادة الرابعة :

أن عمرو بن شمر كما اعتمد الصدوق قدس سره على كتابه ونقل منه عدة من الروايات جعلها حجة بينه وبين الله عز وجل وأفتى بمضمونها ، كذلك وقع في طريقه إلى كتاب جابر بن عبد الله الجعفي رضي الله عنه ، دون غيره من تلامذة جابر الكثير .

المادة الخامسة :

إن أكثر روايات جابر بن يزيد الجعفي في الكتب المعتمدة تمر

(١) عدة الأصول : ١/١٤١ .

(٢) رجال النجاشي : ٣٤٨ رقم : ٩٣٩ .

عبره ، مع أن الأصحاب لهم طرق عديدة لكل كتب وروايات جابر لجعفي قدس سره ، وبعض هذه الطرق صحيحة من حيث لإسناد (١) ، فإهمال ما رواه غيره والاعتداد بما رواه عمرو بن شمر عن جابر فيه أمانة واضحة على المدح بل ربما على الوثاقة ، وهذا معنى أن ما ارتضاه الأصحاب عملاً من أصحاب جابر هو عمرو بن شمر .

قال شيخنا السند دام ظله : إن جملة من أجلاء ورؤساء الطائفة كانوا يتداولون كتبه ويروون رواياته ويعتمدون عليه ، وهذا بمثابة توثيق عملي وشهادة حسية بل فوق التوثيق ، مما يبلغ إلى درجة لمرجعية في الطائفة ، وهذه الشهادات الحسية لا يعارضها كلام لنجاشي المتأخر عنه زماناً ، المبتني على الحدس الناشئ من عدم تحمله لبعض مضامين ما يرويه ، كما صنع ذلك بشيخه وأستاذه جابر بن يزيد الجعفي (٢) ، فالجرح منه ناشئ عن الاختلاف في المباني لكلامية .

المادة السادسة :

ما نقله العامة من أنه كان إماماً لمسجد جعفي ستين سنة (٣) ، وعن حسين الجعفي - وهو أحد الزهاد العباد المشهورين الثقات

(١) قال الشيخ الطوسي قدس سره : جابر الجعفي له أصل أخبرنا به ابن أبي جيد ... عن لمفضل بن صالح ، عنه ، ورواه حميد بن زياد عن إبراهيم بن سليمان - ثقة - عنه .
 (٢) فقد لئن قدس سره جابر الجعفي ، مع أنه وثق بعض النواصب ، وهذا من الغرائب .
 (٣) الطبقات لابن سعد : ٣٨٠/٦ .

المتقين (١) - قال : كنت أؤذن وكان عمرو بن شمر يؤمهم ، فمكثت ثلاثين سنة أجتهد أن أسبقه إلى المسجد أو أخرج بعده فلم أقدر (٢) .

قال شيخنا السند دام ظله : ويظهر من هذين النصين شدة اجتهاد عمرو بن شمر في العبادة والصلاة ، ومدى تقيده بالأحكام والفروع مما يفند ويزيف نسبة الغلو إليه ، والعجب أن العامة مع ما رموه لستمه الصحابة وغير ذلك ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينكروا هذه الفضيلة له ، ويعكس هذا النص مدى مقبوليته في أوساط العامة حيث صار إماماً في الجامع طوال ستين سنة ، وللإمامة في الجامع لوازمها وشؤونها الخاصة ، من وقوع الإمام محل اعتماد وقبول لدى الجمهور في دينهم ودنياهم .

وعن ابن معين قال : أبو مخنف وأبو مريم وعمرو بن شمر ليسوا هم بشيء ، قيل له : هم مثل عمرو بن شمر ؟ قال : هم شر من عمرو بن شمر (٣) . مع أن أبا مخنف وأبا مريم وهو عبد الغفار بن القاسم من ثقات الخاصة .

وقال ابن حجر : قال الحاكم : كان كثير الموضوعات عن جابر

(١) قال الهروي : ما رأيت أتقن من حسين الجعفي ، وقال سفيان بن عيينة : قدم أفضل رجل يكون قط ، فلما جاء قام سفيان فقبل يده ، وقال : عجبت لمن مر بالكوفة فلم يقبل بين عيني حسين الجعفي ، وقال النيسابوري : إن بقي أحد من الأبدال فحسين الجعفي ، وقال العجلي : ثقة ، وكان يقرئ القرآن رأس فيه ، وكان رجلاً صالحاً لم أر رجلاً قط أفضل منه ، ولد سنة ١١٩ ، ومات ٢٠٤ . راجع : تهذيب الكمال : ٤٤٩/٦ رقم ١٣٢٤ .

(٢) الكامل لابن عدي : ١٢٩/٥ .

(٣) تاريخ ابن معين للدوري : ٣٢١/١ رقم ٢١٥٤ .

الجعفي ، وليس يروي تلك الموضوعات الفاحشة عن جابر غيره .
ويستفاد من هذا أن تضعيفه لدى العامة لأجل روايته الأسرار
والمعارف عن جابر الجعفي ، وهو منشأ تضعيفه لدى بعض الخاصة ،
كالنجاشي قدس سره ، إذ أن كثيراً من مشايخه من العامة .

المادة السابعة :

ما قاله الإمام النوري قدس سره : ويظهر من الشيخ المفيد رحمه
الله أيضاً الإعتماد عليه فإنه في كتاب الكافئة - المبني على المسائل
العلمية وتنقيد الأخبار وردّها وقبولها - تلقى أخباره بالقبول ، فقال في
موضع سؤال : فإن قالوا : أفليس قد روى عمرو بن شمر عن جابر عن
أبي جعفر عليه السلام : أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دنا من الكوفة
مقبلاً من البصرة ، خرج الناس مع قرظة بن كعب يتلقونه ... الخبر .
فأجاب - رحمه الله - عن السؤال بغير رد الخبر وتضعيفه كما هو
دأبه في غير المقام .

واستدل أيضاً لدعواه أنه عليه السلام ضلل طلحة والزبير بعد قتلهما
أو شهد عليهما بالنار ، بما رواه إسماعيل بن أبان قال : حدثنا عمرو بن
شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام ... الخبر .
وقال - رحمه الله - في جواب من رد دعواه كذب الخبر المعروف
من بشارة النبي صلى الله عليه وآله عشرة من أصحابه بالجنة ، بأنه لم
ينكره المهاجرون والأنصار ، ما لفظه : على أن كثير من الشيعة يروون

عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام: أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه واقف طلحة والزبير وخاطبهما... الخبر.

فاستدل بروايته على إنكاره عليه السلام الخبر المذكور، وكذا صنع به في رسالته في الرد على أصحاب العدد وغير ذلك (١).

فالحق دخوله في الثقات خصوصاً لو بنينا على كون رواية واحد من أصحاب الإجماع فضلاً عن خمسة منهم من أمارات الوثاقة، كما صرح به العلامة الطباطبائي، ويظهر من العلامة في المختلف (٢).

فهذه سبع مواد يمكن أن يستكشف منها ثقة وعدالة عمرو بن شمر، وإن كان للنقاش مجال في بعضها، لكن بأجمعها تشكل دلالة واضحة على الإعتماد والإطمئنان بما يرويه، وعده من الوجوه والأجلاء، كما أن كل قرينة من هذه القرائن يمكن أن يستفاد منها - ظاهراً - حسن ظاهره، بل من بعضها يجزم بذلك، ومن البعض الآخر يقطع بجلالته وتحقيق حاله لا حسن ظاهره فحسب، فتدبر.

مع النجاشي قدس سره :

وتضعيف ابن الغضائري له لا اعتبار به، لعدم صحة نسبة الكتاب إليه - على ما قيل -، ولتسرع في القدر والتضعيف لأجل الرواة، فلا

(١) راجع: جوابات أهل الموصول: ٣٦، والكافئة: ١٤ - ١٨ - ٣١، واستشهد بروايته في كتابه القيم الإرشاد والأُمالي.
(٢) خاتمة المستدرک: ١٩٦/٤.

يقبل قوله القادح في الرواة مطلقاً ، على أن قدحه لرواة الخاصة في الأعم الأغلب قائم على أساس الإتهام بالغلو ، والذي قد تبين أنه علو ، ولقد أفرطت المدرسة الإمامية البغدادية في تضعيف رواية الخاصة لتهمة الغلو بأكثر مما فعلته مدرسة قم المقدسة آنذاك ، مع أن المشهور خلاف ذلك ، والإستقراء ببابك .

وأما قول النجاشي قدس سره « ضعيف جداً » فإنه قدح مجمل لم يبين منشأه ، ولعل المنشأ ما قاله في ترجمته بقوله « زيد أحاديث في كتب جابر الجعفي ينسب بعضها إليه ، والأمر ملبس » (١) ، وهذا الكلام قد أخذه من العامة فقد قال سفيان الثوري : « عمرو بن شمر هذا أكثر عن جابر وما رأيته عنده قط » (٢) ، وكثير من مشايخ النجاشي منهم ظاهراً . والشاهد عليه ما ذكرناه في المادة الخامسة من أن أكثر روايات جابر في الكتب المعتمدة مروية عن طريقه .

أو أن يكون منشأ القدح اتهامه بالغلو لروايته أحاديث وتفسير جابر ابن عبد الله الجعفي (٣) .

على أن استدراك وزيادة التلميذ أحاديث شيخه وتدوينها في متن كتبه أو حواشيها مدح وليس بطعن ، فهذا عبد الله بن أحمد بن حنبل قد

(١) رجال النجاشي : رقم ٧٦٥ .

(٢) ضعفاء العقيلي : ٢٧٥/٣ .

(٣) فقد روي عن المفضل بن عمر بسندين ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير جابر ، قال : لا تحدث به السفلة فيذيعونه

زاد أحاديث كثيرة في مسند وكتب أبيه ، وزاد تلميذه القطيعي أحاديث كثيرة أيضاً عليه ، ومن الأحاديث التي زادها القطيعي على أحاديث أحمد بن حنبل وابنه قوله عليه السلام « كنت أنا وعلي نوراً بين يد الله مطيعاً يسبح الله ويقده قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام » (١) .

وهذا الصفواني شيخ الطائفة أحمد بن محمد ، قد روى الكافي الشريف وزاد بعض الأحاديث ، وكذا النعماني شيخ الطائفة أيضاً قد روى الكافي الشريف وزاد بعض الأحاديث ، فزيادة التلاميذ أحاديث في متن كتب مشايخهم أو حواشيها أمر معمول به لدى الرواة والحفاظ .

(١) وقد رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : عن أحمد بن حنبل بسنده الصحيح .

ملحق : ٨ .

وثيقة و جلالة محمد بن سنان

وهو محمد بن الحسن بن سنان ، أبو جعفر الزاهري ، من ولد زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي ، توفي أبوه وهو طفل ، وكفله جده سنان فنسب إليه .

وقد وقع الخلاف فيه بين الرجالين ، بين موثق ومضعف ، بل اختلف فيه الرجالي الواحد فتارة وثقه وأخرى ضعفه ، كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي قدس سرهما .

والذي يمكن أن يستفاد من خلال القرائن والأمارات أنه من الأجلاء الكبار ، بل من الأولياء ، لقرائن كثيرة محققة لحسن ظاهره ، وهي بأجمعها من أعظم شواهد العدالة ، وأجل أمارات الوثاقة والجلالة ، وهي كثيرة جداً ، نذكر بعضها ثم نذكر بعدها الأمارات المخالفة .

فمن الأمارات المادحة المحققة لحسن ظاهره - قطعاً - المستلزمة لعدالته وصدق لهجته وجلالته وعظمته في الطائفة ما يلي :

الأمارة الأولى :

رواية الأجلاء الكبار والفقهاء العظام وحفاظ الشريعة وأصحاب الإجماع عنه : كإبراهيم بن هاشم ، وأحمد بن محمد الأشعري شيخ القميين ورواياته عنه كثيرة جداً ، وأيوب بن نوح ، والحسن بن علي

الوشاء، والحسن بن محبوب، والحسين بن سعيد، وصفوان بن يحيى، وعبد الرحمن بن أبي نجران، وعلي بن أسباط، وعلي بن الحكم، وعلي بن النعمان، ومحمد بن إسماعيل بن بزيح، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، ومحمد بن عبد الجبار، ويعقوب بن يزيد، يونس بن عبد الرحمن^(١)، وغيرهم.

ومن الواضح جداً أن رواية هذا الكم الهائل من الحفاظ العظام والفقهاء الكبار وأصحاب الإجماع - الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم - من أقوى أمارات حسن الظاهر، وعلى رأس القرائن الكاشفة عن صدق اللهجة في الرواة، بل هي من أمارات تحقيق حاله والكشف عن واقعه، والعلم بعدالته لا الظن بها فحسب.

ولا يتصور ذو مُسْكَة أن رواية هذا الكم الهائل من الفقهاء لا يولد مصداقاً راقياً من مصاديق حسن الظاهر.

ولو سألنا كل ذي لب: أن رواية مجموعة كبيرة من الفقهاء والثقات العظام عن شخص ماذا تُشكّل؟

لكان الجواب: أن الطيور على أشكالها تقع، وكل يميل إلى مثله، وأن هذا الشخص المروي عنه إما أن يكون من كبار الفقهاء أو من كبار

(١) فعن محمد بن عيسى، عن يونس، عن محمد بن سنان، عن العلاء بن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: حد اللوطي مثل حد الزنى، وقال: إن كان قد أحصن رجم وإلا جلد. الكافي الشريف: ١٩٨/٧، كما روى عنه روايات عديدة، راجع: الكافي الشريف: ٣٥١، ٣١٢، ٢٨٢، ٢٨٠/٧.

الثقات، والإستقراء ببابك .

قال الإمام النوري قدس سره : « وأما الشهادة الفعلية واستظهار حسن الظاهر منها ، بل الوثاقة ابتداءً منها - نظير الوثوق بعدالة الإمام من جهة صلاة العدول معه - فأحسنها وأتقنها وأجلها فائدة في المقام رواية الأجلاء عن أحد ، فإن التتبع والإستقراء في حال المشايخ الأجلة يشهد بأن روايتهم عن أحد واجتماعهم في الأخذ عنه قرينة واضحة على وثاقته ^(١) ، وما كانوا يجتمعون على الرواية إلا عمّن كان أجلهم ، وإن روى أحدهم عن ضعيف في مقام شهره ونوهوا باسمه ، ورموه بنبال الضعف ، وربما يوثقونه ثم يقولون : إلا أنه يروي عن الضعفاء ، بحيث يستفاد منه أن الطريقة على خلافه فيحتاج النادر إلى التنبيه ، فإذا كثرت الرواية من الأجلة الثقات عن أحد فدلالته على الوثاقة واضحة .

قال : ولنذكر بعض الشواهد من كلماتهم : قال النجاشي في ترجمة عبد الله بن سنان بعد ذكر كتبه : روى هذه الكتب عنه جماعات من أصحابنا ، لعظمه في الطائفة وثقته وجلالته .

قال الشيخ المحقق الأستاذ طاب ثراه : يستفاد من هذه العبارة أن إكثار الرواية ، وكثرة الرواة عن شخص مما يدل على الوثاقة ، وهذا كذلك بعد الفحص التام ^(٢) ، وراجع ما ذكرناه في الملحق : ٣ .

فالخلاصة : أن إكثار رواية الأجلة والفقهاء والعلماء الثقات عن

(١) قرينة واضحة على حسن ظاهره ، المستلزم لصدق لهجته .

(٢) خاتمة المستدرک : ٩٩/٧ .

شخص محققة - قطعاً - لحسن ظاهره ، الملازم والكاشف عن عدالته ووثاقته وصدق لهجته .

فإذا كان ثمة نص من بعض الثقات والعلماء على ضعفه وعدم عدالته ووثاقته ، فيحصل التعارض ، فإن كان القدح غير مفسر فلا ينظر إليه ، ووجوده كعدمه (١) .

وإن كان مفسراً فتارة يكون منشأ التضعيف مرتبطاً بعدالته ونزاهته ووثاقته ، وأخرى بضبطه واعتقاده وسائر القضايا المرتبطة بشؤون وفيات الرواية والحديث ، كالرواية عن الضعفاء والمجهولين وكثرة الإرسال - وما شابه ذلك - فإن كان الأول فيقع التعارض بين : حسن الظاهر ، وقول الثقة أو العدل ، وتقديم أمارية قول الثقة أو العدل على أمارية حسن الظاهر مطلقاً ، لا أحد يقول به ، بل ذهب الكثير - إن لم يكن الأكثر - إلى تقديم أمارية حسن الظاهر على قول الثقة ، ولعل الصحيح التفصيل في الجملة .

قال أبو المعالي الكلبي قدس سره : عن الفضل بن شاذان قال : « الكذابون المشهورون : أبو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصائغ ومحمد بن سنان وأبو سميئة أشهرهم » ، وقال : « ردوا أحاديث محمد ابن سنان ، وقال : لا أحل لكم أن ترووا أحاديث محمد بن سنان عني ما دمت حياً » ، وأذن في الرواية بعد موته !!!

(١) ولذا قالوا : بأن الجرح مقدم على التعديل فيما إذا كان مفسراً ومبيناً .

قال أبو المعالي قدس سره : أن الكلام موهون بأنه لو كان محمد ابن سنان من الكذابين المشهورين لما أقدم جماعة من العدول الثقات والأعظم على الرواية عنه بلا مرية من ذي مسكة ، كيف !!! وأحمد بن محمد بن عيسى ^(١) حاله مشهور في باب الرواية عن الضعفاء وهو يروي عن محمد بن سنان ، فلو كان محمد بن سنان من الكذابين المشهورين كيف يجوز العقل إقدام أحمد بن محمد بن عيسى على الرواية عنه .

وربما قيل : فإذا رأيناهم يروون عنه ويأخذون منه من غير مبالاة بقول الفضل بن شاذان مع امتناعهم الشديد وإبائهم الأكيد عن الرواية عن الضعفاء يحصل لنا القطع بأن ما قاله ليس على ظاهره ، يعني ضعف حال محمد بن سنان ، بل الأمر مبني على جهة أخرى كالثقة عن معاندة المعتقدين لضعف حال محمد بن سنان باعتقادهم ، مضافاً إلى منافاته مع توثيقه من جماعة ، فضلاً عن منافاة ذلك مع الإذن في الرواية عنه بعد الوفاة ^(٢) ، إذ الشخص المشهور بكونه كذاباً كيف يختلف حال الرواية عنه منعاً وجوازاً بحسب الحياة والموت ، ومع جميع ذلك روايات محمد بن سنان مقبولة مُفتى بها متلقة بالقبول على ما قيل ، ومقبولة وسديدة على ما ذكره العلامة البهبهاني قدس سره ، فكيف

(١) وقد أكثر من الرواية عن محمد بن سنان ، راجع أسانيد الكافي الشريف .

(٢) قال أبو الحسن علي بن محمد بن قتبة النيسابوري : قال الفضل بن شاذان : « لا أحل لكم أن ترووا أحاديث محمد بن سنان عني ما دمت حياً » قال النيسابوري : وأذن في الرواية بعد موته .

يكون محمد بن سنان من الكذابين المشهورين (١).

الأطارة الثانية :

كثرة رواياته وأحاديثه ، فقد روى عن المعصومين عليهم السلام مباشرة وبالواسطة ، ونقلت ودونت رواياته في الكتب الأربعة وغيرها من الكتب المعتمدة ككامل الزيارات وتفسير علي بن إبراهيم القمي ، ورواياته في خصوص الكتب الأربعة تربو على الألف !!! ومن كان حاله هكذا فيمكن أن يعتمد على رواياته وأقواله ، وتفضيله على من هو دونه ، وذلك :

١ / لما اشتهر عنهم عليهم السلام : « اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا » (٢) ، وقولهم « اعرفوا منازل شيعة علي عليه السلام على قدر روايتهم ومعرفتهم » (٣) ، وقولهم « اعرفوا منازل شيعتنا عندنا على حسب روايتهم وفهمهم عنا » (٤) وقولهم « اعرفوا منازل الرجال منا على قدر روايتهم عنا » (٥) ، فظاهر هذه الروايات أن كثرة الرواية عنهم مدحاً عظيماً .

إن قلت : أن الرواية ليست بصدد اعطاء ضابطة الجلالة والثاقة على ضوء كثرة الرواية مطلقاً ، ومن أي صدرت ، بل أن وثاقة الراوي

(١) الرسائل الرجالية : ٦٠٥/٣ .

(٢) الكافي الشريف : ٥٠/١ .

(٣) الأصول الستة عشر ، أصل زيد الزراد : ٣ .

(٤) رجال الكشي : ٦/١ .

(٥) رجال الكشي : ٥/١ .

وحجية قوله مفروضة مسبقاً في الرواية، وإلا لا يمكن أن يكتب المرء من الكتب ما شاء وينسبها إلى الأئمة عليهم السلام وتثبت بذلك وثاقته (١).

قلت : هذا الكلام وجيه لو كان راوي أحاديثهم عليهم السلام نكرة لا يعرف، ولم يرو عنه الثقات، أما من روى عنه الكثير من الأجلة والعظام من أصحابنا ممن عاصر الأئمة عليهم السلام وأكثروا من الرواية عنه كما هو حال عمرو بن شمر فتطبق عليه هذه الروايات ويكون من أبرز مصاديقها.

٢ / ولديدن الأصحاب من عصر الأئمة عليهم السلام على التشدد في الرواية والإحتياط بالأخذ عن كل من هبّ ودب، سيما في عصر الغيبة الصغرى وبداية الكبرى، يشهد لذلك كلماتهم وما سطروه في كتبهم المعتمدة الواصلة إلينا، ولذا استثنوا بعض الروايات من بعض الكتب، وشنعوا على من يروي عن الضعفاء، وقد حوا فيمن يعتمد المراسيل، ولا يبالي عمّن أخذ، كل ذلك كاشف على أن من أكثروا عنه ودونوا رواياته في كتبهم المعتمدة بعيد عن القدح والتجريح.

٣ / لما صرح به ثقة الإسلام الكليني قدس سره في ديباجة كتابه الشريف بقوله : « إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد،

(١) بحوث في فقه الرجال تقرير أبحاث المحقق آية الله العظمى السيد علي الفاني قدس سره.

ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به ، بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام ، والسنن القائمة التي عليها العمل ، وبها يؤدي فرض الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ... وأرجو أن يكون بحيث توخيت .

وما قاله الفقيه جعفر بن محمد بن قولويه في كتابه الشريف « كامل الزيارات » : « وقد علمنا أننا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره ، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته ، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذاذ من الرجال ، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم » (١) .

وما صرح به عظيم الحفاظ الشيخ الصدوق قدس سره في كتابه الشريف « من لا يحضره الفقيه » بقوله : « ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما روه ، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته ، وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي - تقدر ذكره - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة ، عليها المعول وإليها المرجع » .

وروايات محمد بن سنان في هذه الكتب الثلاثة على نحو الخصوص كثيرة جداً ، فتشمله ورواياته هذه العبائر بلا ريب ، نعم لو

كانت رواياته فيها بعدد أصابع اليد لأمكن التأمل والتوقف ، فتدبر جيداً .

الأمارة الثالثة :

قال الشيخ المفيد قدس سره : وممن روى النص على الرضا علي ابن موسى عليهما السلام بالإمامة من أبيه والإشارة إليه منه بذلك ، من خاصته وثقاته وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته : داود بن كثير الرقي ، ومحمد بن إسحاق بن عمار ، وعلي بن يقطين ، ونعيم القابوسي ، والحسين بن المختار ، وزياد بن مروان ، والمخزومي ، وداود بن سليمان ، ونصر بن قابوس ، وداود بن زربي ، ويزيد بن سليط ، ومحمد بن سنان .

ثم ساق قدس سره رواية محمد بن سنان قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة ، وعلي ابنه عليه السلام جالس بين يديه ، فنظر وقال : يا محمد ! إنه سيكون في هذه السنة حركة ! فلا تجزع لذلك ، قلت : وما يكون جعلني الله فداك فقد أقلقتنني ؟ قال : أصير إلى هذا الطاغية ، أما إنه لا ينالني منه سوء ولا من الذي يكون من بعده ، قلت : وما يكون ، جعلني الله فداك ؟ قال : من ظلم ابني هذا حقه وجحدته إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحد حقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، قلت : والله لئن مد الله لي في العمر لأسلمن له حقه ولأقرن بإمامته ، قال عليه السلام : صدقت يا محمد ، يمد الله في عمرك ، وتسلم له الحق ، وتقر له بإمامته وإمامته من يكون بعده ، قلت : ومن ذاك ؟ قال :

ابنه محمد ، قلت : له الرضى والتسليم (١) .

فمحمد بن سنان رضى الله عنه بنظر شيخ الطائفة المفيد قدس سره : خاصي ، ثقة ، ورع ، عالم ، فقيه ، وحديثه عن ابن سنان هو أروع - من حيث الفوائد والعبر - ما رواه في النص على الإمام الرضا عليه السلام ، فراجع .

وتضعيفه قدس سره لمحمد بن سنان في رسالته العددية ، بقوله بعد أن ساق حديثه عن حذيفة بن منصور ، عن الصادق عليه السلام « شهر رمضان ثلاثون يوماً لا ينقص أبداً » : « هذا حديث شاذ ، نادر ، غير معتمد عليه ، طريقه محمد بن سنان ، وهو مطعون فيه ، لا تختلف العصابة في تهمة وضعفه ، وما كان هذا سبيله لم يعول عليه في الدين » ، معلل بروايته هذا الحديث ، والذي هو في نظره مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة (٢) .

ولو وقع التعارض بين كلاميه في الإرشاد ورسالته في العددية - والتي هي جوابات أهل الموصل - كان المقدم ما في الإرشاد ، لأنه من أجل كتبه وأنفع مؤلفاته وأشهر مصنفاته ، وهو يفوق لدى الأعلام والحفاظ من حيث الاعتبار والأهمية من جوابه على أهل الموصل ، فمذهبه الرسمي في محمد بن سنان ما ذكره في الإرشاد الذي قد قرأه

(١) الإرشاد : ٢٥٣/٢ .

(٢) مع أن له معنى صحيح واقعي تكويني ، ذكرناه في « هيويات فقهية » ، تقريراً لدروس شيخنا السند دام ظله .

على عامة تلاميذه - من الخاصة والعامة - من على منبره في بغداد ،
بخلاف رسالته إلى أهل الموصل فإنها رسالة خاصة لمجموعة خاصة ،
مضافاً إلى تأخر تأليف الإرشاد عن رسالته هذه ، فتدبر .

وقد سئل قدس سره عن معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية
عليهم السلام في الأشباح ، وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلقه آدم عليه
السلام بألفي عام ؟

فأجاب : إن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها وتباين معانيها ،
وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة ، وصنفوا فيها كتباً لغواً فيها وهذوا
فيما أثبتوه منه في معانيها ، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من
شيوخ أهل الحق وتخرصوا الباطل بإضافتها إليهم ، من جملتها كتاب
سَمَوهُ : كتاب الأشباح والأظلة ، ونسبوا تأليفه إلى محمد بن سنان ،
ولسنا نعلم صحة ما ذكروه في هذا الباب عنه ، فإن كان صحيحاً فإن ابن
سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب
إليه فهو ضال بضلاله عن الحق ، وإن كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك ^(١) .

فقد وصف قدس سره محمد بن سنان أنه من شيوخ أهل الحق ،
وأن كتاب « الأشباح » أضيف إليه ، ثم على فرض أنه من تأليفاته لم
يجزم قدس سره بضعفه وإنما أوعز الضعف والإتهام بالغلو
لمجهول ^(٢) ، ومنه تعرف أن منشأ تضعيف وتوهين محمد بن سنان

(١) المسائل السروية : ٣٧ .

(٢) وقد رد الشيخ المفيد قدس سره الأحاديث المستفيضة القائلة بتقدم الأرواح على

الغلو المزعوم فيه ، والذي هو علو ورقي وكمال في معرفة ذوات الأئمة عليهم السلام .

الأمارة الرابعة :

أن شيخ الطائفة الطوسي قدس سره عدّه في كتاب الغيبة من الوكلاء الممدوحين للأئمة عليهم السلام ، وذكره في مصاف حمران بن أعين والمفضل بن عمر والمعلّى بن خنيس ونصر بن قابوس وعبد الله ابن جندب البجلي وصفوان بن يحيى وزكريا بن آدم وعبد العزيز بن المهتدي وعلي بن مهزيار وأيوب بن نوح بن دراج ، وغيرهم من وجوه الطائفة وسدنة الحق .

ثم ساق رواية شريفة في مدحه قال : رُوي عن علي بن الحسين بن داود ، قال : سمعت أبا جعفر الثاني عليه السلام يذكر محمد بن سنان بخير ويقول : رضي الله عنه برضاي عنه ، فما خالفني ولا خالف أبي قط (١) .

وقال : روى أبو طالب القمي قال : دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره فسمعتة يقول : جزى الله صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان وزكريا بن آدم وسعد بن سعد عني خيراً ، فقد وفوا

الأجساد بدعوى : أن الارواح بمثابة العرض بحاجة إلى موضوع ، فكيف يمكن تصور تقدم العرض على موضوعه ، وبطلان هذه الدعوى - لدى الكل - واضح كوضوح الشمس الطالعة ، والتفصيل في « وسائل الفيض الإلهي » .
(١) الغيبة : ٣٤٨ .

لي (١) .

نعم ضعفه في الرجال في تعداد أصحاب الرضا عليه السلام ،
ونسب تضعيفه إلى غيره في الفهرست ، ثم بعد ذلك روى رواياته وكتبه
إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو ، كما ضعفه في التهذيب وصرح بعدم
العمل برواياته المنفردة ما لم يشاركه غيره .

وبما أن كتاب « الغيبة » ألفه قدس سره بعد الفهرست والرجال
- ظاهراً - والتهذيب والإستبصار ، فقبوله لرواياته هو رأي الأخير .

الأمارة الخامسة :

ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام من مدحه والرضى عنه .
فعن علي بن الحسين بن داود ، قال : سمعت أبا جعفر الثاني عليه
السلام يذكر محمد بن سنان بخير ، ويقول : رضي الله عنه برضائي
عنه ، فما خالفني ولا خالف أبي قط (٢) .

وعن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي ، قال : دخلت على أبي
جعفر عليه السلام في آخر عمره فسمعتة يقول : جزى الله صفوان بن
يحيى ، ومحمد بن سنان ، وزكريا بن آدم ، عني خيراً ، فقد وفوا لي (٣) .
وعن عبد الله بن محمد بن عيسى ، قال : كنت مع صفوان بن يحيى
بالكوفة في منزل ، إذ دخل علينا محمد بن سنان ، فقال صفوان : هذا

(١) الغيبة : ٣٤٨ .

(٢) الغيبة : ٣٤٨ * رجال الكشي : ٧٩٢/٢ ، بذكر صفوان بن يحيى أيضاً .

(٣) الغيبة للطوسي : ٣٤٨ * رجال الكشي : ٧٩٢/٢ .

ابن سنان! لقد هم أن يطير غير مرة فقصصناه حتى ثبت معنا^(١).

وعن الحسن بن موسى، عن محمد بن سنان قال: دخلت على موسى عليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنه وعلي ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيك... فقال لي: يا محمد! يمد الله في عمرك، وتدعو إلى إمامته، وإمامة من يقوم بعده، فقلت: ومن ذا، جعلت فداك؟ قال: محمد ابنه، قلت: بالرضا والتسليم، فقال: قال عليه السلام: كذلك، وقد وجدت في صحيفة أمير المؤمنين عليه السلام، أما إنك في شعيتنا أبين من البرق في الليلة الظلماء، ثم قال: إن المفضل أنسي ومستراحي، وأنت أنسهما ومستراحهما، حرام على النار أن تمسك أبداً^(٢).

وعن أحمد بن محمد بن نصر ومحمد بن سنان جميعاً، قالوا: كنا بمكة وأبو الحسن الرضا فيها، فقلنا له: جعلنا الله فداك، نحن خارجون وأنت مقيم، فإن رأيت أن تكتب لنا إلى أبي جعفر عليه السلام كتاباً لنسلم به، فكتب، فقدمنا للموفق، فقلنا له: أخرجنا إينا وهو في صدر موفى، وأقبل يقرأه ويطويه وينظر فيه ويتسم، حتى أتى على آخره

(١) رجال النجاشي: ٣٢٨ * رجال الكشي: ٧٩٥/٢، قال النجاشي: وهذا يدل على اضطراب كان وزال.

(٢) رجال الكشي: ٧٩٧/٢، وحمدويه والحسن بن موسى الخشاب من الأجلة الكبار، فالرواية وإن كانت عن طريق محمد بن سنان، لكن تقبل الثقة الجليل الحسن بن موسى لها وروايتها فيها إشعار واضح بجلالة صاحبها، سيما وأنها تثبت مقام لمحمد بن سنان، لا يناله إلا المخلصون.

ويطويه من أعلاء وينشره من أسفله ، فقال محمد بن سنان : فلما فرغ من قراءته حرك رجله وقال : ناج ناج ، فقال أحمد : ثم قال ابن سنان عند ذلك : فطرسية فطرسية (١) .

وعن سهل ، عن محمد بن مرزبان ، عن محمد بن سنان قال : شكوت إلى الرضا عليه السلام وجع العين ، فأخذ قرطاساً فكتب إلى أبي جعفر عليه السلام ، فدفع الكتاب إلى الخادم وأمرني أن أذهب معه ، وقال : أكنتم ، فأتيناه وخادم قد حملة ، قال : ففتح الخادم الكتاب بين يدي أبي جعفر عليه السلام ، فجعل أبو جعفر عليه السلام ينظر في الكتاب ويرفع رأسه إلى السماء ، ويقول : ناج ، ففعل ذلك مراراً ، فذهب كل وجع في عيني وأبصرت بصرأ لا يبصره أحداً ، فقلت له : يا شبيه صاحب فطرس .

وغيرها من الروايات التي ذكرها الشيخ الطوسي في الغيبة وانتخبها من رجال الكشي ، وهي وإن أمكن النقاش في بعض المفردات الرجالية ، لكن انتخاب الشيخ لها ووجودها في كتب الأعلام بلا توقف ولا دغدغة فيها قابلة للاعتماد والاعتبار في الجملة .

الأمارة السادسة :

أنه من رواة نواذر الحكمة فقد روى عنه محمد بن أحمد الأشعري ، واستثنى ابن الوليد وتليمة الصدوق قدس سرهما ،

(١) رجال الكشي : ٢/ ٨٥٠ ، عن جبرئيل بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مهران .

مجموعة من الرواة ، وليس فيمن استثنى محمد بن سنان ، مما يدل على أن ظاهره العدالة والوثاقة كما هو الحال في الثقة الجليل محمد بن عيسى اليقطيني .

قال الشيخ النجاشي : قال شيخنا أبو العباس بن نوح : وقد أصاب شيخنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد في ذلك كله ، وتبعه أبو جعفر بن بابويه رحمه الله على ذلك إلا في محمد بن عيسى بن عبيد ، فلا أدري ما رابه فيه ، لأنه كان على ظاهر العدالة والثقة ^(١) ، وراجع ملحق : ٥ .

الأمارة السابعة :

ما قاله المقدس ابن طاووس قدس سره : وسمعت من يذكر طعناً على محمد بن سنان ، لعله لم يقف على تزكيته والثناء عليه ، وكذلك يحتمل أكثر الطعون ... هذا مع جلالته في الشيعة ، وعلو شأنه ورئاسته ، وعظم قدره ولقائه من الأئمة عليهم السلام ثلاثة ، وروايته عنهم وكونه بالمحل الرفيع منهم ، ومع معجزة أبي جعفر عليه السلام الذي أظهرها الله تعالى وآيته التي أكرمها بها ... ورويت بإسنادي إلى هارون بن موسى التلعكبري قال : حدثنا محمد بن همام ، حدثنا الحسن بن أحمد المالكي ، قال : قلت لأحمد بن هليل الكرخي : أخبرني عما يقال في محمد بن سنان من أمر الغلو ؟ فقال : معاذ الله ، هو والله علمني الطهور

(١) رجال النجاشي : ٣٤٨ ، رقم : ٩٣٩ .

وحبس العيال ، وكان متقشفاً متعبداً .

وثمة أمارات أخرى لا داعي للتعرض لها ، يمكن الاطلاع عليها في ما كتبه الأعلام والأعظم في شرح حال محمد بن سنان رضي الله عنه .
وساق المولى التقي المجلسي قدس سره عدة أمور في جلالته وكونه مقرباً من الأئمة عليهم السلام :

أولاً : ذَكَرَ شيخُ فضلاء الشيعة توثيقه ، وذكره جماعة من الأصحاب ، ويرجع جميع الذموم إلى أنه كان يروي أخباراً تدل على جلالة قدر الأئمة عليهم السلام زائداً عن رتبهم ، وما رأينا خبراً كذلك ، وروى عنه جميع فضلائنا المتقدمين ، والظاهر جلالته .

ثانياً : أن الروايات عنه كثيرة ، واعتمد على رواياته ثقة الإسلام والصدوق ، والقدرح فيه أنه كان يعمل بالوجادة ولا بأس بها مع تحقق انتساب الكتب إلى أصحابنا .

وثالثاً : أنه وثقه المفيد ، وضعفه الباقر ونسبوه إلى الغلو ، ولا نجد في أخباره غلوأ .

ورابعاً : إن الذي يظهر من الأخبار أنه من أصحاب الأسرار (١) .

وقال الوحيد البهبهاني قدس سره : أنه مما يشير إلى الإعتماد عليه ووثاقته كونه كثير الرواية ومقبولها وسديدها وسليمها ، ورواية كثير من الأصحاب عنه ، سيما مثل الحسين بن سعيد والحسن بن محبوب

(١) الرسائل الرجالية : ٣/٦٠٠ لأبي المعالي الكليني .

ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب وأحمد بن محمد بن عيسى وغيرهم من الأعاضم، وأنهم قد أكثروا الرواية عنه، مع أن أحمد بن محمد بن عيسى قد أخرج من قم أحمد البرقي باعتبار روايته عن الضعفاء (١).

وقد صرح خاتمة المحدثين الإمام النوري قدس سره أنه لا شك أن محمد بن سنان كان من أخص خواص الإمامين الطاهرين: الرضا والجواد عليهما السلام (٢).

وقال أبو المعالي قدس سره: وظني أن الرجل قد أصابته آفة الشهرة فمعض عليه بعض من عانده وعاداه بالأسباب القادحة من الغلو والكذب ونحوهما، حتى شاع ذلك بين الناس واشتهر ولم يستطع الأعاضم -الذين رووا عنه كالفضل بن شاذان وأيوب بن نوح وغيرهما- دفع ذلك عنه فحاولوا بما قالوا رفع الشحنة عن أنفسهم، كما يشهد به صدور هذه الكلمات المتدافعة عنهم (٣).

قال الفاضل الأمين: يستفاد من ابن طاووس وجماعة منهم القدماء، أن الأئمة عليهم السلام كانوا يخصون بعض الشيعة بأسرار الأحاديث ولم يحدثوا بها غيرهم، لعدم احتمال الغير لها، فإذا حدث الخواص بتلك الأحاديث، ردت عليهم، واتهموا في روايتها، ونسبوا

(١) الرسائل الرجالية: ٦٠٠/٣، لأبي المعالي الكلّباسي.

(٢) حاوي الأقوال: ٢٥٥/٢، رقم: ٢٠٧٥.

(٣) الرسائل الرجالية: ٦٠١/٣، لأبي المعالي الكلّباسي.

إلى ارتفاع القول والغلو ، وإلى أنها أحاديث اختلقوها ، حيث إنه لم يشاركهم في نقلها من الائمة عليهم السلام غيرهم ، كمحمد بن سنان والمفضل بن عمر وغيرهما (١) .

أهم الأمارات القادة :

١ / ما عن الفضل بن شاذان : « الكذابون المشهورون : أبو الخطاب ، ويونس بن ظبيان ، ويزيد الصائغ ، ومحمد بن سنان ، وأبو سميئة أشهرهم » .

وقال : « لأحل لكم أن ترووا أحاديث محمد بن سنان عني ما دمت حياً » ، وأذن في الرواية بعد موته (٢) .

قلت : لو كان الأمر كما قال وأن محمد بن سنان من الكذابين والمشهورين بذلك لما أقدم جماعة كثيرة من العدول والثقات والأجلاء والأعاضم على الرواية عنه ، ولما ملأ ثقة الإسلام الكليني والصدوق وابن قولويه والطوسي وغيرهم من أساطين الرواية كتبهم برواياته ، مع ما هو معروف عنهم من تجنب من يروي عن الضعفاء فضلا عن الضعفاء والمتروكين والكذابين .

فحال شيخ القميين أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري مشهور ومعروف في باب الرواية عن الضعفاء وطرده من قم المقدسة كل من

(١) الرسائل الرجالية : ٦٠٠/٣ لأبي المعالي الكليني قدس سره .

(٢) رجال الكشي : ٧٩٦/٢ ، رقم : ٩٧٩ .

يروي عن الضعفاء وإن كان من الأعاضم، فلو كان ابن سنان من الكذابين والمشهورين بذلك لامتنع عن التحديث عنه برواية واحدة، مع أنه قد أكثر جداً من الرواية عنه.

ومنه تعرف أن ما قاله الفضل بن شاذان رضي الله عنه في حق محمد بن سنان ليس على ظاهره قطعاً، ولذا سمح لتلامذته من الرواية عنه عن ابن سنان بعد موته، فلو كان من الكذابين والمشهورين بذلك لما كان ثمة فرق بين الرواية عنه في كلا الحالتين.

ومن المعلوم لدى المحققين أن الطعن بالكذب والوضع المعطوف على الغلو يراد به الروايات المحمولة على الغلو، إن كان ثمة غلو، ولذا نجد بأن الشيخ الطوسي قدس سره قال في ترجمة محمد بن سنان: « وكتبه مثل الحسين بن سعيد على عددها، وله كتاب النوادر، وجميع ما رواه - إلا ما كان فيه من تخليط أو غلو - أخبرنا به جماعة »، وكتبه هذه - والتي هي ككتب الحسين بن سعيد - رواها الأصحاب في كتبهم المعتبرة الجامعة - كالكتب الأربعة - وتعاملوا معها كما تعاملوا مع كتب الثقة الثبت الحافظ ابن سعيد.

٢ / ما قاله أيوب بن نوح - بعد أن دُفع إليه دُفتر فيه أحاديث محمد ابن سنان - : إن شئتم أن تكتبوا ذلك فافعلوا، فإني كتبت عن محمد بن سنان، ولكن لا أروي لكم عنه شيئاً، فإنه قال قبل موته: كل ما حدثتكم به لم أروه، ولم يكن لي سماع ولا رواية إنما وجدته.

قال أبو المعالي الكليني قدس سره: إن أيوب بن نوح قد علل

عدم رضاه بالرواية عن محمد بن سنان بتصريح محمد بن سنان قبل الموت بأن تحمله كان بالوجادة ، وهذا مبني على كمال الإحتياط أو القول بعدم جواز الرواية بالوجادة ، كما حكى القول به عن جماعة من القدماء ، فلا دلالة في مقالة أيوب بن نوح على ضعف حال محمد بن سنان والقدرح فيه بوجه (١) .

قلت : فهذه الجملة من كلام الثقة الجليل ابن نوح ربما يستفاد منها جلالة ووثاقة محمد بن سنان لا العكس ، إذ لو كان كذاباً - كما يدعي البعض - أو ضعيفاً - كما هو رأي آخرين - لكان الأنسب التعليل بذلك لتجنب الرواية عنه .

مضافاً إلى أن هذا الكلام من ابن سنان ، والذي قاله في آخر حياته لابد وأن يحمل على غير معناه ، وأنه من باب التورية ونحوها ، وذلك لأن ابن سنان قد روى عن الرضا والجواد عليهما السلام وهو من أصحابهما ، وقد التقى بجمع كبير جداً من الرواة ، فقد روى عن أكثر من مائة وأربعين شخصاً ممن عاصروهم ، وروى عنه أكثر من ستين راوياً ، وكتبه الفقهية ككتب الحسين بن سعيد على ما أشار إليه الشيخ الطوسي ، وهي مشهورة في عصره وما بعده .

٣ / قال النجاشي قدس سره : قال ابن عقدة : أنه - أي ابن سنان - روى عن الرضا عليه السلام ، وله مسائل عنه معروفة ، وهو رجل

(١) الرسائل الرجالية : ٦٠٧/٣ .

ضعيف جداً لا يعول عليه، ولا يلتفت إلى ما تفرد به (١).

قلت: ابن عقدة من المشايخ الثقات، وهو زيدي المذهب، ومنشأ كون محمد بن سنان ضعيف جداً ولا يعول عليه هو ما ينسب له من الغلو المزعوم.

قال الكليني قدس سره: الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى ابن محمد، عن أبي المفضل عبد الله بن إدريس، عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «يا محمد! إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال: يا محمد! هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد» (٢).

خلاصة القضية:

أن ثمة مدح واطراء وثناء لمحمد بن سنان، وأمارات دالة على وثاقته وعدالته وجلالته وموقعيته العظيمة في الطائفة، ويقابل ذلك ذم

(١) رجال النجاشي: ٣٢٨، رقم: ٨٨٨.

(٢) الكافي الشريف: ٤٤١/١، قلت: وبهذا المضمون ثمة روايات كثيرة صحيحة من حيث السند راجع الحديث: ٨٥٩ من هذا الكتاب، أما من حيث المضمون فهي مقتضى الأدلة العقلية والقلبية، التي تكاثرت الأدلة النقلية على الإرشاد إليها.

وتضعيف وتجريح له ، وحيث أن هذه الطعون مُفسّرة ومُبيّنة ، وأن منشأها هو اتهامه بالغلو المزعوم ، وأن رواياته فيها غث وسمين وخلط ^(١) ، فالجمع بين كلام القادح والمادح يقتضي تقديم كلام الأخير وتحكيمه ، لأمرين : لكون الجرح مفسر ومبين وهو لا يرجع إلى النسق والمروق ، ولعدم صحة نسبة الغلو لمحمد بن سنان والتخليط في رواياته ، والاستقراء ببابك .

قال العلامة محمد تقي التستري قدس سره : وأما تحقيق حاله : فالظاهر أنه لما كان مائلاً إلى تعلم المشكلات - كما يدل عليه قوله « ومن أراد المعضلات فاليّ » وقول صفوان فيه « لقد همّ أن يطير غير مرة فقصصناه حتى ثبت معنا » - تعلق به الغلات فرووا عنه أخباراً كما عرفت من نقل الكشي عن كتاب دورهم في خبر أن الجواد عليه السلام قال له : أهدي بك من أشياء وأضل بك من أشياء » وأن ابن سنان أجابه « تفعل بعبدك يا سيدي ما تشاء إنك على كل شيء قدير » ^(٢) ، ونسوا إليه تأليف كتب منكرة - كما عرفت من المفيد في جوابه عن سؤال أخبار الأشباح - فصار سبباً لاتهامه عند كثير منهم ، لأنه تحقق غمز فيه . مع أنا لم نقف على من ضعفه قولاً واحداً سوى ابن الغضائري في

(١) ولذا روى أحاديثه وكتبه الشيخ الطوسي في الفهرست ، إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو ، مع أن التحقيق قام على أن كلا التهمتين خلاف ما عليه محمد بن سنان ورواياته .
 (٢) ولا غلو في ذلك ، أي أنك على كل شيء قدير بإذن من الله تعالى ، وهي مقدمة مطوية ارتكازية .

ما وصل إلينا، ولعله أيضاً في كتابه الآخر -الذي لم يصل -رجع .
 وإلا فحمدويه لم ينكر صحة أحاديثه ، وإنما أنكر روايتها لها ،
 وكذلك أيوب بن نوح أنكر روايته لها ، لأن ابن سنان قال : إن ما حدثهم
 لم يكن سماعاً بل وجداناً .

وأما الفضل فروى عنه نفسه وأجاز لآخرين رواية أحاديثه بعده .
 وأما الكشي ففي عنوانه الثاني والرابع اقتصر على أخبار مدحه .
 وأما المفيد وإن ضعفه في عدديته وأجوبته ، إلا أنه وثقه في
 إرشاده .

وأما الشيخ وإن ضعفه في التهذيبين وفهرسته ورجاله ، إلا أنه عده
 في غيبته من ممدوحى أصحابهم عليهم السلام ، وروى أخبار مدحه .
 وإن أبيت عن حسنه في نفسه فأخباره معتبرة ، حيث أن الشيخ في
 الفهرست روى أخباره إلا ما كان فيها غلو أو تخطيط ، وكذا روى عنه
 جمع من العدول والثقات من أهل العلم ، كيونس بن عبد الرحمن ،
 والحسين بن سعيد الاوازي وأخيه ، والفضل بن شاذان وأبيه ، وأيوب
 ابن نوح ، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، وغيرهم -كما مر عن
 الكشي - فلا بد وأنهم رووا عنه السليم دون السقيم ، فإنهم كانوا نقاد
 الآثار (١) .

ملحق : ٩ .

جلالة سهل بن زياد

وهو سهل بن زياد ، أبو سعيد الآدمي الرازي ، ممن يروي عن الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام على ما ذكره نصر بن الصباح (١) .

وهو من الأجلاء الكبار ، ممن يُنظم حديثه في رتبة الحديث الصحيح ، يشهد لذلك عدة من الأمارات والقرائن ، التي من خلالها يعرف حاله وجلالته وعظمه في الطائفة .

١ / رواية كثير من الأجلاء العظام عنه ، وقد تقدم أن رواية الأجلاء والعظام من أقوى أمارات العدالة والثقة والجلالة والعظمة ، فراجع ملحق رقم : ٣ .

فقد روى عنه من الأجلاء والعظام كل من : محمد بن أبي عبد الله الأسدي ، ومحمد بن أبي عبد الله البرقي ، ومحمد بن أحمد بن يحيى ، ومحمد بن الحسن الصفار ، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، ومحمد بن يحيى ، وكذا في عدة من الروايات شيخ القميين أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، وغيرهم .

٢ / أن رواياته في الكتب المعتبرة كثيرة جداً ، فقد أحصى السيد الخوئي قدس سره رواياته في الكتب الأربعة إلى ما يقرب من ألفين

وثلاثمائة حديثاً ، ناهيك عن سائر الكتب المعتمدة ، كبقية كتب الصدوق وكامل الزيارات وكتب المفيد وسائر كتب الأعلام والأعظم . وقد روى عنه ثقة الإسلام الكليني أكثر من ألف وسبعمائة رواية ^(١) ، وقد ذكر في مستهل كتابه « إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين ، ما يكفي به المتعلم ، ويرجع إليه المسترشد ، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به ، بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام ، والسنن القائمة التي عليها العمل ، وبها يؤدي فرض الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ... وأرجو أن يكون بحيث توخيت » ، فتكون عبارة « بالآثار الصحيحة » شاملة - قطعاً - لروايات سهل بن زياد لكثرة ما رواه عنه ، وراجع القرينة الثانية في ما ذكرناه في حال الجليل محمد بن سنان .

٣ / أنه من كبار شيوخ الإجازة ^(٢) ، وهو يدل على المدح المعتقد به ، بل على الوثاقة والعدالة والجلالة ، بلحاظ أن المستجيزين منه من كبار أعظم الطائفة ، وليس من دأب الثقات والأجلاء والأعظم - سيما

(١) وروى عنه الشيخ في التهذيب أكثر من أربعمائة رواية .

(٢) ولم يقبل السيد الخوئي قدس سره كون شيخوخة الإجازة من أمارات الوثاقة والعدالة ، بل ولا تدل - عنده - على المدح والحسن !! والمنشأ في ذلك أنه لا حظ أن بعض ممن كانوا من شيوخ الإجازة قد ضعفهم النجاشي والغضائري وأمثالهما ، فجعل كلام بعض الرجاليين - كالنجاشي بالخصوص - هو الأمانة الحاكمة على كل الأمارات والمسقط لغيرها ، بل نرى الكثير من الأعلام يقدمون قبح النجاشي قدس سره على الروايات الثابتة عن المعصومين في مدح وتزكية بعض الرواة ، مع أن إثبات كون قول النجاشي عن حسن دون اثباته دخول الجمل في سم الخياط .

أساطين الرواية من أعظم قم المقدسة كالمقدمين - الرواية وأخذ الإجازة من الضعفاء وممن يروي عنهم ، وقصصهم وكلماتهم في ذلك كثيرة .

وإذا رأينا الأعظم قد أكثروا الرواية عن بعض الرواة ، ورغب الأجلاء والحفاظ الإستجازة منه ، وطعن فيه بعض الحفاظ والأجلاء ، فهذا شاهد على أن منشأ الطعن لجهات لا ربط لها بالعدالة والوثاقة ، وإنما تعود لأمر أخرى ومناشيء مختلفة ، ولذا لم يجزم النجاشي بتضعيف سهل بن زياد ، وإنما نسب الضعف إلى أحاديثه ، فقال : كان ضعيفاً في الحديث .

٤ / أن الشيخ الطوسي قدس سره قد وثقه في أصحاب الهادي عليه السلام ، وأهمل حاله في أصحاب الجواد والعسكري عليهما السلام ، وضعفه في فهرست وفي بعض المواضع من الإستبصار (١) .

وقد أُلْفِ الفهرست والإستبصار قبل الرجال بوقت طويل ، فيمكن أن يستحصل أن رأيه الأخير في سهل هو ما ذكره في الرجال في أصحاب الهادي عليه السلام (٢) ، أو الإشارة إلى ضعفه لأمر لا ربط لها بالعدالة ، أو لكونه ضعيفاً في ظرف التعارض لا مطلقاً ، ولذا قد أكثر الرواية عنه في الإستبصار والتهذيب ، واستدل ببعض الأحاديث على

(١) الحديث : ٩٣٥ .

(٢) والشاهد على ذلك أن النجاشي قدس سره عقد ترجمة للطوسي قدس سره ، وذكر أن له كتاب فهرست الشيعة ، ولم يشر إلى كتاب الرجال .

بعض المسائل الفقهية مع وقوع سهل فيها بقوله : « يدل على هذا التأويل ، يدل على ذلك » ثم ساق روايات سهل بن زياد ، فلو أنه ضعيف بلحاظ القدر في عدالته أو مطلقاً لما عبّر قدس سره بقوله « يدل على ذلك ، وشبهه » .

٥ / اعتماد الصدوق قدس سره عليه في الفقيه ، وقد صرح في كتابه الشريف « من لا يحضره الفقيه » بقوله : « ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما روه ، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته ، وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي - تقدر ذكره - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة ، عليها المعول وإليها المرجع » وقد وقع سهل بن زياد في أسانيد عدة من الروايات التي يفتي بها قدس سره ، كما روى مكاتبه مع الإمام العسكري عليه السلام ، ووقع في طريقه إلى الشريف السيد عبد العظيم الحسن رضي الله عنه ، وطريقه إلى مروان بن مسلم ، وعبد الله بن الحكم .

٦ / اعتماد ابن قولويه عليه في كتابه الشريف « كامل الزيارات » ، وقد قال في مستهل كتابه « وقد علمنا أننا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره ، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته ، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشاذ من الرجال ، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث » ^(١) ، وقد ذهب السيد الخوئي قدس

سره لفترة من الزمن إلى وثاقة كل رواة كامل الزيارات ، ثم عدل بعد ذلك إلى خصوص أساتذة ومشايخ ابن قولويه .

فسهل بن زياد في نظر الفقيه الثبت ابن قولويه ليس من شذاذ الرجال ، ولعله تشمله عبارة « الثقات من أصحابنا » .

٧ / أنه من رواة تفسير القمي ، والذي قد التزم السيد الخوئي قدس سره بوثاقة رواته ، ووثق عدة من الرجال ممن وقعوا في أسانيد هذا الكتاب المبارك .

قال القمي : حدثنا محمد بن أبي عبد الله ، حدثنا سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن مارد : أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ؟ قال : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء (١) .

٨ / تصحيح الفقيه الجليل الخزاز القمي بعض روايات سهل بن زياد في كتابه الشريف « كفاية الأثر » (٢) ، وهذا التصحيح كاشف عن العدالة والوثاقة ، وقد توقف البعض - منهم سيد الفقهاء الخوئي قدس سره - في دلالة على الوثاقة والعدالة ، لاحتتمال ابتناؤه على « أصالة العدالة » ، وقد تقدم الكلام في ملحق : ٢ عدم صحة نسبة هذا الإحتمال للقدمات ، بل نصوصهم صريحة على عدم العمل بها .

(١) تفسير القمي : ٥٩/٢ .

(٢) كفاية الأثر : ٢٨١ ، وفي صفحة : ٢١٢ ، إشارة إلى صحة الرواية .

الآمارات القادحة :

أما شهادة أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري على سهل بالغلو والكذب ، فهو - في الواقع - مدح وليس بدم ، بتقريب ما قاله الوحيد البهبهاني قدس سره - خريت هذا الفن :- « الظاهر أن كثيراً من القدماء - سيما القميين منهم ^(١) والغضائري ^(٢) - كانوا يعتقدون للأئمة عليهم السلام منزلة خاصة من الرفعة والجلالة ، ومرتبة معينة من العصمة والكمال ، بحسب اجتهادهم ورأيهم ، وما كانوا يجوزون التعدي عنها ، وكانوا يعدون التعدي ارتفاعاً وغلوً حسب معتقدهم ، حتى أنهم جعلوا مثل نفى السهو عنهم غلوً ، بل ربما جعلوا مطلق التفويض إليهم - أو التفويض الذي اختلف فيه - ، أو المبالغة في معجزاتهم ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم ، أو الإغراق في شأنهم واجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص وإظهار كثير قدرتهم لهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض ارتفاعاً ، أو مورثاً للتهمة به ، سيما بجهة أن الغلاة كانوا

(١) قلّة من القميين ، وإلا الأعم الأغلب من روايات كمالات المعصومين عليهم السلام في الكتب المعتمدة - كالکافي الشريف والبصائر وكامل الزيارات وكتب الصدوق - مروية عن القميين ، وهم أول من روى الزيارة الجامعة الكبيرة والتي هي كنز من كنوز العرش والمعرفة ، أو فقل : اثنين - كالأشعري وابن الوليد - أو ثلاثة أو أربعة ممّن قيل بأن لهم حساسية تجاه كمالات المعصومين عليهم السلام ، مع التأمل في الأول لكثرة رواياته في كمالات المعصومين ، أو حمل فعله مع بعض الأجلة على ضرورة التثبت أكثر فأكثر في روايات المعارف .

(٢) وكذا النجاشي قدس سره وعدة من أعلام مدرسة بغداد ، ولعله منهم شيخ الأمة المفيد قدس سره .

مختفين في الشيعة مخلوطين بهم مندسين .

وبالجملة الظاهر أن القدماء كانوا مختلفين في المسائل الأصولية أيضاً ، فربما كان شيء عند بعضهم فاسداً أو كفراً أو غلوّاً أو تفويضاً أو جبراً أو تشبيهاً أو غير ذلك ، وكان عند آخر يجب اعتقاده » (١) .

قال السيد الخوئي قدس سره : ذهب بعضهم إلى وثاقته - أي سهل ابن زياد - ، ومال إلى ذلك الوحيد قدس سره ، واستشهد عليه بوجوه ضعيفة !!! سماها أمارات التوثيق .

منها : أن سهل بن زياد كثير الرواية .

منها : رواية الأجلاء عنه .

منها : كونه شيخ إجازة .

وهذه الوجوه غير تامة في نفسها ، وعلى تقدير تسليمها فكيف يمكن الإعتماد عليها مع شهادة أحمد بن محمد بن عيسى عليه بالغلو والكذب ، وشهادة ابن الوليد وابن بابويه وابن نوح بضعفه ، واستثنائهم روايات محمد بن أحمد بن يحيى عنه مباشرة فيما استثنوه من رجال نوادر الحكمة ، وشهادة الشيخ بأنه ضعيف ، وشهادة النجاشي بأنه ضعيف في الحديث غير معتمد عليه فيه ، بل الظاهر من كلام الشيخ في الإستبصار : أن ضعفه كان متسالماً عليه عند نقاد الأخبار ، فلم يبق إلا شهادة الشيخ في رجاله بأنه ثقة ، ووقوعه في إسناد تفسير علي بن

إبراهيم ، ومن الظاهر أنه لا يمكن الإعتماد عليهما في قبال ما عرفت (١) .

قلت : من الواضح أن تضعيف الشيخ والنجاشي له ، واستثناء ابن الوليد والصدوق لرواياته من نواذر الحكمة مفسرٌ ، وأن منشأ الغلو المتوهم ، أو عدم المبالاة في الرواية عن المخلطين والضعفاء والمجهولين والغلاة ، وهذا أمر لا ربط له بالعدالة والوثاقة ، والشاهد عليه أن الأعلام والحفاظ - ومنهم الشيخ الطوسي قدس سره - قد «ترسوا» وملؤوا كتبهم المبوبة والفقهية برواياته وأحاديثه ، فلو حمل كلام شيخ القميين الأشعري في حق سهل واتهامه له بالغلو والكذب على ظاهرها لحُرِّمَ الإكثار من الرواية عنه ، والحال أنهم قد أسرفوا في الرواية عنه .

وعليه : فما قيل في سهل بن زياد من جرح وقدح مُفسرٍ ، وهو لا يتعارض مع الحكم بالتوثيق والإعتماد عليه ، مع أننا لا نسلم بكون سهل ابن زياد من المغالين أو من المتساهلين في الرواية والتثبت .

وقد كان بينه وبين الفضل بن شاذان قدس سره نزاع ، وقد وصمه بأنه أحمق ، ولا نعلم ما هو منشأ ذلك ، فإن الفضل بن شاذان قدس سره قد تنازع مع عدة من أجلاء الرواة ، بل تنازع مع عدة من وكلاء الأئمة عليهم السلام ، فوردت عليه الكتب بمعاتبته وتخطأته من قبل الإمام

(١) معجم رجال الحديث : ٣٥٦/٩ .

عليه السلام (١).

ومنه تعرف الخلل فيما قاله الشيخ الداوري دام ظله : والذي تحصل من جميع ما ذكرنا أن الأدلة على وثاقة سهل غير تامة ، وأن كلمات الرجاليين مستقلة على ضعفه ، ثم على فرض عدم تمامية أدلة التضعيف يكون مورداً للتوقف ، كما هو رأي الأستاذ قدس سره ، والله العالم .

وجه الخلل : تمامية الأدلة المتقدمة ، وأن مناشيء الطعن فيه لا

(١) رجال الكشي : ٨٢٠/٢ رقم ١٠٢٨ ، قال أبو علي البيهقي رحمه الله : أما الرقعة : فقد عاتب - أي الإمام عليه السلام - الفضل خاصة وأدبه ، ليرجع عمّا عسى قد أتاه من لا يكون معصوماً ، وأوعده ، ولو يفعل « يعني الإمام عليه السلام » شيئاً من ذلك ، بل ترحم عليه في حكاية بورق ، وقد علمت أن أبا الحسن الثاني وأبا جعفر ابنه بعده عليهما السلام قد أقرّ أحدهما أو كلاهما صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان وغيرهما ، مما لم يرض بعد عنهما ومدحهما ، وأبو محمد الفضل رحمه الله من قوم لم يعرض له بمكرهه بعد العتاب .

وعلق سيد الفقهاء الخوئي قدس سره على سند هذه الحكاية : التوقيع المتقدم كان مخرجه المعروف بالدهقان ، وهو عروة بن يحيى المتقدم الكذاب الغالي !!! ، فيما كتبه عليه السلام إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي ، فما في آخر عبارة الكشي من أن مخرجها العمري فيما كتبه عليه السلام إلى إبراهيم بن عبدة لأبد وأن يكون فيه تحريف ، والله العالم .

قلت : سواء كان الدهقان - ثقة أم لا - فإن أبا علي أحمد بن محمد بن يعقوب البيهقي - وهو الذي صلى على الفضل بن شاذان - قد قال : وذلك التوقيع خرج من يد المعروف بالدهقان ببغداد في كتاب عبد الله بن حمدويه البيهقي ، وقد قرأته بخط مولانا عليه السلام ، والتوقيع : هذا الفضل بن شاذان ! ماله ولموالي يؤذيهم ويكذبهم ، وأني لأحلف بحق آبائي لئن لم ينته الفضل بن شاذان عن هذا لأرمينه بمرمأة لا يندمل جرحه منها في الدنيا ولا في الآخرة .

ترجع إلى العدالة والوثاقة ، وإلا كيف يمكن تفسير اسراف الأعلام والأعظم الرواية عنه ، فلو كان الشيخ الطوسي قدس سره يرى ضعفه من حيث القدح في عدالته ووثاقته لما أكثر الرواية عنه ، لإمكانه بسهولة الرواية عن مشايخه عبر رجال ثقات آخرين .

فقد روى بواسطته - من باب المثال - عن :

١ / أحمد بن محمد بن نصر البزنطي ^(١) ، والروايات عنه كثيرة جداً .

٢ / الحسن بن محبوب ^(٢) ، والروايات عنه كذلك كثيرة جداً .

٣ / علي بن أسباط ^(٣) ، ورواياته كثيرة .

٤ / الحسن بن علي بن فضال ^(٤) .

٥ / محمد بن عيسى اليقطيني ^(٥) .

(١) وله كتاب الجامع رواه الشيخ عنه بسندين أحدهم صحيح والآخر حسن كالصحيح .
 (٢) قال الشيخ : أخبرنا بجميع كتبه ورواياته عدة من أصحابنا ، عن الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن الهيثم بن أبي مسروق ومعاوية بن حكيم والأشعري ، عن الحسن بن محبوب ، وهذا السند من أصح الأسانيد كالشمس ، ثم ساق أسانيد أخرى .
 (٣) قال الشيخ : له أصل وروايات ، أخبرنا ابن أبي جيد ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن علي بن أسباط .
 (٤) قال الشيخ : أخبرنا بكتبه ورواياته عدة من أصحابنا ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله والحميري ، عن أحمد ابن محمد ومحمد بن الحسين ، عن الحسن بن علي بن فضال ، وأخبرنا ابن أبي جيد ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن الحسن بن علي بن فضال .
 (٥) قال الشيخ : أخبرنا بكتبه ورواياته جماعة ، عن التلعكبري ، عن ابن همام ، عنه ، سند كالشمس من أصح الأسانيد .

٦ / على بن مهزيار (١) .

ومنه يظهر بشكل واضح أن الشيخ يعتمد على كتب سهل بن زياد خاصة في انتقائه للأحاديث التي أودعها في كتابه الكبير الشريف « تهذيب الأحكام » ، وهذا اعتداد يفوق من حيث الاعتبار على كون سهل بن زياد ثقة ، نعم لو أن الشيخ قدس سره اعتمد عليه في الفهرست وبيان طرقه إلى كتب الأصحاب ، لكان الاعتبار أدون من ذلك .

فاحترام فعل الشيخ - بكثرة الرواية عن سهل بن زياد في أعظم كتبه فائدة « الإستبصار وتهذيب الأحكام » - يحتم علينا تفسير تضعيفه في بعض المواضع لسهل بن زياد لأمر لا ترجع إلى العدالة والوثاقة .

وقد صرح الوحيد البهبهاني قدس سره وغيره من أعلام هذا الفن : بأن الضعيف ليس بمعنى الكذب وغير الثقة في لسانه ، بل هو بمعنى المتساهل أو المهمل في الضبط والتدقيق والتمييز والتحصيل ، والذي يكون ليناً في حديثه أي لا يكون ثباتاً .

وعليه فتضعيف الرواة في موارد - سيما من روى عنه الأجلاء والعيون - لا يتصادم بالضرورة مع توثيقهم وعدالتهم وصدق لهجتهم ، ولذا - في موارد كثيرة - نرى الشيخ الطوسي قدس سره يجرح ويلين

(١) قال الشيخ : أخبرنا بكتبه ورواياته جماعة ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، عن أبيه ومحمد بن الحسن ، عن سعد الحميري ومحمد بن يحيى وأحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد الأشعري ، عن العباس بن معروف عنه ، ولا سند أقوى وأصح من هذا السند .

ويضعف بعض الرواة ، ثم بعد ذلك يروي كتبهم ورواياتهم الخالية من الغلو والتخليط والإضطراب ، مما يفهم منه بشكل واضح أن منشأ التضعيف والطعن لا يرجع إلى القدح في العدالة والوثاقة .

هذا فيما إذا سُلم نسبة التساهل والإهمال وعدم الضبط والتدقيق والخلط والغلو بحق عدة من الرواة .

ملحق : ١٠ .

جلالة يونس بن ظبيان

يونس بن ظبيان من الرواة المختلف فيهم بين الرجالين ، بين مادح له ومتهم له بالغلو والكذب ، والصحيح أنه من أجلاء الأصحاب ، وأن الطعون عليه مفسرة بتهمة الغلو والإختلاط مع الخطابية ، والشاهد على ذلك أمور :

الأول : رواية عدة من الأعظم والأجلاء الكبار عنه ، كجميل بن دراج وصفوان وابن أبي عمير وعثمان بن عيسى ومنصور بن يونس والحسن بن راشد والمفضل بن عمر وداود بن كثير الرقي ، وكذا الجليل محمد بن سنان .

الثاني : ما استطرفه ابن إدريس الحلبي قدس سره من جامع البزنطي عن هشام بن سالم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن يونس بن ظبيان ؟ فقال : رحمه الله ، وبني له بيتاً في الجنة ، كان والله مأموناً على الحديث (١) .

قال سيد الفقهاء الخوئي قدس سره : هذه الرواية رواها محمد بن إدريس عن جامع البزنطي ، عن داود بن الحصين عن هشام ، وقد يتخيل أن الرواية صحيحة ولكنها ليست كذلك ، فإن طريق ابن إدريس الى جامع البزنطي مجهول ، فالرواية بكلا طريقيه ضعيفة (٢) .

(١) السرائر : ٥٧٨/٣ .

(٢) معجم رجال الحديث : ٢٠٦/٢١ .

قلت : جامع البزنطي من الكتب المعتمدة والمشهورة في الطائفة ، وعليه فلا يحتاج إلى سند لصحة نسبة الكتاب إلى البزنطي ، ولقد وصل إلى المحقق الحلبي المتوفي سنة ٦٨٦ ونقل منه رواية وهو متأخر عن الفقيه ابن ادريس المتوفي سنة ٥٩٨ ، كما نقل منه الشهيد الأول المستشهد سنة : ٧٨٦ في الذكرى : ١٩٤ ، وكذا الشهيد الثاني وغيره من العلماء ، وهذا كاف في اثبات صحة الكتاب وتداوله بين العلماء .

وسندهم إلى البزنطي مشهور معروف صحيح مذكور في الإجازات والفهارس ، هذا وقد نقل منه أيضا ابن أبي جمهور الاحسائي المتوفي سنة ٨٨٠ في كتابه عوالي اللئالي : ١٧٦/٢ عدة من الروايات لم تذكر في مستطرفات السرائر ولا في غيره من الكتب المعتمدة ، وقد ذكر الإحسائي طريقاً صحيحاً عالياً لكل الكتب التي نقل منها الروايات التي ذكرها في مقدمة كتابه .

وعليه فالرواية صحيحة سنداً ، كما أن ابن ادريس الحلبي قدس سره يروي كل كتب وروايات الشيخ الطوسي - ومن ضمن مروياته جامع البزنطي المشهور - بسند صحيح مذكور في الفهارس والإجازات على أن للرواية سند آخر ذكره الكشي أيضا .

الكشي : عن محمد بن قولويه ، عن سعد بن عبد الله القمي ، عن الحسن بن علي الزبيدي ، عن أبي محمد القاسم بن الهروي ، عن محمد ابن الحسين بن أبي الخطاب ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ... مثله (١) .

قال الشيخ السبحاني دام ظله : وما في معجم رجال الحديث من أن طريق ابن إدريس إلى جامع الزنطي مجهول ، فالرواية بكلا طريقيها ضعيفه ، غير تام ، لأن جامعه كسائر الجوامع كان من الكتب المشهورة التي كان انتسابها إلى مؤلفيها أمراً قطعياً ، ولم يكن من الكتب المجهولة ، وقد كان مرجع الشعية قبل تأليف الجوامع الثانوية كالكافي وغيره (١) .

الثالث : تصحيح الفقيه الجليل الخزاز القمي بعض رواياته ، ونقل رواية طويلة مشعرة بجلالته ، وأنه من خلص أصحاب الصادق عليه السلام ، وفيها : « يا يونس إذا أردت العلم الصحيح فعندنا أهل البيت ، فإننا ورثناه وأوتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب ، فقال يونس : يا ابن رسول الله فكل من أهل البيت ورث ما ورثت ، من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ؟ فقال : ما ورثه إلا الأئمة الإثني عشر ، قال : سمهم لي يا ابن رسول الله ؟ قال : أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبعده الحسن والحسين ، وبعده علي بن الحسين ، وبعده محمد بن علي ، وثم أنا ، وبعدي موسى ولدي ، وبعدي موسى علي ابنه ، وبعدي محمد ابنه ، وبعدي محمد علي ابنه ، وبعدي علي الحسن ابنه ، وبعدي الحسن الحجة عليهم السلام ، اصطفانا الله وطهرنا وآتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين .

فقال يونس : يا ابن رسول الله ! إن عبد الله بن سعيد دخل عليك بالأمس فسألك عما سألتك فأجبت به بخلاف هذا ؟ فقال : يا يونس كل

امريء وما يحتمله ، ولكل وقت حديثه ، وإنك لأهل لما سألت ، فآتم هذا الأمر إلا عن أهله والسلام (١) .

الأمارات القادحة :

وثمة قرائن على ذمه واتهامه بالغلو والتخليط والكذب .

١ / قال الفضل بن شاذان رحمه الله : الكذابون المشهورون : أبو الخطاب ، ويونس بن ظبيان ، ويزيد الصائغ ومحمد بن سنان ، وأبو سمينة وهو أشهرهم .

٢ / قال ابن الغضائري رحمه الله : غال ، كذاب ، وضاع للحديث ، لا يلتفت إلى حديثه .

٣ / قال النجاشي قدس سره : مولى ضعيف جداً ، لا يلتفت إلى ما رواه ، كل كتبه تخليط ، ثم ساق طريقه إليه عن بيان بن حكيم عنه .

٤ / وفي صحيحة يونس بن عبد الرحمن قال : سمعت رجلاً من الطيارة يحدث أبا الحسن الرضا - صلوات الله عليه - عن يونس بن ظبيان ، أنه قال : كنت في بعض الليالي وأنا في الطواف ، فإذا نداء من

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي : ٢٥٥ وصححه ، ومضامينه عالية وشريفة ، قال الخراز القمي : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو محمد هارون بن موسى ، حدثني محمد بن همام ، حدثني عبد الله بن جعفر الحميري ، حدثني عمر بن علي العبدى الرقي ، عن داود بن كثير ، عن يونس بن ظبيان ، قال : دخلت على الصادق عليه السلام . وقال : وقال أبو محمد حدثني أبو العباس بن عقدة ، حدثني الحميري ، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى ، عن إبراهيم بن اسحاق ، عن عبد الله بن أحمد ، عن الحسين ، عن ابن أخت شعيب العفرقوفي ، عن خاله شعيب قال : كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل إليه يونس فسأله ... وذكر الحديث .

فوق رأسي ، يا يونس إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة
لذكري ، فرفعت رأسي فإذا حينئذ « أبو الحسن » ^(١) ، فغضب أبو
الحسن عليه السلام غضباً لم يملك نفسه ، ثم قال : للرجل : اخرج عني
لعنك الله ولعن من حدثك ولعن يونس بن ظبيان ، ألف لعنة ، يتبعها
ألف لعنة .

وهذه الرواية لعلها عمدة من ذهب إلى تضعيف يونس بن ظبيان
من مجتهدي الرجاليين ، إذ لا مجال لتأويلها .

إلا أنه ثمة خلل فيها من جهة أن يونس بن ظبيان من كبار أصحاب
الصادق ويروي عنه أيضاً بعض كبار أصحابه عليه السلام ، وقد مات في
زمانه وترحم وترضى عليه وأوجب له الجنة - كما مر ذكره - فلا يمكن
بحال أن يكون حياً إلى زمن الكاظم عليه السلام - لو كان هو المقصود
من أبي الحسن عليه السلام - فضلاً على أن يكون حياً إلى عصر الرضا
عليه السلام ، وهو المقصود من « أبو الحسن » في الرواية المتقدمة .

هذا إذا كان المقصود من وقوله « فإذا أبو الحسن » ، وفي نسخة
أخرى فإذا ح ، وفي ثالثة : فإذا ج ، وفسر المير داماد والمولى المجلسي :
أي فإذا جبرئيل عليه السلام ، فعلى هذه النسخ ، لا يمكن الركون لهذه
الرواية من جهة أن خلطة يونس بن ظبيان بالإمام الصادق عليه السلام
وبأصحابه الكبار وبالثقات الأعظم لا تتلاءم وهذه الرواية القادحة ، مع

(١) وفي بعض النسخ : فإذا ح أبو الحسن ، وفي بعضها فإذا ح ، وفي بعضها الثالث : فإذا
ج ، وعلق المولى المجلسي قدس سره على النسخة الأخير فإذا ج ، أي جبرئيل .

وجود الخطأ الكثير في نسخ الكشي وفي رواياته كما قال النجاشي .

مؤيداً بأن الشيخ الطوسي قدس سره قد عقد ترجمة ليونس في الفهرست وساق طريقه إليه ، وذكره في الرجال في أصحاب الصادق عليه السلام ، ولم يقدح فيه أصلاً ، مع أنه قد انتخب هذه الرواية من رجال الكشي .

وقد روى عنه - كما تقدم - عدة من الأعاظم والثقات ، كابن أبي عمير وإسماعيل بن جابر وجميل بن دراج وعثمان بن عيسى ومنصور ابن يونس وغيرهم ، وهو من رواة كامل الزيارات وتفسير القمي ، وروى عنه الصدوق بعض الروايات في الفقيه ، وصحح الفقيه الخزاز القمي بعض رواياته .

وبما أن قدح الفضل وابن الغضائري والنجاشي مفسر بالغلو والتخليط ومخالطة الخطائية فهو لا يقوى على معارضة الأمارات المادحة والقرائن الدالة على أنه من أجلاء الأصحاب ، بل من خواص الصادق عليه السلام .

قال الكاظمي في التكملة : واعلم أن هذا قد ضعفه أكثر أهل الرجال ، وأورد الكشي أخباراً في مدحه وذمه كلها ضعيفة إلا واحداً صحيحاً ، إلا أن فيه محمد بن عيسى .

قال : وبخط المجلسي : روى ابن إدريس في السرائر عن جامع البزنطي وساق الخبر ، ثم قال : وهذا حديث صحيح ، لأن ابن إدريس

أخذه عن جامع البزنطي ، وهو ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه .

ورواه الكشي بطريق مجهول إلى ابن أبي عمير إلى هشام بن سالم ، فكان خبر المدح أصح .

وفي الكافي حديث دال على مدحه أيضاً لا يحضرني الآن ، قال الصالح (١) : وفيه دلالة على حسن حال يونس بن ظبيان ، ولكن علماء الرجال بالغوا في ذمه ونسبوه إلى الكذب والوضع والتهمة والغلو ووضع الحديث ، ونقلوا عن الرضا عليه السلام أنه لعنه ، وقال : أما إن يونس بن ظبيان مع أبي الخطاب في أشد العذاب .

فلو خليت الأخبار ونفسها لحكمت بوثاقته ، ولكن أخبار الذم مؤيدة بفتوى أساطين علم الرجال ، فلذا توقفت فيه (٢) .

فأجابه خاتمة المحدثين قدس سره : وأخبار المدح مؤيد بعمل الشيوخ المعاصرين له الأعرفين بحاله من الكشي الساكن في أقصى بلاد خراسان ، والغضائري المتأخر عنه بقرون ، ويقول الصدوق في الزيارة التي هو راويها أنها أصح الزيارات رواية ، والمراد بالصحة وثاقة الرواة هنا قطعاً وإن قلنا بأعمية الإصطلاح .

قال : وقال الأستاذ في التعليقة : روى الثقة الجليل علي بن محمد

(١) المولى محمد بن صالح المازندراني قدس سره شارح الكافي الشريف .

(٢) نكلمة الرجال : ٦٢٩/٢ .

الخزاز في كتابه الكافية عنه النص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام عن الصادق عليه السلام ، ويظهر منها مدح له وأنه حين الرواية لم يكن غالباً... ويظهر من غير ذلك من الأخبار أيضاً ما يدل على عدم غلوه .
 قال : وأغرب أبو علي في رجاله فقال في مقام رد كلام أستاذه ، أقول : بعد إطباق المشايخ على ضعفه مضافاً إلى ما ورد فيه من الحديث الصحيح لا مجال للتوقف أصلاً^(١) .

ثم رد عليه الحاج النوري بكلام قاس لا حاجة لذكره .

وقال الشيخ التستري قدس سره بعد أن ساق الأمارات القاذحة والمادحة : لكن وروده في الأخبار كثيراً مريب ، فورد في الكافي في مولد فاطمة عليها السلام ، وفي مولد الصادق عليه السلام ، وفي كراهية اليمين والبراءة ، وبعد باب في أرواح مؤمنيه ، وفي خواتيم زيه ، وفي تسمية أطعمته ، وفي تقبيله ، وفي المشي مع جنازته ، وفي آخر أصوله ، وفي شاربته ، وفي اختلال الدنيا بدينه ، وفي فضل صومه مرتين ، وفي نقش خواتيم زيه ، وفي من منع مؤمناً شيئاً ، وفي النهي عن الجسم ، وفي سهو قلبه ، وفي الدفع عن الشيعة في أواخر كفره ، وفي مواليد أئمته ، وفي صلة إمامه ، وكذا في أن الأرض كلها لإمامه ، وفي مواضع آخر من التهذيب والإستبصار ذكرها الجامع .

قال : هذا وتحريفات أخبار الكشي لا تخفى^(٢) .

(١) خاتمة المستدرک : ٢٤٠/٩ .

(٢) قاموس الرجال : ١٦٩/١١ .

ملحق : ١١ .

جلالة محمد بن علي القرشي الكوفي
المعروف بأبي سمينة الصيرفي

قال علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري : عن الفضل بن شاذان أنه قال : كدت أن أقنت على أبي سمينة محمد بن علي الصيرفي ، قال : فقلت له : ولم استوجب القنوت من بين أمثاله ؟! فقال : لأنني أعرف منه ما لا تعرفه (١) .

وقال الفضل بن شاذان رضي الله عنه في بعض كتبه : الكذابون المشهورون : أبو الخطاب ، ويونس بن ظبيان ، ويزيد الصائغ ، ومحمد ابن سنان ، وأبو سمينة أشهرهم (٢) .

وقال ابن الغضائري : محمد بن علي بن محمد الصيرفي - ابن أخت خلاد المقرئ - أبو جعفر ، الملقب بأبي سمينة ، كوفي ، كذاب ، غال .

دخل قم واشتهر أمره بها ، ونفاه أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري رحمه الله عنها ، وكان شهيراً في الإرتفاع ، لا يلتفت إليه ، ولا يكتب حديثه (٣) .

وقال الشيخ النجاشي : محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى ، أبو

(١) رجال الكشي : ٨٢٢/٢ ، رقم : ١٠٢٣ .

(٢) رجال الكشي : ٨٢٢/٢ ، رقم : ١٠٣٣ .

(٣) رجال ابن الغضائري : ٩٤ ، رقم : ١٣٤ .

جعفر القرشي مولا هم، صيرفي، ابن أخت خلاد المقرئ، وكان يلقب محمد بن علي أبا سمينه، ضعيف جداً، فاسد الاعتقاد، لا يعتمد في شيء، وكان ورد قم - وقد اشتهر بالكذب بالكوفة - ونزل على أحمد بن محمد بن عيسى مدة، ثم تشهر بالغلو، فجفي، وأخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم، وله قصة، له كتب ... ثم ساق طرقه إليه (١).

وقال الشيخ الطوسي: محمد بن علي الصيرفي، يكنى أبا سمينه، له كتب، وقيل: إنها مثل كتب الحسين بن سعيد، أخبرنا بذلك جماعة، عن أبي جعفر بن بابويه، عن أبيه ومحمد بن الحسن ومحمد بن علي ماجيلويه، عن محمد بن أبي القاسم، عنه، إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو أو تدليس، أو ينفرد به ولا يعرف من غير طريقه (٢).

قلت:

من خلال ما تقدم من كلماتٍ للأعلام يستفاد أن منشأ الطعن في أبي سمينه ليس هو بلحاظ عدالته ونزاهته، وإنما لاتهامه بالغلو والإرتفاع، وهو ما صرح به الغضائري والنجاشي بقوله «ثم تشهر بالغلو»، وذيل كلام الشيخ «إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو أو تدليس»، وكل من أتهم بالغلو - بحسب التبع - قيل عن أحاديثه أو بعضها بأنها كذب وتخليط وتدليس وشذوذ انفرد بروايتها، وهو الذي يشير إليه كلام الفضل بن شاذان رضي الله عنه بقوله لتلميذه الفاضل ابن قتيبة: «لأنني أعرف منه

(١) رجال النجاشي: ٣٢٢، رقم: ٨٩٤.

(٢) الفهرست: ٢٣٢، رقم: ٦٢٤.

ما لا تعرفه » .

والمتتبع لروايات محمد بن علي الصيرفي القرشي الكوفي يجدها - كما صرح بذلك شيخنا السند دام ظله وكما هو واقعاً - اشتملت على أجل وأدق المطالب ، ولا تخلط فيها ، ومتطابقة مع محكمات الكتاب وروايات المعصومين عليهم السلام ، والأحاديث التي يتوهم منها الغلو هي بقراءة التحقيق علو في مراتب الإسلام والإيمان .
ومن القرائن التي يستفاد منها حسن حال أبي سميئة وأنه من الأجلاء ما يلي :

١ / قول الشيخ قدس سره في الفهرست : « له كتب ، وقيل : إنها مثل كتب الحسين بن سعيد » ، فإن مثل هذه الكلمة بيان للمنزلة العلمية لحال أبي سميئة ، فقد قيلت هذه الكلمة بحق الفقهاء : علي بن مهزيار الأهوازي وصفوان بن يحيى ويونس بن عبد الرحمن وموسى بن القاسم بن معاوية بن وهب البجلي ومحمد بن الحسن الصفار ، وكلهم من أعظم الأصحاب .

وبتعبير آخر كتب الحسين بن سعيد ما هي إلا رسالة عملية لسائر المكلفين ، إذ أن الرسائل العملية آنذاك كانت على شكل تبويب الروايات وتنظيمها بحسب الأبواب والفصول العقائدية والفقهية ، كما هو الحال في أبواب الكافي الشريف ومن لا يحضره الفقيه وتهذيب الأحكام ووسائل الشيعة - الذي لم يعمل مثله في تاريخ الإسلام - .

فمن قيلت في حقه هذه الكلمة « له كتب ككتب الحسين بن

سعيد « بمعنى أنه كان مرجعاً من مراجع الشيعة آنذاك ، ولذا لم تقل إلا في حق عدة من الفقهاء والأعظم كالذين تقدمت أسماءهم (١) ، ومن ذلك تعرف وهن احتمال كون هذه الكلمة قيلت في حقه لمعرفة عدد كتبه فحسب .

٢ / نزوله في أول أمره ضيفاً على شيخ الأشاعرة أحمد بن محمد بن عيسى مدة من الزمن ، الدال على كونه من مشاهير الرواة والمحدثين أصحاب المجاميع ، إذ لو لم يكن كذلك لما كان ثمة خصوصية لاستضافة الأشعري له ، نعم إخراجهم من قم المقدسة لاتهامه بما يظن آنذاك أنه غلو وتجاوز في المعصومين عليهم السلام ، والذي هو اليوم - بفضل من أنهم بالغلو وتحقيقات الأعلام - من أبجديات عقائد ومعارف مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

٣ / توقف الثقة الجليل الفضل بن شاذان من الدعاء عليه بقوله : « كدت أن أقنت على أبي سمينه محمد بن علي الصيرفي » ، فلو كان أشهر الكذابين بزعمه لوجب عليه التبرأ والقنوت عليه قولاً وفعلاً ، كما أن خلاف الفضل بن شاذان مع عدة من الأولياء ووكلاء الأئمة عليهم السلام مسطور في كتب الرجال ، وقد تقدم بعض موارده .

٤ / ما قاله شيخنا السند دام ظلّه العالي : يظهر من طريق الشيخ في الفهرست تلقي الرواية وقبول كتب أبي سمينه من كل من : الشيخ المفيد

(١) نعم قيلت في حق الجليل محمد بن سنان ، وهو من الأعظم - بل من الأولياء - كما تقدم بيانه .

والصدوق ووالده وشيخه ابن الوليد ، وكذا بيت ما جيلويه ، حيث روى كتبه عنه .

ويظهر من طريق النجاشي قبول رواية محمد بن يحيى العطار شيخ الكليني لكتبه أيضاً .

وكذا يظهر القبول من الشيخ لتعبيره : « أن كتبه مثل كتب الحسين بن سعيد » ، وإن احتمل إرادته التشبيه من ناحية العدد (١) .

٥ / أن رواياته كثيرة في الكتب الأربعة وسائر الكتب المعتمدة ، وهو من رواة كامل الزيارات الذي قد التزم بعدم روايته عن شذاذ الرجال (٢) ، ومن رواة تفسير القمي ، ورواياته فيه كثيرة - وقد التزم السيد الخوئي قدس سره بوثاقة رواته - .

كما روى عنه الشيخ الصدوق كثيراً في كتبه ، وفي كتابه من لا يحضره الفقيه الذي دُون فيه ما يحكم بصحته ويفتي به وأنه حجة بينه وبين الله عز وجل .

فروى في « من لا يحضره الفقيه » بسنده عن محمد بن علي الكوفي وهو أبو سمينة ، عن الثقة إسماعيل بن مهران ، عن الثقة مرازم ، عن الثقة جابر بن يزيد ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه - في حديث :- يا رسول الله هذه حالنا ، فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك

(١) وقد تقدم أن هذا الإحتمال ضعيف جداً ، فمن قيل في حقه هذه الكلمة قليل وكلهم من الفقهاء والأعظم ، سوى محمد بن سنان وهو جليل كذلك .

(٢) راجع حديث : ١٤١ ، ٤٧٥ برواية الأشعري ، ٦٧٩ ، ٦٩٠ .

في الولادة، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ملياً، ثم قال: يا جابر! لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم، إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نوع عظمة الله جل ثناؤه، يودع الله أنوارهم أصلاً طيبة، وأرحاماً طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربها بحكمته، ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجلس عن أن يوصف، وأحوالهم تدق عن أن تعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه، يا جابر! هذا من مكنون العلم ومخزونه فآكتمه إلا من أهله (١).

كما وقع أبو سميئة في طرق الصدوق قدس سره إلى كل من: أبي الجارود، والحسن بن علي بن أبي حمزة الباطني، وسالم بن مكرم، وعبد الحميد الأزدي، وهارون بن خارجة، وإبراهيم بن سفيان.

هذا: وقد احتمل السيد الخوئي قدس سره بوجود التباين بين من يروي عنه الصدوق قدس سره وبين أبي سميئة.

قال قدس سره: إن محمد بن علي القرشي الواقع في سند كامل الزيارات لم يعلم أنه أبو سميئة، فإن أبا سميئة وإن كان قرشياً واسمه محمد بن علي إلا أنه لا يلزم انحصار المسمى بهذا الاسم فيه، فمن الممكن أنه رجل آخر، ورواية محمد بن أبي القاسم ماجيلويه عنه لا تدل على الإتحاد، لا مكان روايته عن كلا الرجلين.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/١٣، وهذه رواية - والله - خير من الدنيا والآخرة، ولولا أبو سميئة رضي الله عنه لما كان وجود لهذه الرواية الشريفة.

ومما يؤيد التغاير أن الصدوق روى عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي القريشي ^(١) عن إسماعيل ابن بشار في طريقه إلى عبد الحميد الأزدي ، وعن محمد بن علي القرشي الكوفي عن محمد بن سنان في طريقه إلى أبي الجارود ، وعن محمد بن علي الكوفي عن عبد الرحمن بن أبي هاشم في طريقه إلى أبي خديجه سالم بن مكرم .

وقد التزم الصدوق قدس سره أن لا يذكر في كتابه إلا ما يعتمد عليه ، ويحكم بصحته ، فكيف يمكن أن يذكر فيه روايات من هو معروف بالكذب والوضع ، إذاً فمحمد بن علي القريشي الكوفي رجل آخر غير أبي سمينة المشهور بالكذب .

قلت : وما قاله في الذيل صحيح ، فإن الصدوق قدس سره لا يروي عمّن ثبت ضعفه لديه ، فضلاً عمّن اتهمه أو ثبت عليه الكذب ^(٢) ، وهذا معناه أنه لم يقبل قدح الفضل بن شاذان في أبي سمينة ، وإذا رأينا روايته كثيراً عمّن ضعف أو اتهم بالكذب ، فهذا أمانة على كونه

(١) كذا في المصدر .

(٢) وما قيل من أن الصدوق قدس سره روى عن الضعفاء جداً كعمرو بن شمر وسلمة بن الخطاب والمفضل بن صالح ووهب بن وهب البخري ، فجوابه : كونهم ضعفاء لدى الصدوق أول الكلام ، فليس كل من ضعفه النجاشي والطوسي وغيرهما من أعلام المدرسة البغدادية ضعيف لدى الصدوق وبالعكس ، وعمرو بن شمر وسلمة بن الخطاب وابن صالح من الأجلاء ، ووهب بن وهب البخري له روايات عن الصادق عليه السلام يوثق بها على ما قاله متشدد المدرسة البغدادية ابن الغضائري ، على أن قصة اتهامه بالكذب منشؤها العامة وفيها ملابسات .

التضعيف والتكذيب ليس راجعاً إلى عدالته ونزاهته وإنما لاتهامه بالغلو والتخليط ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى : على فرض التعدد بين محمد بن علي القرشي ومحمد بن علي الكوفي ، وأن أبا سمينه هو الثاني ، فإن الصدوق قد روى عنه أيضاً - الرواية المتقدمة - ، ووقع في طريقه إلى هارون بن خارجه ، وفي طريقه إلى سالم بن مكرم ، وفي طريقه إلى إبراهيم بن سفيان ، وفي طريقه إلى علي بن محمد الحصيني ، وفي طريقه إلى محمد بن سنان ، كما وقع بعنوان محمد بن علي الكوفي في روايات كثيرة في سائر كتبه الشريفة .

ووقع بعنوان « محمد بن علي القرشي الكوفي » في طريقه إلى أبي الجارود زياد بن المنذر قال : وما كان فيه عن أبي الجارود فقد رويته عن محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن محمد بن علي القرشي الكوفي ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي .

فالخلاصة أن رواياته عن محمد بن علي الكوفي أكثر من روايته عن محمد بن علي القرشي .

ومن جهة ثالثة : أن دعوى التعدد هو الذي بحاجة إلى قرينة واضحة ، وما ذكره قدس سره ليس بقرينة موجبة للتعدد ، بل لا يحتمل من خلالها بالتعدد ، فقد ذكر النجاشي أبا سمينه بقوله : محمد بن علي ابن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي مولا هم صيرفي ، ابن أخت

خلاد المقرئ ، وكان يلقب أبا سمينة .

وعنونة الشيخ الطوسي عنوانين باسم « محمد بن علي الصيرفي » ،
 ر « محمد بن علي المقرئ القرشي » لا يستلزم التعدد ، لكثرة من كره
 لشيخ تبعاً لأسانيد الروايات ، ولكون المقرئ هو أيضاً الصيرفي ، فهو
 بن أخت المقرئ خلاد ، ويشهد له أيضاً وحدة سنده لكلا العنوانين .
 ومما يشهد بعدم التعدد ورود عنوان « محمد بن علي الصيرفي
 لقرشي الكوفي » ^(١) في أسانيد الصدوق ، فلو كان القرشي غير
 لكوفي ، لكان الجامع للأوصاف الثلاثة شخص ثالث .
 وخلاصة القضية في حال أبي سمينة أنه من الأجلاء ، وقدح الفضل
 بن شاذان والنجاشي وغيرهما له ، غير متوجه لذاته وعدالته ، وإنما
 لاتهامه بالغلو ، وهو علو ، فهو مدح وليس بقدح .

(١) معاني الأخبار : ٣٧٥ * بحار الأنوار : ٣٢٩/٤٢ .

ملحق : ١٢ .

جلالة المفضل بن صالح

المعروف بأبي جميلة النخاس

قال ابن الغضائري : المفضل بن صالح ، أبو جميلة الأسدي مولا هم النخاس ، ضعيف ، كذاب ، يضع الحديث .

روى عن ابن فضال قال : سمعت معاوية بن حكيم يقول : سمعت أبا جميلة يقول : أنا وضعت رسالة معاوية إلى محمد بن أبي بكر .
ورى مفضل عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليها السلام (١) .

وقال النجاشي - في ترجمة جابر الجعفي - : وروى عنه - أي جابر - جماعة غمز فيهم وضعفوا : منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف بن يعقوب

وذكره الشيخ الطوسي فلم يقدح فيه ، قال : مفضل بن صالح ، يكنى أبا جميلة ، له كتاب ، وكان نخاساً يبيع الرقيق ، ويقال إنه كان حداداً ، مات في حياة الرضا عليه السلام .

قلت : ما أكثر من اتهمهم ابن الغضائري بالكذب والوضع لرواياتهم أحاديث المعارف ، على أن نسبة الكتاب لابن الغضائري غير ثابتة لدى بعض المحققين ، ومع ثبوتها فقد عرف عنه أنه من المتشددین في الرجال ، والقادحين فيمن يروي روايات تخالف ما

(١) رجال ابن الغضائري : ٨٨ ، رقم : ١١٨ .

يعتقد به ويرى بأنه غلو وتجاوز ، فمن خلال كثرة روايات المفضل بن صالح في الكتب المعتمدة وكثرة رواية الأجلء والأعظم عنه - وفيهم من لا يروي إلا عن الثقات - يستفاد أن قدح ابن الغضائري على فرض التسليم به غير راجع إلى ذات المفضل والقدح في عدالته ، وإنما لتهمة الغلو والتخليط وصحبته لجابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه .

والغمز والتضعيف للمفضل في كلام الشيخ النجاشي مجهول قائله ، ولعله ابن الغضائري أو بعض منتسبي المدرسة البغدادية ، فلو كان وضاعاً أو كذاباً كما ادعى ابن الغضائري لكان ذلك مشهوراً ومعروفاً لدى الأصحاب .

وما ذكره السيد الخوئي قدس سره : « أن ضعف المفضل بن صالح كان من المتسالم عليه عند الأصحاب » (١) .

فمن غرائب كلامه قدس سره في معجم رجال الحديث ، فإن عبارة النجاشي المقدمة لا تفيد أن ضعفه متسالم عليه لدى الأصحاب ، بل نسب القدح والغمز لمجهول ، ولو كان للأصحاب لقال : غمز فيه الأصحاب وضعفه .

ومما يؤيد بل يدل على أنه من الأجلء كثرة رواياته في الكتب المعتمدة والعمل برواياته ، وقد أكثر عنه ثقة الإسلام الكليني في كتابه الشريف « الكافي » ، وليس ثمة ضعيف روى عنه في هذا الكتاب

(١) معجم رجال الحديث : ٣٠٩/١٩ .

المبارك^(١)، كما قد أحتج به الصدوق في كتابه «من لا يحضره الفقيه» وسنده إليه من أصح الأسانيد، وهو أيضاً من رواية كامل الزيارات وتفسير القمي.

وقد روى عنه الثقات والأجلاء والأعظم منهم عدة من أصحاب الإجماع، وممن لا يرون إلا عن الثقات، بل ليس ثمة راوٍ ضعيف يروي عنه^(٢).

فقد روى عنه أحمد بن محمد بن أبي نصر المعروف بالبنطي، وإسماعيل بن مهران، وثعلبة بن ميمون، والحسن بن علي بن فضال، والحسن بن علي الوشاء، والحسن بن محبوب، والحسين بن سعيد، وعبد الرحمن بن أبي نجران، وعبد الله بن المغيرة، وعلي بن الحكم، وعلي بن سيف بن عميرة، وعمرو بن عثمان، ومحمد بن أبي عمير، ومحمد بن عبد الحميد، وهارون بن الجهم، ويونس بن عبد الرحمن. فهذه أمارات وقرائن مشكلة لحسن ظاهره المستلزم للحكم بعدالته وجلالته، وأن ما تقدم من قدح فيه - مع تسليمه وقبوله - ليس راجعاً إلى ذاته وعدالته.

(١) فجميع من روى عن المفضل بن صالح في الكافي الشريف من ثقات الأصحاب.
(٢) إلا محمد بن سنان ومحمد بن علي الصيرفي وهما كما تقدم من الأجلاء الكبار.

محتوى الكتاب

محتوى الكتاب

٥	الباب السابع والأربعون ما جاء فى التعمير
٩	الباب الثامن والأربعون حديث الدجال
٢٣	الباب التاسع والأربعون حديث عيسى عليه السلام فى أرض نينوى
٢٨	الباب الخمسون حديث حبابة الوالبيّة
٣٣	الباب الحادي والخمسون حديث معمر المغربي
٥٠	الباب الثاني والخمسون حديث عبيد بن شربة
٥٣	الباب الثالث والخمسون حديث الربيع بن الضبع الفزاري
٥٦	الباب الرابع والخمسون حديث الشق الكاهن
٥٨	الباب الخامس والخمسون حديث شداد وجنته
٩٥	وصيّة أكثم بن صيفي
١٠١	الباب السادس والخمسون قصة بلوهر ويوذاسف
٢٢١	الباب وجه ايراد القصص فى الكتاب
٢٢٩	الباب السابع والخمسون ما روي فى ثواب المنتظر للفرج
٢٣٨	الباب الثامن والخمسون النهي عن تسمية القائم عليه السلام
٢٤٠	الباب التاسع والخمسون علامات خروج القائم عليه السلام
٢٥٧	الباب الستون نواذر الكتاب
٢٩٠	حديث جامع لصفات الامام المعصوم
٣٠٣	ملاحق الكتاب
٣٠٥	ملحق : ١ ، منهجية التحقيق
٣٢١	ملحق : ٢ ، أصالة العدالة
٣٤٠	ملحق : ٣ ، أمارية رواية الثقات والأجلاء
٣٧٠	ملحق : ٤ ، أمارية الترضي والترحم
٣٨٤	ملحق : ٥ ، رواية نواذر الحكمة
٣٩٢	ملحق : ٦ ، أمارية مشايخ الإجازة

ملحق : ٧ ، جلاله عمرو بن شمر الجعفي	٤١٢
ملحق : ٨ ، جلاله محمد بن سنان	٤٣٦
ملحق : ٩ ، جلاله سهل بن زياد	٤٦٠
ملحق : ١٠ ، جلاله يونس بن ظبيان	٤٧٢
ملحق : ١١ ، جلاله محمد بن علي الصيرفي	٤٨٠
ملحق : ١٢ ، جلاله المفضل بن صالح	٤٨٩
محتوى الكتاب	٤٩٣

والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين